



مذكرات الحرب

النفيير

١٩٤٢ - ١٩٤٠

الجنرال ديغول

ترجمة

عبد اللطيف شرارة

النسب

(١٩٤٠ - ١٩٤٢)

جميع حقوق الطبعة العربية في العالم محفوظة لدار منشورات هريديات -
بيروت لبنان - بموجب اتفاق خاص ووافق عليه المؤلف مع الناشر
« Plon » بتاريخ ١٨ تموز (يوليو) ١٩٦٦ في باريس

الجنرال ديفول

مذكرات الحرب

★

النفسير

١٩٤٠ - ١٩٤٢

مُراجَعة
أحمد عويدات

مُراجَعة
عبد اللطيف شرارة

منشورات بحر المتوسط (١) منشورات عويدات
بيروت - باريس بيروت - باريس

هذه المذكرات وهذه الترجمة

لا زال المكتبة العربية بحاجة الى المؤلفات السياسية الكبرى التي رسم تيارات التاريخ المعاصر ، ولتكشف ما وراء الاحداث الراضة ، من قضايا وشؤون .

ولا جدال ان « مذكرات الحرب » مؤلفها الجنرال الرئيس شارل ديغول ، من أنفس ما كتب ، وأغنى ما نشر ، من مؤلفات تاريخية ، في عصره هذا ، لا تلقى من اضاء ، وتكشف من اسرار ، وتوصل من معان وإشارات رهبر ، فهي تبسط الوقائع التي كان لها أبلغ الاثر في مجاري السياسة العالمية الراضة ، بروح موضوعية ، ونحر للحقائق ، وتقدم مجردة في تبين اسبابها ، واستخلاص نتائجها ، ثم تعزل هذا العرض بالوقائق والارقام ، ويرفعها بالفترة والسطوع ، بيان مشرق ، واطلاع جم ، وفكر نير ، ولجربة حية عز نظيرها في الآثار التاريخية المأثلة .

وقد ارادت هذه الدار ، سراً مع خطتها في إغناء المكتبة العربية الحديثة ، ومدها بما تحتاج اليه من نتاج الفكر الفرنسي المعاصر خاصة - اراحت ان تحتل تلك « المذكرات » مكانها في ثقافة العربي السليمة ، اياً كان بلد هذا العربي ، واتجاهه .

وحده ، على نحو ما احتلتها في ثقافة الادري والامبركي وابن البلدان الشرقية الاخرى ،
فعمدت الى ترجمتها عن الاصل الفرنسي .

تستلزم هذه الترجمة ييزين : اولهما ان الجبرال الرئيس كان قد رغب في الاطلاع على
النص العربي قبل نشره . وثانية هذه الرغبة ارسل اليه المخطوط وعاد يحمل موافقته .

والثانية ان العرب - وهو من اعلام البيان العربي في ايامنا مسنده - افاد في
ركيز التحيرات للثقبة . من جهود العاملين في هذا الحقل وما انتهوا اليه . ولا سيما
في دوائر الجيش اللبناني . وقيادات كل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية
السورية .

وإنا لنأمل ان يجد قراء العربية في هذه الترجمة ، ما يشعرون من اطلاع على
الحقائق ، وتوس بال فكر السياسي . والعسكري . والتاريخي . في أطل مستوياته ،
وأوسع آفاقه .

الناشر

١٩٦٧/١٠/١٠

LE GÉNÉRAL DE GAULLE

Paris, le 11 décembre 1953

Monsieur le Directeur,

Je me félicite de ce que, grâce à vous et à votre Maison, le premier tome de mes mémoires de Guerre soit mis à la portée des lecteurs arabes.

L'envoi que vous m'avez adressé m'a permis d'apprécier la présentation donnée à l'ouvrage. Il est en même temps pour moi l'occasion de vous remercier du soin que vous-même et vos collaborateurs avez apporté à cette édition. J'ajoute que j'ai été très sensible à votre lettre et aux sentiments d'amitié à l'égard de la France qu'elle manifeste.

Vous en croire, Monsieur le Directeur, à mes sentiments les plus distingués et les meilleurs.



Monsieur Ahmad OUEDAT

المشعر

كان مني ان كنت ، على مدى حياتي ، نوعاً من فكرة عن فرنسا
اوسى بها إلى الشعور ، كما كانت من وحي العقل أيضاً . وان الجانب
الماعطي من ذاتي ليتخيل فرنسا على نحو طبيعي ، كما لو كانت اميرة
من اميرات الحكايا ، او صورة من صور العذراء المزركشة على جدران
المنازل ، وكانت نذرت للدير جليل ، غير عادي . وكان لديّ بالفطرة ،
هذا الانطباع ، وهو ان العناية الالهية اوجدت فرنسا لإحراز نجاحات
مكتملة او المرور بويلات يضرب بها المثل . واذا حدث ، مع ذلك ،
ان اتسمت افعالها ومآلها بما يخفض من مقامها او يجعلها غير متقدمة ،
بخالفني حيال ذلك ، احساس بشذوذ غير معقول يلبي ان يعزى الى
اخطاء الفرنسيين ، لا الى عبقرية الوطن . غير ان الجانب الایجابي من
تفكيري يقتضي ان فرنسا لا تكون اياها على حقيقتها ، الا حين تحتل
المصف الاول ، وان المشروعات الكبرى ، الشامة ، وحدها هي التي
يتاح لها ان تحمل حمل خائر التفكير التي يحملها شعبها في قراره ، وان
على بلادنا كما هي ، وسط بلاد الآخرين كما هي أيضاً ، ان تصوب نظرها
الى الملاء وتلتصّب واقفة ، مستقيمة . ان فرنسا لا تستطيع في رأي ،
بقول مختصر ، ان تظل فرنسا ، من غير عظمة .

ولقد غا هذا الايمان وكبر مع تنامي في البيئة التي ولدت بها ، اذ

كان والدي ، وهو من رجال الفكر والثقافة والتقاليد العريقة ، مشبعاً بشعور الكرامة الفرنسية ، وهو الذي كشف لي تاريخ فرنسا . وكانت والدتي تنطوي على هوى لا يتسامح ابداً ، تجاه الوطن ، ولا يوازيه في عرامته سوى ورعها الديني . وكنا اخوتي الثلاثة وشقيقي وانا ، نحمل ضرباً من اعتزاز ببلادنا وقلق نزل من نفوسنا منزل طبيعة ثانية . وكنت وانا فتى صغير من مدينة « ليل » ، في باريس لا يهزني شيء بمقدار ما تهزني رموز اجدادنا : الليل المسدل على « نور - دام » وجلال المساء في « فرساي » وقوس النصر المؤتلق تحت الشمس ، ورايات الظفر الخافقة في اعالي « الانفاليد » . وما من شيء كان يودع في من الازر والتأثير مثل مظاهر اجدادنا الباقية : حماسة الشعب عند مرور قيصرو روسيا ، استعراض « لوتشان » ، عجائب « المرحض » الكبير ، تحقيقات طيارينا الاول . وما من شيء كان يحزنني اعنى الحزن مثل نقاط ضعفنا واخطائنا التي كانت تنكشف لي في صباي ، واراها في قسبات الوجوه واسمعها على الألسنة : التخلي عن « فاشودا » ، قضية « دريفوس » ، المنازعات الاجتماعية ، والخلافات الدينية . وما من شيء كان يثير تأثري بمقدار ما تثيره ويلاتنا السالفة : الخروج من « بورجيه » و « مستيز » دون جدوى حيث جرح والدي ، وهو الذي اعاد لي ذكرى هذه الحادثة ، وحديث والدتي إلي عن شعورها باليأس يوم كانت صبية صغيرة ، وقد شاهدت اهلاً سيكون وهم همون : « استلم بازين »^(١).

كنت وانا يافع ، اهتم قبل كل شيء ، بكل ما جرى لفرنسا ، سواء كان هذا مما يتعلق بالتاريخ ، او يدور في الحياة العامة . كنت اشعر اذن بالحبذا ، ولكن بصرامة ايضاً ، تجاه الرواية التي تمثل ، بلا

(١) بازين : احد قادة الجيش الفرنسي في حرب ١٨٧٠ . كان لاستسلامه اثر كبير في مزجة فرنسا يومذاك . (المترجم)

انقطاع ، في ميدان حياتنا . وكنت متقاداً الى تلك الرواية بما بذل فيها
 عديد الممثلين دون حساب ، من ذكاء ، واتقاد ، وبلاغة ، كما كنت
 اشعر بضيق لما اشهد من مواهب وافرة تهدر في خضم البليّة السياسية
 والشقاات الوطنية ، التي كانت تزداد صخباً ثقافاً في مستهل القرن
 مع نذر الحرب الاخيرة في الظهور . وعلى ان اقول انني كنت في
 صباي الاول اتصور من غير دعر تلك المغامرة المجهولة ، وكان خيالي
 يجري في تعظيمها وتكبيرها ، قبل ان تحدث . ووجه القول انني ما
 شككت قط ان على فرنسا أن تحتاز معنا ضمة ، وان جدوى الحياة
 انما تقوم في ان اؤدي لها ، ذات يوم ، خدمة مرموقة ، وان فرصة
 هذه الخدمة ستؤاتيني .

كان الجيش حين دخلته ، واحداً من أعظم الامور واجلها في
 الدنيا . وكان يشمر ، تحت ضربات الانتقادات والامانات التي تهال
 عليه ، ان الياام التي يصبح فيها كل شيء مطلقاً عليه ، قد دنت .
 وشعوره هذا كان يخالجه يهده وطمانينة ، وحتى بأمل صامت ، أصم .
 وكان ان عملت بعد تخرجي من « سان - سير » في فوج المشاة الثالث
 والثلاثين ، في آرأس ، حيث جرى تدريبي على الجندية في صف الضباط .
 وكان « بيتان » عقيدتي الأول ، وهو الذي يبتن لي قيمة الموهبة والفن
 في اصدار الأوامر (القيادة) . ثم بينما كان الإعصار يتقاذقني كربةشة
 في مهب مآسي الحرب : عمادة النار ، وجلجلة الحنادق ، والغارات ،
 وقصف المدافع ، والجروح ، والاسر ، وأصبح في وسمي ، ان أشهد فرنسا
 التي تضاعل عدد موالدها ، وقد حرمتها المثاليات الفكرية (الايديولوجيا)
 الفارغة ، وإهمال السلطات ، من بعض وسائل دفاعها الضرورية - أصبح
 في وسمي ان أشهدا كيف استلست من تقسمها جهداً يفوق الخيال ،
 كيف عوضت بتضحيات لا تقاس ، عن كل ما كان ينقصها ، وكيف

وضعت حداً للتسكة وهي ظاهرة . كان في وسعي ان اراها ، في أشد
الأم حرجاً ، تعيد تحمها المصوي في كنف « حوفر » أول الأمر ،
وبوحي « لمر » في بحر . وأتبع لي ان اراها من بعد ، مرهقة
بالخسائر والخرائب ، وقد انقلت رأساً على عقب في بنائها الاجتماعي
وقوارنها المصوي ، فتزد سيرتها بخطى خائرة نحو مصيرها ، في أخذ
نظامها السياسي يعود الى الظهور كما كان من قبل ، وقد نسكوت
لذلك بصور « وصرحت العظمة والرفعة ، ورجعت الى القوض والشفق .

وصرحت ، خلال السنوات التي تلت ، بمراحل متنوعة ، مهمة وقثالة
في بولونيا ، وتدرس التاريخ في « سان - سير » ، والمدرسة الحربية ،
وديون المارشال ، وقيادة الكتبية ١٩ من الفتاة « تريف » ، وخدمة
في الأركان العامة على « الراي » وفي الشرق وكنت ألس في كل مكان
نزلته تجدد المسكة التي « صمت اليها النجاحات الأخيرة وقبعتها بالنسبة
لفرنسا ، كما كنت ألس في الوقت نفسه ، الشكوك التي تثيرها تناقضات
حكماها في النظر الى مستقبلها . بيد اني كنت أحم « مع ذلك » في
المهمة العسكرية ، النفع الجزيل الذي تطوي عليه إن قلقل وإن
للقلب ، سنا صحت أرى في الجيش ، الدائر في المعر « أداة الأعمال
الكبرى الملقمة عما قريب .

كان واضحاً ، في الواقع ، ان حاققة الحرب لم تؤم السلم ، اذ راحت
ألمانيا تستعيد مطامعها كلما استردت قواها . وبينما روسيا ركنت لمرلة
في نورثا ، وأميركا أقامت في مسأى عن أوروبا ، وانكلترا اخذت
تداري برلين لتظن باريس في حاجة اليها ، والدول الجديدة ظلت على
ضعفها وخلافتها ، كان على فرنسا وحدها ان تضبط « الريح » . وقد جهدت
لعل في أداء هذه المهمة ، ولكن على نحو متقطع . وهكذا كان من
سياستنا باديء ذي بدء ، ان استخدمت القمع في ظل « بوانكاريه »

ثم حاولت التوفيق بدافع من « رياء » وسعت احداً وراء ملجأ في
عصبة الأمم . ولكن حطر الانبساط كان يتفاهم وهنأ اخذ يقترب
من السلطة .

ألقت في تلك الحقبة بالأسامة العامة للدفاع الوطني ، وهي امينة
الدافعة التي يعتمد عليها رئيس الوزراء في وضع الخطط والدروس الحربية .
ووجدت نفسي في ظل اربع عشرة وزارة من عام ١٩٣٢ الى ١٩٣٧
منخرطاً ، على صعيد الدراسات ، في كل نشاط سياسي ، وثقافي ،
وإداري ، يتصل بالدفع عن البلاد . وأنتج لي ان اعرف خطط الأمن
وأوضاع الاسلحة التي قدمها على التوالي كل من « اندريه تارديو » و « بول
بوكور » لمصحة الأمم في جيبف ، وان اروج حكومة « دومرغ »
بالعناصر اللازمة لقراراتها ، حين انحازت طريقاً آخر ، بعد تسلم
العصرر حدة احكم . وكان عليّ ان اقوم بأبحاث دقيقة مطعنة ، لأصح
مشروع قانون ينظم الأمة في اوقات الحرب ، وأن اهتم بالتدابير التي
تقتضيها نمشة الادارات المدنية والصناعات ، والمصالح العامة . وقد
كشفت لي الاشغال التي كان عليّ ان اؤديها ، والمذاكرات التي حضرتها ،
والاتصالات التي وجب ان اقوم بها ، مدى ما هي عليه مواردنا من
غزارة ، ومدى ما هي عليه الدولة من عجز ايضاً .

ذلك بأن لتحل السلطة هو اندي كان منكشف في هذا المجال . والاكيد
هو ان الدكاء والخبر الوحيي ما كانا بموران الرجال القاعين بها .
لا ، المكس هو الصحيح ، فقد حكمت اشاهد على رأس الوارات
رحالاً ذوي قيم لا جدل فيها ، وأحياناً ذوي مواهب كبرى ولكن
ألاعيب النظام كانت تحرقهم وتشلهم . لقد كنت اقع كشاهد ذي بصير
حديد ، على تكرار مستمر ، للبيارو نفسه ، فلا يكاد رئيس الوزراء
يمارس الحكم حتى يجد نفسه يجر برائن الطلقات التي لا تعد ، وعرضة

للائتقادات والمزايدات التي يستغرق احباطها نشاطه كله ، من غير ان يستطيع السيطرة عليها . وما كان البرلمان وهو اعدى ما يكون عن تأييده ، ليقدم له سوى للمراقيل والمخدرات . ويصبح ورائه صافيه . ولرأي العام ، والصحافة ، والمصالح الشخصية ، كل هذه كانت تتخذ منه هدفاً تصوب اليه جميع انواع الشكوى والادى . وكان كل واحد ، من جهة اخرى - الوزير الاول معه يعرف انه اما هو في مصه لأمد قصير . وكان عليه في الواقع ، ان يتحلى عنه بعد بضعة شهور ، وان مثل هذه الاوضاع لتحول دون المسؤولين في شأن الدفاع الوطني ، وتلك الحملة من الاهداف الدفئة ، والمقررات الدافعة ، والتدابير السائرة الى غايتها ، وهي الحصيلة التي نطقت عليها كلمة سياسة .

لذلك ، فان الحزم العسكري الذي لم تكن توليه الدولة من اهتمامها سوى دفعات متقطعة ومتناقصة كان يبطوي على نفسه في اطار من الشكليات والاصطلاحات العملية المثالية . وكان الجيش يتجمد في المدهم التي كانت تراعى ويؤخذ بها قبل نهاية الحرب الاحيرة . وكان تعلقه بها يزداد على قدر ما يشيخ رؤساؤه في رتبهم ، وهم المشدودون الى ضلالات كانت من قبل ، السبب في اجمادهم .

وكانت كذلك فكرة الحبهة الثابتة الحامدة تهيم على لاسرائيلية الموضوعية مسبقاً لعمليات حربية مقبلة . وكان التنظيم ، والمقيدة ، والتنظيم ، والصلح ، كل ذلك يتصدر رأساً من تلك المعركة . وكانت من المفهوم ضمناً ان فرنسا تستطيع ان تفعل ، في حالة الحرب ، جمهرة احتياطيها وتؤلف اكبر عدد ممكن من فرق الاحتياط التي انشئت لا لتقوم بالعمليات والهجوم والاستتار ، بل للمحافظة على التقطعات ، ولتكون في مراكزها على طول الحدود الفرنسية والبلجيكية . كانت بلجيكا في ذلك الوقت حليقة لنا صريحة - وهناك تنتظر هجوم العدو .

أما الوسائل من دبابات ، وطائرات ، ومدافع ثقيلة ومدفعية ، التي
 أثبتت في الممارك الأخيرة من الحرب الكبرى أنها تسبب مباغنة العدو
 وتقطع أوصاله ، وما انفكت أهميتها وقوتها تزدادان منذ ذلك الحين ،
 فلم يخطر بالبال استعمالها إلا لتقوية خط الدفاع وإقامتها عند الحاجة
 بإحراق هجمات متراكمة محلية . وكان أن أثبت بالتالي فئدة الأسلحة
 الآلية : دبابات بطيئة مسلحة بقطع خفيفة وقصيرة مخصصة لمرافقة
 المشاة ، وليست للمهام السريعة المستقلة ، وطائرات مطاردة صممت
 لحماية الجو ، وليس ل سلاح الطيران يحاربها سوى القليل من قاذفات
 انقنابل . أما عدة الهجوم الجوي فكانت معدومة ، وكانت هناك أيضاً
 قطع مدفعية صممت لإطلاقها من موقع ثابت ذي مجال ضيق ، أفقي ،
 لا لصد العدو عن جميع الأراضي وإطلاق النار عليه من جميع
 السموت^(١) . يضاف إلى ذلك ، أن الحربة كانت مرسومة سلفاً في أعمال
 خط « صاحينو » ، التي تحددها التعصينات الطبيعية ، وهكذا
 وقفت الأمة في حى أسوارها شاكية السلاح ، لتنظر من ينهاك
 الحصار العبد كما كن شائماً وأن يحمله ضغط العالم الحر على الاستسلام
 والانهيار .

كن مثل ذلك المفهوم للحرب ينسجم وروح النظام القائم . وهذا
 المفهوم نفسه الذي منى بالركود في ظل المسارعات السياسية وضعف
 السلطة ، لم يكن يملك إلا أن يقترن بمثل ذلك الجهاز الدفاعي الحامد
 لهذه الدرجة . غير أن هذا المفهوم الشامل النابع عن الطمأنينة كان
 يستحيب أحسن الاستجابة للحالة الدمية التي كانت تسود البلاد ، بحيث
 أن كل مرشح للانتخاب كن يريد أن ينصح وأن يسأل التصفيق أو
 الاعلان عن نفسه ، ينحني أمامه ويصرح بأنه ناجح ومفيد . وكان أن

(١) Azimut جمع سمت . والكلمة عربية أساساً . (المترجم)

انصرف الرأي العام انصرفاً عاماً عن كل تفكير في المحوم وهو الذي اساح مع الوم القاتل ان فكرة مقاومة الحرب تقع ذوي النزعة العدوانية من عمل الحرب ، واحتفظ بذكرى كثير من الهجمات المدمرة ، ولم يحسن التمييز بين الماضي والحاضر ولا ادرك عمق الثورة التي احداثها المحرك (الموتور) في الحياة العسكرية ، منذ استحدثت حتى اليوم . ومثل القول : ان كل ما كان في الافق من صباب وغيوم تلاقت واتفقت لتحصن من السلبية نفسها ، مدناً يعتمد دواعي الوطني

كان مثل هذا التوجيه في نظري ، اخطر ما يمكن ان يكون . وكنت اقدر انه يضع البادرة ، من وجهة النظر الاستراتيجية ، في يد العدو ويحيطها ملكه الخاص . ومن الوجة السياسية كنت اعتقد اننا ندفع المانيا على العمل ضد الصماف ، حين نطش عن نيلنا في الاحتفاظ بحريتها على الحدود ، ونسوق بالتسليح ، عدداً من البلدان الى العزلة : السار ، رومانيا ، النمسا ، تشيكوسلوفاكيا ، دول البلطيق ، بولونيا ، الخ ... ونصد روسيا عن الارتباط بنا . وكان من رأيي قديمين ايطاليا ، ابا كان موقفها ، اننا لن نعرض عليها ان تصع حيداً لسوء مقاصدها . وكان يبدو لي من السحية المصوبة اخيراً ، ان من المالم المهلك ، بشر هذا الاعتقاد العاسد في البلاد ، وهو ان الحرب لن تكون آخر الامر اذا وقعت ، الا قصيرة الامد ، واننا لن نحوصها الا بأقل جهد ممكن .

لقد كانت ، والحق يقال ، فلسفة العمل ، وتجديد الجيوش وحسن استخدامها من قبل الدولة ، والعلاقات بين الحكومة والقيادة ، اموراً تشغل بالي منذ زمن طويل . وكنت قد أعربت عما افكر به ، من هذا الجانب ، في بصفة منشورات . « الشقاق لدى العدو » و « حيد السيف » وعدد من المقالات في المجلات . وقد ألفت في « السوربون » مثلاً محاضرات عن سير الحرب ، ولكن هذا أصبح في كلون الثاني

(يناير) من عام ١٩٣٣ ، سد الرايح ، وراحت الاحداث منذ ذلك الزمن تتوالى وتختلط بسرعة . ومضى كنت لا اجد احداً يقترح شيئاً للرد على الموقف ، شعرت ان عليّ ان استنصر الراي العام ، وآتيه بشروعي الخاص . ولكن هذا الامر يطوي على مجازفة ، وله ديول ، فأصبح من واجبي ان انتظر يوماً نلقى به عليّ اصواء الراي العام . وهكذا ، اتخذت موقفي والآن يحزن في نفسي بعد خمس وعشرين سنة قضيتها في ظل التدابير العسكرية .

وكان ان اطلقت خطتي وامكاري تحت عنوان « محور الجيش المحرف » . وفيه اقترحت انشاء جيش ثزال ومقارعة ، آلي ، مدرع ، تتألف قيادته من نخبة تصاف الى الوحدات الكبرى التي تشكل عند صدوره ، لولوج الموضوع . وظهر عام ١٩٣٣ مقال في « المجلة للسياسة والبرلمانية » أفادت منه كنوطة . وفي ربيع ١٩٣٤ اصدرت الكتاب الذي يتن مفهوم الادارة المراد ايجادها ، وشرح اسبابها ومبرراتها .

لماذا ؟ بينت واما ابحت دفاع فرنسا العسكري اولاً ان الجغرافية التي توجه غزو اراضيها في الشمال والشمال الشرقي ، وتفرص تنظيم ذلك الغزو ، وطبيعة الشعب الالماني التي تجعله على المطامح الكبيرة ، وتغريه بالسير عرباً وترسم له وجهته باريس عبر بلجيكا ، وطبيع الشعب الفرنسي الذي يتعرض للعبادة في بداية كل نزاع ، ذلك كله يحدونا على ان نحفظ دوماً ، يجره من قواها في حالة فاهب دائم ، مستعد في كل لحظة للانطلاق باجمعه . وقد كتبت : « نستطيع ان نكلل امراً ، كي نحمل الصدمة الاولى ، للدفاع العاجل في تكويناته السبئية التي لا يُطمان اليها . لقد آن الاوان لاصافة عنصر رئيسي من المقاومة الوطنية ، وان كانت بطيئة التجمع ، ثقية الحركة ، الى كتلة اسباطنا وامداداتنا ،

وهي اداة عمل قادرة على فاعليتها دون تحمل ، اي دائمة ، متأسكة ،
منقطعة لمل السلاح .

ثم اثرت قضية النقية ، فقد سيطرت الآلة على نظم الحرب ،
شأنه شأن غيره ، أصبحت مربية هؤلاء الذين قوض اليهم امر الآلات
الحربية ، عنصراً جوهرياً في الاهداء من الآليات ، وما أصبح ذلك في
الاسلحة الحديثة خاصة من دبابات وطائرات ، ومن كانت وليدة
المحرك ، وقد اخذت تتكامل على نحو متسارع ، وكان من امرها ان
بعثت في المناورة ، واوضحت مبيئاً أدسه واقع فعلي ، من الآن
فصاعداً ، ان نخبة من الرجال في البر والبحر والجو تسئل الحد ، لا أقصى
من عدة آلية قوية ومتنوعة الى أبعد حد ، اما تحرر تعوقاً هنالك على
كتل بشرية قل اضطرابها او كثر . واستشهدت بهذه الكلمة لسول
غاليري « يشهد الناس تلامي المشروعات التي يقوم بها نخبة من الرجال
العاملين في فرق منظمة ، ينشأ عنها في بضع لحظات وفي مدى ساعة ،
ومكان ما ، احداث ساحقة ، غير منتظرة »

ولاحظت عند التعرض للاوضاع التي تعرضها السياسة بدورها على
الاستراتيجية ، ان هذه لا يمكن ان تذب عند الدواع الصبق المحدود
عن الارض ، ما دامت تلك ، اي السياسة ، ملزمة بتوسيع مجالها الى
امد الحدود : « إننا لنؤلف طوعاً او كرهاً ، حرماً من نظام قائم
في عنصر متعاونة فيما بينها .. ان ما يحدث فعلاً ، لأوروبا الوسطى
والشرقية ، لبلجيكا والسار ، يسا مسا جوهرياً مباشراً ... ما أكثر
ما كلفنا من الدماء والدموع خطأ الامبراطورية الثانية التي تركت الامر
على ما كان عليه في « سادوقا » من غير ان تنقل الجيش بلرير ؟ ... علينا
اذن ان نكون متاهين للعمل في الخارج ، لدى كل مناسبة ، وفي كل
ساعة . وكيف لنا ان نتعبر ذلك عملياً ، اذا كان الإقدام على اي

مشروع يقتضي نمشة قواما الاحتياطية ؟ ... ، يضاف الى ذلك اما لا
تلك في الساحل الذي يعود الى الظهور بينما وبين انما من ناحية القوة
الحربية ، ان براري الألمان في القوة العدبية ، فهم بها ابدأ متفوقون علينا .
ومقابل ذلك ، ونحن على ما نحن عليه من مواهب المادرة والتكيف ،
والاعتزاز بأنفسنا ، يجب ان نتعلم من ناحية الكيفية ، وهذا ما يتوقف
علينا وحده . . وختمت جواب ذلك السؤال : لماذا ؟ ، كما يلي : ان
اداة يزال وقائية ، صاعقة ، رادعة ، هي ما يجب علينا ان نتزود به . .

وكيف ؟ المحرك يدنا بمناصر الجواب . . ، المحرك الذي يوفر حمل
ما نريد ، وحيث يجب على جميع المسافات وبواع السرعة . المحرك
يملك ، اذا كان مدرعا ، من قوة الدار ، والمفارقة ، ما يحمل سير
القتال منسجما وسير التطورات . . وعينت ، انطلاقا من ذلك ، اهداف
الذي يرمي اليه : ست فرق ثقيلة السلاح ، وفرقة واحدة خفيفة ، جميعها
مجهزة بالعدة الآلية الوافية ، ومصممة في جرم منها ، تكون الجيش
اللازم لاحداث الواقعة . .

اما التشكيل الذي يتناسب هذا الجيش فكان مبدأ على وحده
النفقة كل واحدة من فرق الميدان يدعي ان تشمل على لواء
مصنع دي فوجين ، الأول دبابات ثقيلة ، وآخر من الدبابات الوسطى ،
وكتيبة من دبابات خفيفة ، ولواء من المشاة دي فوجين وكتيبة
قناصة تنقل في عربات نقل عادية الى جميع الاراضي ، ولواء مدفعية
مروية يقطع تتحرك في جميع الارتفاعات ، ومؤلف من فوجين
يستخدمان بالنواحي مدافع قصيرة واطول وتكمل بعثة من
العاملين في الدفاع ضد الطائرات . وعلى الفرقة ان تملك ايضا ، للتد
أزر هذه الألوية الثلاثة ، فوج استكشف وكتيبة هندسية ، وكتيبة
محاربات ، وكتيبة قوبه (كاموفلاج) ومصالح . وتزود الفرقة الخفيفة

المخصصة للاستكشاف والامن البعيد ، بالآت أكثر دسعة ، ويكون تحت تصرف الجيش نفسه ، بالإضافة الى ذلك ، احتياطي عمام من دعات ومدافع ثقيلة ، ومهندسين ، ومواصلات استخبار ووسائل تمويه . ولا بد أخيراً ، من طيران قوي للرصد ، والمطاردة والامقضاض يلتحق عصبياً بذلك الجسم الكبير : فئة لكل عرقة ، فوج للجميع ، دون الاصرار بعملیات المجموع التي يسيطرها الجيش الآلي الجوي بالتساند والتواصل مع عمليات الجيش الآلي البري .

ولكن لا بد في تشكيل جيش المقارعة من هيئة محترفة ، خبيرة ، ليكون ذلك قادراً على استلان افضل فائدة ممكنة من المعدة الآلية المتقدمة ، للمحافظة التكاليف التي يجهز بها ، ولتستطيع العمل المباشرة على اي رض ، انتظار لحدات اضافية ، او الشروع في التدريب والتعليم ، ويكون مجموع جنوده ١٠٠،٠٠٠ رجل ، ويتألف الجند اذ ذاك من افراد منخرطين ، ملتزمين ، حتى اذا مضى على انخراطهم ست سنوات في جسم الخدمة وجدوا أنفسهم ، خلال هذا الزمن ، انهم حصلوا في قلب واحد ، على يد التقنية والتنافس ، وروح الاندماج في كل عضو ، ثم يزودون القوات من معد وحيوش الاحتياط بلاكات خاصة

كان استخدام هذه المعدة الامراتيقية لتعطيم مقاومة احكم امشائها ، قد وصفت آنذك في الكتاب : نوضع تلك المعدة فجأة في مكان ما ، وفي ليلة واحدة ، وهذا مما يجعل موزة ^(١) (من موقور) جميع العناصر امراً ممكناً ، وكذلك قدرتها على التحرك في جميع الاراضي واستخدام التمويه السلبي والايحيائي . ويبدأ هجوم تطلق به ٣٠٠٠ دبابة مهيأة على عدة مستويات في حبة معدل طولها ٥٠ كيلومتراً ، يتبعها

١ - البررة : فصل ما رأينا لمرحلة Motorisation . (المترجم)

ويساندها عن قرب المدفعية الثقيلة ، ويلحق بها على الاهداف المتوالية المشاة المنقولون ومعهم اسلحتهم الآلية وتنظيمهم البري ، والكل مرتبط بحمين او ثلاثة من اجسام الجيش ، يسانده ملاح الطيراد الحصان يافرق والجيش ، وينير مسالكه . وتقدم الجهار بحملته يطلع في الممتد خمسين كيلومتراً خلال نهار واحد في الميدان . ويطلع ذلك اذا ثلث العدو في ابداء مقاومة مستمرة ، بجميع عام اما لتوسيع الثمرة جانبياً ، واما لاعادة الكرة الى الامام ، واما للاحتفاظ بالارض المحتلة .

ولكن لا يكاد السور يخرق مرة من المرات ، حتى تأخذ آفاق نظر واسعة تتكشف للهم فجأة . وعند ذلك يفسر الجيش الآلي مروحة الاستئثار وقد كتبت في هذا الموضوع : « اذا احرز النصر ، يسرع المنتصر غالباً الى قطف الثار والتوغل في منطقة الفنائم . ويرى الناس الاستئثار يتحول الى واقع يسلم لم يكن من قبل الاحصاء ... وحينذاك تتمتع الطريق امام انتصارات كبرى ، هذه الانتصارات التي تثير لدى العدو ، بتأثيراتها العميقة وانتشارها السريع ، اضطراباً عاماً ، شأنها شأن حمود في كاندراية قطع ، واهارت الكاندراية على أزم ... لا بد للناس ان يروا جسوداً مسرعين في ثقب العدو ، يضربون نقاطه الحساسة ويسمرون عناده .. وهكذا يعساد بعث هذا المرض الاستراتيجي للنائج ، كما بعد نهج في التنبه كان بشكل قديماً الفاية العليا للفن الحربي ، وكأها شرفه الأسمى . ولكن شجب العدو ودولته يمكن ان ينهارا لدى حالة من حالات الضيق واليأس ، واضمحلال اجهزة دفاعها .

وكما قوي هذا الاستعداد للمعاجاة سريعاً ، وتوثقت صلته بالسلاح الجوي ذي الاهمية الكبرى في حرب اليوم تقطعت بالمدور الاسباب . وقد ذكرت سلاح الجو وهو يساند العمليات البرية التي يقوم بها الجيش البري الآلي ، وهذا بدوره يقدم فيما يحدث من انفجار في المناطق

الحربة ، فائدة استراتيجية مباشرة لعمليات التدمير التي تقوم بها الاساطيل الجوية .

كان مثل هذا التطور العميق في الفن الحربي يتطلب تطوراً مماثلاً في فن القيادة . وكنت قد اشرت ذلك الواقع ، وهو ان الاتصال اللاسلكي اصبح ، من الآن فصاعداً ، وسيلة الربط بين عناصر الجيش المقتل ، وأنهيت الكتاب مبيناً الوسائل التي ينبغي للقيادة استعمالها لتسيير الاداة الحديدية . فليس المراد ان يوجه الرؤساء أوامر معدة ، انطلاقاً من مراكز محسنة الى مرؤوسين يمدون عنهم . العكس هو المراد . فالخصور المائتة وإلقاء نظرة على الموقف ، وإعطاء شارة ومثل مصالح عادت فأصبحت حصرية وسط انشغال المتحركة المعقدة بالمصادفات المدعنة والمناسبات الحاطة ، هذه المنايا التي هي قتال القوات الآلية وفيها لشخصية الرئيس من الاهمية ما هو اكثر بكثير من توصيات باقية المدونة ، وقد تضاءلت . ألا يكون من الأحسن ، اذا كان على التطور ان يمرر ارتفاع اولئك الذين يمدون انفسهم وحدهم واقفين في الساعات الحرجة التي يحطم بها جبل الخطوب ، الاعراف ، والعمادات ، ويجعلهم بذلك ضرورة لا غنى عنها ولا سبيل الى التخلص منها ؟

ونوجت في الختام ، نداء الى الدولة استمرها والجيش في الواقع ، كآلة هيئة او مؤسسة ، لا يتميز من خلفاء داته . ومهد كان على الهيئة المختصة ان تقوم في الآن نفسه بتجديد عميقة في مؤسسة العسكرية ، كما في تقنية الحرب وسياستها ، فان امر اشاث صوط والسلطات العامة . والأكيد انها تحتاج هذه المرة ايضاً الى رجل مثل د لوفو . و د كارو^(١) ثم ان اصلاحاً كهذا لا يمكن ان يكون إلا حراً من

(١) لوفو وكارو شخصيتان كبيرتان . ادخلا تحديداً معده من تنظيم الجيوش الفرنسية . الاول في القرن التاسع عشر (١٦١٦ - ١٦٩١) والثاني في القرن التاسع عشر (١٨٥٣ - ١٨٩٣) . (الترجمة)

كل ، او عتصراً في الجهد الذي يبذل لإنهاض البلاد . ولكن اذا كان على هذا العصر الوطني الجديد ان يبدأ بالجيش ، فلن يكون في ذلك الا ما هو مطابق لنظام الاشياء . وكان العمل الشاق آنذاك الذي ينبغي ان يعيد لفرنسا قوتها وقوتها انما الذي يستخدم جيشها ملاذاً وخبرة . وذلك لأن السيف محور العالم ، والمطبعة لا تتكلم .

وقد أعدت بطبيعة الحال ، كي انهض هذا المشروع من الثيارات العسكرية التي حمت العالم ، وعند ظهور الحركة المقاتل . وكان الجنرال « ايتيين » رسول الدبابات وأول مفتش لسلحتها ، وقد تمخيل منذ عام ١٩١٧ ، ان يبتشأ منها عدد كبير لقطع المسافات البعيدة على ان تتقدم اولئك الذين يرافقون المشاة . وذلك هو الاصل في الاسلحة الآلية الصغرة التي اخذت تظهر من المصانع بوزن ٦٠ طناً ، منذ نهاية عام ١٩١٨ . ولكن المصنعة اوقفت صنعها وحصرت النظرية في صيغة « حمل المدرع » تسمى لصيغة « المواكبة » . وكان الانجليز الذين اظهروا انهم السابقون حين ادربوا « الرزبال طلك كوربي » في عمل مكثف عميق عام ١٩١٧ في « كامبري » ، قد استمروا في العمل على لتحقيق المفهوم الحربي الراسي الى انشاء قطعات مدرعة تتمتع باستقلال ذاتي في القتال وهي الفكرة التي روج لها الجنرال « فولر » والمستر « ليدل هارت » . وكانت القيادة في فرنسا تشتمل عام ١٩٢٣ ، في معسكر « سوب » على عناصر شتى ، وضمت تحت التجربة لواء فرقة خليفة للأمن والاكتشاف .

ومئة آخرون كانوا أوسع نظراً ، فقد لفت الجنرال « فون زيكت » الانتباه في كتابه « أفكار جندي » الذي ظهر عام ١٩٢٩ ، الى ما يمكن ان يتشع به جيش متميز - وهو يعني « الرايخز فيهر » المؤلف من ١٠٠،٠٠٠ رجل ، يقومون بالمسيرة على مدى طويل - وما يحرز

بالنسبة الى كتل غير متساكة - وفي ذهنه جيوش الفرنسيين - . وكان الجنرال الايطالي « دوهيه » يقرر فيما اجري من محادثات ، ان القصف الجوي وسدده يستطيع بما يحدث من تدمير في مراكز الصناعة والحياة المدنية ، ان يكون العامل الحاسم في الحرب ، وان سلاح الطيران هو ما يصح اعتياده وايلأؤه الجهد الأوفى والأكبر . وكانت « خطة الحد الأعلى » التي ابتدعها « بول بروكور » في جيف عام ١٩٣٢ ، تقترح إيلاء عصبة الأمم قوة عسكرية مخترقة ويكون تحت تصرفها جميع ما لدى أوروبا من دبابة وطائرات ، وهي تتولى مهمة الأمن الجماعي . وكانت خطتي ان تنشئ من هذه المشروعات الجراءة ، ولكنها المتلاقية ، كلا متساكاً ، ولكن لحساب فرنسا .

أثار كتابي اول الامر اهتماماً ، ولكن لم يتأثر به احد . لقد بدا « نحو الجيش المحارب » كتاباً يحرّك أفكاراً لا تعني سوى الحاكمين من عسكريين ومدنيين وهم يتصرفون بها على هواهم ، وما دام قد بدا كذلك ، فإن احداً لم يجد فيه سوى نظرية طريفة ، ولم يخطر ببال احد ان تنظيمنا العسكري قابل للتعديل اذا أخذنا ورد في كتابي . ولو كان لدي الانطباع ان هناك ما يدعو حقيقة الى المصحة في تطبيقه ، لكان في امكاني ان ألحّ على الأخذ بوجهة النظر التي عرضتها في اوساط الاختصاصيين ، غير اني حسنت ان أحجمي ، مساعداً التطور العام ، مستشق طريقها . ولكن هتلر ، من جانبه ، لم يكن يلاحظ .

كان من ان قطع العلاقات مع عصبة الأمم ، منذ شهر تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٣٣ . وتحولت لغة حرية العمل في شأن التسلح . وشهد عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ التراجع ببدل جهداً هائلا في التصفيم والتوحيد وكان العهد « الوطني » الاشتراكي ، يعلن مشيئته على رؤوس الشهداء في تعطيل معاهدة فرساي بفتح المجال للجوي .

وكانت هذه السياسة تقتضي جهازاً عسكرياً مجزئاً والأکید ان هتلر كان يعدّ العدّة لنهضة جامعية كثيفة ، فقد انشأ ، بعد تسلمه السلطة بقليل ، مصلحة العمل ، ثم اتبعها بمصلحة التجنيد ، إلا انه كان في حاجة ، عدا ذلك ، الى اعادة تدخل ليقطع المظلة الخوردية في « ماينس » ، وفيينا ، وبراخ ، وفرصونيا ، ولتكون الحرية الجرمانية ، وقد زودت برأس حاد ، قاهرة على القضاء بطعنة واحدة ، الى قلب فرنسا .

وكان المطلعون ، من جهة اخرى ، لا يجهلون ان الموهر بنوي ان يطبع الجيش الألماني الجديد بطابعه ، وانه كان يولي القباط الذين تجتمعوا ، من قبل ، حول الجنرال « لون ريكيت » ، اذناً صاغية ، امثال كايتل ، ورونشتات ، وفومريان من انصار المناورة ، والسرعة ، والطريقة المدروسة في المباشرة ، وهكذا ، كانوا يتجهون نحو القوات الالية . وانه اخيراً أراد ، وقد لبس مزيات « غورنغ » ، طيراناً يرتبط عند رأسه ، بالقتال الذي يدور في الجو . وعلمت في وقت لاحق ، ولكن قريب ، انه هو نفسه « جيل على قراءة صفحتي الذي اهتم به مستشاروه . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٣٤ ، رامي الى علما ان الرابع امثال الفرق الثلاث الاول : الباتشير ، وكان قد صدر ، في تلك الفترة ، كتاب وصحه المفيد (الكولوميل) « نهرنغ » ، من اركان حرب الجيش الألماني ، بين فيه انه سيكون لدى الرابع وحدات مائة كل المائة تلك التي اقترحت اسماءها لفرقا المدرعة في المستقبل . وفي آذار عام ١٩٣٥ ، اعلن غورنغ ان الرابع ماضي في التجهيز بقوة جوية مسلحة ، وان هذه القوة ستضم ، عدا عن كثير من طائرات المطاردة ، عدداً من قاذفات القنابل ، وسلاحاً مجزئاً في الجو . وعلى الرغم من ان هذه التدابير كانت على جانب كبير من

الحرق الفاضح للمعاهدات ، فقد اقتصر العالم الحر من معارضته إياها ،
بالاستنجاع الاغلاطوني لدى عصبة الأمم .

لم يكن في وسعي ان أطبق مشاهدة عدو القند يذرع بوسائل العلة ،
بينما هربا تقيم منها على حرمان . ومع ذلك ، فما من صوت ذي
سلطة ارتفع يطالب بعمل ما هو ضروري وسط ذلك السبات العميق ،
وكانت الأمة كلها تمط فيه . كان المارق من الحرج بحيث لم يبد لي
مع ان الشجعة مسموح لي به بعد ، اية كانت (عيني من الضالة) وصيتي
من الخول . كانت تسعة الدفاع الوطني ملقاة على عاتق السلطات العامة ،
فجزمت على ان أثير النقاش امامها .

وكان ان تحالفت ، قبل كل شيء ، مع اندريه بيرونو ، رئيس تحرير
« صدى باريس » ، ثم مدير « الايبوك » (المصور) ، فأخذ عن عاتقه
اطلاع الرأي العام على مشروع الجيش الآتي ، وان يلاحق السلطة بلا
هودة عن طريق صحيفة كبرى . وشر اندريه بيرونو ، وقد ربط
صركته بالاحداث الحارية ، أربعين مقالا ذات غور عميق ، جعلت
الموضوع شائعا ومعروفا . وراح معاوي للصديق بين في صحيفته ، لدى
كل مرة تسترهي بها الاحداث الانتفاء للدفاع الوطني ، ضرورة إنشاء
هيئة العسكرية المختصة . ومد كان الناس على علم بأن المانيا تولي آليات
المحوم والاستغلال ، جهدها الجوهرية في التسلح ، فقد راح بيرونو يطلق
صرخات لانداز والاستعمار التي كان يخفيها عدم الاكثراث للبائد

وكان قد اثبت لدى عشرين مناسبة ان كثافة القوات الالمانية المدرعة
تستطيع ، بمساعدة الطيران ، ان تدكّ بقنة دفاعا ، وتلقي في صفوف
شعنا دعرا لا يملك ان يتغلب عليه .

وفيا كان اندريه بيرونو يؤدي عمله المثمر ، راح نعر من الصحافيين

والنقاد يطرحون القضية ، على الأقل ، امثال ريمي دور والجنرال باراثيه
« الطان » و« جان ماري بورجه » والجنرالان « دي كيبياك ودوغال في
« الجورنال دي ديبا » و« اميل يوري وشارل جيون في « الاوردو »
واندريه ليكونت في « الاوب » و«المفيد اميل ماير » ولوسيان فاشان ،
وجان اوبران ، في مجلات شتى الخ . ومع ذلك ، فقد كانت جملة
المحصل من الوقائع جد كثيفة ، بحيث لا يمكن البدء بتقطيعها على يد
المقالات الصحفية . وكان علينا ان نجعل القضية ملحة بحيث تحمل السلطات
السياسية في البلاد على تدراك القضية .

وبدائي السيد بول رينو حديراً كل الحداثة بإدائه هذه المهمة ، فقد
كان ذكائه من علو المستوى بحيث يتفهم الاسباب الكامنة وراءها ،
والقيمة من الدقة بحيث تحدوه على ادراك اهميتها ، وشجاعته من الوفرة
بحيث يساندها ، وكان السيد رينو ، على بعد صيته وشهرته ، يمطي
الانطباع عن شخصيته انه رجل ذو مستقبل عظيم . رأيت ، وأقننته ،
ومنذ ذلك الحين رحت أعمل معه .

وفي ١٥ آذار (مارس) عام ١٩٣٥ التي من على منبر مجلس
النواب خطاباً مؤثراً ، بليغاً ، يتن فيه لماذا وكيف ينبغي ان يتم
تنظيمنا العسكري بحيث آلي متنا . وبعد ذلك بقليل ، قدم ، وكانت
الحكومة تطلب الاقتراح لستين ، مشروع قانون يرمي الى « اثناء
جسم عسكري مختص ، على الفور ، مؤلف من ست فرق ميدان ، و« فرقة
خفيفة » واحتياطي عام ، ومصالح يشرف عليها عسكريون يخدمون
بالتعاقد ، على ان يمارس ذلك الجسم عمله فعلياً في ١٥ نيسان (بريل)
من عام ١٩٤٠ ، على أبعاد تقدير . وظل السيد بول رينو ثابتاً في موقفه
ذاك طيلة ثلاث سنوات ، ظل يؤكد في عدة خطب هزت الهيئة البرلمانية
في ابحاثها ، ثم في كتاب جمل عنوانه « المشكلة العسكرية الفرنسية » ،

كان في دمصات آنية ، ولم يتحد شكل حكم صريع صدي . وكانت من هذا القليل ما حدث مثلاً في قصر ، الألبه ، عند نهاية حلة عقدها مجلس الدفاع الأعلى - وكنت مكثيرة - واداً بالخرال موران يبادري بجدة . « دأعاً يا دبعول ! حيثما أكن لن يكون لك مقعد ! » وكان يصرخ في وجه راتربه ، في مكنته ، حين يتحدثون إليه عني . وهو يقول : اتخذ لعمه عصا قلم بيروو ، وحاكب . بول رينو . سأرسنه إلى كورسيكا ! » غير أن الخرال موران ارتفع بروحه ، رغم زعجرة الصاعقة على لسانه ، ولم يبعد وعيده . وبعد ذلك بقليل ، تبنى السيد ، فابري ، الذي حل محله في وزارة الدفاع ، والخرال عاملان لدي حاء عضاً للصدال هيفان في رئاسة الأركان العامة معج حتماضه برلاسة أركان الجيش - قسى هذان السياسة السلبية معها التي أخذ بها سلدهما ، لجهاء المشروع ، واتخذوا تجدهم الموقف معه المتصابق المصابق .

بيد أن المسؤولين في قرارة سرائرهم لم يتسامحوا بإظهار الحاسبة الخفية التي كانوا يتشعرون بها إزاء حمصي ، وهم يؤيدون الحالة الراهنة . لقد كانوا ، من جهة أخرى ، على جانب كبير من التسه بدفعهم إلى الامعان في إظهار إيمانهم الشديد بصحة اعتراضاتهم الخاصة . وما كانوا ، حين يصرحون أن أفكارهم التي انتشرها عن امكانات القوة الآلية ، متطرفة ، أقل شموأً بالقلق إزاء القوة التي عمد « الرياح » إلى صمها . وسين كانوا يرمعون أن في إمكان الوحدات العسكرية الكبرى الدفاعية المادية أن تتوب عن فرق الصدام السبع التي اقترحت انشاءها ، وكانوا يطلقون على تلك الوحدات وصف « الممورة » لأن في المستطاع نقلها على الشاحات ، انما كانوا يرمعون ، أكثر من ي انسان آخر ، أن امرهم ذاك ، ينطوي بكل ساطة ، على نصب بالكلمات . وحين كانوا يرمعون أن في قسي الهيئة الحربية المختصة ،

تصديماً لجيشاً وجمعه شطرين ، انفسا كانوا يتظاهرون بالجهل ، لانهم يعلمون علم اليقين ان خدمة الستير التي اقترح عليها ونالت الموافقة منذ ظهر كتابي ، تسمع صد الحاجة ، فادخال نسبة معينة من الجنود النظاميين في هيئة النخبة ، وان ثمة بحرية ، وطيراناً ، وجيش مستعمرات ، وجيشاً لأفريقيا ، ودركاً ، وسرماً متحركاً . وكل هذه ذات اختصاص ، لا يغير تماسك المجموع . وان ما يوحد مختلف القوات الوطنية اخيراً ، ليست وحدة المتاد المادي وهيئتها الادارية ، وانما يوحدنا هذا الواقع ، الا وهو انها تخدم وطناً بذاته واحداً ، في ظل قوانين واحدة ، حول علم واحد بذاته .

كنت اذن انظر بأسى وأسف الى هؤلاء الرجال البارزين ، وهم يحملون من انفسهم أبراق امان تذيب ما تسمع ، سيراً مع ضرب من ولاء مقلوب ، لا مرشدين يلحون في الارشاد . ومع ذلك كنت أشعر ، وراء اقتناعهم الظاهر ، انهم يبحثون الى الآفاق التي تفتح أمامهم . وذلك اول حادث اعترض سبيلي في سلسلة طويلة من الحوادث حيث لعبت قسماً من النخبة الفرنسية ، حكمت على كل واحد من الاهداف التي انشئت الى متابعتها ، بالاخفاق ، ولكنها كانت في قرارة نفسها ، في وحشة من شعورها بالعجز والتجأ الى الجهر به ، توافقني ، من خلال ملاماتها ، وهي تبدي لي أسفاً لما بدر منها لجاهلي .

كان القدر يتابع مجراه . وهنئاً أصبح الآن على علم بما يصح ان يتخذ من مواقف تجاهنا ، فراح يفتتح سلسلة ضربات القوة . وكان عام ١٩٣٥ قد خلق ، بتأية استعناء السار ، جواً مفعماً بالتهديد لدرجة تخلت معها الحكومة الفرنسية عن خووض المعركة قبل ان يبدأ العراقي . وكان من جراء ذلك بالتالي ، ان التجذب اهل السار ، وقد خالعههم الهول مع التهويل ، الى الجباب للجرماني المتفجر ، واقترح سوادهم

معاً في مقدمة ، وضعها لكاتب الحرس و شوفينو ، ، ذي العنوان :
 « اما يزال القوم ممكناً ؟ » ، وفيها يعلن اعتقاده ان الدساتير
 والطائرت لم تبدل معطيات الحرب ، وان العصر الرئيسي في الأمن
 العرسي ، انما تكمن في الحجة المضمرة التي تمررها التحصينات وشرث
 « الفيغارو » بتوقيع جان ريفير سلطة عدالات 'مرضية' ، مطمئنة
 « الدساتير ليست بما لا يفلح ، صعب لدهش ، عندما يصل الساسة ،
 الخ ، ... وفي « مبركوردي فرانس » نشر جيرال (بثلاث نجوم)
 مقالاً يصرح به مبدأ « الموترة » ، معه ارضاً ، ويصرح قائلاً : « على
 الالمان بطبيعة الحال ، وهم محوميون ، ان يكون لديهم فرق بالسير ،
 ولكن فرنسا المسألة ، المدافعة ، لا تستطيع ان تكون الا ضد
 الموترة » .

وثمة انتقادات لحأت لي استخدم التهمك ، اذ كنت احدى المجلات
 الادبية الكبرى ، ان المرء ليصير درعاً في تقييم الأفكار التي تقارب
 حالة الهديان ، مع الاحتياط بالتهذيب المشهود . ولعل بباطة إن
 السيد ديفول كان قد سبقه الأب اوبو ، لعدد من سنوات خلت ، وهذا
 كان هو أيضاً من رجال التكبيك الكبار ، مما لديه من افكار
 حديثة ، اذ قال : « بما اننا سنعود من بولونيا ، فاسا نتخيل ، على
 يد علمنا في الفيرباء ، آلة هوائية لنقل الجيش برمنه » .

واذا كان الجهود لدى فئة المحافظين بدا معادياً في الاساس ، فان فئة
 الحركيين لم تظهر استعداداً احسن من تلك ؛ فقد اعرب ليون بلوم في
 جريدة « الدوبولير » من عدد تشرين الثاني - كانون الاول ١٩٣٤ ،
 دون مداراة ، عن الكراهية والفظن الذين اثارتهما في نفسه خطتي ، فقد
 انتصب هو ايضاً ، ضد الهيئة الحربية المختصة ، في عدة مقالات :
 « جنود محترمون وجيش محترف » و « نحو الجيش المعترف ؟ » ،

« فليسلط الجيش المحترف » ، « وما كان قط ليفعل ذلك » ، وهو يدعو الى مصلحة الدفاع الوطني ، وإنما باسم مثالية فكرية (ايدولوجيا) ينعتها انها ديموقراطية وجمهورية ، وقد اراد ان يرى على نحو تقليدي ، فيها هر عسكري ، تهديداً للنظام . كان ليون بلوم اذن يُلقي حكم التحريم على هيئة من المحترفين الحربيين ، يضع الجمهورية ، في تشكيلها ، وروحها ، وأسلحتها ، حسب اعتقاده ، في خطر .

وهكذا اقتنعت السلطات الرسمية في العدول عن كل تغيير ، يدعمها في ذلك البمين واليسار . ورفض مشروع السيد بول رينو من قبل لجنة الجيش في مجلس النواب ، والتقرير الذي قدمه السيد « سيناك » حول هذا الموضوع ، وصيغ بالتعاون المبشر مع هيئة اركان الجيش ، يختم ملاحظاته ان الاصلاح المقترح : « لا جدوى فيه » ، ولا هو مرغوب ، وان المطلق والتاريخ يقفان ضده . « ورد الجنرال « موران » من على منبر الندوة البرلمانية ، وكان وزير الحربية ، على الخطباء المؤيدين لمشروع الاصلاح وانشاء هيئة مناورة ، قائلاً : « اما وقد بذلنا ذلك المقدار من الجهد في بناء سد محصن ، هل لنا ان نترك مجاًل يمد للاعتقاد اننا سنكون على جانب من الجنون بسوقنا ان نجاوز ذلك السد لنندفع وراء مغامرة لا ادري ما هي ؟ » . وأضاف : « ان هذا الذي اقرله لكم ، عما هو رأي الحكومة التي تعرف ، في شخصي على الأقل ، خطة الحرب معرفة تامة » .

كان هذا الكلام الذي يقرر مصير الهيئة المختصة الحربية ، قد أخطر الواعين الطيبين من اهل اوروبا ، في الوقت نفسه ، ان فرنسا لن تقوم بأي مشروع ، مما حدث سوى تجهيز خط ماجينو .

ولا كان منتظراً ، امتد الشجب الورادي ، الى شخصي ، غير انه

وفي مقالات صحفية شديدة الالهجة ومقابلات صحفية ، وأخيراً في محادثات حول الموضوع مع ساسة وعسكريين ذوي أهمية . وهكذا تجد صفة رجل دولة مجدد وحارم ، فمين بأن يمارس السلطة في الأوقات العصية .

ومنذ كنت اعتقد ان من الخير ان تعرف الاعنية نفسها على مختلف ملاعب هذه اللعبة ، فقد رحلت ابدل جهدي في ادخال رجال آخرين ممن يمارسون الحياة العامة . وما كان من البد ليكور عراغبيرون ، وقد امتنعت بما في الجيش المحترف من تجاوب مع تقاليدنا ، الا ان يجعل من نفسه رسول المعركة ، بنزل وإقسام . وتقبل ثلاثة من رواب اليسار وهم فيليب سير ، ومارسيل ديا ، وليو لاعرايج ممن تناسب مواهبهم لإبرار الحائث الثوري من ذلك التجديد - تقبلو دخول الميدان . فعل الاول منهم ذلك ، واقعاً ، بطريقة حد لامة لدرجة اخذ معها صفة الخطيب المفعوه ، وبعد قليل من الزمن ، دخل الحكم ، والثاني ، وكنت اعتمد بصورة خاصة على مواهبه ، انجذب الى طريق معارض ، بعد سقوطه في انتخابات عام ١٩٣٦ . والثالث منعه الحرب الذي هو احد اعضائه ، من توكيد معتقداته . ولكن ثمة رجلاً من ذوي نقيم امثال بول بوسكور في المجلس البياني ، والرئيس ميللانت في مجلس الشيوخ ، اسروا الي انهم يقعون بدورهم الى جانب الاصلاح المنشود .

غير ان المنظمات الرسمية ، مع ذلك ، ومؤيديها من ذوي النفوذ ، ابدرو تعلقاً بالنظام القائم اكثر من اعترافهم بالضرورات الاكيدة وقبول التغيير ، واكتفوا بتحويل الصحيفة وتمديد الكيميات . وقد قاموا بذلك ، لسوء الحظ ، على نحو يلبخ من البيت والجزم درجة قطعوا ممها على انفسهم طريق النوبة من بعد ، فقد اجتهدوا ، وهم يقاومون فكرة

الجيش الآلي ، في تشويها ، واستغنموا ، معهم ، لقمص التطور التقني ،
والتشكيك فيه ، وتظاهروا ، خطة منهم في مقاومة الاحداث ، انهم
يجهلونها . وتحقق لدي في تلك المناسبة ، ان بحجة الافكار ، في اللحظة
التي تجعل بها الضلالات المتبادلة ، والرجال ذوي المناصب العالية ،
موضع شك وتساؤل ، تلبس بلباس الممارعات اللاهوتية ، وقتل دورها ،
وهو الدور الذي لا يتسامح ابداً .

لقد كان من الجنرال هيبني ، القائد الماحد ، انتهاء الحرب الكبرى ،
والذي وضع قوانين التنظيم العسكري عام ١٩٢٧ بوصفه رئيساً للأركان
العامة ، كان منه ان شجب المشروع ، صراحة . وقد عرض وجهة
نظره بطريقة هي التسلط ، في « مجلة الماني » مبيناً ان كل نزاع
اوروبي ، انما يحسم آخر الأمر ، على حدوده الشمالية - الشرقية ،
وان المشكلة كلها ان تشتت اقدامنا ووطء مركزنا على تلك الحدود .
فهو لا يرى ادنى ما يدعو الى تغيير القوانين وتطبيقها ، في شيء ،
وبلح على تقوية الجهار الذي امتشق منها وحسب . وقدخل الجنرال
فيمان بدوره في الموضوع ، في « مجلة الماني » معها ، واذا به يسلّم ،
مبدئياً ، ان فكرتي تقسم الجيش الى مشربين ، وبصرح بختماً : « ان
يكون جيشاً جيشين ، منها كان الثمن ، ! اما لدور الذي حددته الهيئة
المختصة ، فانه لا ينكر فائدته ، ولكنه يؤكد ان في الامكان ان
تؤدي عناصر عسكرية سبق ايجادها . وقد اوضح ذلك قائلاً : « ان
لدينا احتياطياً آلياً ، مهموماً ومعدداً للتسيير العملي . هما من حاجة الى
ايجاد شيء جديد ، فكل شيء موجود . » وكان الجنرال فيمان ان
تحدث الى الجمهور في مدينة « ليل » ، في ٤ تموز (يوليو) ١٩٣٩ ،
فاعلن ايضاً انه لا يتفصّل ، في رأيه ، شيء .

وحسب الماريشال « بيتان » ان عليه ان يخوض الميدان ، وحاضه

يحملته ، مع الرابع الثالث . وانتقل موسولينى من جانبه ، متعدياً عقوبات جنيف ، بفصل التأيد الذي لقيه من وزارة « لافال » وتسامح حكومة « بلدون » ، الى غزو الحبشة . وفجأة اجتاز الجيش الالماني في ٧ آذار (مارس) ١٩٣٦ نهر الراين

كانت معاهدة فرساي تمنع جنود « الرابع » من عبور أراضي الضفة اليسرى التي جعلتها معاهدة لوكارنو ، مضافاً الى ذلك ، منطقة محيطة . وكان في منطاعتها من ناحية حقوقية حالمة ، ان يعيد احتلالها ، ما دامت الدنيا قد تنكرت لتوقيعها . ولو كانت الهيئة الحربية المختصة قائمه في الوجود ، ولو في جزء منها ، بما لديها من سلحة آلية سريمة ، ورجال يشرفون على تنظيمها ، مستعدين للرحف ساعة تلقضي الرحف ، لكانت قوة الأشياء الطبيعية ، حملتها دومة واحدة ، الى الراين . وما ان حلفاء البولويين ، والتشيك والليتيكس ، كانوا على استعداد لتأييدنا ، والامكليز مصفين سلماً اليها ، لكان هنر قد تراجع بكن تأكيد . اذ كان عملاً يرمداك ، في بداية تسلمه ، ولا يرل اضعب من ان يواحه نزاعاً شاملاً . غير ان حرية كهذه ، نوقمها به فرنسا في تلك الحقبة فوشك ان تكون ذات نتائج مدمرة له ، في ملاده نفسها ، ولكان في اقدامه على مثل تلك اللعة ، قدلاً لأن يخسر ، بضربة واحدة ، كل شيء .

لقد ربح كل شيء . ذلك لأن تنظيمنا ، وطبيعة وسائلنا ، وروح دفاعنا الوطني نفسها ، كمت تصبح السلطة نحو الجمود الذي تبرع اليه برعة شديدة ، ونمنا من السير وما دعنا غير مستعدين الا للاحتفظ بحدودنا ، وكنا مانع انفسا في اجتيار تلك الحدود اية كانت الحال ، لم يكرر لأحد ان ينتظر رداً من فرنسا . وكان الموهزر متأكداً من ذلك ، والعالم كله لمس ذلك لمس اليه . وبدلاً من ان يجد الربح نفسه

مكرهاً على سحب حدوده المعامرين ، راح يكرهم دون ان يطلق طلقة نار واحدة على اراضي الضفة اليسرى كلها من « ريبانيا » ، المتصلة مباشرة بفرنسا وبلجيكا . وكان في مستطاع السيد « فلاندان » وريو الثوون الخارجية في ذلك الحين ، وهو مشغخ الروح ، ان يذهب الى لندن ، ليشين نيات انكلترا . وكان في مستطاع السيد « سارو » ، رئيس مجلس الوزراء ، ان يصرح ان حكومة باريس لا تقبل ان تكون ستراسبورغ على مرمى المدفع الالماني . . وكان في مستطاع الدبلوماسية الفرنسية ان تحصل من عصبة الأمم على لوم مبدئي لفلان . وما كانت هذه الاشياء سوى ايعاءات وكلمات في وجه الأمر الواقع .

غير ان الانفعال الذي أثاره الحادث في الرأي العام ، كان ، في حسي ، سليماً . وكان في وسع السلطات العامة ان تفيد منه في سد ثغرات قاتلة . فعلى الرغم من انهاك الساس آنذاك في الانتخابات ، والارمة الاجتماعية التي نلتها في فرنسا ، فاهم كانوا جميعاً ، على وفاق حول تقوية دفاع البلاد . ولو كان الجهد قد انصرف الى انشاء الاداة التي تنقصنا ، لكان جوهر السلطة قد سليم . ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فان الاعتمادات العسكرية الضخمة التي فتحت عام ١٩٣٦ ، استخدمت في إتمام الحمار القاتم ، لا في تنديله .

غير انه ظلي لدي ، مع ذلك بعض الأمل . كان يبدو لي في قرارة هائبك البليدة الكدرى التي كانت تنصر حياة الأمة آنذاك ، وكانت السياسة اطارها في مزيج انتخابي وبرلماني يطلقون عليه اسم « الجبهة الوطنية » . كان يبدو لي ان ثمة عنصراً نفسياً يتيح تحطيم الروح السلي السائد ، اذ لم يكن امراً غير معقول ان تعتمد الجمهورية الفرنسية برمتها ، ودفعة واحدة ، الى تعير بينها الاجتماعية واصلاح قوتها العسكرية ، حيال ما تشهد من انتصار الاشتراكية - الوطنية في برلين ، وسيادة الفاشية في روما ، ودور الكتائبية من الظفر في مدريد . وفي شهر تشرين الاول

(وكتوبر) ارميل ليون بلوم رئيس الوزراء يدعوني لمقابلته . وحدث
 ن لقاءنا تم بعد ظهر اليوم نفسه الذي اعلن به ملك بلجيكا انهاء
 التحالف مع فرنسا وسكوترا ، ورتز اعلان ذلك زاعماً ان هذا الحلف
 لن يحميه اذا هاجمت ألمانيا بلاده ، وصرح قائلاً : « الواقع اننا
 سيكون وحدا في المصعة » اية كانت الحال ، بالنظر الى امكانات القوى
 الالية الحديثة .

اصعد لي « ليون بلوم » محاضرة ، الاهتمام الذي يولييه الفكري ،
 طلت له . « ولكنك مع ذلك » حاربتنا ، « فأجابني : « ان المرء
 ليعتبر الزاوية التي ينظر منها حين يصبح رئيساً للحكومة . » ومحدثنا
 اولاً عما يمكن ان يحدث فيها لو رجع هتلر ، كما كان متوقفاً ، على
 فيينا ، او على براغ او على فرسوميا ، فأبدت هذه الملاحظة : « الأمر
 جد بسيط ، نستمر حسب الظروف الطارئة ، ما تيسر من جاهر او
 نصبيء حيوشنا الاحتياطية ، وعدد ذلك ينظر من شرفات أعمالنا ،
 وشهد سادرس ، استعداد أوروبا . » وصرخ ليون بلوم . « ماذا ؟
 أتريد ان نرحل حملة تقير من اللسا ، ووهيميا ، وبولونيا ؟ » فقلت :
 لا ! ولعكن اذا تقدم الجيش الألماني راحقاً على « الدانوب » او
 « الابل » ، فيلم لا نذهب نحن الى الراين ؟ وفيما هو يتصدر الى
 « الفستول » ثم لا ندخل نحن منطقة « الرور » ؟ وحلصة الامر ان
 مجرد اقتدارنا على القيام بهذه الردود ، يحول بلا شك ، دون هذه
 الاعتداءات . ولكن جهازنا الراهن يمننا من التحرك . بينا القطع
 المدرعة ، تمهلاً على التصنيع والمضاء . أليس صحيحاً ان حكومة ما
 تجدد بعض العرج والراحة اد بشرها موجبة ملماً ؟ . وكان ان
 وافق رئيس الوزراء على ذلك بطيبة خاطر ، ولكن صرح قائلاً :
 « الأكيد انه سيكون من المؤسف ان يمرق اصداقنا ، مؤقناً ، في

أوروبا الوسطى والشرقية . ومع ذلك ، فإن شيئاً لن يُفعل مع هتلر ، ما دام لا يوجه ضرباته إلينا . وكيف له أن ينال منا ؟ أنت توافق أن جهازنا الدفاعي متفوق وأن كان لا يصلح للهجوم .

بينت أن ليس في الأمر شيء من ذلك أبداً . ولاحظت ، وأنا أذكره بتصریحات الملك البلجيكي ، لبولند ، الثالث التي نشرتها صحف الصباح ، أن اقتناء نخبة آلية ، وضعا في مرتبة ديا بالنسبة للألمان ، وخسرا بسبب بحالة الطلجيك ، لم يحادل رئيس الحكومة في ذلك ، رغم أنه كان يجب أن موقف بروكسيل ، لا يعود إلى أسباب استراتيجية وحسب .

وقال : « أن جبهتنا الدفاعية ، على كل حال ، ومواقفنا المحصنة تحمي أراضينا . فأجبت : « لا شيء أقل تأكداً من ذلك ، ففي عام ١٩١٨ لم يكن ثمة من جبهة لا تخترق . ومع هذا ، أي تقدم أحرزت الدبابات والطائرات منذ ذلك الزمن ؟ وغداً يصبح العمل الموكث الذي يؤديه عدد كاف من السلاح الآلي ، قاتلاً لأن يدك أي حاجر دفاعي ، في أي قطاع يختاره المهاجم ومتى فتح الألمان ثغرة واحدة ، ينفذون في أماكنهم أنت يندفعوا ، بعيداً وراء خطوطنا ، كثة مدرعة سريعة يساندها جيشهم الجوي . فإذا كان لدينا مقدار ما لديهم من أسلحة آلية وطائرات ، أمكن تعويض كل شيء ، وإلا خسرنا كل شيء . »

وصرح لي رئيس الوزراء أن الحكومة رصدت ، بموافقة البرلمان ، إضافة على المواردة العادية ، اعتماداً لنفقات صبرى 'خصصت للدفاع الوطني ، وأن قسماً كبيراً من الاعتمادات مخصص للدبابات وسلاح الطيران ، فلغت انتباهه إلى ذلك الواقع ، وهو أن الطائرات المتوي صنعها ، إنما ستكون كلها تقريباً مخصصة للصد لا للهجوم . أما الدبابات ، والمراد أن

يصنع منها ، في ثمة اعشارها طراز « رنو » و « هونشكيس »
١٩٣٤ ، وهي حديثة في نوعها لكنها بطيئة ، وثقيلة ومسلحة بمدافع
صغيرة ، قصيرة ، صنعت لمواكبة المشاة في القتال ، وما هي للشكل في
شيء ، مجموعة مستقلة من وحدات كبرى . ثم ان احداً لا يفكر فيها ،
ويظل تنظيمها العسكري اذن على ما كان عليه . وأنديت هذه الملاحظة .
« اننا في الطريق الى انشاء قدر ما نستطيع من سلاح آلي ، وإمدق
المال اللارم لجيش آلي ، ثم لن يكون لدينا هذا الجيش » . فلاحظ
الرئيس . « ان استخدام الاعتمادات المرصدة لوزارة الحربية ، من شأن
السبب « دالاييه » ، والجنرال « عاملان » فأحت « لا شك في ذلك .
واسمح لي ، مع هذا ، ان اعطى في ان الدفاع لوطي يقع على
هاتق الحكومة » .

كان جرس الهاتف قد دق ، خلال حديث ، عشر مرات ، وفي كل
مرة ينصرف ليون بلوم الى مسائل برلمانية وإدارية حد طليفة . وفيها أنا
استأذن بالذهاب ، وهو عنهمك في الرد على الهاتف ، اثار إشارة الشعب
الضجر ، وهو يقول « لاحظ ما ذا كل من حين على رئيس
الحكومة ان يتابع الخطة التي رسمها ، في الوقت الذي لا يستطيع به ن
يتابع المكرة الواحدة مدة خمس دقائق » .

وعلمت من بعد ان رئيس الوزارة لن يرعرع لمدة الهيككل ، رغم
تحسه العميق بالحديث الذي جرى بيننا ، وان الخطة الموصوعة من
قل ، مستنفذ كما هي وراح يمدو لي ، عند ذلك الحين ، ان فرصت
في توري القوى ، وفي الوقت المناسب ، مع قوة « الرابع » الجديدة ،
مشرقة على الصباح . وكنت في الواقع ، مقتنعا ، ان جميع هنر ،
وعقدته ، وسنه ، والاندفاعة نفسها التي رود بها الشعب الالمانى ، لن
تسمح له بالانتظار اصححت الأمور تجري الآن بسرعة وكان على

حكاه فرنسا ، كي تلتحق الركب وتعود عن تأخرهما ، ان يريدوا لها ذلك .

وفي اول أيار (مايو) ١٩٣٧ ، قامت فرقة فانتير كاملة باستعراض في شوارع برلين ، يواكها في الجو مئات من الطائرات وكان ابطاع المشاهدين ، وعلى رأسهم السيد « فرسوا بونسيه » سفير فرنسا ، ومطعها العسكريين خاصة ، ان هذه قوة لا يملك ان يقف شيء في طريقها ، سوى قوة مماثلة . ولكن تقاريرهم لم تحصل حكومة باريس ، على تبديل الاستعدادات التي اتخذتها . وفي ١١ آذار (مارس) ١٩٣٨ ، حقق هتلر الانشولس^(١) ، فقد اطلق على فيينا فرقة آلية ، كان مجرد مظهرها وميلة الى اكتساب الرأي العام ودخل معها في مساء ذلك اليوم نفسه العاصمة النمساوية دخول الضافر . وبدلاً من توعية الفرنسيين اراء ذلك الجبروت ، راح يحصم بطمئن الجمهور الفرنسي بالتصوير الساخر للمطل الذي طرأ على بعض الدبابات الألمانية خلال ذلك الرحب المقصر ، وما وما كان لأحد ان يمتد ، فصلاً عن ذلك ، بدروس الحرب الأهلية الإسبانية ، حيث كانت الدبابات الإيطالية ، وطائرات المحوم الألمانية ، على ضالة عددها ، تلعب الدور الرئيسي في كل ميدان خاصته .

ثم كان من الموهور ان قضى ، خلال ايلول (سبتمبر) ، على تشيكوسلوفاكيا ، بتواطؤ مع لندن ، وباريس من بعد . وحطب قبل ثلاثة ايام من موزخ في قصر الرياضة في برلين ، فوضع النقاط على الحروف ، وسط أهازيج العرح ومتافات الحماة ، صارخاً : « الآن أستطيع ان اعترف علانية بما كنتم كلكم تعرفون . لقد حققنا تسليماً لم يسبق للعالم قط ان شهد ما يماثله » . وفي ١٥ آذار (مارس) انتزع من الرئيس

(١) الانشولس : وحدة النمسا مع ألمانيا . (المترجم)

« هاشا » الاستقالة النهائية ، ودخل براغ في اليوم نفسه ، وفي مطلع
أيلول ، انزال على بولونيا ، وكانت فرنسا خلال هذه الفصول المتلاحقة
من المأساة الواحدة ذاتها ، تقوم بدور الضحية التي تنتظر دورها .

وكننت من جانبي أشهد هذه الحوادث غير معالجتها ، ولكن لا
من غير ألم ، فبعد ان شاركت ، عام ١٩٣٧ في أعمال مركز
الدروس العسكرية العليا ، تلمقت الأمر بقيادة هوج الدبابات رقم ٥٠٧ في
مدينة متر . وكانت رابيتي كعقيد (كولوبل) وامتددي عن باريس ،
لحرمي من التسيلات والاتصالات الضرورية لمساعدة فكري الكبرى
وكسب المؤيدين لها . وكان السيد « بول ديتو » قد دخل ، من جهة
قانية ، حكومة الاديبه في ربيع ١٩٣٨ ، ورياً للعدل ، ثم الحال .
وكان تركيز توارب ايلي والتفتي ، عدا التخاصم الورري الذي يرمطه
بعيره ، يشكل مهمة يسمرق دأؤف كل وقته . عبر ان العدد الذي
اظهرت السلطة ، في الابقاء على جهاز عسكري حامد على لاجص بينا
كانت الحيوية العسكرية الألمانية تفسط طلبها على اوروبا ، وحنة نظام
الذي كان يتابع بهوانياته الخرفاء تجاه « رايخ » متأهب للوثوب علينا ،
وبلاهة المصلين الذين كانوا يصنفون : « جري في » و « رايخ » - كل ذلك لم
يكن في الحقيقه ، سوى نتائج لتحل عميق عن حمل التسمات الوطنية .
ولم يكن في وسمي ، ر « هذا » ان عمل شيئاً ومع ذلك ، نشرت
واة شاعر بالعاصفة قدبو ، « فرنسا وحيد » ، وفيه بينت كيف
ن روح البلاد ومصيرها بمكمان من قرن لقرن على اليوم ، في
مرآة جينها . وكان ذلك تحذيراً هائياً ، وحنة من مقامى المتوسع
الى الوطن ، عشية الكارثة .

وحيث رحبت حكومة الفرنسية في نول ١٩٣٩ ، على غير انواراة
الامكيرة ، دخول البراغ الذي بدأ في نولوب ، « يكنر لدي ادسي

شك انها فعلت ذلك ، وهي واثمة ان القتال لن يكون حدياً ، وعميقاً رغم اعلان حالة الحرب . وقد شهدت ، من غير شعور بالدهشة ، واما قائد الدبابات في الجيش الخامس ، في الأراس ، قواتنا المعياء تخذل الى السكينة والركود ، بينما تصفق بولونيا خلال اسبوعين ، على يد فرق البانتسير والاسلحة الجوية . صحيح ان التدخل السوفييتي عجل في سحق البولويين ، ولكن كان في موقف ستالين الذي المحاز الى جانب هتلر فجأة ، وكان قضيتها واحدة مشتركة ، ما يشير الى اقتناعه ان الفرنسيين لن يهركوا ساكناً ، وان أيدي ، الرابع ، على هذا النحو ، مطلقة ، وان من الأفضل اقتسام الغربة مع هتلر ، على ان تكون له وحده . وبينما كانت قوات العدو مشغولة برمتها قريباً ، في منطقة «الميستول» ، لم نكن نحن نعمل شيئاً ، ما عدا بعض النظائرات في الانتقال الى الراين . لم نعمل شيئاً لوضع ايطاليا خارج المعركة في تخييرها بين المرو الفرنسي والتخلي عن تعهداتها في الجهاد . واخيراً لم نعمل شيئاً لتحقيق الاتصال فوراً مع بلجيكا وبلوغ «ليبج» وقناة ألبير .

وشامت المدرسة الحاكمة ، بالاضافة الى ذلك ، ان ترى في هذا الركود ، استراتيجية مشرقة ، اذ راح الحكام ورئيس الوزراء في المقدمة ، يؤبدنهم عدد من الوجيهاء ، يجهدون في الاداعة والصحف ، ان يبدنوا بحاس الجلود وفوائده ، ويقولون : اما لننحط عن طريقه دورب خسائر ، بوحدة اراضيت . وحامي السيد «رسمون» مدير حريضة «الغيفارو» رائراً حين كنت في «هامبورغ» يسألني رأبي ، وحين سمع أسمي لللية قواتنا ، صاح متصفاً : «الا ترى اننا كبينا في الماضي والحاضر معركة بيضاء في المارن ؟» . ومررت اناء كانون الثاني (يناير) ساريس ، وفيها كنت اتناول العشاء على مائدة بول رينو في شارع الريفولي ، فليت هناك السيد ليون بلوم ، فقال هذا بحاطبتي :

« ما هي تكهناتك ؟ » فأجبت : « المشكلة هي ان تعرف ما اذا كان
الامان يتجهون في هجومهم ، خلال الربيع المقبل ، نحو الغرب للاستيلاء
على باريس ، ام نحو الشرق ليلعبوا موسكو » . ودهش ليون بلزم وقال :
« أتفكر في ذلك ؟ الامان يهاجمون الشرق ؟ ولكن لم يذهبون لستيوا
في مجاهل الاراضي الروسية ؟ المحكوم غرباً ؟ لكن ماذا يستطيعون
ان يفعلوا ضد خط ماحيو ؟ » . وحديثي الرئيس « ليران » رائراً
يتفقد الجيش الخامس ، فعرضت له دلائلي ، وقال لي بلهجة ود :
« افكارك مضمومة عندي . ولكن يبدو لي ان الوقت اصبح جد متأخر
على العدو ليطبقها » .

كنا نحن المتأخرين ، وقد بذلت في ٢٦ كانون الثاني (يناير) مع
ذلك ، آخر جهد في هذا السبيل ، اذ وجهت الى ثمانين شخصية بارزة
في الحكومة ، والقيادة ، والسياسة مذكرة اردت من إقناعهم ان العدو
سيبادر الهجوم بقوة آلية برية وجوية جد قوية . وان في مكاسبه ،
ابطالاً من هذا الواقع ، ان يخرق جبهتنا في كل لحظة ، وان نحن
لافتقاداتنا عناصر معادلة ، نعرض تعرضاً حلياً ، للاضمحلال امامه ،
وان الواجب يفرضي ، على الفور ، ايجاد الاداة المنشودة ، وانت من
الملح العاجل ، ونحن نقتد السير في صنع الاسلحة الآلية الضرورية ان
لجميع احتياطي الوحدات الراهنة ار التي هي في طريق التشكيل ، وفي
مستطاعها ان تنضم اليها عند الضرورة ، في جسم احتياطي آني واحد .

واختتمت مدكرتي : « ينبغي ان لا يقع الشعب الفرنسي ، ابداً كان
التمن ، فريسة الوم السائد ، وهو ان الجلود العسكري الراهن ينسجم
وطبيعة الحرب الجارية . العكس هو الصحيح ، فالهرك يسمح وسائل
التدمير الحديثة قوة ، وسرعة ، ومجال تأثير واسعاً ، بحيث ان النزاع
القائم لا بد ان يتم ، عاجلاً او آجلاً ، بحركات ، ومعاجات ،

وانتمعارات ، وثقافات تتعاور ، واتساعها وسرعتها أشد أحداث الماضي
 هولاً ووبلاً .. يجب ان لا نخدع عن ذلك ! الفراغ الذي بدأ يمكن
 ان يكون الأوسع ، والأعقد ، والأعنف من بين جميع النزاعات التي
 مرت بها الأرض والأمة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ،
 والاحلاقية التي استق عنها نلح من العمق والشمول درجة تنفي معها
 لا محالة الى انقلاب كامل في مواقف الشعوب وبنيان الدول . وواقع
 الحال ، ان أسباجام الأشياء الغامض يمد هذه الثورة مادة عسكرية -
 جيش الآلات - متناسلاً بالصط ، مع أبعادها الجبارة . وما يزال امام
 غرب متسع كبير من الوقت لتستخلص النتيجة !

م تحدث مذكرتي هزة تذكر . بيد ان الافكار المبثولة فيها والبراهين
 المبروزة انتهت الى أحداث بعض التأثير . وفي نهاية عام ١٩٣٩ ، كان
 لدينا فرقان آليتان حقيقتان ، وأحد اى تشكيل ثالثة . ولكن هذه
 الفرق لم تكن سوى وحدات استكشاف كان في الامكان ان تقدم لواء
 جلتي في كتب المناورات التي يقوم بها حفل مدرع ، ولكن فائدتها
 تصبح ضئيلة ما دام ذلك الحفل غير موحود . وقرر مجلس الحرب
 الأعلى ، في ٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨ ، بطلب ملح من الجنرال
 « بيتوت » ايجاد فرقتين مدرعتين الأولى تشكلت في مطلع ١٩٤٠ ،
 وكان من امروض ان تشكل الثانية في آذار (مارس) من العام نفسه .
 وهناك دعامات من وزن ٣٠ طناً طرار « ب » وجدت ففادحها الاولى
 قبل خمسة عشر عاماً ، وشرع مؤخراً في صنع ثلاثمائة منها ، لتسلح
 قتيك الفرقتين . ولكن كلاهما كانت أبعد ما تكون عن تحقيق القوة
 التي افترحت أحداثها ، اية كانت مزينة أسلحتها الآلية ، فقد اردت ان
 ان تشتمل على ٥٠٠ دبابة ، ولم يكن لهذه سوى ١٢٠ ، وكتيبة واحدة
 من المشاة 'تقل في شاحنات ، وكنت اريدها ذات سبع كشافات في

عذات، نقل أروية . وكان لها جدال من المدعية ، ورأيي ان تكون
دور سبعة اجسدة بحمة مدافع ستمية ولن يكون لها حرج استكشاف ،
دوسية مصري تم هي حاحه اليها . ولم اكن احبراً ، ألتصور استخدم
اوحداث لآلية الا هي شكل جعل متنع باستقلال دتي ، معظم على
هد الاساس ، ودي قيادة مبهمة عن ذلك الامس ايضاً . ولكن لدي
جري كان عكس ما اردت ، اذ لم تكن المسألة سوى صتهر الفرق
المدية هي علف هبات الجيش من الطرار القديم ، او إدايتها بتعير
أحر ، في الجهاز العام .

وكان التردد في التغير الذي يسبب عن خور في المرائم وبظهر على
السعيد العسكري ، يتحلل واصحاً في المجال السياسي ، ون ذلك النوع
من التناول الثثار الذي تمت عليه اول الامر هذه الحرب الضخمة ،
وعدت الاوساط حاكمة ، احد بدس في طور الحق ، اذ كان من
شأن التمتة لملايين الرجال وقصر الصناعة على اساج الاسلحة ، والالتزام
بفطت ضخمة ، ان روت الامة مدحيرة لتفجرات وعي خطيرة كان
معموها قد ظهر من قبل في سياسات التنبه للخطر وحل الناس على
نوتيه . وما كان عه نبي ، من حمة اخرى ، يتم عن تضاول تدريجي
في القور لدى العدو ، وهو التناول الذي كان بعضهم ينتظره نتيجة
الحصار المصروب عليه . وما لم تدمد المدة علانية لسياسة حربية غير
المتمة ، هذه السياسة التي لا يلك احد وسائلها ، وان كل واحد كان
يوجه ما يشع به من ضيق وهراء وصبر ، ضد السياسة المتبعة . وكان
النظام عاجراً ، حرياً منه على عاداته ، عن اتحاد التدابير التي تقول الى
تأثير الخلاص ، فاحذ في مراعاة همه وحداغ الرأي العام ، وفتح ازمة
ووارية ، اذ حذل المجلس في ٢١ آذار (مارس) وزارة دالاديه ، وفي
٢٣ منه شكل بول رينو الحكومة .

ودعيت الى باريس من قبل رئيس الوزارة الجديد ، فوضعت احدى
الطلبه ، بياناً موجزاً ، واضحاً ، قنده كما وضعه محروث ، بالذاته في
البرلمان . وبينها كنت هدف الدساتير التي صبح في الكواليس ، دعيت لحضور
جلسة البيان الوزاري في قصر بوربون .

كانت جلسة رابعة . وما كان لأحد ان يسمع ، خلال المناقشات ،
بعد إلقاء بيان الحكومة من قبل رئيسها أمام مجلس عرس مرتاب في
نفسه ، سوى ابواق القنات او الشخصيات الذين قدأروا مهم انصوب في
كرامتهم ، عند تشكيل الوزارة . وما كانت الاحاديث عن الخطر الذي
يهدد الوطن ، وضرورة الجهد الوطني ، وتعاقد النضال الطويل ، سوى
مظهر انيق تزدان به المراهم والصعائش . وكان ليون بلوم الوحيد الذي
لم يمرض عليه ، منصب في الوزارة ، وتكلم ، مع ذلك ، يتسام وترفع .
وبفضله استطاع بول رينو ، ان يكسب معركة الثقة ، وإن كانت لم
تحرز الا ما بقيها السقوط لأنها نالتها بسوت واحد . وهذا قل لي من
بعد السيد هريو ، رئيس المجلس ، أنا لا أزال غير متأكد كل التأكد ،
انها نالتها .

وقبل ان اعود الى مركزي في ديسمبر ، بقيت بصحة أيام الى
جانب رئيس الوزارة في وزارة الخارجية (آلكيه مورمي) وكان في
تلك الايام ما يكفي لأشاهد أي شيء من ذلك العهد من الانحلال
الحلقي . لقد كانت فكرة وقف الحرب قد كسبت انصافاً ومؤيدين
نافذين في جميع الاحزاب ، في الصحف ، في الادارة ، في دوائر المال
والاعمال ، في النقابات . وكان المحللون يؤمنون ان ذلك هو رأي
المارشال بيتان السفير في مدريد ، والمدرس فيه ان يعرف . عن طريق
الاسبان ، ان الالمان يرصون حيوياً نحوهم من ركب الشائمه تهدد
على الألسنة في كل مكان ، نقول : ان سقط رينو ، فن لا نعمل .

ميتولى السلطة ومعه الى جابه بيتان . وكان المارشال في الواقع ، قادراً على حمل القيادة على قبول الهدنة . وكانت آلاف السفن من المناشير ، تنسرب الى البحر ، حاملة في ثيابه ، على ثلاث صدقات ، صورة المارشال بوصفه اولاً رئيساً ظهراً في الحرب الكبرى ، مع السيارات : « بالأمس حندي عظيم .. » ثم « اليوم صغير عظيم » وأخيراً باعتباره شخصية حارة ، عبر واضحة : « وعداً ؟ ... »

يجب ان نقول . ان بعض الاوساط كانت تريد ان ترى العدو في متالين اكثر مما نراه في حتر ، وان اهتمامها كان منصرفاً الى وسائل ضرب روسيا ، اما بذل العمول لفيلندا ، وإما بقصف « باكو » ، وإما بإزالة جمود في استامبول ، اكثر مما هي منصرفة الى الطريقة التي تتخلص بها من الرابع . وكثيرون هم الذين كانوا يظهرون علانية الاحباب الذي يشعرون به تجاه موسوليني .

وكان بعضهم يمثل ، حتى في قلب الحكومة ، على حل قريب ، ان تشري رضا الدوتشي بالتخلي له عن جيبوتي ، وتشاد ، وإيالاته جزءاً من السلطة المشتركة في الوصاية على تونس . اما الشيوعيون فقد انحازوا الى القضية الوطنية المحيياً معصاً بالضعة طيلة الحقة التي وقفت بها برلين ضد موسكو ، وراحوا يملطون الحرب « الرأسمالية » في اللحظة التي اتفق بها مولوتوف وريستروب . وأما المناهض فانها كانت تتأرجح بين الشك والحيرة ، وهي المصلحة ، الشاعرة ان ما من شيء ولا من شخص على رأس الدولة يستطيع السيطرة على الاحداث ، وكانت من الواضح ان محنة خطيرة تمت في البلاد موجة من الوجوم والنعمر ، على قارب تونس او ادنى ، وانها لو شك ان تحتاج كل شيء .

وحاول السيد بول رينو في هذا الجو السفح المصلي ان يركثر

سلطته . وكان ذلك يزداد صعوبة بمقدار ما يتفاقم خلافه مع السيد
 دالاديه الذي كان في الحكم قلة ، وظل معه وريراً للدفاع والحربية .
 ولم يكن في الامكان تعديل هذا الموقف العجيب لأن الحرب الراديكالي
 الذي تدبّر له الوزارة ببقاتها في الحكم ، كان يتطلب ان يظل رئيسه
 فيها ، منتظراً ان يعود الى رئاستها ، لدى اول مناسبة . وكان بول
 ريسو من جهة اخرى ، يحاول في سعيه وراء توسيع اكثرية للكبيشة ،
 ان يستميل المعتدلين ويلاقي تعميقاتهم لجهاده ، وكانت عملية دقيقة لأن
 جزءاً غير يسير من اليمين كان يتمسك مسألة هتلر والنعاه مع موسوليني .
 وهكذا ، وجد رئيس الوزراء نفسه موقفاً الى استدعاء السيد د بول
 بودوان ، وتعيينه امياً مساعداً للدولة ، وهو المعروف بنشاطه الزاخر
 في تلك الاوساط ، ثم ايلانه امامة اللجنة العربية التي انشاها .

والحقيقة هي ان السيد بول ريسو كان قد فكر في ان يعهد الي
 بهذا المنصب ، فان لجنة الحرب التي كانت تؤمن سبر الترام وتضم لهذا
 الغرض ، امم الوزراء كما تضم رؤساء القسادة في الجيش ، والبحرية ،
 والجو ، كان في وسعها ان تلعب دوراً رئيسياً . وكانت مهمة اميها إعداد
 مذكراتها ، وحضور جلساتها ، وتدوين قراراتها ومتابعة تنفيذها ،
 فكانت نجماً لذلك ، كثيرة هي الاشياء التي تتوقف على الطريقة التي يمارس
 بها اداء المهمة ولكن اذا كان السيد بول ريسو يتمنى فيها بدا ، ان الولاها
 انا ، فان السيد دالاديه لم يشأ اعطاء موافقته ، فقد اجاب الرسول
 الذي بعث اليه رئيس الوزراء ، في هذا الشأن : « اذا جاء ديشول
 الى هنا ، وفي اترك هذا المكتب ، وأمرل الدرج وأنتقل السيد بول ريسو
 ان يصعد مكاني » .

لم يكن السيد دالاديه يسطوي ، في شيء ، على كراهية لشخصي .
 وكان قد قام الدليل ، من قبل ، على ذلك في ان اتخذ بنفسه كوزير ،

قرأ : نوضع اسمي على جدول ترقية الذي كانت تحاول ان تقصيني عنه
بمئات . ولكن السيد دالادييه اقر النظام العسكري القائم ، وهو
الذي كان يحمل . من عدة سنوات تسعة وزارة الدفاع ، لقد تسمي في
المواقف التي سبق ان اتحد بها ، اكثر من اي وقت مضى ، مد شعرا ان
لاحداث ستحسم الامور بين يوم وآخر . وقدّر سلعا نتائج تحكيمها ،
وارتأي على اي حل ، ان تعبير التنظيم مسمى حدث متأخر . ولكن
كان يلائم امة اللجنة الحرة على الرغم من معارضة وزير الدفاع الوطني
مرأ مستحيلا . وعدت ادراحي الى الجبهة .

وكان عني قبل العودة ان اقبل الجيران عاملان ، وهو لدي استدعائي
من مفرد في قصر دافسين . وهناك لقبته في إطار يشبه إطار الدير ،
عاطفا قليل من البساط ، جعل ويتأمل دون ان يتدخل في شؤون
المصلحة الحارة . وقد ترك الجيران جورج بقود الحصة الشالية .. الشرقية ،
وذلك ما يمكن الاطمئنان ليرة ما دامت الحصة هادئة . ولكن الامر بعدد ،
بلا ريب . مقلقا ولا سبيل الى صطحه اذا بدأ القتال . وكان الجيران
جورج هقيما في لا فرن سو - حوار ، مع فريق من اركان الحرب ،
بين تقوم مكاتب اخرى بأعمالها في مونفري بإدارة الجيران دوميك
الركس . والواقع ان عضو القيادة العليا كان مقصا بين ثلاث قطعات ،
وكانت لصورة التي طلعت في دهي عن الجيران عاملان المعتزل في
صومته من فاسين ، صورة عالم يمارج في عتبه ، بين ردود الفعل
لاستراتيجية .

كان ول ما خبرني انه يريد رفع عدد العيرت المدركة من اثنين
الى اربع ، واعطني بقراره موليتي قيادة الرئاسة ، تلك التي تشكل ابتداء
من ١٥ ايار . وايأ كان الشعور الذي يمتد ذلك الخبر في نفسي من
الوجهة العامة ، فإن تحلها في السلاح الآلي بطل دم غير قابل للشه .

وقد شعرت بإعتراز كبير في أن أدعى كمقيد ، إلى قيادة فرسة .
وحين قلت ذلك للجنترال عاملان ، احتاجي بدسطة . « أنا أفهم اعتبارك .
أما قلقك فلا اعتقد أن له مبرراً »

وحدثني الجنتراليسم ، حينذاك ، عن الموقف كما كانت يراه . وقال
لي ، وهو يكشف خريطة رسم عليها عتاد العدو وعشدها ، أنه يترقب
هجوم الأمان قريباً ، وهذا المعلوم ، حسب تكهناك ، سيكون موجتها
في البرجسة الأولى إلى هولندا ، ولشعبنا ثم ينصب نحو « البادوكال » ،
لفصلنا عن الاسكندر . وكانت هناك علامات شتى تحمله على التفكير أن
العدو سيقوم قبل كل شيء ، بعملية قنطرية أو تشييت نحو اللذان
الاسكندرانية . ولم يكن في دأبه يبدو واثقاً بتوقيباته الخاصة بقيمة
قوته فعصب ، وإنما كان مرئساً إليها أيضاً ، خارج الصبر يود أن يضمها
على محك التجربة أو قد اقتنعت وأما استمع إليه ، أنه لفرط ما رعى في
نفسه منها عسكرياً محبياً ، وعي بتطبيقه في حياته العملية ، جعل منه
عقيدة لا تزعزع ، وخالجي الشعور أيضاً به ، وهو الذي التحد من « جولر » ،
قدرة وكان في أوائل الحرب الكبيرى معاونه المباشر ومليحه ، بمض
الشيء ، أصبح على اقتناع أن المومري في مستواه ، إنما هو أن يستمر
عزيمه مرة واحدة وإلى الأبد ، على المضي في خطة محددة ، ثم لا يترك
لنفسه مجالاً لأن تحيد عنها من بعد ، مهما تحول التيار ، وما كان هو
ذاته ذو الفهم البالغ ، وروح الدقة والسيطرة على النفس ، ليشارك في
شيء قط ، أن الظفر مقدّر له آخر الأمر ، في المعركة القربية .

وكان أن عادت هذا الرئيس الكبير وأما أحل شعور الاستقام له ،
ولكن كان يخالجتني أيضاً شعور بالانقراض . غادرته وهو على استعداد
في صومعته ليأخذ على عاتقه ، بصورة مفاحة ، في الحال ، نعمة ضخمة ،
لأعبأ بالكل للكل على مائدة كنت أحسبها رديئة .

وبعد خفة أسابيع انتفضت الساعة ، ففي العاشر من ايار (مايو)
افتتح المدو هجومه الكبير ، بعد ان كان قد وضع يده على الدنمارك ،
ثم على النرويج كلها تقريباً . وروعي في ذلك الهجوم ان يكون من الفه
الى ياته مستيراً بالقوات الآلية والطيران وكثافة الجند ، وفق ما تقتضيه
الحركة ، من غير ان تكون هناك حاجة الى قوغل في القتال ، اذا انقض
على القرب « هوث » و « كلايست » في حشرين من عشر فرق مدرعة
وستة ممتدة . واخترفت سبع من فرق البانكير هذه ، الآردن . وبلغت
« الموز » في ثلاثة ايام وفي ١٤ ايار ، عبرت الى « ديان » و « جيميه »
و « موبز » ، و « سيدان » ، بينا كانت تساعد اربع وحدات ممتدة
كبرى وتغطيها ، وكان سلاح الهجوم الجوي يواكبها بلا انقطاع ، وقاذفات
القنابل الألمانية مثل مواصلاتنا ، وهي تضرب حلف جبهتنا سكك الحديد
وملتقيات الطرق .

وفي ١٨ ايار ، كانت تلك الفرق السبع متجمعة حول سان - كستان ،
متأهة للتوغل إما نحو باريس ، وإما نحو دسكرك ، وقد قطعت خط
ماجينو ، وددت جهارنا ، ولانت احد جيوشا .

وفي هذه الاثناء ، كانت الفرق الثلاث الاخرى ، يرافها فرقتان
ممتدتان ، تقوم بعملها في البلدان الواطنة ، و « البرمان » ، حيث استخدم
الحلفاء جيوش كل من هولندا وبلجيكا وبريطانيا ، وحشرين فرنسيين ،
واستطاعت - فرق المدو الخمس المذكورة - ان تلتفي في ذلك المجموع من
الجيوش البالغ عدده ٨٠٠٠٠٠ مقاتل ، بلغة لم تتمكن ان تخلص منها
بعد ابدأ ، حتى ليتمكن للقول ، ان ختم القدر « طبع » وانتهى ما كان
مقدراً ، خلال اسبوع . وراح الجيش والنولة ، وفرنسا تتدحرج كلها
الآن ، حسب ايقاع بالغ العنف ، على المنحدر المحتوم الذي ساق الى
منذ زمن طويل ، ضلال لا حد له .

وكان هناك ، مع ذلك ، ٣٠٠٠ دبابة فرنسية حديثة و ٨٠٠ مصفحة . ولم يكن لدى الألمان أكثر من هذا . ولكن اعتدلتا هذه كانت ، حسب ما نُخطط سابقاً ، موزعة على قطاعات الجبهة . إلا أنها لم تكن قط ، مصنوعة ولا مسلحة ، في معظمها ، لتشارك في مناورة كثيفة . وحتى الوحدات الآلية الكبرى القليلة التي ترتفع إلى مستوى المعركة خاصتها مفضة ، فقد اضطرت الفرق الثلاث الحليفة الاستكشافية التي خاضت ميدان لياج و « بريداء » إلى الاكتفاء على وجه السرعة ، وأعيد آمداك استمطاراً للحفاظ على إحدى الجبهات . والفرقة الأولى المدرعة ، دجبت في جسم أحد الجيوش ، وأطلقت وحدها في الهجوم الممكس ، في ١٦ أيار ، إلى الغرب من نامور ، وصا لشت أن حلوقت ودمرت . وفي اليوم نفسه ، نقلت الفرقة الثانية في سكة الحديد إلى هرسون ، وإذا يجنودها يتوارون بالتوالي ، وتنتلهم الفوضى ، والاضطراب الشامل . وفي حشة ذلك اليوم تصدعت في الجنوب من « ميدان » للفرقة الثالثة التي تشكلت حديثاً ، وأصبحت مزقاً فور دخولها المعركة مهبط أفواج فرقة من المشاة ، هي هجوم ممكس خائب . ولو أن هذه الوحدات الآلية جمعت من نفس ، على ما فيها من ضعف ، لكات قد وجهت للعدو ضربات مروع . ولكنها ، وقد عزل بعضها عن بعض ، تحولت إلى مزق بعد ستة أيام من سيرها لمنازلة الحشود الألمانية المدرعة . وما كنت قط لأجد من حاسي ، وأنا اتبين الحقيقة عبر كتف الأخبار التي تصلني ، ما يحملني في شيء ، على الشعور بأنني كنت غلطاً .

ولكن المعركة تسفل الحدي ، وإن كانت حاصرة امدح الحمران ، من نفسه . وقد ملكك علي بدوري ، جملة حواسي . فقد تلقيت في ١١ أيار الأمر متولي قيادة الفرقة المدرعة الراجعة ، التي لم يكن لها وجود بعد ، ولكن هاصرها ، وقد أقبلت من نقاط جد متباعدة ،

وُضعت شيئاً فشيئاً . تحت تصرفي . واستدعيت في ١٥ ايار من « فبراير » ،
حيث كان مركزي ، الى مقر القيادة العامة لألتقى مهمتي .

كان رئيس الاركان العام هو الذي اوصحها لي ، وكانت خطيرة
وقد قال لي الجنرال جومينك . « تريد القيادة انشاء جبهة دفاعية على
« الالسن » و « الابلت » ، لتقطع على العدو طريقه الى باريس .
وسينتشر فيها الجيش الرابع بقيادة الجنرال توشون ، المشكّل من وحدات
استمرت في الشرق . وعليك ان تكسب الوقت الضروري للتركز في
موقعك مع مرفتك ، العامة وحدها امام منطقة « لاون » . وستكفل بك
الجنرال جورج القائد الأعلى للجبهة الشمالية - الشرقية بتقديم الوسائل
التي تستخدمها ثم انك مرتبط به وحده ، وبصورة مباشرة . والمقدم
(الكومندان) شومل هو الذي يؤمن الارتباط » .

واستلقي الجنرال جورج هادئاً ، ودوداً ، ولكن مرهقاً فها تراه
العين منه . وأكد لي ما يلتظره مني ، وأصاب : « هيا يا ديفول ها
قد واقتك فرصة العمل ، وأنت الذي كان يحمل ، منذ زمن طويل ،
افكاراً يطبقها العدو » . وأخذت القطعات ، على الاثر ، تتجه نحو
« لاون » ، في حدود ما يمكن ، على ان تكون تلك العناصر بما يخصني .
وقد لاحظت ان الاركان العامة تؤدي مهامها على افضل ما تستطيع ،
وهي التي ررحت تحت مشاكل لا حصر لها ، ووضعتها امامها شؤون
المواصلات والنفقات التي كان يعاني منها جميع تحت وطأة المفحاة
والانقلاب اللذين انتشرا في كل مكان ، خلال تلك الايام العصيبة . ولكن
الشعور السائد ان الامل بالصر توارى ، وان النايص تحطم .

وتسللت حتى بلغت « لاون » ، وركزت في برويير ، الى الحبوب من
شرق المديسة وطوّفت في الجوار والواقع من امر القوات الفرنسية ،

انه لم يكن في تلك المنطقة سوى بضعة عناصر مشتتة فاعلمت لفرقة الفرسان الثالثة ، وحفنة من الرجال تحتفظ بقلعة لاوس ، والكتيبة الرابعة المستقلة من المدفعية ، وقد عُهد اليها باستخدام ادوات كياوية في الحالات الطارئة ، وكانت قد نُسبت هناك مصادفة . وكان ان أُخفت تلك الكتيبة في ، وهي التي تشكل من رجال ذوي بسالة وليس في ايديهم من اسلحة سوى بندقيات قصيرة ، فوصفتها على طول قناة « سيدون » لصيانة الأسر . وفي مساء ذلك اليوم معه ، طفق عسكر العدو الحربي يحثك بنا .

وفي ١٦ (ايار) قمت بحولة استطلاع وجمع معلومات ، رافقي فرقة من اركان الحربية ، وكان الانطباع الذي قناهي الي من تلك الحولة ان قوات المادية ضخمة خرقت الأردن عن طريق « روكروا » و « ميريبو » ، ثم لم ترحل نحو الجنوب ، بل نحو الغرب ، لتكسب موقع سان - كيثان ، وهي تعطي ميسرتها معالج نقل الى جنوب السير *Serre* . وكانت تتدفق ، على جميع الطرق ، موكب يرثي لها من اللاجئين القادمين من الشمال . وقد رأيت في هؤلاء عدداً من العسكريين العزل ممن يستمون الى القوات التي بددتها فرق البانتير المهاجرة خلال الایام القليلة الماضية . وكان من قطعات العدو الآلية ، حين ألتقت القمص عليهم اثناء هزائمهم ، انت وحثت اليهم الامر بالقضاء سادقهم وائسير نحو الجنوب كي لا يعرقلوا الطرق ، وهم يصرحون في وجوههم : « ليس لدينا الوقت لأن نجعل منكم اسرى » !

وتملكني آنذاك شعور بغضب حثيث لا احد له ، راء ذلك مشهد لشعب تائه ضائع ، في تلك الحريمة العسكرية ، ولدى سماع هاتيك الوقحة الخزية سا على سان العدو . آه ايها لحاقه كبرى ! لقد بدأت الحرب على نحو من السوء لا نهاية له . يجب ان تستمر . وهناك ،

بجال فسيح في العالم ، لهذا الاستمرار . وإذا ما بقيت على قيد الحياة ، سأقاتل حيث يجب أن أقاتل ، وقد مر ما يجب أن أقاتل ، إلى أن يندحر العدو ، وتصل اللقطة عن وجه الأمة . وكان كل ما قدرت على عمله من بعد ، انما سمعت عليه في ذلك اليوم .

واستهللاً لهذه الحطة ، سامني غداً صباحاً في الموعود ، اية كانت القوات التي تصلني ، وسأحارب وأنا أقدم نحو الشمال الشرقي عشرين كيلومتراً ان ابلغ عند السير ، مونكوربيه ، ملتقى الطرق الموصية إلى سان - كنتان ، ولاون ، ورنس . وهذا اقطع على العدو الطريق الأول ، فلا يستطيع بعد ان يستعملها في زحفه نحو الغرب ، وأسد الطريقين الآخرين الذين تكوّنانه رأساً من جهة ثانية ، إلى جهة الجيش السادس المهلهلة . وتلقيت في فجر ١٧ ابار ثلاثة افواج من الدبابات ، واحدة من طراز د ب ، (للفوج السادس والاربعون) ، تؤازرها سرعة من طراز د د ٢ ، وتنتهي إلى نصف اللواء السادس ، والموجان الآخرين من طراز د ب ٣٥ (الفوج الثاني ، والرابع والعشرين) يشكّلان نصف اللواء الثامن . ودفعتها إلى الامام ساعة بزوع البور ، فراحتم لكب جلود العدو على وجوههم وهم الذين يلعبوا في رحلهم مونكوربيه من ارض المنطقة ، وظلت تقاتل حتى المساء في ارباصها وداخلها ، فاصبة على عمده من احشاش المقاومة ، تهاجم القواصل الالمانية التي تحاول المرور ، بالمدايح . ولكن العدو كان محصناً تحصيناً قوياً في منطقة السير . وما كان لدبابتنا التي لا يساعدها شيء ان تقوى على احتبارها .

ووصل خلال النهار هوج القناصة الرابع ، وما كاد يزل حتى استخدمته على مقربة من شير ، في القضاء على طليعة هدوة تركت دبابتنا تمر ، وكشفت عن نفسها من بعد . وقد تم ذلك على عمل ، ولكن المدفعية الالمانية احدث تطلق يداهما علينا من شمال و السير ،

وكانت مدفعتها أبعد من ان تتألفا . ومضى النصف الثاني لذلك النهار كله ، وطائرات الشوكا تقتض من الجو ونعمود بلا انقطاع ، تقصف على نحو عمودي دبابتنا وشاحناتنا . وما كان لدينا شيء نرد به عليها . وكان اخيراً من القطعات الآلية الألمانية ، ان عمدت الى مساوئة مؤخراتنا بشكل راح يتعاقم مع ارباب عددها ، وأصبح علينا ، ونحن احداث صفار ، ضائعون على بعد ثلاثين كيلومتراً امام « الأيسن » ، ان نصع حداً لموقف كان مخامرة ، في أقل تقدير .

وأقبل الليل ، هوصت للاحتكاك بالعدو ، فوج الاستطلاع (المدرع الحاضر) الذي التحق بي ، واسلجست الدبابات والقناصة نحو شيفر . وكان على ارض المعركة عدة مئات من القتل الالمان ، وعدد من شاحنات العدو المحروقة . وأسرت ١٣٠ رجلاً ، ولم تلغ خسارتنا المائتين . وكان اللاجئون على الطرق ، في المأخرة ، قد كفوا عن الفرار ، حتى ان بعضهم ، رجع واسترد طريقه ، اذ سرت الاشاعة قوية في فلولهم ، ان الجنود الفرنسيين تقدموا .

اصبح الآن من واجبتنا ان نلشط للعمل لا في الشمال الشرقي ، بل في شمال لاون ، لأن قوات عدوة كبيرة اقبلت من « مارل » متجهة نحو الغرب ، على غير ، وهي تسير مع بحري هر ، السير . وأخذت الجبهة الألمانية ، تنتشر في الوقت نفسه ، في الجنوب ، وأوشكت ان تلغ الابليت . وأفادت الفرقة المدرعة الرابعة من ليلة ١٨ - ١٩ ايار للمركز في مناهد لاون الشمالية . وتلقيت امدادات أثناء ذلك : الفرقة المدرعة الثالثة المؤلفة من كوكيتي دبابات من طراز « صوموا » ، وفوج المدعية ٣٢٣ ذات الثلاثين من حيار ٧٥ . يضاف الى ذلك ان الجنرال « بييه » ، قائد فرقة الفرسان الثالثة الحظيفة ، وعهدي ان تساندني مدافعه المدعة للعمل على مستوى ارتفاع لاون .

صحيح انه لم يكن لدي من اصل الـ ١٥٠ دالة ،لموسوعة تحت
 نصري الآن ، سوى ثلاثين من طراز د ب ، ومسلحة بيار ٧٥ ، ونحو
 من اربعين طراز د ٢٥ ، او من شارة صوموا مع مدافع صبرة
 عيار ١٧ ، وان السافي رينو ٣٥ ، بما ليس لها سوى قطع قصيرة
 ٣٧ التي لا يمتدى مفعولها في الحد الاقصى ٦٠٠ متر . وصحيح انه فيما
 يتعلق بالصودوا ، يتألف كل جهاز من رئيس دالة لم يسبق له قط ان
 اطلق مدفعا ، وسائق لم يمارس السوق اكثر من اربع ساعات . وصحيح
 ان الفرقة تشتمل على فوج مشاة واحد ، ينقل في سيارات ركاب
 كبيرة ، من جهة اخرى ، فكان سبب من ذلك ، شديد احساسية
 خلال تنقلاته . وصحيح ان المدفعية تكومت حديثا من اقتطاعات
 اخذت من عديد المستودعات ، وان كثيرا من الصايط يتمرفون اى
 حنودهم في ميدان المركبة لأول مرة . وصحيح انه ليس لدينا شبكة
 بث للاعلام ، وسي لا استطيع توجيه الاوامر الا على يد رسمي
 الدراجات النارية ، لى ذوي الرتب السفلى او بالذهب خاصة لمقابلتهم .
 وصحيح ان جميع الوحدات يلقبها كثير من وسائل النقل ، والصيانة ،
 والتموين التي يدعى ، في الحالة العادية ، ان تحررها . وكان يبتلى مع
 ذلك ، من هذا المجموع المرتحل ، انطاع حبة متقدمة ، شاملة . فلتابع
 السير ! لم تنضب الموارد .

وفي فجر التاسع عشر ، الى الامام ! سقت دبابات الفرقة نحو اهداف
 متوالية ، للزحف على كرمي ، ومورتيه ، وبرتني . وكان عليهم ان
 تبلغ الجسور ، وقطع على العدو طريق لاهير . وكانت المدفعية ترافقها ،
 وعلى ميمنتها ، يلقى الاستطلاع وفوج القناصة يؤمنسان التغطية على نهر
 مارانتون ، وسرية استكشاف وجهت نحو مارل . وصر الصباح بحمر .
 ووصلنا الى السير ، بعد ان اخفنا الهرجة بمناصر معادية شتى ، كانت

تسلل إلى المنطقة ، وأرغماها على الفرار . ولكن العدو كان متحركاً في شمال النهر وفي قبضته القوة مناعد الطرق فكان يدمر من دماواتنا تلك التي تحاول الاقتراب منها ، ومدفعينه الثقيلة تحوض ليدان . وكما في واقع الحال ، على احتكاك مع وحدات المادية كبيرة فتدقق نحو سار - كشان . وكان يوماً ، لعدد النهر ودفع دماواتنا أكثر فأكثر إلى الامام ، حشود من المشاة ، ومدفعية اقوى ، لم تكن لدينا ، وما كنت خلال تلك الساعات العصيبة ، لأنك من الاقتناع عن تحميل ما يستطيع فعله الجيش الآلي الذي كنت احلم به منذ زمن طويل . فلو انه كان هناك ، في ذلك اليوم ، لقد بقتة الى « عيز » ووقف تقدم فرق البأسير على نحو ماحى . وألقى الليلة الكبرى في مؤخراتها ، ولأصغت بمجموعة جيوش الشمال في سعة من الالتحام مع جيوش الوسط والشرق

ولكنه لم يكرر ثمة في شمال لاون سوى وسائل هريئة ، سقيمة ، هالاند ادن هم الذين يمرون السير . وقد اخدوا في عبوره منذ العشية في موكورفيه ، حيث احلبا الساعة . ومد الطهر ، وهم يمرون في حارن ، وكالوا يهاجون مبملا على هر بارانتون ومؤخرتنا في شامري بعدد عديد من المصعدات ، ومدفع المحركات ، ومدفع المدون مخفولة بالسيارات ، وانشاء المهرين بأسلحة آلية . وهذا هي لأن طائرات الشوكا استظل حتى الليل تقصصا وهي الخوفة الرائعة لمرات الليل التي لا تستطيع ان تخرج من الطرق ، ثم لقطع المدفعية المنكشوفة وكان احوال جورج قد ارس بأمرني ، في مشهل النصف الثاني من ذلك النهار ، ان لا اتبع القتال ، اد تم نزول الجيش السادس ، وعلى فرقتي ان نستعد ، بلا انقطاع ، في اداء مهام أخرى . وقررت ان اؤخر العدو بعد يوم واحد ، وأنا اعبد تجميع الفرقة حول « جورج » ،

وتكون مستعدة في الليل للهجوم على جناحه ، اذا هو اراد الاندفاع من لاون على رنس ، او سواسون ، وذلك بعبور الايسن فقط في اليوم التالي .

ونفذت الحركة بانتظام ، وان كان العدو يحاول ، في كل مكان ، ان نشطبك معه . وما كان قتال المعامات ، انشاء الليل ، لينقطع في مراكز التخيم . وفي ٢٠ ايار ، انجبت الفرقة المدرعة نحو ٥ فيسم ، و ٥ برابن ، اي بالضبط وسط الالمان الذين يحتشدون في تلك المنطقة ، ويحتلون العديد من نقاط الارتكاز وساجون أرفالسا بمصفحات كثيرة العدد ايضاً . وكان ان ملعنا الايسن دون تعرض لخطر جسيم ، بفضل الدبابات التي كانت تهد لنا الطرق وما يحاورها . الا ان فيلق الاستطلاع المدرع - وكان يحمل الرقم ١٥ - الذي كان يشكل حرس المؤخرة مع فوج الدبابات لم يستطع ان يتخلص الا بعد لأي ، واضطرت فطارات الفرقة على هضبة كراون ، حيث هوجت بمنف ، الى ترك بصح شاحنات تحرق في موضعها .

وبينما كانت الفرقة الرابعة المدرعة ، تقوم بعملها في منطقة « اللاونية » كانت الحوادث في الشمال تجري بالسرعة التي تلتق مع زحف فرق البانتسير . وكانت القيادة الالمانية تدفع بقوة الآلية نحو دنكررك ، وهي التي قررت تصفية الجيوش الخليفة في الشمال ، قبل ان تفرغ من جيوش الوسط والشرق . ثم عادت تلك القوات الى الهجوم ، انطلاقاً من سان - كنتان في رتلين : الاول ذهب رأساً الى الهدف عن طريق كبراي ودواي ، والآخر انسل على طول الساحل مساراً بإينابل ومدينة برلوبا . واستولت في تلك الاثناء ، فرقنا بانكسر ، على اميان ، وأبميل ، وفيها ركزنا جنوب الصوم ، رؤوس جسر نستخدم فيها بعد . اما من جانب الخلاء ، فقد توارى الجيش الهولندي مساء

٢٠ أيار ، وراسع الجيش البلجيكي نحو الغرب ، ووحده الجيشان :
البريطاني ، والفرنسي الاول نفسيهما منقطعين عن فرنسا

لا ريب ان القيادة الفرنسية حاولت اعادة الاتصال بين شطري
قواتها بحمل مجموعة جيوش الوسط انطلاقاً من آميان نحو آراس . ذلك
ما حددته وأمر به الجنرال غاملان في ١٩ أيار . وكان من الجنرال
فيغان الذي حل محله في ٢٠ أيار وذهب في اليوم التالي الى بلجيكا ، ن
أخذ الفكرة على عاتقه . وكانت هذه الخطة نظرياً ، منطقية . ولكن
تعميدها كان يتطلب من القيادة نفسها ان تكون أيضاً على جانب كبير من
الأمل في النصر والعزم على الانتصار . وواقع الحال ان اسيار نظام
المقائد والتنظيم برمت الذي تعلق به رؤساؤنا ، حرمهم الهمة والحافز .
فقد استحوذ عليهم صرب من الاقتناع الدائى المعنوي جعلهم فجأة في
ريب من كل شيء ، ومن انفسهم ، خاصة . ومنذ ذلك الحين طغمت
القوى الخارجية الاهزامية تتكشف ، ثم لم تلبث ان اسفرت عن
وجهها ، فملك البلجيكيك راحة الاستسلام ، واللورد غورث العودة بسفنه
من غير قتال ، والجنرال فيغان الهدمة .

وفيما كانت القيادة تسجل تحت وطأة النكسة ، رحمت الفرقة الرابعة
المدعرة نحو الغرب . وكانت المسألة اول الامر ، ان تعبر السوم ، لتسلك
بناصية الهجوم الهوي القيام به في اتجاه الشمال . ولكن الفكرة أهملت .
ثم التجهت اليه نحو استعدادها مع قوات اخرى لصد الالمان الذين عبروا
السوم في آميان . غير انه حيل دون اشراكها في تلك المحاولة ، بعد
ان أخذ منها احد امواجها من الدماغات لذلك المرض ؛ واسيراً تلقى أمر
الفرقة ليلاً ٢٦ - ٢٧ أيار ، وكان قد عُين اول البارحة جبراً - من
الجنرال روبير ألتاييه ، آمر الجيش العاشر الذي تتجمع فيه القوات المنقولة
على وجه السرعة الى السوم الاسفل - تلقى الامر ان يسير ، دون ابطاء ،

في الجاه أنفيل ، ويحاصم العدو الذي أقام ، في جنوب المدينة ، رأس
جسر توطد فيه

كانت الفرقة ، في تلك القعدة ، منمركزة حول غرابيليه ، وهي
التي بدأت مسيرتي في ٢٢ ايار حارة بقبسم ، سواسون ، بيله - كوتري ،
كومبيان ، موندبديه ، وبوفه ، وقطعت في حصة ايام ١٨٠ كيلومتراً .
ويمكن القول : انها منذ ولدت في حقول مومكوربيه لم تنقطع عن القتال
او الرصف ، بما اثر في حالة الدبابات ، وترك منها نحو من ثلاثين على
الطرق . ولكن وصلت لينا مقابل ذلك ، خلال مسيرتنا ، امدادات
معية : فوج دبابات من طراز دب (الفوج ١٧) ، وفوج من طراز
د د (الفوج ١٩) مجهز بقاذفات من وزن ٢٠ طناً ، وكان عليّ ،
لسوء الحظ ، ان افصلها امام آسيان ، وفيلق الدراعون (الثنين) السابع
المحمول . وسرية مدعية من عيار ١٠٥ ، وبطارية دفاع ضد الطائرات ،
وحس بطربات من ٤٧ مصفحة مضادة للطائرات . وكانت جميع هذه
الوحدات باستثناء الفيلق د د ، مرتجة ، ولكنها أخذت يحو الحاسة
المهيمن على الفرقة ، لحظة وصولها ، ووضع تحت تصرفي اخيراً ، للقيام
بالعملية التي وكلت إليّ ، فيلق المشاة الثاني والمشرين ، ومدعية الفرقة
الثانية للفرسان . فلان المجموع ١٤٠ دبابة صالحة للعمل ، وستة أفواج
مشاة يساعدها ست دريات مدعية ، وتلك هي القوات التي ستقوم بالحملة
في جبهة الجنوب على رأس الجسر .

قررت الهجوم في مساء اليوم نفسه ، وذلك لان الطائرات الالمانية لا
تنتفك برصد الفرقة ، وليس ثمة فرصة للحصول على بعض النتائج من
المدعنة الا بالاسراع في الحركة الوائسة . وكان الالمان ، في الواقع ،
ينتظرونا بقدوم ثابتة ، هم منذ اسبوع يوطدون مراكزهم في مواجهة
الجنوب على النحو الآتي : « هوي » في الغرب ، « براي » ليه ماروي ، على

وفي المساء يلتصق الخندق ، ولكن حول كوبر واحد ظل يقاوم .
وهناك على أرض المعركة عدد كبير من قتلى الحاسيق . وقد أصاب
المطرب كثيراً من مدافينا ، ولم يبق منها سوى مائة تستطيع ان تتابع
السيرة بيد ان هناك حوا من الانتصار ينجح على الميدان . أصبح كل
واحد مما يرفع رأسه عالياً ، وعلى ظهور الحرس انقاسه والدافع
تطلق القذائف حولي الألمان تراجعوا أماما في معركة مرعبة .

كتب الماحور جريج تاريخ الفرقة الألمانية « يوم » التي كانت فسطح
على رأس الحرس ، بعد نصف اسابيع من المعركة ، وحمل عنوان كتبه
ذاك « أبفيل » ، وكان بها ورد فيه الصارات الآتية :

« ما للذي جرى ، يحبطه ، في 28 أيار ؟ »

« كان ان هاجنا العدو بقوات آلية شديدة ومصفحة ، وقالت وحدتنا
المضادة للدبابات بطول ، ولكن معمول ضرباتها تضاهل الى حد كبير ،
اراء القوات المدرعة . وكان العدو قد توصل الى التوغل بمدافاته حتى بلغ
ما بين هوبي وكومون ، وسحق دفاعنا المضاد للدبابات ، ونخلت المشاة
عن المواقع التي اكتسبوها . »

« وبينما كانت اثناء التدمير نهال على اركان الفرقة ، لم يبق من وحدة
للاتصال بأي من الأفرج العامة على الخط ، بسبب من نار المدفعية
الفرنسية المتواصلة ، انتقل الخيال آمر الفرقة بنصه الى الامام ... فلقى
الجيش منهزماً ، فجعله وانهاده الى النظام وقاده الى مواقع الدفاع المعدة
على بعد بضعة كيلومترات ، وراء الخطوط الأولى ... »

« غير ان رعباً عميقاً خالج الجنود من الدبابات ... الخسائر فادحة ...
ليس ثمة من احد لم يعقد رفاقاً أعزاء على قلبه ... » .

ومع ذلك ، وصلت النجدة الى الامان . واستطاعوا ، خلال ليلة ٢٧ - ٢٨ ان ينهضوا بوحدهم جميعها في الميدان . والحلت والامري قدما بالادلة على ذلك . وفي ليلة ٢٨ - ٢٩ تحلفت وثبة اخرى جديدة ، فيها هي مجموعة من القوات لم يلبها ثعب ولا ارضاق ، ولا خاضت القتال ، توجهه لمارلشا في اليوم الثالث ، كما هو الشأن في اليوم الثاني . اما نحن فلم يصلنا شيء . وما كان يرمي سوى القليل ، مع ذلك ، لتحقيق النصر النهائي . لا بأس بما هو نسوا ا منهاجم في ٢٩ ايار ، على ما نحن عليه مرة ثانية ايضا .

كنت الحقة على كوسر في ذلك اليوم ، وقد انصرف معظم جهدي الى سفوحه الغربية . وكانت بر دماننا الاحيرة من طراز « ب » ، ان تتعلق من مواضع رياضية . شأها شأن « الصوماء » التي كان عليها ان تنتقل من المينة الى الميناء . وقد خسر فوج القناصة اسكادر من النصف كما فقد فلق الاستطلاع لثبته ، ومن المقرر ان يتبعها فوج دراعون ، وستنتقل من ميكي ما ياتي من مدينة الوينو والسرية ٢٢ التابعة لجيش الاستعمار . وقد وجه المارشال « كيمي » انجاءاً لنا ، امراً الى فرقة العرسان الحاسه ، الخفيفة ، لتسند عرج دول جر السوم ، تحت رأس الجسر ، ان تدفع صدمتها على كامرون . ان لا نستطيع التقدم ، فطلب الى سلاح الجو مساعدتهم في قصف الممانعة المؤدية الى أبفيل ولكن الطائرات كانت في مكان آخر . وفي الساعة ١٧ م دمرت العدو باهجوم ، وبلغنا منحدرات اعل ، ويمكن السيرة ظلت بيده . وحين هبط الليل ، قام الالمان بتسليم مدفعية قوية بهجوم معاكس على قريتي موينفيل وديساي دون ان يوفقوا الى الاستيلاء عليها .

واقبلت في الثلاثين من ايار العرقبة الاسكتلندية ٥١ يقودها الجنرال فورنون ، وكانت قد وصلت حديثاً الى فرنسا ، وكلها زهو ومرح ،

أصبحت الوحدة الفرقة الرابعة المشرقة . وهذه كانت قد جددت تجمعها على مقربة من دويج . وكان معي العقدهاء : سودر ، سيمونان ، فرنسوا للدهات ، دي هام ليدو ، استطلاع ، رترن للقصاصه ، لوناكون الحدود لمستمرات ، دي تونمار للدراغون ، شودسول وآسلم للهدفية ، وشوميل لرئاسة الاركان . هؤلاء هم الذين يقومون بموازنة العمليات الحربية . ولم منظم تصفية رأس حربة أنفيل رمت ، ون حكا قد دمرنا ثلاثة ارباعه . وكما هو الآن لا يستطيع العدو ان يبعد منه بالقوة ، ولا ان يعيد ، حلاله ، على الأقل . كنت حائلنا قاذفة ، ومع ذلك اقل من حائل العدو . ورحلنا بقتاد ٥٠٠ أسير أصبحوا الى أسرى مونكورنبه ، وكية كبيرة من الاسلحة والعتاد

اي ارض نرى - يا للحيرة . . . منعت ، او يمكن ان تفتح ، غير هذه الرقعة ذات الكيلومترات الاربعه عشر ، حلال معركة فرنسا ؟ واذا انت وصعت سلاح الطيران الذي سقط في خطوطنا ، على حدة ، نرى كم يكون عدد الالمان الذين يقومون في اسرها ؟ ولو حل محل فرقة فقيرة ، صعبة ، غير فائمه ، مرتججة ، معزولة ، هيئة عسكرية من نخبة مدرعة كانت بعض عناصرها قاذفة ، من جهة اخرى ، وان مشقة مشومة ، اية نتائج كانت قد اعطت اثناء هذه الايام الاحيرة من ايار ؟ ولو ان الدولة كانت قد تمت دورها ، ووحيت يوم كان لديها الوقت ، جهازها العسكري نحو الاشياء الايجائي لا السلبية ، ولو انهم بالتسالي اعدوا عدة البرال والمقارعة التي كنت افترض اغلب الاحيان ايجادها ، على السلطة والقيادة ، لكان اد ذاك لدى قواتنا المسلحة فرصة الظفر ، ولدى فرنسا فرصة لاستعادة عافيتها الروحية .

ولكن المعركة كانت ، في ٣٠ ايار ، ضيما خاسرة ، اد استسلم قبل العشية السابقة ملك البلجيك وحيثه . وفي دسكرك اخذ الجيش البريطاني

يشب الى مفتة عائداً ، فاراً . وما بقي من القوات الفرنسية في الشمال
يحاول المحاولة البريطانية معها ، وكان السعدون أكرهت عليه ، يحمل في
في ثنائه الكارثة . وقبل برهة واحدة منه ، شرع العدو في تهتة الطور
الثاني من هجومه الى الجنوب ، ضد حصص فقد ثلث قواته وانه يبقى لديه
أكثر من اي وقت مضى ، وسائل الرد على القوات الانجليزية .

ما كنت ، وأنا في مشواي المنعزل في بكاردي ، لأصوع وهام ،
ولكني أردت الاحتياط بالامل . وإذا كان الموقف مما لا يمكن تقويمه ،
بعد كل حساب ، في الوطن الأم ، هذا الواجب يقضي القيام بذلك
التقوم ، في مكان آخر . الامبراطورية حائلة هناك ، تقدم الملاذ . والاسطول
حائل أيضاً يمكنه نقطة الموقف . والشعب مائل كذلك ، ولا بد له ،
على اي حال ، من مكانة العز ، ولكن الجمهوريه تستطيع ان تمنحه على
المقاومة ، وهذه فرصة رائعة لتوحيد . والعالم كله مائل هناك ،
وهو قابل لان يزودنا بأسلحة جديدة ، ثم يعود قومي من بعد غير ن
هناك الى ذلك سؤالاً يمس على كل شيء : هل تحسن السلطات العُمة ،
مهما حدث ، ان تصنع الدولة في نجيوة من اهلاك ، وتصور الاستقلال ،
وتتخذ المستقبل ؟ ام انها ستسلم الأمور كلها لوبيلات الاهيار ؟

اني لاثناً ، من هذه الوحشة - بلا عياء - ان كثيراً من الأمور
تتعلق على الموقف الذي تتخذه القيادة ، فلتفرض هذه ان تقول العلم ما
دامت ، حسب القانون العسكري « لم تستعد جميع الوسائل التي تقتضيها
الواجب والشرف » ، ولتأخذ قولاً واحداً ، في آخر ملاذ ، الحل الأفريقي
الذي يمكن ان يتحول في اللجة المعركة ، الى خضه «نفاذ الدولة واد
هي - أي القيادة - سلكت عكس ذلك ، واعملت معها ، فهم
تدفع للاستسلام ، سلطة متهاة ، والمها من جهة تستند اليها في إلقاء
فرنسا الى الحضيض ا

كانت هذه التأملات تقسم ذهني وأنا ذاهب في اليوم الاول من حزيران ، لتلبية الدعوة التي وجهها إليّ الجنرال فيغان ، القائد الاعلى ، وقد استقبلني في قصر مونتري . وابدئ كمادته هاتيك المؤهبة في الوصوح ، وهذه البساطة في الكلمة ، التي يتسم بها . وكان منه ، اول ما كان ، ان هأسي في شأن ابليل ووجه إليّ من الحمد والثناء الشيء الكثير . ثم سألتني رأبي فيما يصح ان نعلمه بالالف والمائتي دابة الحديثة التي لا زالت قيد تصورها .

أشرت على القائد الاعلى ان تجمع هذه الدبابات في فئتين كبيرى وصغرى . الاولى شمال باريس ، والاخرى جنوب راس ، وما تبقى من الفرق المدرعة يزودها بالنواة . واقترحت اسم الجنرال : دبستان ، مفتش الدبابات لقيادة الاولى ، ونقسم الى هاتين الفئتين ، ففئتان او ثلاث من اشاة ، بجبهة بوسائل نقل ، ولها مدفعية مصاعفة . وهذا يكون لدينا وسيلة عريقة كبيرى ، تستخدم مفعولها في صد هذا الجياح او ذاك من جحافل الألمان الآلية حين يندفعون في اتجاه من الجبهات رحيمهم ، بعد ان يدكروا جهتها ، ويحددون انفسهم اذ ذاك على نحو يقل او يكثر ، محلثمين عرصاً ، محدثين عمقاً . واحذ الجنرال فيغان علماً باقتراحاتي ، وراح بعدها يتحدثني عن المعركة ، قائلاً : سأكون مهتماً ، في ٦ حزيران (يونيو) على حصتين : اليوم والايس . وسيتقل ذراعي من الفرق لالابية ضعب ما لدينا نحن . وهذا يعني ان مجالات الأمل محدودة . واذا سارت الأمور على نحو اقل سرعة مما نحب ، وكان في استطاعتي ان اعيد العافية ، خلال الوقت المهدود ، الى القوات العربية الساجية من دسكرك ، وكان لدي من الاسلحة ما نحتاج اليه لا قدمه لها ، وذا عاد الجيش البريطاني يشارك في القتال ، بعد تجهيزه ، من حديد ، ورضي سلاح الجو الملكي ان يخوض المعركة خوفاً عميقاً في ميدان القتال .

الأوروبية ، يظل لنا حينذاك فرصة للظفر . . . وأضاف القائد الأعلى ، وهو يهز رأسه : « والا !... »

أصبحت على يقينة من الموقف كله . وشعرت بثقله يضغط على روحي ، فمادرت الجنرال فينان .

لقد وقفت على كلمة ، دفعة واحدة ، مهمة ساحقة لم يكن ، زيادة في الطين بلة ، مؤهلاً للبهوض بها . وحين نزل القيادة العليا ، في ٢٠ أيار ، جاءت ولايته تلك ، بلا ريب ، متأخرة جد التأخر ، لكسب معركة فرنسا . ويمكن الافتكار ان الجنرال فينان أدرك ذلك بدهشة وفجأة . وقد كان قد عاش سنته كلها ، ولم يواسه قط الامكانيات الواقعية للقوى الآلية ، فقد أذهله المضمحل الهائل المناغت الذي أظهرته وسائل المدو ، وجمعت لا يفتق من الوجوم . وكان يلزمه ، كي يفادر الهول الحائج ، ان يتحدد ، ان يحطم بين عشية وضحاها ، تلك المفاهيم ، والرتابة ، وطرق العمل التي هتكت رامت غير صالحة للتطبيق ، ان ينتزع استراتيجيته من الاطار الضيق الذي حصرها فيه الوطن الأم ، ان يرد سنان الردى الى المدو الذي أطلقه ويضع في حساب ميدانه ، العضاء الواسع ، والوارد الكبرى والسرعة المعظمي ، ويضم الى ذلك الميدان الاراضي الثابتة ، والاحلاب ، والبحار . وما كان الرجل الذي يقدم على مثل تلك الاعمال . لقد كانت سنته ، ولا شك ، تمرض ذلك ، كما كانت المسالك التي يسلكها ذهنه تمحور دونه ، ولكن هذه الجيلة كانت تشمل ، على الاخص ، في مزاجه .

لقد كان فينان ، في حقيقة امره ، وبطبيعته مرؤوساً لامعاً ، ولا يصح ان يكون رئيساً متوسعاً . وهذا المعنى ، ووفقاً الى خدمة « فوش » ، على نحو يستثير الاعجاب . وكان عام ١٩٢٠ قد حمل « بلسودسكي » على

تبني خطة انقذت بولونيا . وكان منه ان يقدم لمصالح الجيش الحيوية خدمات قيمة ، اداها بذلك وشجاعة الى عدة وزراء ونحت سلطانهم ، يوم كان رئيساً لأركان الحرب العامة . ولكن اذا كانت الكفاءات المنشودة لخدمة الاركان ، وتلك التي تقتضيها القيادة لا تتلاقى امداً فيما بينها ، فإن ذلك لا يعيد خططها معاً . ذلك بأن يعمل المرء على حساب ، ولا يريد لعمه طابعاً سوى طابعه ويحابه القدر وحده ، وان يكون ذا ولع حار ، صارم ، متفرد ، يتسم به الرئيس ، فهذا كله مما لم يكن منه فيضان هناك ، ولا نزاعاً اليه ، ولا ممدداً له . بيد انه ، وان كان له من ذلك نتائج مرغاة الحادة او محصلة تلاقى الظروف والاحوال ، لم يمارس قط خلال اعماله كلها ، اية قيادة . مما هو فيلق ، ولا لواء ، ولا فرقة ، ولا جسم عسكري ، ولا جيش ، شهدت يوماً من الايام ، على رأسها . وكان اختياره ليأخذ على عاتقه اكبر مخاطرة عرفها تاريخنا العسكري ، لا لان الدب احتاروه كلوا يعرفون انه كفى لذلك بل بحجة « انه كان هنأ » . كان اختياره خطأ - عادياً في سياستنا - بدعي : السهولة .

وكان الواجب يقضي ، على الأقل ، منذ تبين ان الجنرال فيشان ليس الرجل اللائق للكان اللائق ، ان يترك منصبه ، اما بأن يطلب اعفاه ، واما بأن تتخذ الحكومة رسماً قرار اعفائه . ولكن شيئاً من ذلك لم يكن . ومنذ ذلك الحين ، راح الجنرال يسير ، وهو الذي اقبح في تيار تخلى عن السيطرة عليه ، يبحث عن مخرج في مستواه ، اعني : الاستسلام . ولكن محمد ، وهو لا ينوي حمل التهمة فيه ، الى جبر السلطات المدنية اليه . ولقي في عمله هذا توافقاً مع المارشال الذي كان ينشد الحل نفسه ، ون لاسباب مختلفة . ووقع اختيار العهد آنذاك ، وكان بلا يمان ولا همه ، على اسوأ حالات التحلي . وكان على فرنسا ان تدفع التمس ، لا هدية عسكرية مدمرة وحسب ، واتما استعباد الدولة ايضاً . وبمقدار ما يصح

ان الخلاص لا يكون الا بالمظلة ، فان ذلك هو شأنه ايضاً في وجهه
الاخطار المظلية .

وعلى في هـ حريران ان العدو استأنف الهجوم ودعت في ذلك
اليوم الى الجنرال هـ فريز هـ أمر الجيش السابع ، اطلب اليه اوامره ، وكان
في المنطقة التي تقيم بها فرقتي . وفيها كانت تقارير الاستنجااد او الاستفثة
تفصّ حول مكتبه ، وكانت التحفظات والشكوك تتراعى خلف لظواهر
وتحرق برودة الدم الملكية ، قال لي ، لك الجندي الطيب : ونحن
مرضى ، الاشاعة سرّت لك ستصبح وريراً ، وذاك دواء جاء متأخراً
ليأتي بالشفاء . آه ، للمستفد الشرف على الأقل ، ا

السقوط

كان من أمر السيد بول رينو ، حين عدل وراثة ليلة ٤ - ٦
حريوان ، ان اشركي فيها كأمين مساعد للدولة في الدفاع الوطني . وقد
اهي اليّ سأ ذلك ، في الصباح الخيال دبستان ، مفتش الدفات حين
سمعه من المدباج . وبعد لحظات ، تلقت برقية رسمية تؤكد لي ، فودعت
فرقي ، وذهبت الى باريس .

وحين وصلت الى شارع سان - دومينيك ، قابلت رئيس الوزراء ،
وكان كعادته ، مطمئناً ، مفعماً بالحيوية ، ذا مضاء ، مستعداً للاصغاء ،
لا يتردد في الحكم والتقرير . وراح يشرح لي السبب الذي حمله ، قبل
بضعة ايام ، على التكبير في اشراك المارشال بيتان ، في حكومته ، مع
ان كلنا لا يشك في انه الستار الذي كان يحتمس ، وراه اولئك الرافضون
في الهدنة . وقال لي بول رينو ، مستملاً العبارة الشائعة : « من الافضل
ان يظل داخلاً ، على ان يكون خارجاً » .

اجبته : « اخشى ان تضطر الى تغيير رأيك . وهذه الحشية تزداد
بمقدار ما تجري الحوادث الآن بسرعة » ، وتوشك الانهزامية ان تضمر كل
شيء ، فان اختلال التوازن بين قواتنا وقوات الالمان ، خطير لدرجة

(١) مقر رئاسة الحكومة في باريس . (للترجم)

لم يبق لنا معها أدنى حظ للعلبة في الوطن الأم ، حتى ولا في استعادة
التواري ، الا بمعجزة . ثم ان القيادة لا تملك ، وقد اصطلتها المفاجأة ،
ان تتأسك بعد امدأ . وأخيراً ، انت تعرف اكثر من اي شخص آخر ،
اي جو من الاعمال يجب على الحكومة . وسيكون لدى المارشال
والدين بدعونه ، من الآت فصاعداً ، مجال رحب يرحون فيه
ويرحون . وادا كنا قد خسروا ، مع ذلك ، حرب الد ١٠ ، فان في
مستطاعتنا ان نكسب حرباً غيرها . يجب ان نقرر القتل ، اطول ما
يمكن ان بطول ، ونعمل على استمراره في الامبراطورية ، دون ان نتخلى عنه
على ارض اوروبا . وذلك يتضمن انتهاج سياسة فنسجم معه ، من نقل
الوسائل الى افريقيا الشمالية ، واختيار رؤساء اكفاء لإدارة العمليات
الحربية ، ولاحتفاظ بعلاقات وثيقة مع الاسكايز ، التي كانت السحائم
التي يمكن ان سطوي عليها نجاحهم . واني لأفترح عليك تكليفي اتحاد
التدابير التي تلتج من ذلك .

وافق السيد بول رينو على اقتراحي وأضاف . : اطلب اليك ان
تذهب الى لندن في اقرب وقت ، فقد أُلقيت في روع الحكومة
البريطانية ، خلال المحادثات التي تمت بها في ٢٦ و ٢٧ ايار ، اننا لا
نستبعد احتمال اجراء هدنة ، ولكن المراد الآن ، عكس الأمر ، وهو
ان نقتع الاسكايز اننا سنثبت في الميدان ، منها حدث ، حتى فيما ورد
للبحار ، اذا اقتضى الأمر . عليك ان تقابل السيد تشرشل ، وتقول له :
ان تمسديل ورايتي وحضورك فيها على مقربة مني ، هما علامتنا
عزيزتنا هذه .

وكان عليّ ، عدا هذه الخطوة ذات الصلة للمهمة ، ان اعمل في
لندن ، بدوري ، على بذل محاولة جديدة تهدف الى جعل السلاح الملكي

الحوي - طائرات المطاردة خاصة مستمراً في المساهمة بالعمليات الحربية في فرنسا . كان عليّ احيداً ، ان اطلب ، كما فعل قلبي رئيس الوزراء ، بإعطائي معلومات دقيقة عن المهمة التي تريد من الوحدات البريطانية الساحية من مكة وديار ، لاستعادة تسليحها ، وإعادتها الى القارة الأوروبية . وكان جواب هذين السؤالين يشتمل على عناصر تقنية ، في وسع رئاسة الأركان العامة ان توفرها لي ، ولكنه يشتمل ايضاً على مقررات يعود اتخاذها الى السيد وستون تشرشل بوصفه وزيراً للدفاع .

وبينا كانت هيئات الارتباط ترتب المبادرات التي سأجرها في العاصمة البريطانية ، قمت باتصال ، في ٨ حزيران ، مع الجنرال فيفان في قصر مونتري ، فوجدت القائد الأعلى هادئاً ، مسيطرأ على نفسه . ولخص بضع ثوان من الحديث معه ، كانت كافية لأفهم ان كان متسلماً للهزيمة ، وغارماً على إلغاء السلاح . هناك حواراً كما جرى بنصه تقريباً ، وقد ظل هذا النص - وكيف اسي ! - مقوشاً في ذهني ، لا يبارحه . قل لي القائد الأعلى :

« ألا ترى اني كنت على صواب ، حين اخبرتك لأيام خلت ، ان الالمان سيهاجمون السوم في ٩ حزيران . وقد هاجموا فعلاً ، وهم الآن يهزمون ذلك السور ، ولا اقوى على منهم من صوره .

- فليكن ! عبروا السوم . وبعد ذلك ؟

- بعد ذلك ؟ القبي والمارن .

- نعم . وبعد ذلك ؟

- بعد ذلك ؟ ينتهي الامر .

- وكيف ؟ ينتهي ؟ والعالم ؟ والامبراطورية ؟

وانفجر الجنرال فيفان بضحكة يانسة :

- الامبراطورية ؟ امور صيانية ؟ اما العالم ، فأنا حين أعلب هنا ،
لن تنتظر انكثروا ثانية ايام لتفاوض «الرايخ» . وأضاف القائد الأعلى
وهو يتحدث في عيني : « آه لو كنت واثقاً ان الالمان يتركون لي القوات
الضرورية لحفظ الأمن ... »

كانت المناقشة عيفة ، فقامت الجنرال فيغان بعد ان بينت له ان
طريقته في النظر الى الامور تقف على القيص من بيات الحكومة ،
وأن هذه لن تتخل عن القتال ، حتى لو انجلت المعارك عن كوارث ،
فلم يبد اية ملاحظة جديدة ، وأظهر لطفاً . مشاهياً حين استأذنته
بالانصراف .

ولمحدث ، بعض الوقت ، قل ان اسلك الطريق الى باريس ، مع
ضباط من مختلف الأركان العامة ، كنت اعرفهم ، وقد قدموا ذلك
الصباح ، بناء على تقرير تلقوه من الجنرال فيغان . وقد اكدوا لي
الانطباع ان القيادة ، في أعلى مستوياتها ، ترى الحركة انتهت بالحسبان ،
وانها وهي ، تتحلل ، على نحو آلي ، من ثعالبها وصعاتها ، يواجه كل
فرد منها في سره ، وينمى عناية ، ان تنتهي معركة فرنسا ، وكيفما
اتفق ، وفي اقرب وقت ممكن . ولكي تتجه الازدهان والقلوب نحو
استمرار الحرب في الامبراطورية ، اصبح تدخل الحكومة الحاسم امراً
تقتضيه الضرورة على التو .

وصرحت بذلك فور عودتي السيد بول رينو واثقت ان يسحب
القيادة من الجنرال فيغان الذي تخلى عن العلة . فأجابني رئيس
الوزراء :

- هذا مستحيل الآن . ولكن علينا ان ن فكر في من يخلفه .
ماذا ترى ؟

- لا ارى الآن ، فيما يتعلق بخلفه ، سوى هتيرجير . انه كفؤ ، في

رأبى ، لأن يرتفع الى مستوى استراتيجية عالية ، وإن كان لا يجر كل شيء في جانبه .

وافق المسيو بول وينو مبدئياً ، على اقتراحى ، ولكنه لم يشأ ان يضعه لفوره ، موضع التنفيذ .

غير انى وقد عرمت على طرح المسألة من جديد وفي اقصر مهلة ، شرعت في وضع خطة لنقل كل ما لدينا من وسائل الى افريقيا الشمالية ، ورحلت اشعبها درساً وإحكاماً . وكانت رئاسة اركان الجيش قد شرعت من قبل ، مع الارتباط بقوات البحر والجو ، في اعداد الحلاء الى ما وراء المتوسط ، ونقل كل العناصر التي لم تتخبط بعد في القتال . وتمراد من تلك العناصر ، على نحو خاص ، صعتان من الجلود الحديد كاتا بئدربان في مستودعات العرب والجنوب ، وفلول الوحدات الآلية التي نجت من كارثة الشمال ، ويبلغ مجموعها بومته ٥٠٠٠٠٠ رجل من ذوي الدربة . ويمكن ، بالتالي ، نقل بقايا جيوشنا المتدفقة ، خلال رحمتها ، على الشطآن ، والافادة من العناصر المحاربة فيها . وكيفها دار الأمر ، فان ما تبقى من سلاح الطيران قادر على اجتياز البحر ، ومن فواج المطاردة ، وافراد القواعد الجوية ، ومستودعات امهرة الاسطول ، واسطولنا نفسه على الأحص اخيراً ، كل هذه مما يمكن ان ينضم الى افريقيا . وكانت البحرية ، التي القيت عليها مهمة القيام بتلك العمليات ، تقدر حمولة السفن الشاحنة التي تحتاج اليها بـ ٥٠٠٠٠ طن ، على ان تضاف الى السفن العرسية الموصوعة من قبل تحت تصرفها . وكانت علينا ان متجه الى اسكلترا ، في طلب تلك الحمولة .

وفي الصباح الباكر من ٩ حزيران ، اقلتني الطائرة الى لندن ، وكان يصحبي مرافقي العسكري « جومروادو كورسيل » و « رولان دو

مارجري ، رئيس الغرفة الدبلوماسية لرئيس الوزراء . كان ذلك يوم أحد . وكانت عاصمة الاسكندر تظهر لرائبها بمظهر الهدوء ، واللامبالاة تقريباً . فالشوارع والحدائق تنص بالمتجولين الآمنين ، ومداخل السينما تكتظ بالوافدين اليها صغوماً طويلاً ، والسيارات كثيرة ، وحجبات الابدية عند مداخل القاصد على حالهم من افاقة الهندام ، وكأهم يفتمون الى عالم آخر غير عالم الحرب الذي كان قائماً . غير ان الصحف كانت ، ولا ريب ، تجعل واقع الموقف يترامى ، على الرغم من الاخبار المزوقة والحكايات العصبية التي تملأ اعمدها بالتفاؤل المحامل ، شأنها شأن صحف باريس . ولا ريب كذلك ان اللافتات التي تُقرأ ، والملاجيء التي تحفر ، ولاقعة التي تلبس كانت تترمي الانساء للأحطار الكبرى المهتمة . ولكن الشيء الذي يقفز الى الذهن خلف تلك المشاهد ان جبهة الداس لم تكن تدرك خطورة الاحداث الحاربة في فرنسا ، بضرراً للسرعة الهائلة التي كانت تتوالى بها . وكان من الملاحظ ، على كل حال ان بحر الماش في شعور الاسكندر ، لا يزال عريضاً .

استقطني المار تشرشل في دارنغ مغرب . كانت هذه اول مرة احتك فيها به . والاطباع الذي تركه في حسي جعلني اثبت في اعتقادي ان بريطانيا العظمى لن تنشي مكل فأكيد ، ما دام يقودها مثل هذا المصارح . لقد بدا لي المستر تشرشل انه يقف راسخ القدام على مستوى اشق المهات ، شرط ان تكون المهمة الشاقة نفسها حليلة ايضاً ، فان صلاية أحكامه ، وتقافته الواسعة ، ومعرفته بمعظم الموضوعات والبلدان ، والرجال الذين تتعلق بهم الامور ، وولمه اخيراً بشعكلات الحرب الخاصة ، ميرات تفصح عن نفسها لديه بيسر وسهولة . وكانت بطبعه ، فوق ذلك كله ، غناوقاً لبعمل ، ليخاطر ، ليقوم بالدور المناسب صراحة ، ومن غير تردد . لقد وجدته ، بقول مختصر ، مترعاً

في مكانه الصحيح كعرشد ورئيس تلك هي انطباعاتي الاولى عنه .

ثم لم يكن من الاحداث التي قلت ، الا ان أكدت تلك الانبعاثات ، وكشفت لي زيادة على ذلك ، بلاعة المستر تشرشل الخاصة ، وبراعته في الافادة بها . لقد كان الدفق الشعري ، المؤثر ندي بنهر في امكاره ، وحميمه ، وعواطفه ، يتيح له هبنة لا تعدو الصواب في شيء تقريباً ، على الجو الدرامي الذي يأخذ بمجامع الخواس ويملك الانفس لدى العالم الكبير ، اياً كان المستمعون : جمهرة ، او جمعية ، او مجلساً ، و متحدثاً منفرداً بصفي اليه امام اليكرو و المائدة ، او خلف المكتب . وكان كيباسي محبك ، يتمتع بهذه الموهبة اللائكية او الشيطانية في تحريك الكوامر في طيبة الامكبير النقبلة المتعثرة ، بنفسه ما يشرفكنا الاحانب وبدهشهم . وما كان ثمة من شيء يعوره حتى السخرية التي كان يستعملها تابلًا من التواكل في اشاراته وحواطره ، نارة بطيبة وسومة وطوراً عند الغضب ، وكل ذلك بشعرك الى أي درجة كان يسيطر على اللعبة المخوفة التي المحرط بها .

وكان من شأن المصادفات القدسية الأليمة التي حدثت بسا عدة مرات ، سبب من احشاكك طبعياً ، وتعارض في بعض المصالح لكل من بلدين ، والاسماء التي اقترفتها انكلترا تجاه فرنسا الجريح - كان من شأن ذلك كله ان أثر في موقعي من لورير البريطاني الاول ، دون ان يؤثر ايداً في حكمي عليه . لقد تراءى لي وستون تشرشل من الف المأساة الى ماث ، على انه بطل مأثرة كبرى ، والعنان الاكبر لتاريخ كبير .

عرضت البريطاني الاول في قلبك اليوم الامور التي كلمي رئيس الورد الفرنسي عرسها حول عرم حكومتنا على متابعة القتال ، حتى ولو اقتضى ذلك ن يجري في راضي الامبراطورية . واطهر المستر تشرشل

ارتياحه الشديد لهذا القرار . ولكن هل هو 'يتأخّر' فعلاً ؟ لقد تركني
افتكر انه غير مفتتح بذلك . وكان ، على كل حال ، لا يؤمن بإمكان
إعادة القوة العسكرية لفرنسا بعد ، على أرض الوطن الأم ، وظهر لي
ذلك في ان رفض رفضاً قاطعاً مد يد المعونة لطيرانه على مدى واسع .

كان سلاح الجو الملكي قد امتنع عن بدل عونه في المعركة على نحو
متواصل ، منذ تراجع الجيش الاسكتلندي في دسكرك ، ثم ان اصحاب
الطائرات البريطانية كانت تجسّد نفسها بعيدة عن الميدان ، وهي التي
احتفظت بقواعدها في بريطانيا العظمى ، فلا تلاءم أداء عمل فعال ،
باستثناء سرب من طائرات المطاردة ظل يتبع سلاحها الجوي . وحين
أُلحقت في طلب جبهة على الأقل من الطيران الاسكتلندي المعاون ، لينقل
الى أراضي الجيوب من نهر اللوار ، كان حواب المستر تشرش سلساً
صريحاً في سلبيته . اما قوات البر ، فقد وعد بارسال فرقة كندية الى
برمابندي كانت قد وصلت من ملاوها ، والاحتفاظ بالفرقة ٥١ الاسكتلندية ،
وبقايا اللواء الآلي الذي كان يقاتل معاً . ولكن صرح انه لا يستطيع
ان يمتس التاربع حتى على وجه التقريب ، الذي يتوجه به جنود الحملة
الذين لجؤوا من هلاك في بلجيكا - او تركوا عنادهم - ولا متى يصبحون
قادرين على العودة الى الميدان .

هكذا ، أصبح الاتحاد الاستراتيغي متمسكاً اذن ، بين لندن وباريس
وكان حلول بحمة بالقارة الأوروبية كافيّاً لحمل بريطانيا على الاستغراق في
دفاعها الخاص . وفي ذلك نجاح الخطة الحربية التي ظل شليمن يوحى
بها من وراء القبر ، والتي افضت احيراً الى فصل للقوت الفرنسية عن
القوات الاسكتلندية ، ثم الى ايجاد الشقاق دفعة واحدة ، بين فرنسا
واسكتلندا ، بعد المرائم الألمانية عامي ١٩١٤ و ١٩١٨ . وكانت في غاية
اليسر ان تتصور الاستنتاجات التي امكن الاهرامية ان تحصل اليها ،

ومضت تفيد منها ، في ديارها .

واتصلت عدا هذه المصادقة مع المستر تشرشل ، في اليوم نفسه ،
المستر ايدن وزير الخارجية ، والمستر ألكسندر اميرال البحرية الاول ،
والسير ارشيود سكلر وزير الحو ، والخيرال السير جون إدن رئيس
أركان الحرب لامبراطوري . وتداولت ، من جهة ثانية ، مع المسير كورمان
مفتي ، والمسير مويه ، رئيس ، لجنة التنسيق الفرنسية - البريطانية
لشراء المعدات ، ومع رؤساء مخابرات ، العسكرية والبحرية والجوية . وكان
واضحاً ، ان ذلك كان الهدوء يحيم على الجمهور في لندن ، فان التخوف من
الآفة والشت ، في صلاة السلطات العامة الفرنسية ، كانا يهيئان على
مدن ، اعيان ، وفي المساء ، أعادت الطائفة ، بصر ، الى بومرجه ، التي
نصبتها الطائرات قبل وصولي اليها بقليل .

وتمتد من مسير دل رينو الى مرله اثناء ليل ٩ - ١٠ حزيران
م ١٩٤٠ . ذلك قد تلقى معلومات خطيرة . العدو بلغ نهر السين في
صبح . رئيس . وكان كل ما في الافق يشير من جهة اخرى ، الى ان
القوات الالمانية انضمتهم بهم بين ساعة وأخرى ، بالانتقال الى الهجوم
في شماليا . العاصمة ادن مهددة مباشرة من الغرب والشرق والشمال .
وأودع ، في فرنسا بوسيه من روما اخيراً ، انه ينظر في كل لحظة
ان تنمو . حكومة الابطالينة اعلان الحرب . ولم يكن لدى لجباء
هذه لاسه السبحة سوى اقتراح واحد : نسي خطة الجهد الأسير ،
والدهش في اسرع ما يمكن الى اوروبا واعشاق فكرة حرب التحالف
بحصيص فتاتها .

وراحت ذكر إعلان السماعات المتوفرة لدي من ذلك التمهيد والليل
التي قصبتها في شارع سان دومينيك ، فلم اعثر الا على ما يزيدني

اقتناعاً ، وليس ما يمكن عمله بعد سوى ذلك . كانت الامور تجري بسرعة لا يملك احد معها وقفها عند حد ، وكان كل ما يوشيه بعضه على الامور حمة اللاواقع وكان الناس يرحمون الى سوانق الحرب الكبرى الاولى ١٤ ١٨ ، وهي بما لا يدطق في شيء ابداً ، على هذه . وكان ينظر الناس بالتفكير ان ثمة بعداً حسيماً ، وقيادة ناشطة ، وشماً مستعداً للتصحية . وتلك ما كانت سوى اعلام ودكرت . وواقع ان آلة السلطة كانت تدور في سلكه لا دواء لها ، وسط امه مسارة ، واجهة ، قسير وراء جيش بلا ايمان ولا امل .

وما من شيء حقيقي اشهر بذلك وألمه سوى تلك ردت الدوتوكولية الحاطمة التي قمت بها لأمر شخصيات جمهورية ، الرئيس لوران اولاً . سي قدّمت له في لوقت معه مع أعضاء وزارة جديدة ، ثم رئيسي مجلس ، وأخيراً أعضاء الحكومة . ولكن ظهوروا المسوء ورباطة الحاش ، ولكن كان وصفاً لهم ليس سوى سح في الاطار المخرق الذي وصمهم به المرف هناك إحصاء كان يتعمد في حومته مجلس لوراء ، والتعليقات التي تطلق في تحت ، والتمرد التي يشقها من هم فوق ، وانتصريحات العامة ، ومو كس الصداك ، والموظفين ، والدبلوماسيين ، والبرلمانيين ، والصحافيين الذين كان عليهم ان يمرضوا شيئاً او يسألوا عن شيء ، كل ذلك يوحون بالانطباع ، تثليله اشبح مضينة يجري تثليل في الظلام وليس لها هدف ولا مدى . لم يكن فوق الاسس ، ولا في الاطار الذي يحده الناس انفسهم به مبررين ، ي مخرج ، سوى الاستسلام . كان الوجه بقصي . ان لم يدع له الانسان وهذا ما فعله بعضهم من قل ، وما كانوا الاقطين - تعبير الاطر والاسس ، منها غلا الثمن . وتقوم الوصع المعروف بـ « وثنة المار » كان ممكناً ، ولكن فوق البحر المتوسط .

كان العاشر من حزيران (يونيو) يوم احتضار . وكان على الحكومة أن تترك باريس في المساء . وتراجع الجبهة راح يتسارع . وإيطاليا أعلنت الحرب ، ومنذ ذلك الحين قرع الأسيار نفسه على جميع الأدهان . ولكن المأساة في قمة الدولة كانت تجري كما لو لم يكن لها حلم . لقد حيل للناس ، في بعض اللحظات أن ضرباً من السخرية المخوفة كان يصفي غلواً موحماً على سقوط فرنسا ، وهي تندرج من عليه التاريخ إلى أعماق أحقاد الهاوية .

وهكذا قدم في الصباح المسيو عاربيليا ، سفير إيطاليا ، إلى شارع سان - دومينيك ، في زيارة حدّ عجيبة . وكان في استقباله بودوان الذي نقل حديثه ، على النحو لآتي . « سنرون أن إعلان الحرب يوضح أخيراً العلاقات بين بلدينا ! فهو يخلق حالة تعطي آخر الأمر ، عن خير كبير . . . »

وبعد قليل ، دخلت مكتب المسيو بول رينو ، فوجدت عبيده المستر و . « بليت سفير الولايات المتحدة ، قطعت أن حل لرئيس الوزراء بعض التشجيع ، من واشنطن ، لمهاجمة المستقل . ولكن لا ألتفتن أنه جاء بوعده . غير أن السفير بقي في باريس ، وفي بيته أن يتدخل عند المناسبة ، لمصلحة العاصمة . ومهما كان لداعي الحميد الذي ألهم المستر « بليت أن يقيم بعد الوداع ، عن أيام الجئتي أقبلت ، ولم يكن خلالها من سفير أميركا بجانب الحكومة الفرنسية . ومما كان حضور المستر و . ميدل ، المكلف بالعلاقات مع الحكومات اللاحقة ، أنه كانت الميرت التي يتمتع بها ذلك الدبلوماسي العائق ، لينزع من نفوس مسؤولينا الانطباع أن الولايات المتحدة لن تولى فرنسا من الأعرار بعد ، « كنكر من ذلك .

وفيما كان لمسيو بول رينو بعد ، على وجه السرعة ، بياناً بلفيه من

المنذاع ، ويستشيرني في شأنه ، وصل الجنرال فيغان الى شارع سان - دومينيك . وما كاد برباً وصوله يذاع ، حتى دخل مكتب رئيس الوزراء الذي ابدي بعض الدهشة لقدمه ، فرد القائد الأعلى استدعي الى مجلس الوزراء ، وقال بول رينو ، على الفور : « ليس من قبلي » وأضفت : « ولا من قبلي » فتابع فيغان : « هناك اذن سوء تفاهل . ولكن الخطأ بعيد ، فان عليّ ان اضع بياناً مهياً » ، وحلّس وراح يشرح الموقف كما يراه . وكانت النتيجة التي حصل اليها تشعب عما وراءها علياً دون ابطاء ان يطلب الهدنة . وقال ، وهو يضع ورقة على الطاولة : « لقد بلغت الامور للقطعة التي ينبغي عندها ان تترك المسؤوليات . ولذلك ، كنت رأيت ، وجهت اصح هذه المدسرة بين ايديكم »

وعلى لرغم من ان رئيس الوزراء كان صريحاً في اعداد البيان الذي سيلقيه في قصر مهية ، وكان قد اعلن عنه ، فقد حاض مع الحمراليسم في مناقشة رايه . ولكن هذا اصر . المعركة في الوطن الأم حاسرة . يجب ان يستسلم . فقلت ، لدى احدي اللحظات . ولكن ثمة مجالات اخرى للنظر . فقال فيغان بلمحة ساخرة :
« أديك ما تقترحه ؟ »

أجبت : « ليس للحكومة ان تقدم مقترحات ، وإنما لديها أوامر تصدرها ، واحسب انها متصدرها » .

وأبى السيد بول رينو النقاش بطرد القائد الأعلى ، وعادونا هذا والجو متقل ، ملته .

كانت ساعات لاخيرة من نقاء الحكومة في العاصمة ، مليئة بالاستعدادات التي تقتصر مثل ذلك الرحيل . والحقيقة ان اشياء كثيرة كانت قد أعدت سراً مع حطة السحاب وصفتها امانة الدواع المنة

ولكن بقي كل ما لم يكن منتظراً لقد وصنا وصول الألمان المرتقب
إلى أسوار باريس ، حيال مشكلات قاسية . وكنت شخصياً ، منذ
تلحت مهام منصبي ، قد وضعت خطة مقاومة لحاية العاصمة ، وطلبت
إلى رئيس الوزراء ووزير الدفاع والحربية أن يعينوا لها ، بوحى من هذه
النية ، حاكماً شديداً المراس ، حارماً . واقتترحت الجنرال دي لاو ،
الذي غير على رأس فرقة في معارك حوت حول رينيل ولكن سرعان
ما أعلن القائد الأعلى باريس « مدنة مفتوحة » ووافق مجلس الوزراء .
وكان علينا أثناء ذلك ، أن ننظم بفترة إجلاء ركاب من الأشياء وجمهرة
من الناس ، واهمكت في ذلك حتى الماء ، بينما كانت الحفائب
والصناديق تشد وتحرم في كل مكان ، وينزل اللعط من أعلى إلى أدنى
البنية ، وهو ضجيج الرائرين في آخر لحظة ، والذين يدقون أجراس
الهدف دقاً يائساً .

وعند منتصف الليل ، استقلت مع بول ريو سيارة واحدة . كان
السير بطيئاً على طريق مرصحة ولدى العجر كسا في أورليانت ،
ودخلنا المحافظة حيث اتصلنا بقر القيادة الدائم في بريار . وبعد قليل ،
هتف الجنرال فيمان يطلب الكلام مع رئيس الوزارة . وما كاد هذا
يأخذ السماعة حتى دهمش للمبر أن المستر تشرشل سيصل بعد الظهر .
وكان الدند الأعلى قد اتصل به عن طريق المخابرات العسكرية ، ورجاه
بالخاص أن يأتي إلى بريار

وأضاف الجنرال فيمان قائلاً : « يجب » في الواقع ، أن يكون المستر
تشرشل على علم مباشرة بحقيقة ما يدور في الحمة »

قلت لرئيس الحكومة : « ثم ماذا ؟ هل ترضى أن يستدعي
الجنراليسم هكذا من تلقاء نفسه ، رئيس الوزارة البريطانية ؟ ألا ترى
أن الجنرال فيمان لا يتابع خطة عمليات حربية ، وإنما يتابع خطة

سياسية ، وأن هذه ليست خطتك ؟ هل تركت الحكومة يمارس وظيفته لمدة طويلة بعد ؟ .

أجاب بول ريسو : « انت على صواب . يجب وقف هذه الحال . كما قد تحدثنا عن الجنرال هنريجر كحلف ممكن ليفعل ، فلتذهب فوراً لمقابلة هنريجر » .

ومد كتبت السيارات متقدمة علباً ، قال لي رئيس الوزارة « رأيت من الأمصل ، بعد التفكير ن تذهب وحدك الى هنريجر . أما أنا ، فن عليّ ان اعد المحادثات ، في هذه الساعة ، مع تشرش ولاكلير . وستحدثني في بربار » .

ولقيت الجنرال هنريجر في مركز قيادته ، في « أرسى سور وب » ، حيث يقود مجموعة حيوش الحبهة الوسطى وفي اللحظة نفسها ، هوجمت قلت للمجموعة وأقنعت ثغرة في صفوفها على جبهة شامباب من قبل القوات المصممة التي يقودها غودريان . ودمشت ، مع ذلك ، طوره اعصاب هنريجر . ثم اطممني على سوء موقفه ، وأطمانته على حلة الشؤون المدائرة وقلت له في الختام : « الحكومة ترى جيداً ان معركة فرنسا حاسرة ضمناً ، ولكنها تريد متابعة الحرب في الاسفال الى افريقيا مع جميع الوسائل الممكنة » . وهذا يتضمن تغييراً تاماً في الاستراتيجية والتنظيم . والجنرال ليس الحالي ليس الرجل الذي يمكن ان يقوم بمثل هذا التغيير . أترك فكون انت هذا الرجل ؟

اجاب بكل بساطة : « نعم ! »

— شملقتي مما قريب اذن تعليمات الحكومة .

وعدت الى بربار عن طريق رومبي و « سنس » لاتصل بمختلف قيادات الوحدات الكبرى . وكانت تتكشف لي في كل مكان علامات الموضى والدعر . وفي كل مكان ، كانت تتدفق الى الجنوب عناصر بحرية ،

مختلطة مع اللاجئين . وكان عليّ ان اتوقف قرب دميري ، لاردحام شديد في الطريق . واريدت الا ابقى بضرب عصب - خلط كثير من الناس بينه وبين بساط عار - راح يزد في قلبي الفئات العسكرية ، حتى اصحت اشه شيء بقطيع لا راعي له .

وفي مقرّ بربر الكبير ، نقلت لول ريسو حواب هتريجر ولكي لحظت جيداً ان تعديل فينان فوراً لم يكن موضع اهتمام رئيس نورراء ، وانه عاد فأثر من جديد فحكمة متاعه الحرب مع جبراليسم يريد ان يسلك طريق السلم . ولدى مروري في الزواقي ، حيث المارشال بيتان اسي لم اشاهده منذ عام ١٩٣٨ . وقال لي : « انت جنرال ! لا اهتلك على ذلك . ما قيمة الرتب في المهزلة ؟ » - « ولكيك انت يا سيدي المارشال ، تلتفت اثناء انسحاب عام ١٩١٤ لجهاتك الأولى . وبعد بضعة ايام ، كانت اثاره . فهمم بيتان : « لا نسبة بين الموقفين » . كانت على صواب في هذه النقطة . ووصل نورير الربيعاني الاول ، ودخل المؤتمرات للبحث .

تجاهت خلال تلك الحلة بحاية مكشوفة ، المعاهيم والاهواء التي ستهيمن على الطور الجديد من اطوار الحرب ، وكل ما استخدم حتى ذلك الزمن قاعدة العمل والموقف ، اصبح في حذر كان ؛ متصامس لاكتير وفرنسا ، وقوة الجيش الفرنسي وسلطة الحكومة ، وولاء القيادة ، كل ذلك لم يعد حاصل ، ولا مكسباً . وراح كل واحد من الفرقاء يتصرف لا كضربك في عمل يُسير بالمشاركة ، بل كرحل يتجه بعد الآن في اتجاهه الخاص ، ويلعب لحسابه الخاص .

أظهر الجنرال فينان ان همه ، من جانب ، يتصرف الى تصفية معركة الدائرة بأسرع وقت . وبسط امام المؤتمر ، وهو يستعين بشهادات الجيرالين : جورج ويبيون ، لوحة موقف عسكري لا رجاء فيه . وراح القائد

الأعلى ، وهو الذي كان بالإضافة الى ذلك ، رئيس الأركان العامة من ١٩٣٠ حتى ١٩٣٥ ، يحرص أسباب اندحار الحيوث الخاصة لاوامره بلهجة وقور ، وان غدراية ، لمحة امرىء بأحد بشارته ، من غير ان يتحمل تمتب . وكانت النتيجة التي خلص اليها انه يجب انهاء المحبة لان الحمار العسكري يمكن ان ينهار فجأة ، وبمفتح الباب على مصراعيه امام العوصى والثورة .

وتدخل المارشال يريد اللشائم قوة ، فقال له المستر تشرشل ، وهو يريد ان يلهف الحو ، بلهجة تعمرها روح الدعاية

« لسطر ! لا تتذكر » سيدي المارشال معركة آميان في آذار (مارس) ١٩١٨ حين كانت الامور تسير على نحو حدة سيء ، وورثك يومئذ في معرك العام ، وشرحت في خطتك ثم استردت المحبة عافيتها ، بعد بضعة ايام » .

فاجابه المارشال ، بفظافة :

« - نعم » استردت المحبة عافيتها . كنتم انتم الاسكندر مغرقيين . ولكي انا ارسلت اليكم اربعين فرقة اسلحتكم . واليوم نحن الذين تسددنا مرفأ . اين هي فرقكم الاربعون ؟ » .

وظهر رئيس الوزارة العريسة ، وهو يكرر في الوقت ذاته ان فرنسا لن تنسحب من المعركة ، ويحث الاسكندر على إيجادنا بأكثر كمية من طائراتهم الحربية - أظهر انه على الرغم من كل شيء لن يفصل عن بيتن وفيغان ، كما لو كان يأمن ان يراها يوماً ما ينضويان الى سياسته . وبدا المستر تشرشل ثائلاً لا يتزعزع ، مفعماً ماضة والمساء ، متخذاً إراء العريسين في الشدائد التي اصابتهم ، موقف التحفظ الودي ، وقد تأثر ، وربما شوى من الارتياح الحقي العامض ، حبال ما يتراءى امامه من رؤيا هائلة ورائعة لاسكلترا وقد تركت وحيدة في حريرتها ،

وان عبه بنمسه ان يقودها في الجهد نحو الخلاص . أما أنا فقد رحمت ،
وأنا أفكر في العقبة ، أتأمل ما تنطوي عليه هذه المؤثرات السوداء من
لمو وبجالة ، ما دامت لا تهدف الى الحل الوحيد القيم . التركيب فيما
وراء البحار .

وانصرف المؤتمرون الى تناول العشاء على مائدة واحدة ، بعد ثلاث
ساعات من مناقشات لم تنفر عن شيء . وكنت الى جانب تشريش ،
فكان من المحدثين معه ان قويت ثقفي بعريته . وهو نصه حفظ من ذلك
الحديث ان يقول ، رغم انعدام وسائله ، لا يقل عنه مصاء وعريته .

وطهر الاميرال دارلان بعد الوليمة ، وهو الذي لم يحضر المؤتمر ،
واقبل على السيد بول رينو ، داعياً امامه الجنرال فوينمان ، رئيس ركان
البحر الدمة . وكانت الغاية من تصرفه ذلك ، تمتع على التفكير الحاد .
فان عملية حربية يقوم بها ، الاسطول والطيران القاصف معاً ، أعدت ضد
جنوى . ويجب ان يباشر تنفيذها ، حسب الخطة الموضوعة ، انشاء تلك
الليلة . ولكن دارلان ، وقد أحيط بالأمر ، يريد ان يصدر أمراً
معاكساً ، متذرعاً الى ذلك بخاوف الجنرال فوينمان الذي يحشى رد الفعل
الابطالي ضد مستودعات البرج في دبر . وسمع ذلك ، فان الاميرال
دارلان يطلب موافقة الحكومة . فقال لي السيد بول رينو . « ما ترى
في هذا الشأن ؟ فأجبته : « المقول اكثر من اي شيء آخر ، في الحالة
التي نحن فيها ، ان لا نداري شيئاً ، على العكس من كل تخوف . يجب
تنفيذ العملية المعدة » .

غير ان العملية كانت لدارلان ، والأمر المعاكس صدر . ولكن جنوى
قصفت ، مع ذلك ، من بعد ، ولكن على يد قطعة بحرية ضعيفة ، وكان
قصفاً متأخراً ثلاثة ايام عما كان مقرراً . وادركت من خلال هذا
الحادث ان دارلان كان هو ايضاً يلعب لعبته الخاصة .

ورحلت خلال النهار من ١٠ ، وكنت مقيماً في قصر « بوفيه » ، ملك السيد « لو بروفو دي لونييه » ، اعمل مع الحمرال كولسون في خطة لانتقل الى اقريقيا الشمالية . وكان من امر الحوادث التي شهدتها الدارحة والعرلة التي تركت فيها الآن وحدي ، ان حملتني اتوحش حيفة ، وألحق يقال ، من ان تكون روح الاعمال والتخلي قد كسبت رقعة حد واسعة ، وان لا تطبق الخطة التي اضعها أبدأ ، ومع ذلك ، كنت مصمماً على اداء كل ما في وسمي ان اعمله ، لتأخذ بها الحكومة لحسابها ، وتفرصها على القيادة .

ومذ أهيت الجوهرية منها ، ذهبت الى شبيبي ، حيث كان يقم السيد بول رينو ، فدا بي اصل متأخراً . وكان رئيس الوزارة قد خرج من حلة مجلس الوزراء الذي انعقد في كلغبي ، ولم أذع اليه ، ثم وصل حوالي الساعة ١١ ليلاً ، برافقه بودوان . وفيها هما يتناولان العشاء مع بطانتهما ، جلست قرب المائدة وطرحنت مسألة اقريقيا الشمالية بوصوح وصراحة . ولكن الذين احاطوها لم يريدوا الكلام الا في مشكلة كانت ملحة من حمة ، ولطافتي بموضوعي من حمة ، وقد التأم مجلس وزراء للبحث فيها الا وهي : الى اين تقضي الحكومة ؟ والواقع ان الناس يبلغون نهر اللوار عما قريب ، بعد ان عبروا البر ركان هناك سؤل يوردو أم كبر ؟ وتبع ذلك ، حول المائدة ، نقاش جعله التعب واضطرب الاعصاب ملبلاً وصاحياً . فلم يتخذ اي قرار صريح واسمعت السيد بول رينو ، على ان الابه في الصباح .

كنت بطبيعة الحال ، أعصل كبر ، لا لامي ، واهم حول امكان الصمود في رتانيا ، بل لامي قدرت انه اذا كان على الحكومة ان تدسج منها ، فلن يكون امامها ، عاجلاً ام آجلاً ، الا ان تسلك طريق البحر وذلك لان على الامان ان يحتلوا بالضرورة شبه الجزيرة ، ليعملوا صد

الاسكيز ، فلا يمكن ان يكون في بريتانيا «مسطقة حرة» . ومنق البحر
الورراء ، كان عليهم ، حسب التصور الحقيقي ، ان يتجهوا نحو افريقيا ،
اما رأساً ، واما بعد وقعة في انكلترا . وكانت كبير ، على اي حال ،
المرحلة نحو القرارات الحارمة الباشطة . ثم ان السيد بول رينو ، تحدث
إليّ ، منذ دخلت الحكومة ، عن مشروع «الملاف البريتوني» ، وانضويت
الى رأيه . وعلى العكس مما زعم المعارضون ، انزال بيتان ، وفيفان ،
وبودوان - اية كانت مراعاتهم - في شأن الدوافع التي أملت عليهم
لمعارضة ، فان سياستهم التي تهدف الى الاستسلام كانت الدافع الحقيقي ،
وليس الفن العسكري .

وفي صباح ١٣ الناصر ذهبت الى شيباي ، وبعد نقاش طويل ،
وعلى الرغم من حججي ، قرر رئيس الوزارة نقل السلطات العامة الى
بورديو ، راعماً ان هذا هو الرأي الذي ابداه الورراء عشية النارحة .
وما كان ذلك الزعم إلا ليريدني تثبيتاً بتوقيع امر على الأقل ، موثق
الى القائد الأعلى باتحاد الترتيبات والامتدادات اللارمسة للانتقال الى
افريقيا . كانت هذه هي نية السيد بول رينو الاخيرة . وكنت اعلم
ذلك . ولكن الدسائس والتأثيرات المداكنة التي ترد عليه بلا انقطاع ،
كنت ملحة ومضجرة لدرجة كنت ارى معها ، ساعة فساعة ، ذلك
لأمل الاصح وهو يتوارى .

ومع ذلك ، فقد وقع رئيس الورراء ، في ذلك اليوم ، حوالي
الظهر ، رسالة موجهة الى الجنرال هيمان ، يبين له فيها ما تنتظره
الحكومة منه ، بعد اليوم . أولاً . « ان يشت اطلول مدة ممكنة في
«المايف سترال» و«بريتانيا» . ثم : « ادا نحن اخفقنا . ان نركز
الكفاح وننظمه في الامبراطورية وبعد من حرية البحار » . كانت هذه
الرسالة علامة بية خلاص محلسة ، بكل تأكيد ، ولكنها لم تكن ،

حسب رأيي ، الأمر المحرم الذي كانت تطرّف تعرضه « » أنها لم
تؤكد توقّع حتى وضعت موضع الشك والندب في الكواليس ، ثم لم
ترسل أحداً إلا في اليوم التالي .

وفي صباح ذلك اليوم نفسه ، ١٣ حزيران ، قدّم لي السيد
حبيب ، رئيس مجلس الشيوخ والسيد « » رئيس مجلس النواب ، وكان
من الأول أن أكون عربيّة ثالثة وسط الاضطراب ، ودعا في لافيه
سكسندرو ، وهو الذي كان في الموقف العصيب من عامي ١٩١٧
و ١٩١٨ معاً ، المباشر ، ولحم في حكومتهم ، وقد انبأ بشوئاً ،
فصيحاً وهو يعتبر سلاعة عن المشاعر الممددة التي تمّ حده ، وكلاهما
ظهرا تأييدهما لرئيس الوزارة ، ومعارضتهما للاستسلام ، واستعدادهما
للانتقال إلى مدته حرائر مع السلطات العامة . وتراعى لي ، زيادة عما
كان من قبل ، أن في استطاعة السيد بون ريدو أن يظن ، في كانت
مؤمرات التحليل التي تمسك حوله ، سيد الموقف ثمرة لا يتدارل
من شيء .

وكانت في توفيق بعد صم ذلك اليوم حرم سيدعاني هدياً السيد
دي مارجريري ، رئيس المعرفة ، الذي حوّلته السيد بون ريدو ، وقال
لي : « سيد فقد خلال المحادثات ، اجتماع في المحطة » نور ، بين رئيس الوزراء
والخبر و نشرتل الذي وصل الآن مع عدة من وررته . حيثكم
علماً سريماً بذلك كما أعمت ، وأبدك أن تحصر ، وبك كمت لم تدع
أو الاجتماع من بودوان يعمل عمله ، ولديّ طبع سيء عما يدور .
تلك هي غائبة السيد دي مارجريري .

واحدت نحو نور ، وأنا شاعر كل الشعور عما هو مقلق في ذلك
الاجتماع المعاني الذي لم ير رئيس الوزراء ن يكلمني في شأنه ، وقد
قصيت معه عدة ساعات . وكانت دار المحطة في نور وأروقتها تمنع

بجامعة من العلمانيين ، والموظفين ، والمصادفين الذين همعوا لتقط
 لانس ، وكلوا يؤلفون كورساً صاعداً لأساءة تقترب من حياتها ودخلت
 مكتب السيول رينو ، فوجدته محاطاً بمارجيري وبودوان . كان
 الاجتماع قد عُلق ولكن السيد تشرشل ورملاءه رحبوا في اللحظة
 ذاتها . وبين لي السيد مارجيري على وجه السرعة ان الوزراء البريطانيين
 الذين تخلقوا في الخديفة ، سيقدّمون حوهم عن السؤال الذي طرحه
 الفرنسيون . هل توافق امكلترا ان تطلب فرنسا الى العدو ، رعب
 اتفاق ٢٨ مارس (آذار) ١٩١٠ الذي يبع كل وقف مصل لاطلاق
 النار ، ما هي اشتراطاته عليها وحدها ، لعقد هدنة ؟

وحسب المستر تشرشل . واتخذ كل من اللورد هاليهاكس ، واللورد
 بيربروك ، والسير ألكسندر كادوغان مكانه . وكذلك فعل الجنرال
 سيرر الذي كان يرففهم . ومرت برهة من صمت ساحق . ثم احد الوزراء
 الاول مبادرة الكلام بالعربية وبلهجة متعذلة وكثيثة ، وطلق بحرب
 عن عطفه ، وعطف حكومتهم وشبهه على مصير لامة الفرنسية ، وهو
 يضع رأسه بيديه والسيجار في فمه ، وقال : اما نرى جيداً ما
 آتت اليه فرنسا . ودهم امكم تشمروب بأرقى الذي رتطمتم به .
 صدقنا لكم نطل على ذلك . كوعوا ، في جميع الاحوال ، على ثقة ان
 امكلترا لن تسحب من المراك . سيمائن حتى اسهاية ، ما همنا كيف ،
 ولا نحنا ابن ، حتى وإن تركتمونا وحدها .

وحين تناول مواجئة عقد الهدنة بين الفرنسيين والالمان ، وهو
 الموضوع الذي كنت احب انه سيمخطه ، اعرب عكس ما ترقب ،
 عن تفهم رقتن عطوب . ولكنه اظهر ، حين انتقل فحاة الى موضوع
 الاسطول ، دقة وصفاً للأمور حد محكمين والبقين اندي لا يرقى اليه
 ادنى ظل من شك ، هو ان الحكومة الانكليزية كانت تتحرف من تسليم

لاستطول برنسي للآلن ، في درجة طائرات مع رؤسها بينما كان لديها الوقت للسومة على تحليلها عن اتفاق ٢٨ آذار لقاء ضمانات تتعلق عصير مصب . وتلك هي ، في الواقع ، النتيجة التي استقت عن ذلك الاجتماع الرهيب . وقبل ان يعاد المؤتمر نشرشل نقاعة ، سأل بالإطاح ما اذا كانت فرنسا تسلّم ابكتفرا ، اذا هي وقعت القتل ، الطيارين الامان الاربعثة الذين وقعوا في الأسر ، قبل وقعه . وكان ان تلقى وعداً بذلك .

ثم انتقل البريطانيون بقتدم السيد بول ريسو ، ان العرفة المجاورة حيث كان ينتظرم رئيسا مجلسي الشيوخ والذوب ، وعدد من الوزراء . وهناك كانت الالهة جد مختلفة ، فان السادة حابيليه ، وهويو ، ولويس صرن ، متنعوا عن الكلام في أي موضوع ، سوى صناعة الحرب . ودهمت ان السيد بول ريسو ، وسأله شيء من الخدمة ، هل يمكن ان تصور ان فرنسا تطلب الهدنة ؟ ، فقبل لي ، من انؤكد لا ، ولكن يجب ان يؤثر في الكثير تأثيراً يحصل به منهم على تعاون أوسع ، وما كان في مستصعب ، يقياً ، ان ارى لهذا لطواب قيمة . وبعد ان اتمنى الجميع وسط اللغط في دار الهدنة ، عدت الى « بوفيه » مفهوماً ، مرهقاً ، بينما رح رئيس الوزراء يترق للرئيس دورفلت يداشده التسلل ، ويعلمه ان كل شيء أصبح حاسماً بالنسبة اليها ان هو لم يتدخل . وفي مساء ، صرح السيد بول ريسو في المدياع ، وادا كان لا به من معجزة لانقاذ فرنسا ، فانا اؤمن بالمعجزة .

وبدا لي ان كل ما ذكر وقبل يصحح عما قريب واقعاً . والشأن في ذلك ، شأن مكان محصّر يقترب من الاستسلام طامناً ان الحاكم يتحدث عنه ، وكذلك هي حال فرنسا وهي تمرد وراء الهدنة ، ما دام رئيس حكومتها يواحه الهدنة رسمياً . وسيصبح نقاني في الحكومة ، مها كان

مركزي في ثوبيا ، امرأ متحيلة ، وفيما كنت أهم بارسال كتاب استقالني
اتناء الليل ، ارسل جورج مادل في اللحظة ذاتها ابصار من رئيس
ديواني جان لوران ، يطلب ان اذهب لمقبلته .

وأدخلني بدمه دبلم على وزير الداخلية . وتحدث اليّ مادل طهجة
من اجدهم ولعوم تأثرت به ، فقد كان مقتنعا مثلي تماما ، ان استقلال
غرب وشرفه لا يمكن ان يستقدا الا بمتابعة الحرب . ولكنه اوصاني ،
بدع من هذه «ضرورة القومية نفسها» ان اظل حيث كنت ، في مصبي ،
وقد لي من بدري ما اذ كما لا يوفق آخر الأمر الى ان اذهب
لحكومة الي خرائتر ؟ . وروى لي ما جرى في مجلس الوزراء بعد
دعوات الانكليز ، حيث تعطل الحرم ، وذلك هو قوله ، رغم الموقف
الذي رقبه فيمان ليمله به . واحترسي انه في اللحظة ذاتها ، دخلت
محاصر الان الاولى باريس . ثم صور المستقبل كما تخيلته ، واصاف :
« ليس ، على ية حال ، الا في بداية الحرب العالمية . وسيكون عليك
واحسات كبرى لتؤديها اليها الخمرال ! ولكن مع هذه الميرة ، وهي انك
ببما حبيبا ، رجل سليم . ولا تفكر الا فيما يجب عمله من أجل فرنسا ،
وحسب ان منصفك الزاهن يمكن ، عند الاقتضاء ، ان يستل لك الامور . »
ومن رحي ان اقول ان هذه الحجة اقدمني ان أنتظر قبل ان استقبل .
وربما كان امصل يعود الى ذلك ، في رسوئيه ما امكنني عمله ماديا من بعد .

وفي ١٤ حزيران . استعاب الحكومة ! فمت بتوديع مضيفي
« بورديو دي لويه » وفوزه ، هؤلاء لن يرحلوا ، وهم محاطون بكل من لا
يدعى ان النعمة او قابل لان يدعى اليها من دوجم ، وكان عليهم ان
يدخلوا في مشارهم معارك الاصحاب ، ثم وصول الفزاة . ولدى نهاية
اصل ذلك اليوم ، لمعت بوردو بعد سمر مرهق غني حريق قعج نواكب
اللاحين ، وذهبت الى المنطقة العسكرية حيث تقررت اقامة السيد بول رينو .

وكان عمده المدينه وثائمه السد متركبه ههك ، وكان معه ان قسده لي
بواكير شواطره المشطه التي مسعد لالقاها في روع وقيس لورارة .

وحين وصل ههنا ، قلت له : مد ثلاثة ايام وب افكر في السرة
لتي مسعدر ها نحو لاستسلام . لفسه مسجلك عوي اتوسع ، وبى كان
ذلك لهضي في الحرب . وانا امانع في ادعان ههده ، واذا انت بقيت
هه ، مسعرقك الهريجه . يجب ان منتقل الي الحرائر بأمرع ها بمكن
أوافق ، عرماً ، بلا وسم . ، كان حوب السد ريو وسم ، فعدت
لي الكلام . يجب في ههده حالة ن ، ذهب بسوي نوأ اي لسب
لأرت معونه الاركلير له في شؤون العقل وسأذهب عداً . ان تفك ؟
، فاحب رئيس لورارة ، تلاوي في عاصمة الحرائر .

كان لانفق عني ن اسافر في الليل ، وأمر : ولا مدهمة رشتاب ، لأرى
ها بمكن بده مهب عراً . وطالب إبى سبب بول ريو احيراً ن ادعو
دردن لىكون بحسه في صباح اليوم التالي ، وقل لي به يريد محدثه
في شأن الأسطول

كان درلان في طريقه ان عبر يتولد انصفت به عشية ذلك اليوم
وعينت له موعد الريارة . هردت علي صوت هظ . وأذهب الي بوردو ،
عداً . لا ادري ها الذي يستطيع ان يعمل قبا رئيس الوراثة . ولكي
ان ندي بصدرا الأوامر ، وليس لدي من الوقت ما اسببه . واحيراً ادع .
غير ان اللبحة التي تكلم بها درلان كشفت عن عمات عريه . وبعد
مفائق من ذلك ، رحلت اتدر نظور بعض الادمان خلال حديث قصير
مع حان باربيجاري وريبر لدولة لدي كان قد ظهر حتى ذلك الوقت من
أصغر الكهوج حتى النهاية . وقد حمي وانا ساول طعام العشاء ، علي
عجل ، في ههده سلاسله ، برقه جوهروا دي كورسيل ، وقبال
، لا قبحة لتي . في مطري ، وان انقرب التقدح ، لا ان أطبيع رؤاي

بيتان وحيما ، . فأحبته : فقد بأنيك يوم من الايام ترى فيه ن سلامة
الدولة ، يجب ان تتعلم في حسن الوريد على جميع المواطنين . وذهبت
بصمت ، أحبي الماريشال بيتن الذي كان يتناول عشاءه في القاعة نفسها ،
فصنعتي دون ان ينس بكلمة . وكان ذلك آخر لقاء لي معه .

اي تيار كان يجره ، ومحو اي مصير محتوم ! لقد كانت حيرة هذا
الرجل الاستثنائي حيداً طويلاً من الكبت ، فهو اعز من ان يندس ،
واقوى من ان يتهم ، واضمح من ان يكون وصونيا ، فعاث في عقله
يمدي نفسه هوى السيطرة ، هذا الهوى الذي اشتد من حلال شعوره
بقيمته الخاصة ، والعراس البذرة ، والاردرات الذي يطوي عليه لجام
الآخرين . وكان المجد العسكري فيها عذ من ايام ، قد أعدي عليه
الطفة المبررة . ولكنه لم يفسره ، ان أحبه وهو وحيد . وما هي
الاحداث تقدم فحاء ثوبه وكبريته ، وهو في نفس خريف طيبة ،
المرصة التي طام انصرها ، لينفتح ويتألق ب غير حد ، ولكن لها
شرطاً مع ذلك . وهو ان يرتقي الكارثة بحثاً لرعبته ، ويرد ب مجده .

يجب القول ان المارشال كان يحب المعركة ، كيف دار بها الامر ،
حامسة فهد ، احدي المشق الذي رتدي طقم العسكري عداة ١٨٧٠ ،
كان يدور فقط في غمار الصراع حرباً فردية - بية حديده . ونحن
ندين أعداء في أول ، كما العالين في النصف ، اي حرب ١٩١٤ -
١٩١٨ ، مع حله لنا ولا شك ، ولكن دور هؤلاء كان قابوياً ، وقد
حسرت ، ان لثمة رديت من التواء غلاب ، ولكن لا بد منه . بعد
« سيدان » وسقوط باريس لم يبق الا ان نخلص ، ونساعد ونسحق اذا
اقتضى الامر ، ثورة الكومون ، على بحر ما فمس « قير » في الظروف
بعض من قس . ولجنة اللجنة للبراع ، وامكانيات طرد ما وراء البحار ،
والنتائج العمالية لانتصار هتلر ، كل هذه في رأي المارشال المحوز لا

يكاد يوليها شيئاً من الاهتمام ، وما هي من الأمور التي تقود اعتسارها

وإما مقتنع ، رغم كل شيء ، أن المارشال بيتان ما كان ليرصد ، في أوقات أحر ، أن يرتدي الأرحوان في التحلي عن أمته وإما موقن ، على كل حال ، أنه لو ظن أيام دمه ، لكان قد اتخذ طريق الحرب سبلاً في اللحظة التي يتمكن بها من رؤية المدافع ، ولأدرك أن النصر ، بل ممكناً ، وأنه سيكون أمراً مضمناً ، ولكن الذين للطوال ، يا للحسرة ! كانت قد فرضت خلف الطلسمان ، طبعه ، وأمنته الشبهوحة مناورت الناس برعو في القصر بمبانيه الخليل الشبهوحة صرب من الأتباع ، ولكي لا يفرق القصر في شيء ، جعل شيهوحة المارشال ونهار قرب شيئاً واحداً .

ودلت ، كنت فكر فيه ، وأنا بحمد في الليل نحو بريندا ، وشهدت عيني في الوقت نفسه ، على مائة الحرب ، بتاً كان المصير الذي تسوق إليه ، وبسبب وصولي إلى رين ، في صباح ١٥ حزيران (يونيو) ، كنت الحراس ربه أجهته الذي كان يقود مختلف العناصر الممارة في شرق ، ثمس ، وخرال عتري أمر مدطعة العسكرية ، ومخطط « ابل ريلين » ، وكان ثلاثة يقومون ، كل في عمله ، بأفضل ما يمكن القيام به . وجهدت في نفس جهودهم ورسائلهم الدافع عن المدطعة ، ثم دعيت « برست » ، وأنا نحو قوادل كالمبرية دمه إليها لسكر صها . ودرست في المحطة البحرية مع الأمير ل نروب و « لامبر ل العرب » دي لا دورد امكاتب البحرية في نقل الجنود من موميه برينات ، وواجباتها وبعد نصر صعدت المسافة المصادة « ميلان » التي اقنني لي بلايموث برقة بمئة من الكيويين يقودها احرال لوموي ، وكان السيد رؤل دوتري ، وزير السلاح قد أرسلها لتضع « الماء القير » غامس في انكلتر . وكانت لداعه « ريشليو » قد أدت لي تحية الشرف ،

الخارجية البريطانية (مشروعاً يبدو خطيراً ، وهو ان تطرح الاقتراح
لمتحدة فرنسا والمجلتزا ، على ان يذاع علانية من جانب حكومة لندن
وحكومة بوردو ، وفيه يقرر البلدان صهر سلطاتها الامانة والمشاركة في
مواردها وخسائرها ، او هو الارتباط الكامل ، يقول مختصر ، بين مصري
كل منها ، فان من الممكن ، اراء مثل هذه الخطوة اذ يحطون البلدان
في مثل هذه الظروف ، ان يعمد وراؤنا الى توسيع آفاقهم ومجالات
علمهم ، او ان يخالفوا على الأقل ، دعاء التخلي عن الحرب . ولكن لا
يزال أمام مشروعنا ، ان قلباء الحكومة البريطانية وأنت وحدك
تستطيع ان تحصل على ذلك من المستر تشرشل ومن المنتظر ان تتناول
هذه الساعة طعام المطور معه . وسنكون هذه الفرصة الكبرى ، اذا
انت وافقت على الفكرة .

ودرست البص الذي تقدم لي ، فبدأ لي ، في الحال ، ان ما فيه
من معنى جليل يمنع ، في جميع الاحوال ، لتحقيقه العاجل . وكان اول
ما يتبادر الى الذهن فيه ان من غير المستطاع صهر فرنسا وانكلترا ،
وان مبدئياً ، عن طريق تبادل المذكرات ، يسمح انظمتها ، ومصالحها ،
وامبراطوريتها ، على افتراض ذلك مرغوباً فيه . وحتى القساط
القابلة ، في المشروع ، للتسوية بطريقة عملة - كالمشاركة مثلاً في
الاضرار - تتطلب مفاوضات معقدة . ولكن في العرض الذي تقدم به
الحكومة البريطانية لحكومتنا ، مظهر قصاص يمكن ان يكسب معنى
واقعياً . وقد افكرت على الأحص ، كما افكر السيدان كورمان ومونيه ،
ان من طبعه المشروع ان يشجع السيد بول ريسو في الامة الاحيرة التي
ارتطم بها ، ويمتدء نجباء وراثته بالصلابة . ولذا رصبت ان استخدم
صليتي بالمستر تشرشل لمحله على اخذ المشروع لحسابه .

كانت صبيحة ذلك اليوم مثقلة . بدأت بتسوية ارسال الدارعة

« مسور » التي كانت تزن رجاء ألف مدفع من عيار ٧٥ ، وآلاف
 رشات وحصصاً من دحتر أنت من لولايات المتحدة . وقد أود
 تقرير بعثة العسكرية ان السببة حادت عن طريقها ! بورديو ، وهي
 في عرض البحر ، بناء على امر منسي ، وانجبت نحو مائة بريطاني .
 وكان الوحب بقصي نظراً لسير الطوادر ، ان يحول دون وقوع هذه
 المحولة التي لا تهدر آبداء ثمن ، في ايدي العدو . والواقع ان المدافع
 والمرشادات للمحولة بحر طهره واستور ، افادت في اعادته تسليح
 البريطانيين الذين فقدوا في ذلك ، جميع معداتهم قفراً

أما قصة القفل ، فقد وجدت لدى لاكثير اهتماماً صادوا بشوية
 وسائل لتجديد عناصره ، وحمية فواظب البحرية . ورؤيت آية استبعد
 على يد الاميرالية بالارتباط مع بعثتها البحرية التي كان يقودها الامير
 و اوديدال ، ولكن كان لاعتماد السائد في لندن ان ، حداثاً لا يؤمن موثقة
 لتحقيقها فرنسا الرسمية . وقد أرثي الانصالات التي قمت بها ان التدابير
 التي اتخذها حلفاءه في بحار المولات ، انما تحدث تحسناً لتعليق
 الوشيك عن الكفاح . وكان مصير بحريتنا بلاحق قس كل شيء ، دهان
 الحبيح . وكان كل فرنسي اثناء هاتيك الساعات 'الناسوية' ، يشمر مثقل
 الاستمهام لأحرار او لاساطق الذي يوحه له جميع لاكثير الذين
 يلتقيهم : « ما الذي سيحل بالاسطولكم ؟ » .

وكان ذلك بصاً في ذهن الوزير البريطاني الاول ، حين ذهبت مع
 السيد كورن وموبه لتناول العطور معه في دكارلتون كلوب ، وقد
 قلت له : « لن نسلم الاسطول الفرنسي طوعاً ، مهما حدث ، وب
 بيتان معه لا يرضى بتسليمه . ثم ان الاسطول إقطاع دارلان
 والاقطاعي لا يسلم قطاعة . ولكن لكي نكون على ثقة من ان العدو
 لن يستطيع ابداً ان يضع أيديه على سفنتنا ، يجب ان نقل في حرب

معه . وبعد كانت هذه هي الحال ، فان من واهي ان اصريح لك ان موقفك في « بور » كان معساة كدترقي ، اذ بدوت وكأنتك تحمل من تحالف شيئاً ليس ذا دل . وإدعائك يا بخدم اولئك الذين يملون عمدنا ، الى الاستلام ، هم يقولون . « ألا ترون جيداً ، اننا مكرهون على ذلك لانكبير نفهم برقوقنا ، لا ان ما يجب ان نعملوه لتشجيعنا معابر كل المصيرة لما قطعتم به في الارمة الرعية التي معانيها . »

وبد السيد تشرشل مرعراً . ثم احتلى برهة بالاحور مورنون رئيس ديونه ، وحسنت انه نحد الى اقصى حد الاستعدادات لضرورة لتعير قرر كاد فقد رسحه ولرنا كانت تلك الحثوة السب في ذلك الحادث ، وهو ان سفير انكلترا في بورده جاء ليصحب من يد السيد بول رينو مذكرة بعد نصف ساعة من تسليمها وفيها توافق الحكومة البريطانية مبدئياً على ان تطلب فرنسا الى اديا الشروط لخدمة محطة .

وحين عاد تحدثت اليه عن مشروع اعتماد النصب ، فقبل لي « كلفني الورد هايماكس في هذا الشأن ، ولكنه موضوع حليل ، فأحسنته . » « نعم ! وتعليقه ايضاً يحتاج صمماً الى كثير من الوقت ، ولكن اذعلان يمكن ان يكون توتاً . ولا يصح في احالة الراية التي وصلت اليها الأمور ان نهملوا شيئاً مما به ثابت لفرنسا وتوطيد لتعاليقنا ، وبعد مصادقة قصيرة احد النوريو الاول براني ودعا فوراً مجلس الورد ، طاعة طرئفة ، ودعينا معاً الى دوتنغ ستريت ليرئيس الاجتماع ، وكنت رفيقه . وبينما كان الوردراء يتذكرون ، جديت في مكتب محاور نقاءة لمجلس مع سمر فرنسا وتصلت في هذه الاثناء ، السيد بول رينو هاتفياً اعلمه اني آمل ان اوحه اليه قبل هاية بعد الظهر ، ولانفاق مع الحكومة الانكليزية ، محاربة جد مهمة ، فأحاسي انه يؤمن موعد جلب الوردراء ، نتيجة لذلك الى الساعة ١٧ ، وأصاف

« ولكنني لا أستطيع ان اؤجل اكثر من ذلك » .

دامت جلسة الوزارة البريطانية ساعة ، كان يخرج خلالها بين وقت وآخر هذا الوزير و ذلك لاستصاح دعوة مناهج المسؤولين وعلماء دخل الجميع ، ونشرشل على رأسهم وصاحو « موافعين » ! والواقع ، كان النص الذي اتوا به ، الذي يسميه ادي اقترحناه ، مستشهد ببعض التفاصيل . وحدثت حالاً للسيد بول رينو ، وأعطيت عليه الوثيقة ، فقال رئيس الوزارة : « هذا شيء مهم جداً ، سأقيد منه في جلسة التي عقدها هذه الساعة » . وأسرت اليه بكلمات اودعتها كل ما قدرت عليه من تشجيع . وتناول السيد نشرشل الساعة ، وصاح : « آلو ا رينو ! ديفول على صواب يمكن ان يكون لبياننا نتائج كبيرة يجب الصمود ! » . ثم قال ، بعد ان استمع للجواب غداً ! اذن في كونكارنو » .

واستأذنت الوزير الأول ، فأعاري طائرة لأعود فوراً لي بوردو ، وانفقت ان نضل تحت تصرفي تحسباً للحوادث التي قد تحدثني على الرجوع الى لندن . وكان على السيد نشرشل معه ان يذهب في القطار ليمصر على ظهر مدبرة لي كونكارنو وفي الساعة ٢١٤٣٠ هبطت في بوردو ، وكان العقيد همبر ، واوبرتان من موظفي ديواني ، ينتظراني في المطار ، فأخبراني ان رئيس الوزارة قدم استقالته ، وان لرئيس لوبرن كلف المارشال بيتان بتشكيل الحكومة . كان ذلك هو الاستسلام لأكيد . واتخذت قراراً حلاً . سأسافر صباحاً باكراً .

ذهبت اقبل السيد بول رينو ، فوجدته حلاً من كل وهم حول ما تجرّه ولاية المارشال ، كما وانه يشمر فائزاً ، من جهة اخرى ، كن ألقى عن ظهره حمل لا يطاق . وتكون الذي عنه الانطباع انه رجل بلسغ آخر حدود الأمل . والذين كلوا شهرد الحنة وخدم يعرفون ي سلاء

كانت السلطة أثناء تلك الحقبة الهائلة ، فقد كان رئيس الوزارة يشعر ان
 التمتع كلها في مصر مرسا مطلقا على عاتقه ، بالاحصاء في انه كان
 يقضي النهار بلا استراحة ، والليل بلا نوم . وذلك لان الرئيس وحيد
 دوماً تجاه الصدر السيم ، وهو الذي كانت تصيبه رأساً انتقبات نسي
 اتسمت بها مراحل سقوطه . اختراق الادب دفاع في سيد ، كارثة
 دكر ك ، هجره ريس ، ونهار في يوردو . وهو مع ذلك ، لم يتوان في رئاسة
 الحكومة الا عشية الويلات التي رلت بها ، دون ان يدرك من ليقف في
 وجهها . وبعد ان كان قد افرج ، مدد راس طوف ، السبابة العسكرية
 التي كان لها ان تجنبا تلك الويلات . اما العاصفة فقد حادها ، مصلاية لا
 تلبس ، وما كان قط أثناء تلك الايام اناسوية لسفك سيطرته على نفسه .
 وما شاعده احد قط وهو عاصب ، او حائق ، او صارع بشكوى له
 كان مشهداً مأسوياً يقدمه ذلك الرجل - "قيمة الكبرى" ، ان تسحقه
 لأحداث الجامعة ظناً وعدواناً ..

لقد كان السيد بول ريسو ذا شخصية تسعيب ، في قرارته ، الاحول ،
 كان في امكانه معها ان يسيطر الحرب في ظل سطوة ما ليدواه ، وعلى
 قاعدة من المخطبات الثفافية حاصلة . ولكن كل شيء كان في مهبط
 الرياح ، فقد كان رئيس الحكومة يشهد من حوله انه في السطوة ، ونهرت
 الشعب ، واستجاب خلفه ، وتجدد زهر الزعماء واشهرهم . ولم يمس
 من السلطة معه ، منذ ذلك اليوم الذي تركت به الحكومة ان صره ،
 سوى صوب من الاحتضار ، يجري على طول الطريق ، وفي تجمع
 المصالح وآداب الحكم والسياسة . وفي مثل هذه الظروف ، كان دكا ،
 السيد بول ريسو ، وشعبته ، وسلطان متصه ، قدور كلها ، كما
 يقال ، في فراع ، اذ لا يبقى له من هيبة على الاحداث التي اضطفت
 من عقابها .

كان يسعى للتشديد العصبية على ازمة الامور ، ان يتفرع نفسه من الروبوت ، ويعد الى امرتها ، ومطلقاً منها يتناول كل شيء من حدود وقد رأى السيد بول ريسو ذلك ، بعد ان يعمل بمقتضاه يتضمن تدابير منطوية : تغيير القيادة العليا ، طرد المارشال واقصاء نصف الوزراء ، تحطيم بعض التأثيرات ودوي العمود ، والادعاء باحتلال الوطن الأم برمتها ، وانتقلت ، يقول مختصر ، اراء موقف لم يستق له مثيل ، من الاطار العادي وطريقه العمل المسببة ، مهما كلف الأمر ، وعظمت المخاطرة .

ولم يحظر سال السيد بول ريسو ان من واحده ان يأخذ على عاتقه المضي في اجراءات هذه المرة من الخروج على العرف السائد واحداث المعتادة ، ونما حاول ان يبلغ الهدف من طريق المداورات . ومن هنا تحذر هذا الواقع خاصة ، وهو انه اضطر الى درس بحتم لتسروط مصدر على ان تمسحه ابتكرا موافقتها . ولا شك في ان فهمه بالامور اقصى به الى الحكم بان أولئك الذين يدعون على عقد هدنة لا بد ان يتراجعوا حين يعرفون شروطها ، وحبيدك تحري عملية تجمع الفيم كلم عفواً ، في سبيل الحرب والخلاص . ولكن مأساة كانت مفرقة في القسوة اعراقاً لا يمكن معه التنايل بين المصاعير والامساع الشهيرة ، اذ لم يمكن ثمة سوى طرفين لا ثالث لها . اما الحرب من غير مداورة ، او التسليم في الحال . ومنذ كان خطأ السيد بول ريسو انه لم يصرف بكن قواه الى الاولى ، فقد تحلّى عن مكانه ليتبن الذي تمسك الطرف الثاني تنبياً فلماً .

يحب القول ان العهد لم يقدم ادنى عون ، في اللحظة الحاسمة الكبرى ، لرئيس آخر حكومة من حكومات الجمهورية الثالثة . ومن المؤكد ان كثيراً من ذوي المكانة كانوا يأبون الاستسلام ، ولكن السلطات العامة ،

وقد أصحقت الكارثة . التي شعورهم بأن مسؤولية عهد ، لم تقم السنة ماي
 رد فعل . وسبب كانت تصرح المشكلة التي يتوقف عليها الحاضر كله
 ومستقبل كله . فلسفة فرنسا ، لم يكن البرلمان بمعهده ، والحكومة ظهرت
 بها لا تلك . تأحد على عائقها ككل عصوي حلا حاسما ، ورئيس
 الجمهورية متسع عن رفع صوته حتى في قلب مجلس لورراء ، للتعبير عن
 مصلحة البلاد العلي . والخلاصة ان هذا الاصمحلل في الدولة كان هو
 القوة في قرار المأساة الوطنية . لقد تراءى العهد ، على وميض الساعة
 في عجزه رهيب ، به منقطع انقطاعا تاما عن دفاع فرنسا ، وشرها ،
 واستفلاها .

وفي مريع متأخر من الليل ، دعت لي الصدق بدي كلب يقيم
 فيه السير رونالد كامل مدير انكلترا ، وأعطته بئتي في السفر الى
 لندن وصرح لحران سيرور الذي قدم وشترك في الحديث انه سيرافقي ،
 فأرسلت طبع السيد بول ريدو ، وكان من همد ان حوّل الي من
 لاعتمادات السيرة مبلغ ١٠٠٠٠٠٠ فرنك . ورحوت السيد ده مارجردي
 ن برس دون مصروف قوسي واولادي في في كاراتك ، حوررات
 السير للارمة للاسفل الى انكلترا . وكان آخر ما يمكن ان يعموه
 بالخط ، ان نمرود في اول سفسه تعدد . وفي الساعة السادسة
 من صباح ١٧ حزيران ، صعدت مسيخ لحران سيرور وللوثنان دي
 كورسيل ، لصافره البريطانية اي قلتي لارحة . وتم سفر دون ادنى
 حادث يذكر

طربا فوق د لا روشيل ، وورشعوره . وكان في عشرين لرفاين سفر قدوتها
 الطائرات لانه ، وكانت تصاعد منها لحراني ، وماريا فوق المون ،
 حيث كانت تهب وادقي وهي حدم مرسية . وكانت العاصف عمود دحان ،

يحلق بها من مستودعات الحائز ووصلنا الى لندن في مستهل بعد الظهر ، وكما قد توقعا قليلا في حرمي وفي انا في الفندق استمع لكورسين وهو يتلفس السمارة والبعثات ولا يجد من يجيبه بعبر التعميط والحذر ، زادت لعمري وحيدا 'حراد من كل شيء' ، نظير امرى على حافة وقبائوس يزعم انه سيقطعه تنجاً .

فرنسا الحرة

مناخعة الحرب ؟ نعم ! مؤكداً ! ولكن في سبيل أي هدف ، وخص أي حدود ؟ كثيرون هم الذين ابوا ان تكون تلك المناخعة ، منذ وافقوا عليها ، شيئاً سوى تصاون بين قصبة من العرسيين 'يمسح للامبراطورية البريطانية التي ظلت واقعة ، في الميدان ، وأما لم اواسه قط المحاربة ، لحظة من اللحظات ، على ذلك الصعيد . كان المراد خدمته واقاده في نظري ، انما هو الأمة والدولة .

كنت في واقع الأمر اذكر انه فراغ نهائي من الشرف والوحدة والاستقلال ، اذا كان لابد ان يقر في الادمان هذا المعنى ، وهو ان فرنسا وحده استسلمت في هذه الحرب العالمية ، وبها بقيت مقبلة على استسلامها ذاك ، لأنها في مثل هذه الحالة ، تصبح مشتملة من نفسها ، وتعتد الآخرين على الاشمئزاز منها ، ومثل هذا الاشمئزاز المردوح بسم روحها وحياتها طيلة احيال مديدة ، اية كانت النتيجة التي يعمي اليها التراجع الدائم ، لا سيما اذا قرئ في الادمان ان البلاد غلبت مؤكداً على امرها ، وانها تحلصت يوماً ما من العراة على بسد الاجاب ، وأقامت تحت غير الاستعداد . وأما فيما يتعلق بالحاضر مباشرة ، فسامم أي شيء نفقد بعض ابتنائها الى ميدان ليس ميدانه ؟ وما الفائدة من تزويد قوات دولة اخرى بقوات مساعدة ؟ لا ! كان الواجب بقضي ، كي يستحق الجهد

الشدّة والتعب ، ان يفضي ذلك الجهد الى مراس الحرب من جديد ، لا
من قبل بعض الفرنسيين محض ، وانما من قبل فرنسا .

وكان ذلك يشتمل على : عودة جيوشنا الى الظهور في ميادين القتال ،
استئناف روح المحاربة العدائية فوق اراضي جميعها ، مساهمة البلاد نفسها
في جهود محاربها ، اعتراف الدول الأجنبية ان فرنسا كدولة استمرت
في القتال ، بقل السيادة ، بقول مختصر ، خارج الكبشة والدرعة الى
الانتظار ، الى جانب الحرب ، وفي يوم من الايام ، اني حارب النصر .

وكان ما أعرفه عن الرجال والأشياء يحول دون اتقداعي عن العوتق
انني يجب النعل عليها . ستكون هناك قوة العدو التي لا يحطمها سوى
أهاك متواصل طويل ، والتي ستلاقي العون من الجهاز الرسمي الفرنسي
في معارضة نهوض فرنسا الحربي . وهناك المصائب المعنوية والمادية
التي يشتمل عليها قرأ صراع طويل ، صامد في نظر أولئك الذين
يؤمنون به كرهان ، ومن غير وسائل . وهناك ركاب من الاعتراضات ،
والقشيرات ، والافتراءات تصعبها في طريق المحاربين ومرر المشككين
والحناء المتحومين لنمطية سليبتهم . وهناك المخططات التي يقال انها
« متواريات » وهي في الواقع عبارة ومعارضة ، ولن تتورع عن إثارة
البعرات بين الفرنسيين ، وأحياء ولهم بالممارعات الذي مستخدمه سياسة
اعلاء ومصالحهم حسب العادة ، لتصرف بهم على هوام . وهناك من
حسب أولئك الذين يهدون الى التخريب ، ارادة التخلي ، لتصليل المقاومة
الوطنية والسير بها في سل الموصى الثورية التي تبتق منها دكتوريشهم .
وهناك أخيراً نزعة الدول الكبرى الى الامادة من اصعاف لتليل مكاسب
أكبر ، على حساب فرنسا .

أما أنا ، وكنت ارفع القدرة على تسلق مثل ذلك المنحدر ، فاني
لم اسكن ، في مستهل الانطلاق شيئاً يذكر . ولم يكن في جانبي ظل

لأمة ولا لتظيم ، ولا كان لي في فرنسا مستجيب ولا أية وجاعة وفي بلاد الاجانب لم يكن لي رحيل ولا مرور . غير ان هذا الجرح معه هو الذي رسم لي خطة سلوكي . وأنا إنما انتظمت ان اجد السلطة ، فلأني عشت قصة الخلاص الوطني ، بلا مواربة ولا مداراة . وإنما اصبح في امكاني تحصيل الموافقات ، من قبل الفرنسيين وفي صفوفهم ، والجماعات واكتساب الاحترام والاعتبار من قبل الاجانب ، ولأني انضمت اهل كسطل للأمة لا للبلد له قساة والامس الذين استثمروا الاهانة ، على مدى المأساة ، من هذه الصلاة لم يشاؤوا ان يروا ، وأنا اقاوم ضغوطاً متنافسة لا تخصي ، ان اقل انشاء ، فلسفة لي ، يجر الى الانهيار . كان من واهي ، بقول مختصر ، مدد كنت على تلك الحال من العزلة وضيق الامكانيات ، ثم لأني كنت عليها بالصبط ، ان اظهر ببلوغ القمم ، ثم لا أزل منها بعد ابداً .

كان اول ما ينمي لديه ان ارفع راية المقاومة ، وأشر الوانها . ولذباع كليل بذلك وعرضت بيتي للسيد ونستون تشرشل ، عند اصل السابع عشر من حزيران (يونيو) . وما الذي كان في امكاني عمله دون معونه ، وأنا الفريق على شطآن اديكتو ؟ وكان معه ان ينمي عونه في الحال ، ووضع اذاعة اليه . بي . سي . تحت تصرفي . واتفقا على الشروع في استخدامها ، حين تطلب حاكمه ديتان ، الهدية . وعلنا عشية ذلك اليوم معه ، انها تقدمت بطلبها . وفي اليوم التالي ، في الساعة ١٨ ، ثلوث وراء الذباج البين الذي يعرفه الجميع وعقدار ما كانت تطلق الكلمات الهادرة ، كنت اشعر في سريري بانتهاء طور من حياة ، هي الحياة التي قضيتها في إطار فرسة مكينة ذات حش موحد متماسك . دخلت المصاهرة وأنا في السابعة والاربعين ، شأني شأن رجل ألقى به القدر وحيداً وتركه نسبح وحده .

غير انه كان عليّ وأنا احاطو خطواتي الاولى في هذا المسلك الذي لا سابق له ، ان اقدم الدليل على ان ما من سلطة اكما مي تريد ان تتقدم لإعادة فرنسا وامبراطوريتها الى ميدان الكفاح وكان في الامكان التصور ، عكس كل احتمال طاهر ، ان حكومة بورديو ستحتار الحرب في النهاية ، ما دامت الهدنة لم تدخل حيز التنفيذ . وكان انواحب يعصي مداراة الفرصة ، بالغا ما بلغت من الصلابة ، لاعتصامها ، ولذلك ، أبرقت لي بورديو عند حطت اقدامي في لندن ، بعد ظهر ١٧ ، ان تقدمني كمدوب عنها في العاصمة الاسكتلندية لتساعة المفاوضات التي بدأتها عشية السابعة في شأن المعتاد القادم من الولايات المتحدة ، وأسرى الالان ، والفلبيات الى افريقيا .

وكان الجواب برقية تلخ عليّ بالعودة دون إبطاء . وفي ٢٠ حزيران وحيث رسالة الى فيسك الذي اتحد في الاستسلام لقيا مدهشاً هو « وزير لدفاع الوطني » بأشدته وفيه ان يكون علي رأس المفاوضات ، وأكدت له طاعني التهمة ، اذا هو فعل ذلك ، ولكن هذه الرسالة أرحفتني ، بعد بضعة اسابيع ، من يقبل المرسلة اليه ، مع بدة منه اقل ما يمكن القول فيها انها تشير الى سوء طويته . وفي ٣٠ حزيران ، اضطررتي « بادرة فرنسا » بالأمر ان أعتبر نفسي سجناً في سجن سان - ميشل في « نور » ، لأحاكم امام المجلس الحربي . وكان هذا المجلس قد أصدر عليّ حكماً مبدئياً بالسجن لمدة اربع سنوات ، ثم بالاعدام بشاء علي دعوى استئناف من « الوزير » .

وأدبرت وحيثي نحو سلطات ما وراء البحار ، وقد أسقطت من حسابي موقف بورديو ذلك . وما أدرك ما السبب ! فمساء ١٩ حزيران امرقت للجنرال « بونجيس » القائد الأعلى في افريقيا الشمالية والمقيم العام في المغرب ، اصعب نفسي رهن اوامره في حالة رفضه الهدنة . وفي

المساء تحدثت في المذيع وناشدت « أفريقيا كلوزيل » و« بوجو » و« ليوتي » و« نوغيس » ان ترفض شروط العدو . وفي ٢٤ حزيران « كررت نداثي بندقية الى نوغيس » وتوجهت كذلك بخطاب الى الجنرال ميتلهاوزر « القائد الأعلى » والسيد « بيو » المندوب السامي في الشرق « كما توجهت بخطاب الى الجنرال كلوزر حاكم الهند الصينية العام « اشير على هذه السلطات العليا بتشكيل منظمة للدفاع عن الامبراطورية وأبين لها ان في مستطاعي تأمين اتصالاتها فوراً مع لندن . وعلمت في ٢٧ حزيران بخطة ذات لحة محاربة بعض الشيء » ألقاها السيد « بروتون » « المقيم العام في تونس » ناشدته بدوره ان يكون عضواً في « لجنة الدفاع » وجددت عروضي للجنرال ميتلهاوزر والسيد « بيو » . وفي اليوم ذاته حيزت مصادفة أمكنة لي ولضابطي في سفينة شحن فرنسية كانت تتأهب للذهاب الى المغرب .

ام الاجوبة . . اتلق منها سوى رسالة من الأميرال دي كارمانتيه « آمر البحرية في الشرق » ، اخبرني ان السيد « بيو » والجنرال ميتلهاوزر ابرقا الى الجنرال نوغيس بالمس « الذي توجهت به اليه . وجاءني « هذا عن ذلك » احد اساء الجنرال « بندقية وجهها اليه والده » يشجعها فيها على القتال « ويكلفه ان يمر « بندقية وجهها اليه والده » . ولكن الانكليز الذين اوفدوا « في البحر عن عواقبه ونماطه » . معي . كوبر عصو الوزارة الى أفريقيا الشمالية « مع الجنرال « السيد دوف هلي الجنرال نوغيس عون قواتهم « رأوا وقدامهم يعود الى لدا « يعرضون دون ان يلقى حتى من يستقبله . ثم كان اخيراً ان طرد الجنرال ديتر حنين الارتباط العسكري البريطاني في أفريقيا الشمالية « من عاصمة الجزائر

ومع ذلك كانت اول حركة قام بها نوغيس « ان رفع العلم . ومن المعلوم انه كان لدى اطلاعه على شروط الالمان في ٢٥ حزيران (يونيو) .

قد ابرق الى يوردو يطلبها انه على استعداد لتساعة الحرب . وكان قد دعا الجنرال فيغان الى « اعادة النظر في اوامره المتعلقة بتسعيد الهدنة » واحتج انه « لا يستطيع تنفيذ الا وعرق الحمل بنصب من حبه . اذا كان لتلك الاوامر ان تبقى كما هي » ، مستخدماً في ذلك عبارة كنت اذا قد استخدمتها قبل ستة ايام في المدياع ، عذكراً بـ « دعو يوردو » الذي لا يسمح للحكومة « ان تقدر مكائات افرقيسا الشمالية في المقاومة تقديراً موضوعياً » . ومن الواضح انه اذا كان يوعى قد احتار سبيل المقاومة ، فان الامراطورية ومنها منتسح حطاه عليها . غير انه « علم عاجلاً من بعد » انه هو نفسه « وسائر المقيمين » والحاكمين ، والقادة ادعوا جميعاً لاندارت بيتن وبيمان وقتلوا الهدنة . واصر انهم فقط على إبداء سخطهما - هما الجنرال كاترو حاكم الهدنة الصبينة لعام ، والجنرال « لوجا ، اليوم » قائد قوات الساحل الصومالي وكلاء عزلا وعين مكائها من يقوم بأعمالها ، دون ان يحدا في مرؤو- ٢٠ من جعل شيئاً يذكر لمساندتها .

غير ان هذا الصرب من الانحلال ا معظم « الولاة » (بروكوسول) كان يلقى ، في الوطن الأم ، « بهبار سياسي شامل . وكانت الصحف التي تملك من يوردو الاحزاب ، والنعمات والسلطات ، والمؤسسات . الحديدة ، كما تسجل الوطنية ، وقد انعقدت في ٩ و ١٠ نور ، ان خولت و كان من يبيع الصلاحيات ، دون ان تناقش هذا الامر تقريباً . والحقيقة ان ٨٠ عضواً من الحضور افرعوا بشجاعة ضد ذلك التدارك ، وليس بحروا من البرلمانيين على ظهر « مستيليا » قاصدين طريقاً الشمالية ، اثبتوا بذلك ، من جهة اخرى ، انه لا يجوز ، في نظرهم ، ان تكف الامراطورية عن الكفاح والواقع ، مع ذلك ، هو ان ما من رحيل

كان يمارس الحياة العامة ، رفع صوته في إدانة الهدنة

وإذا كان انقياد فرنسا ، بعد كل حساب ، اعرق العالم في الوحوش ، وإذا كانت الجماهير في طول الأرض وعرضها ، تشاهد قنفة جارية ذلك الصياء الكبير يتهاوى ويخمو ، وإذا كانت مثل هذه القصيدة لشارل مورغان ، أو مثل ذلك المقال لفرنسوا مورياك يستلّ الدموع الحارر الخرار من المهاجر ، فإن الدول ، دول الأرض ذاتها ، لم تلت ان قتلت بالأمر الواقع . ولا ريب ان حكومات البلدان التي كانت في حرب مع دول المحور استدعت ممثلها في فرنسا ، سواء فعلت ذلك عفوية ، كما جرى مع السيد رومالد كميل أو المحرال فانيه ، أو كان عن طلب من الألمان . ولكن ظل في لندن ، مع ذلك ، قنصل يعق في بناء السفارة الفرنسية ، وعلى اتصال بالوطن الأم ، سنا السيد دييوي قنصل كندا العام ، مكث بجانب المارشال ، والجنود محبوب امريديا ترك منته . وكان ابرر ما يشاهده المرء في فيشي تجمع كل من السيد بوغومونوف سفير الاتحاد السوفياتي ، ثم الاميرال ليهي سفير الولايات المتحدة ، حبول المونسنيور فاليريو لاليري القاصد الرسولي موعد البابا ، وكان سلكاً دبلوماسياً وقوراً ، بل كانت هناك ما تفتقره حاسة الشخصيات الذين كانوا ينحذرون طوعاً ، في حركة عفوية أولى ، نحو صليب اللورين .

وهكذا ، كان التمايز الواضح بين الخوف والمصلحة والياس ، في صفوف الفرنسيين كما في صفوف الأمم الاخرى ، يمتد حول فرنسا جواً من التحلي الشامل للكلية . وإذا كان قد ظل هناك عدد من الارقياء والامناء لماضيها ، وإذا كانت قد احرمت عدة حسابات تطلعت بما يمكن ان يستلّ مما بقي في يديها من اطمار ، فإن احداً من الرجال ذوي الصمة في العالم ، لم يتصرف كما لو كان يؤمن بعد باستقلالها ، وكرامتها ، وعظمتها . وأما ان تظل بعد النكبة مستعبدة ، مخترية ، مهانة ، فإن

كل ما كان يقام له وزن على وجه السيطنة ، حبيب ذلك امراً مفروغاً منه . وندت لي رسالتي ، دفعة واحدة ، امام ذلك الفراغ الرهيب من التحمل الشامل ، واضحة ومحيفة . في تلك اللحظة ، وهي اسوأ ما في تاريخ فرنسا ، كان علي ان اتحمل بدائي فرنسا كلها .

ولكن ليس هناك من فرنسا بلا سيف ، فكان تشكيل قوة محاربة اهم من كل شيء ، مقدماً على كل شيء ، فاخذت ، في الحال ، اعمل في ذلك السبيل . وكانت هناك بعض العناصر العسكرية في انكلترا ، وهي وحدات الفرقة الخفيفة الآلية التي أعيدت الى بريطانيا في منتصف حزيران والبحرت اليها مع آخر القوت البريطانية ، بعد ان خاضت خوصاً لامعاً معركة العروج ، بقيادة الجنرال « بينووار » . ثم كانت هناك سفن البحرية الحربية - مجموع حمولتها زهاء ١٠٠.٠٠٠ طن - ولأجنو « شروبرج » و « بريست » ولوربان ، ومعهم عدا اجهزتهم ، كثير من المتعدين والمساعدين ، ويبلغ مجموعهم ١٠٠.٠٠٠ بحار على الأقل . وكان هناك ايضاً عدة آلاف من الحدود الحرسى سابقاً في بلجيكا الذين استشفوا في بريطانيا . وكانت البعثات العسكرية الفرنسية قد نظمت قيادة هذه العناصر كلها وادارتها بطريقة تحفظ معها طاعتها لفيشي ، وتعددها للرجوع الى الوطن .

وكان مجرد الاحتكاك بهذه القطعات المشتتة ، المتنوعة ، ينطوي في مطري ، على مصاعب كبرى ، ولم يكن تحت تصرفي ، ادىء دي بدء سوى عدد ضئيل من الضابط ، كلهم مرؤوسون تقريباً ، تلهمهم عزيمه ماضية ، ولكن عا حرون عن اقتحام سلسلة الرتب قصراً وكل ما كان في وسعهم ان يعملوه ، وقد عملوه ، اما هو الدعاية بحاسب قوي الرتب والرجال الذين التفرغ ، فكان الاقبال ضئيلاً . وبعد ثمانية ايام من الاستنفار الذي وجهته في ١٨ حزيران ، لم يرتفع عدد المتطوعين الذين عسكروا في قاعة « اولسا » ، التي أعارنا الانكليز اياها ، الا الى بضع مئات .

يجب القول ان السلطات البريطانية لم تبرز جهودها ، الا في النزر الضئيل . ومما لا ريب فيه ان مشوراً ورّع بايعار منهم ، يخطر العسكريين الفرنسيين انهم يخبرون بين العودة الى الوطن والالتحاق بالجنرال ديغول ، والخدمة في قوات صاحب الجلالة . ولا ريب كذلك ان التلميحات التي اعطاها تشرشل ، وقدخلات سيرز المكلف من قبل الوزير الأول بتأمين الارتباط بين فرنسا الحرة والمصالح الانكليزية ، فوصلت في بعض الحالات ، الى التظلم على الجهود او المعارضة . ولا ريب ان الصحافة ، والاداعة ، وكثيراً من المحافظين ، وافراداً لا يحصى عددهم ، تلقوا حركتنا بحرارة ، ودعوا الناس اليها . ولكن القيادة البريطانية التي كانت تنتظر بين يوم وآخر المبعوم الألماني ، وربما للفرد ، وجدت نفسها في غاية الانهاك بالتخاذ اعداداتها الخاصة ، لدرجة لم يتح لها ان تشغل بمهمة جدّ ثابرة في نظرها . ثم انها كانت قبيح ، بحكم العادة والسهولة ، الى الاخذ بالنظام العادي ، اي نحو فيشي وبعثاتها . واخيراً لم تكن تنظر بغير حذر الى هؤلاء الحلفاء بالأسس الذين اذلتهم السكبة ، واصحروا ساخطين على انفسهم ، وعلى الآخرين ، وعدت تثقلهم الثارات التي يحملونها ، ماذا يعملون اذا قدفقت حشود العدو ؟ أليس الاسم ان نعيد إنزالهم على سواحلهم في اسرع ما يمكن ؟ وما أهمية بضعة افواج بلا أطر ولا عتاد ولا اركان حرب ، يزعم الجنرال ديغول القدرة على تجميعها ؟

وفي ٢٩ حزيران فُجيت الى « رانتهايم بارك » حيث تخيم فرقة جبلية خفيفة . وكان الجنرال نفسه قائد للفرقة يريد العودة الى فرنسا ، وان كان عاقده العزم على العودة الى الميدان ، خلال بضعة ايام ، وهذا ما قام به من بعد فعلاً ، وأداه على نحو مجيد . ولكنه كان قد اتخذ استعداداته بحيث يتمكن من رؤية كل جسم عسكري وهو يتجمع . وهكذا اتاح لي ان ألحق بقواتي قسماً كبيراً من فوجين تابعين لنصف اللواء الثالث عشر

من الأليف الأحبي مع رئيسهم المقدم ماغران - فيرنيريه المدهو مونكلار ومعاونيه النقيب كوبيج ، ومائتين من قناصة الألب ، وثلاثي سرية من الدبابات ، وبعض عناصر المدفعية ، والهندسة ، والمواصلات ، وعدة ضباط من أركان الحرب والمصالح ، فيهم المقدم دي كوشار ، والطيبان ديقافران وتيسيه . وكان من أمر وزارة الحربية البريطانية ، بعد مغادرتي الخيتم ان أرسلت العقيدين البريطانيين دي تشير ووليامز ، وجما بدورهما الجود لبولا لهم بالحرف للواحد . « ان لكم ملء الحرية للخدمة تحت أوامر الجنرال ديقول . ولكن يجب علينا ان نلتم انظاركم كرجال يتكلمون رجالاً ، لا اسمك اذا انتم قررتم ذلك ، سنكون عصاة لحكومتم » .

ورغبت في اليوم التالي ان ارور عسكري « ايتري » و « هايدوك » ، حيث كان يتجمع عدة آلاف من البحارة العريبيين . وما كدت أصل حتى صرح لي الاميرال الاسكلييري آمر لبحرهم انه يعارض في مقبلي الجود لان ذلك يمكن ان يلحق الضرر بسير السفين . وكان علي ان اعادر المكان دون ان امس بنت شعة . وكنت اسعد حالاً في « هارو مارك » ، بعد بضعة ايام ، فلما قياراً من التطوع ، راح رغم كل شيء ، بتنظيم صفوف بحارتنا ، وراح بمص الصباط من ذوي الدزم الذين التحقوا بي في الحال ، يدلون جهودهم ، وكلهم احلاس ، في هذا السيل ، امثال رائدي البحار دارجيليو ، وفيترل ، ومويلك ، وسوردين . وكان ضباط ووتية ثلاث سمى حربية صغيرة قد اعلنوا في الحال التحاقهم : العواصة « روبي » (المقدم كمانيه) التي كانت تخضر سواحل التروج ، والقواصة « فارفال » (المقدم دروغو) التي تركت صفافس لخطية سميت ندائي ، والتحقت بدالطة ، ولكنها أغرقت من بعد ، وهي تؤدي عملها في المتوسط ، وقارب الصيد الفصاف « ويريدان - هوندوس » (المقدم دبشار) وكان وصول نائب الاميرال موريليه ، الذي جعلته طباعه وأحداث عمله هدفاً لعداوة

كثير من عناصر البحرية ، ولكن ذكاهم وبراعتهم وخبرتهم تقدم فوائدهم قيمة في تلك الحقبة الحافلة بالمغامرات . كان وصوله فرصة أتاحت لي اعطاء مركز ومجيب تقوي لنواة قواتنا البحرية . وفي هذه الاثناء تجمع بصح عشرات من الطيارين الذين كنت في صدد مقابلتهم في معسكر سانت - اقام ، حول النقاء دي ريكور ، واستبه دي فيلات ، وبيكور - فوش ، في انتظار المقدم بيجو ليتولى قيادتهم

ومع ذلك ، كان التطوعون المفردون يصلون يومياً الى انكلترا ، قادمين ، على العموم ، من فرنسا يحملهم السفن الاخيرة التي اعتادت السفر المنتظم بين البلدين ، او هاربين على مراكب صغيرة تمكنوا من التسللها ، او ممن توصلوا بعد هتاء كبير الى التسلل من الشرطة في اسبانيا التي كانت تحجز الفارين في معسكر ميراندا . وهناك طيارون تسللوا بطائراتهم من حراس فيشي ، ووقفوا الى معادرة افريقيا الشمالية والخط في جبل طارق . وهناك بحارو تجارة قذفتهم مصادقات الإبحار وأحياناً هروب سفينة - مثل « كايو اولو » التي بقودها فويلمان - خارج الموانئ الفرنسية ، راحوا بطالبون بمركز لهم في الكفاح . وثمة فرسيون كانوا يعيشون في الخارج قدموا يطلبون عملاً . وكنت قد جمعت في « وايت سيني » ٢٠٠٠ حريق من ديكرك ، قصوا دور النقامة في مستشفيات انكلترا ، وحصلت منهم على ٢٠٠ تمهيد . وكان هناك فوج من جيش المستعمرات في قبرص ، منفصل عن جيش الشرق انضم طوعاً لينا مع رئيسه المقدم لودوت . وفي الايام الأخيرة من حزيران اقترب من ساحل كورنواي اسطول صيد سمير بفتاء للجنرال ديمول جميع الرجال الاصحاء في جزيرة دي سين وراح التحاق هؤلاء الاحداث المقعنين بالحماة يزداد يوماً بعد يوم ، وكثير منهم قاموا بآثر تذكر ، ليتمكنوا من الانضمام الى صفوفنا ، مما شد من عريتنا . وكان على طاولتي اكدياس من الرسائل وردت من جميع أنحاء

العالم محمل إليّ من قبل افراد او 'رمر طلبات تطوع مؤثرة . وكدن
ان اجترح صناعتي ، وضباط سبيرز ، عجائب من الاصرار والبرعة ،
لتأمين انتعال أولئك المتطوعين .

ولكن ما لبث هذا التبر ان وقف بعنة ، على اثر حادث مؤسف ،
فقد نشرت الصحف واذاع المذيع في ٤ تموز (يوليو) ان اسطول المتوسط
البريطاني ، هاجم النارحة ، الاسطول الفرنسي في مرسى الكبير ، وترى
الينا في الوقت نفسه ان الاسكيز احتلوا فجأة السفن الحربية الفرنسية
للملاحة الى موانئ بريطانيا العظمى ، واهم أولوا تجارتها بالقوة وحجزوهم -
وذلك لم يمر دون حوادث دامية - كما حجبوا أخيراً الأركان والعملة .
وانتشر أخيراً في ١٠ نبأ نصف لدرعة « ريشليو » من قبل طائرات
انكليزية ، وهي راسية في ميناء دكر . وكانت ملاعات لندن الرسمية
والجرائد العامة تخرج ، في عرض هذه السلسلة من الاعتداءات ، الى عتبارها
ضرباً من انتصار بحري . وكان من الواضح انه بالنسبة للحكومة البريطانية
واميراليتها . كان القلق من الخطر ، ورواسب مائة بحرية قديمة ، والضمان
المتروكة منذ بداية معركة فرنسا ، والتي بلغت أوجها مع الهدنة التي
عقدتها فيشي - كل ذلك انفجر في واحدة من تلك الذوات المظلمة التي
تخطم بها غريزة هذا الشعب المكبوت ، جميع الحواضر احياً

وما كان قط محتملاً بحال من الأحوال ، ان يبادر الاسطول الفرنسي
البريطاني من تلقاء ذاته بالعدوان . وقد كنت حتى لدوام تؤكد ذلك
الحكومة الانكليزية واميراليتها ، منذ حطت اقدامي في لندن . ثم كان
من التؤكد ، في جانب آخر ، ان دارلان لم يذهب من تلقاء نفسه
ويتخلى عن إقطاعه الخاص للأمان ، وهي البحرية ، - دام يتولى امرها ، بصرف
النظر عن جميع الدوافع الأكيدة التي تقتضيها المصلحة الوطنية . واذ
كان دارلان ومرؤوسوه ، قد تحلوا ، في قراراتهم ، عن أداء الدور الراقع

الذي قدمته لهم الأحداث ، و.عشار انفسهم الملاد الاخير لفرنسا ، مذ بقي الاسطول سليماً ، على العكس من الجيش ، فذلك لأنهم كانوا على يقين من الاحتفاظ بـمفهم . وكان اللورد لويدي وزير المستعمرات الانكليزي ، والاميرال السير ادولف ماوند ، اللورد الاول للبحرية قد دحما الى بورديو ١٨ حزيران ، ونالا من دارلان وعد شرف ان سفنا لن تسلم للألمان . وكان بيتان روموان من جاسها قد تمهدا رسمياً بذلك . واخيراً لم تكن مصر من الهدية لتشتمل على اي سد يضع به الألمان ايديهم مباشرة على الاسطول الفرنسي ، عكس ما ادعته وكالات الاساء الانكليزية والاميركية ، في بداية الأمر .

ولكن يجب الاقرار انه كان لانكلترا ان تتوحس حيفة من ان يتوصل العدو يوماً ما الى التصرف بأسطولنا ، تجاه استسلام حكام بورديو واحتمالات تخوّرهم في المستقبل . ومع هذا الاحتمال ، يصح خطر الموت يتهدد انكلترا . وعلى الرغم من الألم والمعضب اللذين كانا يغمران قلوب رفاقي وقلبي من جراء مسألة المرسى الكبير ، وطرائق الانكلير ، ومظهر المباهاة والافتخار الذي ظهروا به ، حكمت بأن حلاص فرنسا فوق كل شيء ، وحتى فوق مصير سفنا ، وان الواجب يقضي دائماً متابعة الكفاح .

وقد أوضحت ذلك بصراحة ، في المذباع يوم ٨ تموز (يوليو) ، فان الحكومة البريطانية كانت من الحدق بحيث وصفت ، بناء على تقرير تلقته من وزيرها للإعلام السيد كوف كوبر ، مذباع الي . بي . سي . تحت تصرفي ، وتقبلت صراحتي ، على ما فيها من اشياء تؤلم الانكليز .

بيد ان ذلك افصى الى خيبة أمل مريرة ، اذ نأثر به فوراً إقبال المتطوعين على التحنيد . وكثير منهم بسين عسكريين ومدنيين ، كانوا يعدون العدة للالتحاق بنا ، مكسوا على اعقابهم . ثم ان الموقف الذي

المحذرة لمجاهدة السلطات في الامبراطورية الفرنسية والناصر البحرية والعسكرية التي كانت تحرسها ، تحول معظم الأحيان ، من التردد الى السخط . ولم تتوان فيشي ، بطبيعة الحال ، عن استغلال الحادث الى اقصى حد . وأوشكت نتائجها ان تكون في غاية الخطورة من جهة انصاف الاراضي الالهربية

ومع ذلك ، استأنفنا العمل في مهبنا ، وحارفت في ١٣ حزيران بأن أعلنت : « ايها الفرنسيون كونوا على علم انه لا يزال لديكم جيش يقاتر » . وفي ١٤ تموز ، مرت «الهواينبول» وسط جمهور ملكه التأثير ، لاستعراض مفارقة الاولى ، وأقصى على رأسها بعد ذلك وضع «قوة مثقلة» لالوان عند نزل المارشال هوش . وفي ٢١ تموز ، حصلت على موافقة عدة من طيارينا للمشاركة في نصب منطقة لروور ، وشترت ان الفرنسيين الاحرار عادوا الى القتال . وفي هذه الاثناء تدت جميع العناصر في التحدث بـ « الفكرة التي عرسمها دارجلينو » وهي الحد صليب لورين شداراً . وفي ٢٤ آب جاء الملك جورج السادس في زيارة لحيشن الصمبر . وكان هذا يحمل من يشاهده على الاعتراف بأن « قطعة السيف » ستسقى بقوة . ولكن يا لله ، ما كان اقصرها !

وفي نهاية تموز ، بلغ مجموع حدودنا او كاد ٧٠٠٠ مقنن . كان ذلك كل ما امكنا تحنيداه في برطانيا العظمى بالذات والناصر العسكرية العربية التي لم تقسم اليها ، اصحت الآن في وحنها . وقد استطاع بعد عام كبير ان يسترد الاسلحة والاعادة التي كانت لديها ، وقد استولى عليها الاسكندر او غيرهم من الحلفاء . اما العرب فانه لم يكن في وسعنا سوى تسليح بعضها ، وكان مما يجر في النفس ان يرى انباني منها سحر في ظل علم اجنسي . وانجذبت وحدتنا الاولى لتشكل شيئاً فشيئاً ، وقوتن وسائل شتى متناقرة ، ولكنها تتألف من اناس ذوي عزيمة .

(١) مفر رسالة لورورة في لندن . (المترجم)

هؤلاء كلهم ، في الواقع ، من ذلك النوع القوي الذي يصح ان ينتمي اليه محاربو المقاومة الفرنسية امسى وجدوا ، فقد كان لديهم ولع بالخطر والمغامرة يفلو حتى يتحول الى فن يحب لدائه ، وارادوا للثامين واللامباليين ، ونزعة الى السويداء ، ومن ثمة ، الى المنازعات في الفترات التي لا يطل بها شبح لخطر ، حتى اذا جاء وقت العمل أخلت مكانها لتأسك شديد متقد وكبرياء قومية حملها الويل الذي حل بالوطن ، والاحتكاك بالحلفاء الميسورين احسن اليسر ، عادة في منتهى الحدة . وفوق ذلك كله ، ثقة مطلقة بقوة تعاضد الخاص وسيمة حيلتهم . وتلك هي السمات النفسية لهابيك النخبة التي انطلقت من لاشيء ، وكان مقدراً لها ان تكبر شيئاً فشيئاً الى درجة جرت بها الأمة كلها ورامها ، والامبراطورية برمنها .

وفيا كنا نحاول ان نصنع لأنفسنا بعض القوات ، فرضت علينا الضرورة ان ننظم علاقتنا مع الحكومة البريطانية . وكانت هذه ، من جهة اخرى ، على استعداد لذلك ، لا تعلقاً منها ابداً بالدقة التشريعية ، بل رغبة منها في ان تركز عملياً ، على ارض جلالته ، حقوق هؤلاء الاشخاص « الدمشقيين » والزاماتهم ، الذين كانوا هم للفرنسيين المحاربين وان كانوا متأكدين بشكل قابل للتوصل .

وكنتم قد تحدثت الى السيد تشرشل منذ اللحظة الاولى عن نيتي في الايعاز ، اذا أمكن ، تشكيل « لجنة وطنية » لادارة مجهودنا الحربي . وكان من الحكومة البريطانية ان نشرت ، عموماً لنا على ذلك ، في ٢٣ حزيران ، تصريحين ، الاول يسكر على حكومة بوردو صفة الاستقلال ، والثاني يأخذ علماً بمشروع تشكيل لجنة وطنية فرنسية ، ويظهر سلفاً زينة الاعتراف بها والتعامل معها في كل شأن يتعلق بمنابعة الحرب . وفي ٢٣ حزيران اذاعت الحكومة البريطانية بياناً يشيد بالعزم على المقاومة الذي أبدته عدة سلطات عليا في الامبراطورية الفرنسية ، ويعرض عليها للعلن

والتماسه . ومنذ ان احداً لم يتقدم الى حكومة لندن ويأخذ المبادرة سوى الجنرال ديفول وحده ، فان تلك الحكومة تعترف به علانية « رئيساً للفرنسيين الاحرار » .

شرعت هذه الصفة ادن ، في اجراء المعاملات اللازمة مع لورير الاول و « المورين اوقيس » ، وكانت نقطة الانطلاق مذكورة اوصولها بنفسه الى السيد تشرشل واللورد هاليفاكس . وكانت النتيجة اتفاق « آب (اغسطس) ١٩٤٠ . وكانت هناك عدة شروط كت انشدت في شأنها ويهي امرها ، سبباً في مباحثات دقيقة بين المتفاوضين : السيد سترايخ ، صدوب حلفائنا ، والاستاذ رنه كاستان مندوبنا .

لشدت في ان تضمن بريطانيا المظن حدود لوطن لأم ونخدم الامبراطورية الفرنسية الى ما كانت عليه ، وانا اؤامد الاقتران ان تسوق قللت الحرب اكلدرا الى صلح نسوية من جهة ، ويمنبر من جهة اخرى ان البريطانيين يمكن ان يفرهم حرصاً ، الاستيلاء على هذه او تلك المنطقة من ممتلكاتنا وراء البحار ، واشيراً ، قل الاكثير بتسجيل هذا الوعد وهو « الاعادة التامة لاستقلال فرنسا وعظمتها » ، ولكن من غير تعهد بتعلق بمحدود اراضينا .

وعلى الرغم من اقتناعي بأن بدير العمليات العسكرية المشتركة في البر والبحر والحو ، رؤساء اكنيز ، نظراً لسياسة وسائلنا الى وسائلهم ، فقد احتفظت في جميع الحالات بـ « القيادة العليا » للقوات الفرنسية ، ولم اقل لها سوى « التوجيهات العامة من قبل القيادة البريطانية » . وهكذا ركزت صفتها الموسمية الخاصة . ثم لي بيت بنوع خاص - وذلك لم يحصل بغير اعتراض من قبل البريطانيين - ان المتطوعين « لن يحصلوا السلاح ضد فرنسا » بحال من الأحوال . وذلك لم يكن يعني انه لا يجوز لهم ابداً محاربة فرنسيين . كان الواجب يقتضي ، وأساءه ا توقع المكس ،

فإن فيشي ، على ما كانت عليه ، لم تكن فرنسا في شيء . ولكن ذلك الشرط كان يرمي إلى ضمان العمل العسكري الحليف الذي اختلط به عملنا ، ظني اللحظة التي يصطدم بها وقوات فرنسا الرسمية ، لا يجوز استخدامه ضد فرنسا الحقيقية ، ولا لإيقاع الضرر بثرائها ولا مصالحها .

وإذا كان الاتفاق على قوات فرنسا الحرة ، مما يجب أن تتولاه الحكومة البريطانية مؤقتاً ، حسب الاتفاق ، بسبب من انعدام كل مورد لدينا في الأساس ، فقد حرصت في أن تنص صيغة الاتفاق على أن الإنفاق يكون سلفاً ، والدفع يكون يوماً ما مؤمناً ، بعد أن تحسم المساواة والخدمات التي نقوم بها نحن مقابل ذلك . وقد جرى الدفع الكامل فملاً ، حتى أثناء سير القتال ، على نحو لم يبق معه مجهودنا الحربي قط على حساب أنكلترا .

وأخيراً رغم الحاجة الماسة إلى الحملة البحرية التي كانت تمّ البريطانيين الأكبر - وهو تمّ جدّ مشروع - سلطنا لهم بعدد عشاء بإشياء « رابطة دائمة » بين مصالحهم ومصالحنا تنظيمياً لـ « استمهال سفن التجارة الفرنسية وبجارتها » .

وقد وقفا ، تشرشل وأنا ، هذه الوثيقة معاً في وزارة المال البريطانية . كان لاتفاق ٧ آب أهمية عظمى بالنسبة لفرنسا الحرة لا لانه أقامها في الحال من الورطة المادية وحسب ، بل لهذا السبب أيضاً ، وهو أن السلطات البريطانية عدت ولديها قاعدة رسمية في علاقاتها بنا ، لا تتردد بعد في تسهيل أمورنا . ثم إن العالم برمه عرف ، على الأخص ، أن بداية تصامن فرنسي - إنكليزي تركرت رغم كل شيء . وما لبثت نتائجها أن أخذت تظهر في بعض أراضي الإمبراطورية ، وفي الحالات الفرنسية التي تقع خارج بلادها . ولكن دولاً أخرى أيضاً ، وقد شهدت برصديا العظمى نعمد إلى بداية اعتراف ، مشيت بصح خطوات

في ذلك السبيل نفسه . وكانت تلك هي حال الحكومات اللاحقة في
انكلترا ، اول الأمر ، وهذه صفة القوى ولا شك ، غير ان قوتها
ونفوذها الدوليين ما زال قائم .

ذلك بان كل واحدة من أهم اوروبا التي احتاحتها جيوش متارحلت
دولتها الاستقلال والسيادة معها الى سواحل حرة . وكذلك كان شأن
الامم التي احتلت المانيا او ايطاليا اراضيها من بعد . وما من حكومة
رضيت قط ان تحمل بر المرأة سوى - واحسرتاه ! - تلك التي كانت
تقول عن نفسها إنها حكومة فرنسا وكان لها مع ذلك ، امبراطورية
وسعة تمت تصرفها ، تحرسها قوات كبيرة واسطول يعتبر من اوائل
الاساطيل في العالم .

وكما تكاثرت مكبات حزيران ، كانت بريطانيا العظمى تشهد فوق
رأبها ملوك كل من النرويج ، وهولندا ، واللوكسمبورج ، وورراء هذه
الدول ، ثم رئيس الجمهورية البولونية وورراءها ، وبعد فترة قصيرة ،
الوراثة البلجيكية . وشرع اللشيكوسلوفكيون في تنظيم انفسهم ، وطلق
ملك المانيا في احراء بعض الاتصالات . وكانت انكلترا تقدم الصياغة
لهذه الدول اللاجئة بوحى من كرم ومصلحة مما ، اد بلى لها ، بالفأما
بلغت من الحرّة ، بعض الشيء . وكثيرون منهم كانوا يحملون الذهب
وأرصدة النقد النادر . وكان للهولنديين اندونيسيا واسطول لا يستهان
به ، وللنرويجيين الكونغو ، وللبولونيين جيش صغير ، وللنرويجيين سفن
تجارة عديدة ، وللشيكيين - او الرئيس ييش على وجه أصح - شكات
استخبارات في وسط اوروبا وشرفها ، وصلات ناشطة مع الأميركان .
يضاف الى ذلك ان انكلترا لم تكن غير آبهة لاردياد نفودها وظهورها
على انها السور المنيع الرفيع للعالم للتقدم في حالة الصياح .

كانت فرنسا الحرة التي لا تملك شيئاً ، تحربة شائقة ، في نظر

اولئك المثليين . ولكيها كانت تجتذب ، على الاخص ، اكثرم قللاً ،
واشدهم بؤساً ، كالبولونيين والشيكيين . كنا في نظرم ، نحن الذين بقينا
أمناء لتقاليد فرنسا ، نمثل لهم بذلك وحده ، املاً وقطب التجذاب .
وكان من سيكورسكي وبينش خاصة ، على ما في حياتها من ظلة وسط
النساء والملابس الحساسة التي تزيد ويلات بلدها ايلاماً وتعقيداً ، ان
انشأ معي صلات دائمة مستمرة . وربما لم أشعر قط من قبل ما كانت
عليه رسالة فرنسا الى العالم ، افضل مما شعرت به في اعماق تلك الحقبة .

وبينا كنا نجهد في ان نؤمن لفرنسا بداية هبة مولية ، حاولت ان
يكون لها نواة سلطة وادارة منظمة . وكان مما يبعث على السخرية ان
احمر « حكومة » تلك المنظمة الابتدائية التي ألفتها حولي ، ولم يكن
يعرفني احد تقريباً ، ولا كنت املك شيئاً ابداً . غير اني اردت ان
ادور امكانية تهرج جديد للسلطات العامة في الحرب ، اذا منحت الفرصة
لمثل هذا العمل ، اذ كنت مقتنعا ان فيشي ستنتقل من عثرة الى عثرة
حتى يبلغ المضيق في المخطاطها اخيراً ، وكنت قد أعلنت عدم ترحيبي
عهد قام بموالاة العدو وخدمة اعراضه . وحرصت ايضاً منهي الحرس ،
على ان لا اني شيئاً وان «الص » يمكن ان يسيء ، عند الاقتضاء ، الى
اعادة لجميع الدولة . ولم أودع شيئاً الى اولي الامر في الامبراطورية ،
سوى توحيد الكلمة في سبيل الدفاع عنها ، حتى اذا لمس الناس عدم
كفاءتهم قررت ان أشكل نفسي « لجنة وطنية » بسيطة ، في اللحظة
التي يفدرو بها ذلك ممكناً .

وكان يلزمي ايضاً ان يتقدم لمعوني شخصيات بارزة من أولي الكفاءة .
وقد حسب بعض المتعاطلين ، في الايام الاولى ، اننا قد نجد تلك الشخصيات
ساعة شاء . وكانت الاباء تقري ، من ساعة لساعة ، ان فلاساً من
رجال السياسة المعروفين ، وفلاساً من الحزلات الشهيرين ، وفلاساً العالم

«لا كاديني خليل» ، انتقل الى لشونة او أبحر الى ليدربول ، ولكن سرعان ما يتلو اعلان النساء تكديبه . وفي لندن نفسها لم يعضو الفرنسيون البارزون الى فرنسا الطرة ، الا في القنصل القادر من انديس كانوا يقيمون فيها ، إما أداء الخدمة وإما عرساً . وكثير منهم طلبوا ترحيلهم . وبمصرهم ظل في مكانه بصطبع الولاء لفيشي . أما أولئك الذين وقفوا ضد الاستسلام فقد راح فريق منهم ينظم مفاه الحسان الخاص في «كلترا» ، في الولايات المتحدة ، والفريق الآخر اُخذ في خدمة الحكومة البريطانية او الحكومة الاميركية ، وقليلة كانت «الكفاءات» التي انصوت الى فريق .

لقد قد لي السيد كوربان مثلاً ، وكان مدير فرنسا ، انت على صوب ا رأنا اندي كرتت القسم لأكثر من حياتي وخدماتي لقصة التعذيب الفرنسي - البريطاني التحدث موقفاً صريحاً في ان قدمت استدلالي عداة بذلك ولكي انا موظف قديم ، أعيش وأعمل منذ اربعين سنة ضمن هذا لاطار المعتاد ، والاشفاق عنه شيء حد كثير «لله لي» .

وكتب اي السيد جان موبه ، انت بخطيء في تشكيل منظمة يمكن ان ترمي في فرنسا على انها أنشئت تحت حجة انكلترا... وأنا شاركك الغرم كلياً على مع فرنسا من التخلتي عن اتصال ولكن جهد الاسماء لا يمكن ان ينطلق من لندن .

وكان السيد ريه مابر ينشبع قنلاً ، يجب ان عود الى فرنسا حتى لا ينمصل مصري من مصر اخواني في الدين الذين يتعرضون بها للاضطهاد .

«كان السيد ريه» يؤكد لي «أنا أوافقك» ، واني مرحبتي سأبدل كل شيء في «سعي لإعانة فرنسا على اليهود سواء في الوطن الأم او في الامم الطورية» .

وصرح لي السادة : اندريه موروا ، وهنري يونيه ، ودي كيريلس :
« نحن ذاهبون الى اميركا ، ومن هناك ، مع ذلك ، نستطيع ان نكون
انفع من نكون لك » .

وأخبرني السيد رولان دي مارجيري : « عيّنت قنصلا عاما في
شنغهاي ، سامر بلندن ، لا لألتحق بك ، بل لأنتقل الى الصين . وفيها
سأخدم ، كما تفعل انت هنا ، مصالح فرنسا » .

وأشدني السيد « بير كوت » ، وهو الذي أذهلته الأحداث ، عكس ما
عرض السيد دي مارجيري ، ان انتدبه لأية مهمة ، « ولو تكنيس الدرج » .
بيد انه كان جليل الشأن لدرجة مدا معها ذلك امرا مستحيلا .

وعلى الجملة ، كان ذلك الامتناع العام تقريبا الذي أبدته الشخصيات
الفرنسية ، اية كانت البواحت عليه ، لا يرفع بكل تأكيد ، رصيد
الحركة التي قمت بها ، وكان علي ان أوصل تشكيل لجنتي الى ما
بعد . وكلما قل عدد الأعيان الذين يأتون ، قل عدد الذين يرغبون
في الاقدام .

غير ان البعض منهم ، وقفوا مع ذلك ، الى جانبي في الحال ،
وأضفوا على المهات التي اضطلموا بها فعاءة ، حجة وشاطا ، صمدت
السفينة بفضلها في البحر ، وسيطرت عليه رغم كل شيء . كان الاستاذ
كاستان معاوي - وما انفس عونه ! - في جميع الأعمال والوثائق التي
رَكَز عليها ، انطلاقا من لاشيء ، بنياسا الداخلي والخارجي . وكان
على « انطوان » ان يتولى ادارة الخدمات المدنية الأولى ، وهي مهمة في
منتهى المفقوق خلال ذلك الدور من الارتجال . وكان لابي ، وأسكارا ،
ثم ما كان - وهذا الأخير علك في البحر مع زوجته ، وهو يؤدي
واجبه ، بعد قليل من فسله - يؤمسون العلاقات مع مكاتب اللورين
أوفيس ، ومكاتب الحكومات الأوروبية في القنص ، ويقومون هذا

ذلك ، بالانصراف بالفرنسيين المقيمين في الخرج ليس كنت قد طالت
عمولتهم وتولى شؤون حالتنا الصعبة « ليس » و « دوبيس » ، وراحا
يعدّان الاحوال التي تستطيع ان تعيش بها الجاليات المصعبة وكانت
« شومان » صوت مرصا الخرة في المدياح ، و « ماسيب » يجرد الصحافة
ويلقي اليها المعلومات التي تخصنا ، و « ميس » نظم مع حلفائنا اسلحهم
الفن ومخارة التجارة الفرنسية

ومن الناحية العسكرية الصرف ، نظم موريليه ، يساعد دارجايو ،
ماغران هيربيريه يساعد كوبينغ ، سيجو يساعد راسكور ، انضموا
على التوالي الوحدات الاولى البحرية والبرية والجوية ، و « كل الى » « ورون »
امر السلاح ، وألف قبضته ، وديراهران ، وهيتيه دي موالامير وكان
حربي . وقام جومروا دي كورسيل الى حاسي ، بوظيفة رئيس ديوان ،
ومرفق عسكري ورحمان ، وفي اعطب لأحيان مستشار طبيب كعز .
اولئك هم اعضاء « الخاشية » الذين كانت تشجعهم دعاوة العدو على انهم
لئمة من الخونة ، والمرزقة ، والمغامرين . ولكنهم ، وقد رفعهم عظم
الهمة ، تساندوا حولي في المراء والمرءاء .

وكان الجنرال سبرز صلة الوصل بينا وبين المصالح البريطانية التي
لم تكن يومذاك في غنى عن ممولتها . وكان يؤدي مهمته هذه بصلابة
ومهارة ، يقتضيني الواجب أن أقول إنها أعادت في تلك البدايات القاسية ،
فائدة جوهرية . وما كان هو نفسه ليلاقي مع ذلك ، من الجباب
الامكليزي ادس تسيل ، فان التزممت في الانتظام الاداري ، والتقييد
بتسلسل الرتب ، كما يتلقيان بحذر هذا الشخص الذي ينتمي الى فئات
عديدة ومتنوعة ، دون ان ينصف في أي منها ، اذ كان عضواً في
البرلمان ، وضابطاً ، ورجل اعمال ، ودبلوماسياً ، وكاتباً ، في آن
واحد . ولكنه كان من جانب ، يستخدم ذكائه في الامور ، ويُفيد من

الخوف الذي تمت عليه زكاته اللاذعة ، والالطف الساحر اخيراً الذي يحسن ظهارة عند المناسبة ، لطف الروتين . وكان مصافاً الى ذلك ، يحمل نجاة فرنسا التي يعرفها بمقدار ما يستطيع اجني ان يعرفها ، ضرباً من حب قلق ، نزاع الى السيطرة .

وفي الوقت الذي كان به كثيرون يأحدون محولتي على انها معاصرة تضايقتهم ، ادرك سير في الحال طيعتها ومداهها وقد تحملت بحماسة ، مهمته لدى فرنسا الحرة ورئيسها . بيد انه كان ، وان اراد خدمتها ، غيرون منها اكثر من رغبته في الخدمة . واذا كان يوافق على استقلالها تجاه الآخرين جميعهم ، فقد كان يستشعر بالأم ذلك الاستقلال حين ينتصب واقعاً امامه . ولذلك ، تحتم على الطوال سير ان يصدق ذات يوم عن حركتنا ، وبأحد في محاربتها رغم كل ما فعله ، في المطلق لمساندتها . ألم يكن بشر ، في حى معارضة ، بالأسف لمجزءه عن قيادتها ، والأسى لتخليه عنها ؟

ولكن فرنسا الحرة لم تكن لتلاقي بعد ، عند ولادتها ، ذلك النوع من الخصومات التي يبعث عليها النجاح . كانت تقلب مضطربة وحسب ، في الارراء التي هي بسبب الصفاء . وكنا نعمل ، وفائق وأنا ، في سنت استيفر هاوس ، على جسر ، التامير ، في مسكن مؤثث بوضع طاوولات وكراس . ووضعت الادارة الامكليزية تحت تصرفنا ، في ما تلا من ايام ، بناء في « كارلتون غاردنز » اكثر راحة ، جعلنا بها مقرنا الرئيسي . وهناك راحت تنهال علينا ، يوماً بعد يوم ، موجات الاخفاق ، ولكن هناك ايضاً طفق سيل التشجيع يتدفق علينا ويرفعنا فوق امنا .

ذلك ان شهادات التأييد أخذت تترى من فرنسا ، وكلت البسطاء من الناس يبعثون إلينا رسائل ومحادثات عبر أبرج الطرق ، وبالتواطوء

أحباً مع المراقبين ، كهذه الصورة العوتوغرافية التي أخذت من على
 ساحة السمعة « الايتوال » في ١٤ حزيران لدى وصول لالمان ، وهي
 تظهر حملاً من النساء والرجال المنحوعين حول ضريح الجندي المجهول ،
 وقد أرسلت بتاريخ ١٩ حزيران ، وعليها هذه الكلمات : « سمعناك
 يا ديمول ! الآن نحن نتظرك ! » . وهذه صورة قبر مملتي ناكوم
 الزهر ، بلها المارة فوقه ، هو قبر والدتي ، وقد ماتت في بيمون ،
 في ١٦ تموز ، وهي تقدم آلامها قريباً لله ، من أجل خلاص الوطن ،
 ورسالة ابنها .

هكذا ، كان في وسعنا ، أن نقبس رنين الصدى الذي لقيته في
 أعماق الشعب ، رفضنا الهزيمة . وكان لدينا الدليل ، في الوقت نفسه ،
 على أن المواطنين يستمعون الى مدياح لندن ، في أرجاء البلاد جميعها ،
 وهذا كانت لدينا وسيلة حرب قوية . وكان الفرنسيون المقيمون في
 الخارج يسطرون ، من جهة أخرى ، صدى الشعور القومي بنفسه . وكثير
 منهم اتصلوا بي ، كما طالت اليهم ، وتجمعوا لمساعدة فرنسا الحرة . وأخذ
 المبادرة في هذا الاتجاه . عالمليف وغيريت في لندن ، هودري وجاك
 دي سيثس في الولايات المتحدة ، سوتيل في المكسيك ، البارون دي
 بنوا في القاهرة ، عودار في طهران ، غيرن في الأرجنتين ، راندو
 في الداريل ، بيرو في تشيلي ، جبروجوف في استنبول ، فكتور في
 دلهي ، ليماي في كلكوتا ، ماريه في طوكيو ، الخ . وما لبثت أن
 تأكدت أن الشعب يمتنع ما بقي لديه من عزة وأمل على فرنسا
 الحرة ، رغم ضغط سلطات قبضي ، وافتراءات دعايتها ، وميمان عدة
 كبير من الناس . وكان ذلك النداء الأسمى من قبل الأمة ، يفرض على
 أن أرم نفسي بشيء ما ، وهذه الفكرة لم تنأ عن ذهني قط لحظة من
 اللحظات ، في كل ما كان يجب عليّ الشروع به وتحمله .

وكان التسدير والعطف ، يجعلان بالفرضيين الأحرار في انكلترا
نفسها . وأراد الملك أولاً أن يظهرها لهم . وكان واحد من أعضاء
امرك قام مخوم بمثل ما قام به ، وكان اللورداء والسلطات ، من جهة
اخرى ، لا يتركون ماسة تمر دون ان يمتصوها للإعراب عن مشاعرهم
الطيبة ، بيد أن احداً لا يستطيع ان يتصور اللطف السخي الذي أبداه
الشعب الانكليزي تجاهها في كل مكان ، إذ راحت جميع صروب الأعمال
'تقتشاً' لمساعدة متطوعين . ولم يكن في الامكان تعداد لأناس الذين كانوا
يقدمون البنا ، يضمون عليهم ووقتهم ومالهم تحت تصرفنا وفي كل
مرة ، كن يحدث لي أن اظهر في حفل عام ، أجسد نفسي وسط
تظاهرات من التأييد والتشجيع . وحين نشرت صحف لندن نبأ الحكم
الذي أصدرته عليّ لبيسي بالاعدام ومصادرة املاكها ، وضع عدد من
الحل في 'كارلتون عاردينز' ، من قبل اناس تركوا اسماءهم مغلقة ،
وأرسل عدد كبير من الأراامل المجهولات خواتم زواجهن ، بنية ان
يسم ذلك الذهب في جهود الجنرال دينبول .

يجب القول إن حوا موتارا كان يظن انكلترا آسداك . لو كان
الناس ينتظرون الهجوم الألماني بين لحظة وأخرى ، وإزاء هذا التوقع ،
راح الخلق جميعهم يشدون عرائشهم بصمود بصرب به المثل . لقد كان
مشهداً يمت على الاعجاب ، خاصة إذ ترى فيه كل انكليزي ينصرف
كما لو كانت سلامة البلاد معتمدة على سلوكه الخاص . وكان هذا الشعور
للعام الشامل بالمسؤولية ، يسود أكثر إثارة ، في حين ان الأمر كله
كان معلقاً ، في الواقع ، على الطيران .

فلينوصل العدو ، فعلا الى القصر على ارملة الجوز ، وهذا تكون
نهاية انكلترا ! الاسطول يُقصف من الجو ، واجاب به لا يحول دون
القوافل الألمانية من حور بحر الشمال . والحيتان لا يكاد يرتفع بقوته

عن اثني عشرة فرقة ، تولت بها عن شديدة في معركة فرنسا ،
وجردت من السلاح ، لن يكون قادراً على صد الجنود عن الدخول ، ثم
لن يكون من الوحدات الألمانية الكبرى ، إلا ان تحتل بسهولة اراضي
الجزيرة كلها ، على الرغم من المقاومات المحلية التي نظمها ، الهجوم
غوارد ، (الحرس الوطني) . ومن المؤكد ان الملك والحكومة يكونان
قد رحلا في مدة من الوقت ، الى صيدا . ولكن المظلمين ، كانوا
يتهامون بأسماء الساسة ، والأساقفة ، والأدباء ، ورجال الاعمال الذين
يتعاملون ، في مثل تلك الحالة المحزنة ، مع الالمان ، لتأمين ادارة البلاد ،
تحت ظلهم .

بعد ان هذه كانت تكهنات لا تسمى سواد الناس . فقد كان الاسكندر
بمجموعهم ، يستعدون للقتال بلا هوادة ، وحتى النهاية . وكان كل
مواطن ومواطنة ، يلجأ شكة التدابير الدفاعية . وكل ما كان من :
بناء ملاجئ ، وتوزيع أسلحة ، وأدوات ، وعناد ، وأشغال مصانع ،
وحقول ، وخدمات ، وأوامر عسكرية ، وتقنين مؤن ، قد نظم على
نحو لا زيادة فيه لمستزيد من حيث الحيلة والانسباط . ولوسائل
وحداتها ، كانت تبرز هذه البلاد ، التي اعلنت ايضاً ، منذ زمن طويل ،
أن تكون على اهبة . ولكن كل شيء كان يجري كما لو ان الاسكندر
أخبروا ان يمتدحوا بقوة التضحية ، مما كان ينقصهم . وحتى الصحراء ،
من جهة اخرى ، لم يفتقدوها . فقد نشرت صحيفة صورة كاريكاتورية
تمثل الجيش الألماني الهائل وقد بلغ بريطانيا العظمى ، ولكنه توقف
على الطريق بدباباته ومدافعها وقنابلها وحفاراته ، أمام حاجز من خشب ،
وقد رفعت عليه لافتة كتب فوقها : انه يجب دفع بنية ليسمح
بالمرور . ومنذ كان للقيم على المهاجر الخشي وهو اسكليزي عجوز
لطيف ، ضئيل الهيكل ، ولكنه صلب ، لم يتلق من الالمان جميع
النساء الاجنابية ، فقد رفض رفع الحاجز رعم العصب الذي حث

رثا من الغزاة المهول ، من أقصاه الى اقصاه .

واستنفر ، في هذه الاثناء ، سلاح الجو الملكي على اراضييه ، فتأهب . وراح كثير من اساء الشعب ممن يتشوقون الى الخلاص من ذلك التور الذي يكاد لا يطاق ، ينصرون علناً ان يحازف العدو بالهجوم . وكان السيد تشرشل ، وهو اول هؤلاء كلهم ، قد فرغ صدره في الانتظار . وانني لا ازال اراه ، في وزارة المال ، في ذلك اليوم من آب ، يوجه قبضته نحو السماء : « لم يقدموا اذن ! » فقلت له : « هل انت لهذه الدرجة تتمجبل رؤية مدسك تندكدك ؟ » فقال لي : « اعلم ان نصف اوكلورد ، وكانقري ، وكوفنري ، سيثير في الولايات المتحدة موجة من السخط عارمة لدرجة يدخلون معها الحرب ! » .

وأبدت على ذلك بعض الشك ، مذكراً ان البلاء الذي نزل بفرنسا قبل شهرين لم يخرج اميركا من حيادها . فأجاب للوزير الاول مؤكداً : « انما كان ذلك ، لأن فرنسا انهارت اسياتي الاميركان عاجلاً أم آجلاً ، ولكن شرط ان لا نلين هنا . وذلك هو السبب الذي لا يجعلني افكر الا في طائرات المطاردة » . وأصاف « انت ترى اني كنت على صواب حين رفضت تقديمها في نهاية معركة فرنسا ، فلو كنت الان بحطمة انتهى كل شيء بالخسران سواء لديكم كما لدينا » . قلت بدوري : « ولكن العكس هو الصحيح ، لو ان طائراتكم المطاردة تدخلت يومذاك لربما كانت قد انصت التحالف ، وجرت الجانب الفرنسي الى متابعة الحرب في المتوسط ، ولحقت الخطر الذي يتهده البريطانيين ، وارماد تحفر الاميركيين لحوض الميدان في اوروبا وافريقيا . وانتهينا ممأ بتواضع الى الاتفاق على الاستخلاص من الحوامث التي تحطمت الغرب ، هذه النتيجة النافية ، ولكنها كانت نهائية : انكلترا بعد كل حساب جزيرة ، وفرنسا رأس بحري لقارة ، وأميركا عالم آخر

افريقيا

كان لدى فرنسا الحرة في شهر آب (اغسطس) ، بعض الوسائل ،
وبداية تنظيم ، وشيء من الشعبية ، وكان عليّ ان أفيد في الحال ،
من ذلك كله .

ولئن كنت ، في مجالات اخرى ، هدفاً تتجاهه لارتناكات ، فانه
لم يكن في ذهني اي شك فيما يختص بالعمل المباشر الذي اشرع به .
لقد استطاع هتلر ان يربح الجولة الاولى في اوروا . ولكن الجولة الثانية
على وشك الابتداء ، وهذه على المستوى العالمي . ويمكن ان تسنح يوماً
ما فرصة الحصول على تقرير المكان الذي يمكن ان تجري فيه ، اي على
ارض القارة القديمة . وكان علينا ، نحن الفرنسيين ، خلال فترة
الانتظار ، ان نتابع الصراع في افريقيا . وكان في نيتي ان اسلك ،
طبعاً ، الطريق التي حاولت هنا ، قبل اسابيع ان احرز الحكومة
والقيادة اليها ، ما دمت اضطلع الآن دفعة واحدة ، بما بقي من هذه
وتلك ، في الحرب .

كان متاحاً لفرنسا ، في الواقع ، ان تستعيد بناء جيش وسيادة ،
في مساحات افريقيا الشاسعة ، بانتظار دخول حلفاء حدد في الميدان الى
جانب القدماء ، بقلب ميزان القوى . وافريقيا تقدم ادراك ، قاعدة

انطلاق قائمة على شاء الحرر . إيطاليا ، النقاد ، اسبانيا ، العودة الى اوروا ، وهي قاعدة حدث انها كدث فربية . بصرف الى ذلك نها لا بد ان توثق الروابط المشتركة بين الوطن الأم وأراضي ما وراء البحار ، اذا تم التحرر الوطني يوماً ما يفصل قوات الامبراطورية . وادا الحرب انتهت بدون ادنى محاولة لتذللها الامبراطورية لإنقاذ الوطن الأم ، افنى كل ما عملته فرنسا في امريكا ، بلا ريب ، الى الخسران .

وكان متوقفاً ، من جهة اخرى ، ان ينقل الألمان القتل الى ما وراء المتوسط ، اما ليضمطوا به على اوروا ، وإما ليعتصروا فيه مجالاً ، وإما ليساعدوا شركاءهم الطليان - واحتمالا الاسبان - ليرداد فيه مجالهم سعة . وكانت القتال حتى فـ قد بدأ . والمهور يرمي الى بلوغ السويس ، فاذا نحن بقيا سلبين في افريقيا فمكن اعداؤنا ، عاجلاً او آجلاً ، من وضع ايديهم على بعض ممتلكاتنا فيها ، بيتا يضطر حلفاؤنا مع مجرى العمليات الحربية ، الى الاستسلام على هذه او تلك من اراضيها اللارعة بالضرورة ، لاسواقبيعتهم .

كانت المشاركة في معركة افريقيا بفوات وأراضي فربية ، تعني وكان قطعة من فرنسا عادت تدخل الحرب من جديد ، كانت تعني الدفاع مباشرة عن ممتلكاتها ضد العدو . كانت تعني قدر المستطاع ، تحويل امكلترا ، وربما اميركا يوماً ما ، عن الفتنة التي تراودها في الاستئثار لنفسها بكفاحها ، ولحسابها . وكانت تعني اخيراً ، انقراع فرنسا لحرمة من النمى ، ووضعها سيادتها الثامنة على ارض الوطن .

ولكن من اين يقترب من امريكا ؟ ما كان في استطاعي ان انتظر شيئاً ايجابياً ، في الحال من مجموع افريقيا : الجزائر ، المغرب ، تونس . وقد ترمى الى مادي ذي يده ، والحق يقال ، عدد من رسائل التأييد ، وحبها محال علىيات ، وحميات ، وحلفات ضباط ،

وفروع من رابطة المحاربين القدماء ، ولكن سرعان ما أعقب هذه الرسائل التحطّي في الوقت الذي اتسمت به العقوبات والرقابة ، وجاءت مأساة مرسى الكبير تحقّق آخر انقاس المقاومة . وكان يلاحظ من جهة أخرى ، شيء من « التضعف الحبان » ، ان الوحدة تركت بلادهم خارج الاحتلال . وكانت السلطة الفرنسية فيها ، تبدو في ظلّ شكل عسكري حارم ، يطامس المستوطنين من غير ان يزجج الفلّين . وهناك أخيراً مظاهر شتى لما كانت تعبّه قبشي « الثورة القومية » ، وفيها استجابة لبرعات الكثيرين : دعوة الأعيان ، احترام للإدارة وإبرارها ، استعراضات للمحاربين القدماء ، اظهار اللامية كان هناك تركّز في الانتظار ، بقول موجز ، مع استمرار في التفكير ، ان افريقيا الشمالية يمكن يوماً ما ، ان « تعمل شيئاً » . وما كان لأحد ان يمتدّ ، في الداخل ، على قيام حركة نشأ حقواً . أمّا ان اقض فيه على السلطة بوساطة عمل يأتي من الخارج ، فهذا ما لم يكن في مستطاعي ، قطعاً ، ان افكر فيه .

كانت افريقيا السوداء ، تقدّم لنا امكانات مختلفة كل الاختلاف ، فهي الايام الأولى من قيام فرنسا الحرة ، دلت الرسائل التي وردتني ، والمظاهرات التي حوت في دكار ، وسات - لويس ، و « أراغادوغو » ، وأبيدجان ، وكوتاكري ، ولومي ، ودوالا ، وبراغويل ، وثانغارييف ، ان استمرار الحرب يبدو ، في نظر هذه البلدان الحديثة التي تسيطر عليها روح الانشاء ، امراً سائراً في طريقه ، من تلقاء ذاته . ولا ريب ان موقف الادعان الذي اتخذه نوغيس احيراً ، والابطاع السيء الذي أحدثته قضية وهران ، وسلوك براستون الذي كان حاكماً عاماً لافريقيا الاستوائية بإدىء دي بدء ، ثم منصوباً سامياً في دكار ، وهو الذي صيغ حناسة السكان بما ران عليه من التباس - كل ذلك خفف من

غليان أفريقيا . ولكن النار ظلت ، مع ذلك ، تحت الرماد في معظم مستعمراتنا .

وإنما كانت مجالات الأمل تفتح ، على الأخص ، في مجموع أراضي الاستوائية . وكانت حركة المعارضة الهندية تشمل جميع الأوساط في الكامبيون خاصة . فقد أعاظ الإسلام سكان هذا البلد الحي النشط ، فرنسيين ، ومواطنين أصليين على السواء ، وما كان الشك ليحالج أحداً فيها ، من جهة أخرى ، أن انتصار هتلر سيصد السيطرة الجرمانية التي كانت تخضع لها قبل الحرب العالمية الأولى . وكان الناس يتداولون ، وسط الهياج العام ، نشرات يعلن فيها بعض المستوطنين الألمان القدامي من اسحبوا سابقاً إلى جريرة فرزندو ، عودتهم القريبة إلى مراكزهم واعراسهم . وكان أن تألعت لجنة عمل حول السيد موكليز ، مدير الأشغال العامة ، ومنعني تأييدها . ولا ريب أن الحكم العام برود ، إنما رفض الانحياز إلى جانب ما ، وهو ذاهل تحت وطأة الوضع الجديد . ولكن كان في الامكان التصور ، أن قدماً حارماً برود من الخارج ، يؤدي إلى حل المشكلة .

وكانت لأحوال في تشاد ، تبدو أفضل أيضاً ، فإن الحكم فليكس ايسويه ، استجاب قوياً ، لالتقاء نحو المعارضة . وكان هذا الرجل ذو العظيمة والشجاعة ، هذا الاسود المتمسك لهوميته ، هذا الفيسوف الانساني ، يفتي بكل كيانه إحصاع فرنسا ، وطهر المصرية المذرية . لقد اتحد السيد ايسويه قراره محدثاً ، منذ علم بتداعي الأولى ، متعقاً بذلك مع اميه العام ، لورانتني . ومالت العصر العربية من السكان إلى الجانب معه . وكانت حوافر الشيعة لدى الكثيرين ، بعد كل حساب ، هي حوافر العقل أيضاً . وكان العسكريون قد احتفظوا بالروح الحربية في مراكزهم ، لاحتكاكهم بليبيا الإيطالية ، وراحوا

يتطلبون الى التعدادات التي يمكن ان يدرهم بها دخول ديفول ، وما كان
 للموظفون ، والتعداد الفرنسيين ، في الزعماء الاقربيين ، ليحسروا
 بالتمسك في ما يكون عليه حصة بلاد الاقتصادية ، في أعلفت بوجوههم
 هناك ايوان موقف الطسيع ، وهو يحذر الخريطة ، وأصغري احويه
 نفسه على هذا الوضع ، فأرقت فيه في ١٦ عمر ، ووحده في "خوب" ،
 في تقرير مودين يحذر في عن شة لاصد علما ، ويعرض وصاع الدواع
 وحياة الارض التي فوصت اليه هربا من جرسها ، وبطلب احيرا
 ان اعمل ما كنت في حرد عمل ، وهو ان اسمح به بحمل تسماته ، في
 حل صلب النورس .

وكان موقف في "الكوممو" ، يتردى اكثر عموماً ، فقد قدم لحكم
 العام بوسون في رار ابل ، سحر منسب قور (يوليو) ، ثم أقام من
 نمة في دكار ، وهو ، مثل كاتي لاسر في مجموع البلدان الاستوائية
 وكان قد برز في حرد مودين ، في ، وهذا جندي يستحق
 التقدير ، ولكنه كان حذر منط راف ، فهو عن الرعم من الكرب
 الذي عثرته به شكته ، في عجزاً عن ريب عتق نفسه من الولا
 ديشي ، وكان المخرج في ، وهي ، حيث انجاز كثير من العناصر الى
 نقادمة ، متوعدة كائناً عن موقف الكوممو ، على العكس كانت العاون ،
 وهي مستعدة ، شاحد بالعمد ، في ، تقليداً الى نفسه عن غيرها
 من رحي المنظمة ، فقد أفاض ، في ، وساعها ، على تحفظ غامض
 لا يسر عوره .

قررت دول ما قررت ، في ، بعد الاعتد موقف في فريق
 السود ، العربية ، ان الحصول في افضل مهلة ممكنة ، مع مجموع البلدان
 الاستوائية ، كانت احسن ، هذه العملية لا تستلزم اشتراكا عسكريا
 حذراً ، مستاء العاون ، من غير شك ، ثم اشرع ، اذا بحسبت

هذه الخطوة الاولى ، في العمل في افريقيا الغربية ، بيدني لا يستطيع الشروع في هذه الرقعة الا بعد جهد طويل وحيازة وسائل مهمة .

كانت المشكلة في بداية الامر ، ان نقرب من فور - لامي ، ودوالا ، وبرارافيل دفعة واحدة . ثم يجب ان نبرر العملية فجأة ومن غير انقطاع ، وذلك لان فيشي التي غلقت تحت تصرفها سفن وحائرت وقوات من دكار ، وتستطيع عند الحاجة أن تستعد بقوات من المغرب ، فضلا عن الاسطول في طولون . كانت في سنة من جميع الوسائل لتتدخل بسرعة . وكان بيتان ودارلان قد ارسلوا في الوقت ذاته ، الاميرال بلاتون ، للقيام بمهمة تفتيش في القانون والكاميرون خلال تموز الجاري ، واكتسبا لفيشي بعض العناصر العسكرية والمدنية . كنت ادن استق الامور ، وقد فهم اللورد لورد وريبر المستعمرات الاسكلييري الذي عرضت له مشروعني وأدرك اهميته ولا سببا لها يتعلق بأمن بحريها ، وشاطئه الذهب ، وسييرا - ليون ، وغينيا ، وكلها تابعة لبريطانيا . مصدر الحاكمين الاسكليير التعليمات التي اردتها ، وفي اليوم المحدد وضع تحت تصرفي طائرة لنقل من لندن الى لاهوس فربق والمبعوثين ، التابعين لي .

وكان المراد بأولئك المندوبين ، بلنيس ، وماران ، وهينتيه دي بوالامير ، ان يرتبوا مع حكومة ابويه شروط انضمام تشاد ، وان ينفذوا بالتعاون مع موكلير ولحتة ، انقلاب ، دوالا . وفي لحظة سفرهم استطعت أن صيغ مندوبا رابعا لفريقهم ، سيظهر المستقبل مدى ما كان له من فعالية . وذلك هو القبط دي هوتكلوك ، وكان قد وصل من فرنسا عن طريق اسبابيا ، معصوب الرأس على جرح احاسه في شصابا ولديه بقية من عشاء . جاء وقدم نفسه بعرفت قدره ووجهته على الفور في مهمة على خط الاستواء . ولم يكن لديه سوى الوقت لاتخاذ

حدثه ، ورودته بأمر البشة التي سلفتها لفريقه ، وطار مع رفاقه باسم
المقدم لوكليز .

ولكن كان علينا في الوقت نفسه الذي نرفع به صليب الثورين فوق
تشاد والكامبيرون ان نضم اليك ايضا المستعمرات الثلاث : الكونمو
الاسن ، والارياهي ، والمانون ، وذلك بمشي في جوهره ، ان نستولي
على برارافيل عاصمة افريقيا الاستوائية ، ومركز السلعة ورمزها .
وهذا ما كلفت به العقيد دي لارميا كان هذا انصبط المتحمس بومدك
في القاهرة ، وهو الذي حاول من غير ان يوفق ، بوصفه رئيساً للأركان
العمدة في جيش الشرق ، أن يحصل رئيسه الجنرال ميتلهاورر ، في
آخر حزيران ، على اتحاد قرار غتامة القتل ، ثم نظم نفسه رحيل
المعاصر التي نقل الهدنة ، الى فلسطين . ولكن ميتلهاورر توصل الى
حل هذه المعاصر على الكوص على اعقابها يساعده في ذلك ، من
جهة اخرى ، الجنرال وصيل فاند الثغوث البريطانية الاعلى في الشرق ،
بدي كان يخشى ان يكلعه ذلك الارتحال المحمي ، من الشعب في
جملة الحساب ، اكثر مما يعود عليه بفوائد . ولكن افراداً منهم اصررو
وتسككوا من دافع المنطقة الاسكندرية . وكان قد صدر الامر باعتقال
لارمينيا ، ولكنه نجح بدوره ، ومر بحبيوتي فاهان الجنرال ليغنتيوم
في جهوده التي كان يبذلها عبثاً ، لاقاء الساحل الفرنسي من الصومال في
الحرب ، ومن ثمة اسحب الى مصر .

وهناك تلقى الامر مني بالشخص في لندن ، وفي الطريق تلقى
الامر بالذهاب الى ليوبولدويل ، وفي الكونمو الملحيكي لقي تأييداً
حقيقاً ، ولكن حازماً ، من قبل الحكام ريكس ، وتعاطف
ارأني العام ، واحداً معاصده ناشطه من حزب الفرنسيين المقيمين في
تلك البلاد ، وهم الذين تكللوا حول الدكتور ستوب . وكان على

لارمبيا ، سيرا مع تعليماتي ، ان يُعد مقروء لخاص في برازيل ووسط
بين صفتي الكونتمو ويستى العمل في مجموع البلدان الاستوائية .

وحين تم استعداد كل شيء اجتمع في لاعوس كل من لارمبيا ،
وديمن ، ولوكبير ، وبوالامير ، ومعهم المقدم دورنادو الذي حساه من
تشاد عبر قعاريح كثيرة ، مطراً للظروف وقدم السير برنارد بورديون
حاكم بيجيريا العام ، مؤازرته النشطة الدكية ، كما هو شأنه على لسوام ،
للمرسيين الأحرار في تلك السياسة وكان من المتفق عليه ان تعد
تشاد عملية انصامها اولا ، على ان تعد خطة دولا في اليوم التالي ،
وخطة برازيل من بعدها .

وفي ٢٦ آب أعلن الحاكم ايبويه والمقيد مارشان قائد قوات المنطقة
في فور - لامي ، ان تشاد انصمت ، امام الملاء ، الى الجنرال ديفول .
وكان بلغن قد وصل الى المكان عشية امس الاول بالطائرة ليطلق
باسم قيام الحادث وقد اعلنته بدائي من مذبذبات لندن واستشهدت
بتشاد انها على ولائها للامبراطورية .

وفي ٢٧ وفق لوكبير وبوالامير فوجياً رائداً ، الى الاستيلاء على
الكامبيون حسب الخطة المقررة مع انها ذهبا اليهم بوسائل صعبة .
وكنيت أمل اول الامر ان انكر من ابعاد ممررة عسكرية اليها تسهل
الامور . وك ، في الواقع ، قد اكتشفت في مصكر في انكلتر نحو
الف من الرعاة السود ارسلوا من شاطئ الماح اناء معركة فرنسا
لنجدة وحدات المستعمرات ، وقد وصلوا حدة متأخرين وحطوا مؤقتاً
في بريطانيا العظمى بانتظار ترحيلهم الى بلادهم . وكنيت قد اتفقت مع
البريطانيين ان تذهب المقررة الى احكرا حيث يتولى إمرتها المقدم
كاران . وكان في الامكان التصور ان عودة هؤلاء السود الى افريقيا لا
يحمل فيشي على الاستفائة . وحدث فعلاً ان ابرلوا في شاطئ الذهب ،

ولكن مظهرهم كان من الروعة بمنزلة لم تتالك معها الصفاط الاسكليز
 من دمجهم في قواتهم الخاصة . وهكذا لم يكن لدى لوكليز ونوالامبر ،
 اذن سوى قضية من العسكريين وبصفة مستوطنين قدموا من «دوالا» ،
 لاحين . ثم انها في اللحظة التي عاودوا بها فكتوريا ، تلقيا من الجنرال
 حصاره ، الفائدة الأعلى للبريطاني ، اندي اخذ فعلة يتخوف من نتائج
 العملية ، مرأ يجمع نصيبتها . ولكنها تحذروا هذا الأمر يوفقنا التامة ،
 اذ ايقظ اليها ، ان يعملا ، ما يراد بهما . ودهسا على طهر
 قارب الى «دوالا» ، وكان الفصل في ايصالها لاسكليز فكتوريا ، وما
 أبدوه من تفهم .

ووصف الجيش الصغير انباء الليل . وهرع عدد من «الديفوليس»
 لدى ون شارة الى الدكتور مور ، فاستقبلوه بما يليق ، وأصبح
 لوكليز ، وكأنا بقدره ساحر ، عقيداً وحاكماً معاً ، فاحتل ببساطة
 قصر الحكومة ، وفي اليوم التالي ذهب بالفطار ، لواءه مريت من
 حامية «دوالا» ، وبلغ «ياورده» ، حيث تقم السلطات ، وتم فيها
 «انتقال» الصلاحيات من غير إراقة دماء .

وكذلك سار الأمر على احسنه في برارافل ، ففي الساعة المحددة
 من ٢٨ آب ، ذهب لتقديم ديلاج الى قصر الحكومة ، على رأس هوجه ،
 ودع. احاكم العام هوستون الى النضلي عن منصبه ، فتعلى هذا بلا
 مقاومة ، وإن أعلن انحياحه . وقبلت الحامية الحوادث بفرح ، هي
 ومن معها من المواطنين ، والمستوطنين ، والسكان الأصليين الذين كانوا
 في عصبيتهم الكبرى قد أعدوا من قبل ، على يد الضيب الصم سيبه ،
 ونظروا «سوك» ، وعقب المدفعية «سير» ، وعقب الطيران كاريته . ولولى
 الجنرال لارمب باسمي في الحال ، وقد احتاز هر الكومو ، صلاحيات
 المعوض السامي في امريشيا الاستوائية الفرنسية مع السلطات البلدية

والمسكينة . ورجعت الساخرة التي أفلتت الى ليوبولدفيل ، وعلى ظهرها
الجنرال هوستون .

وأما الاراضي ، فان حاكم سان حار وقف ينتظر من يدور
في برافيل ، ولم يكذب بطلع على حوادثها ، حتى ابرق مؤيداً ،
غير ان أمر الجنود ونصاً من المصاهر العسكرية حاصرت في
ثكناتها وهددت بإطلاق النار على المدينة . ولكن لارمينا ذهب توتاً
الى ماضي بالطائرة وأرجع هؤلاء الصالين ذوي البية الطيبة الى حظيرة
الراحب بيدن مراً من الصراط أفردوا على حدة ، وأوجهوا حسب
علمهم الى افريقيا العربية .

وهكذا ، ألحق معظم افريقيا الاستوائية - كامبيرون بفرنسا الحرة ،
من غير ان تراق قطرة دم واحدة ، وبقي العابون وحده منفصلاً عن
المجموع . ومع ذلك ، لم تكلف تلك المستعمرة الا قليلاً من العناء ،
لنصم ايضاً بدورها . ففي ٢٩ آب احضر لارمينا حاكم « ليبرفيل »
ماسون بنمير السلطة ، فأارق هذا الي مملأ تأييده ، كما أعلن في
الوقت نفسه على الملأ ، التحاق اسطفا ، وأعلم قائد القوات بذلك

ولكن سلطات فيشي في دكار ، ودت سرعة ، فإن أمر البحرية
في ليبرفيل ، وكان لديه طائرة ، وغواصة ، وعدة سفن صغيرة ، عمد
الى معارضة الحاكم بإبصار من فيشي ، وأعلن عن قدوم اسطول حربي .
وحينذاك ، غير السيد ماسون موقفه وصرح أن انضمام العابون لفرنسا
الحرة كان نتيجة سوء تفاهم . وكانت هناك « جوماء » تابعة للبحرية ، تروح
ونجى . بين ليبرفيل ودكار ، تنقل الى افريقيا العربية من الاعيان اولئك
الذين « قورطوا » ، وعود الى العابون بالاشخاص الموالين لفيشي .
وانقلب الموقف . اصبح العدو جيب يصعب علينا التخلص منه ، لأنه مستع
على البحر ، وهكذا يصر بمجموع الأراضي الاستوائية التي اشى فيها ،

وقد اوفدت فيشي الى ليرويل ، كي تفيد منه ، حفرال السلاح الحوي
تتو Teta طلب حكمة افريق الاسوانية ، ومهمته تركيز سلطته في كل
مكان مهم . وقلت في الوقت نفسه عدة قذوفات قنابل من طور
عدي مدرتان وحطت على موقع الطيران ، واطهرها الحفرال تينو على
انها طلعة لما يتوها عما قريب .

لا ان النتيجة مع ذلك ، كلفت بوجه عام ، مؤنية لنا . وقد
استخلصت من الامر ان الجزء الثاني من خطة صم افريق السوداء يمكن
ان يكون بدوره موفقاً

الحقيقة ان هذا الطور اخيد بدا به اشق بكثير ، والسلطة القائمة
في افريقيا الغربية كانت تحدد نفسها متمركزة بقوة ، مصاهاً الى اب مرتبطة
ارنداصاً وثيقاً ، من جهة اخرى ، بافريقيا الشمالية والوسائل العسكرية
فيها ظلت كبيرة . وكان موقع دكار مسلحاً قسلياً جيداً ، محمراً
بمئات والمدريات حديثة ، مدعوماً بعدة أسراب طير ن ، يستخدم قاعدة
لاستول ، ولغوصات على الاخضر ، وكذلك كان للدرعة ، رشليز ، التي
لم يكن اركان محاربتها يحفون الا بالنار مدعطينها السمات لاكيزية ،
فهر يشكل مجموعة دعوية ومعموية عجيبة . وكان الحاكم العام بواسون
خبراً ، رجلاً مهماً طموحه اكبر من حدقه ، وقد اختار ان يلعب دوره
لحساب فيشي وقصيتها . واعطى الدليل على ذلك عند وصل الى دكار ،
في منتصف شهر ثور ، مرج ، لومو ، لمدفط الرئيس لفولت العلي في السجن ،
وهذا كان قد أعلن انصار تلك الارض لمرسا الحرة .

لم يكن في امكاني ادن ، وسائلنا الرأفة ، ان افكر في الاقترب
مباشرة من دكار . وكنت اعتقد ، في جانب آخر ، ان من الجوهرى
تجنب اشتناك واسع وليس ذلك - والأسعاه ! - لاني كنت واهماً اب
في الامكان التوصل الى تحرير البلاد ، من غير ادنى إراقة للدم بين

الفرنسيين . ولكن معركة كبرى ، تكون نحن البادئين بها ، في مثل ذلك الطرف ، وعلى تلك الأرض ، ثقل ثقل خطيراً من حرص توفيق ، أية كانت النتيجة التي تقضي اليها . ولا يُتاح فهم المجرى الذي كانت تجري فيه قصة دكار ما لم يُعرف انما هو هذا الافتتاح الذي كان يسيطر على ذهني آنذاك .

كانت خطتي الأصلية ادن استبعاد المعلوم المباشر . والمراد ان مدول وثلاً من الأشداء الخاضعين يتقدم نحو الهدف ، ويتعالف مع العناصر التي يلتقيها كلما تقدم ، ويصمم الأراضي التي يبحارها . وهكذا امكن الامل ان تقرب قوات فرنسا الحرة من دكار براً ، وهي تردد ، اذ تقف ، قوة وعدداً . وكانت كوناكري هي الموقع الذي واجهت إزال الحنود فيه ، ومنها يصبح في الامكان الرجف على عاصمة افريقا المربية ، باستخدام سكة الحديد ، وطريق متصة . ولكن كان من الضروري ، لمنع اسطول دكار من القضاء على الخطة ، ان تكون هذه نقطة من جهة البحر . وكان عليّ ان اطلب من الاسطول الاسكليزي ان يقوم بتلك النمطية .

وفالحت السيد تشرشل بهذا المشروع في الانام الاخيرة من ثور ، فلم يجب في الحال بالايجاب ولكنه بعد فترة قصيرة ، دعاني لمقابلته . وفي ١٦ آب وحدته كمادة في تلك المعرفة الصغيرة من دارينغ ساريت التي 'تستخدم' وكان ذلك تقليداً سارياً ، مكتباً للوزير الاول وقاعدة اجتماع الحكومة جلالة ، في آن واحد ثم سط على الطاولة الكبرى التي تملأ القاعة غرناط اخذ امامها روح ويحيي متحدثاً بحماسة .

قال لي : « علينا ان نؤنس معاً دكار الى جانا . ان ذلك امر رئيسي بالسة اليكم ، لأنه اذا وقعت هذه العملية ، نجد لدينا وسائل فرنسية كبرى نفيد منها في الحرب . وذلك مهم جداً بالسة اليك ، لان امكان استخدام دكار كقاعدة ييسر لنا كثيراً من الامور في

معركة الأطلسي القاسية ويمكنني القول أيضاً أنها بعد معركة مع
الامبرالية ورؤساء الأركان ، على استعداد للمساهمة في الحملة وإثبات لوجه
أن فكرتس لها اسطولاً عظيماً . ولكننا لا نستطيع أن نترك هذا الاسطول
مدة طويلة على سواحل افريقيا . وضرورة استعادته أت تحتج اليه
للإسهام في تغطية اسكنوا ، والمشاركة كذلك في عملياتنا في المتوسط ،
بما يقتضينا أن نقوم بالأشياء على وجه السرعة القصوى . وذلك هو السبب
الذي يحملنا على رفض خططك في الأبرال ككوناكوي والتقدم البطيء
عبر البراري والغابات ، لأن هذا يرغبنا على الاحتفاظ ، عدة أشهر ،
بسفننا في تلك الشطآن . لذي شيء آخر اقترحه عليك .

واخذ السيد تشرشل ، عند ذلك برسم الدوحة الآتية ، وهو يلوّن
بلاغته بالنبرات التي تحمل مختلف التصاوير وأكثرها تنوعاً وتستيقظ
دكار ذات صباح ، وهي حربية ، غير واقعة من نفسها ذلك بأن الشمس
طلعت ، وإذا بالأهالي يحدون البحر من بعيد بجمع الناس ، به اسطول
ضخم ! مائة سفينة حرب أو شحن ! وتقدم هذه بطء وهي تخطب
بالراديو المدينة ، والبحرية ، والحامية ، موحية اليها جميعاً رسالات الصداقة
والبحض من السس يرفع العلم المثلث الألوان والبحض يسبح تحت الألوان
البريطانية ، والهولندية ، والنرويجية ، والطبيكية . ثم يسهل عن هذا
الاسطول الخليف مركب صغير مسالم يرفع راية العلميين البيضاء ، ثم
يدخل المرفأ ويتزل موفدي الجنرال ديمول . هؤلاء يقادرون الى الحاكم .
والمراد إقحام هذا الرجل أن الاسطول الخليف ينسحب إذ هو ترك لكم
أن تنزلوا ، ولا يبقى إلا أن ترتسوا فسيما بينكم ، ثم وهو ، شروط
تعاون . وإذا أراد القتال ، أي عكس ما يُعرض عليه ، عنه يتمرض
لهزيمة عاجلة .

وراج السيد تشرشل ، وهو يتدقق عن افتتاح ، يومه ويشير ويصف

مشاهد الحياة المقيمة كما كانت تتجسس ، كلها ابيجست ، من هواه وخياله :
 « وفي اثناء هذه المصادفة بين الحاكم وممثلكم ، تخلق يده طائرات
 فرنسية حرة وبريطانية فوق المدينة وتلقي نشرات ود وصداقة ! ويناقش
 المدنيون والعسكريون بحرارة فيما بينهم الفوائد التي تعود عليهم بتدبير
 الامور معكم ، والاضرار التي يمكن ان تنشأ عن ذلك التدبير ، ومقابل
 ذلك تنسب ممرات كبرى ضد أولئك الذين هم ، بعد كل حساب ، حلفاء
 فرنسا ، وسكون في عداد المنافقين عملاؤكم الذين يقومون بمهامهم
 وبشعر الحاكم ، اذا قاوم ، اب الارض تنخطف من تحت قدميه .
 ويصدرون انه سيتابع المفاوضات الى نهايتها المرضية . ولربما اراد ، خلال
 ذلك ، ان يطلق ، « حفاظا للشرف » يضع طلفات مدفع ، ولا أبعد من
 ذلك وفي المساء ، يتساول عشائه معكم وهو يشرب نخب النصر
 النهائي » .

واخذت احمر فكرة المسفر تشرشل من كل ما اضافت اليه بلاغته
 من زخارف خيالية ، فادركت ، بعد التفكير ، انها تستند الى معطيات
 وطيدة . لما دام الاسكندر لا يستطيعون الاستعانة لمدة طويلة ، عن وسائل
 بحرية مهمة في حوار حط الاستواء ، لم يبق لأصبح سيد دكار ، لا ان
 اواجه القيام بعملية مباشرة . بيد ان هذه العملية لا بد ان تشمل
 قسراً على مزيج من الانفصاع والتهويل ، ان لم تتخذ حجة معلوم نظامي .
 كنت أعتقد ، من جهة اخرى ، ان من المحتمل ان تحمل الامبرالية
 البريطانية في يوم او آخر ، مع فرنسيين احرار او بدوهم ، على حل
 مسألة دكار حيث تقوم قاعدة أطلنسية كبرى ، وترسو المدرعة « ريشليو » ،
 وكلتاها يحركان شواطئها وقلعها في آن واحد .

واستخلصت ان العملية يمكن ان تتخذ شكل تحالف ، او نحن
 شركاء ، وان أكرهت عليها فرنسا الحرة . واذا نحن قطع المكس ،

وامتنعنا عن المشاركة ، فان الانكليز لا بد ان يقوموا بها ، عاجلاً او آجلاً ، لحسابهم الخاص . وفي هذه الحالة ، يقاوم الموقع بضراوة مستخدماً مدافع الحصون ومدفعية « ريشليو » ، بينما قاذفات القنابل عليين - مارتل ، والمطاردات كورقيس ، والمعوصات - وهذه جد خطيرة على السفن التي لم تكن تحمل آتذك ادبي وسيلة من وسائل الكشف - تصع كل اسطول نقل تحت رحمتها . وحين تضطر دكار بعضا اخيراً ، وقد سقطتها القنابل ، الى التسليم للبريطانيين بخراشها و«عظامها» فان ثمة ما يحشون ان تدفع فرنسا ثمن العملية من سيادتها هناك .

وعدت الى المتر تشرشل بعد فترة قصيرة ، لأخبره اني قبلت اقتراحه . وفقت بوضع خطة العمل مع الاميرال جون كسفهام الذي سيكون آمر الاسطول البريطاني ، وقد لقيت فيه خلال سير هذه القصبة المؤلفة رفيقاً معاصراً بمصر (الاحيان) ولكن بحاراً قانلاً ورحلاً همماً . وكنت في الوقت نفسه أقوم بإعداد الوسائل - المصعبة جداً - التي كان في امكان نحن الفرنسيين ان نخوض بها تنفيذ الخطة ، وكانت ثلاث سفن متكثف « سافوريان - دي - برار » و « كومنندن - دوبروك » و « مكرمندان دوميه » وقاربتي صيد مسلحين : « فابان » و « فيكنغ » ثم كانت ابصار فوج فيلق على ظهر سفيتي بريد هولنديتين : « بيلاند » و « دولرلاند » ، اذ لم يكن لدينا من بريد فرسية ، وسرية من الحمود اجدد ، وسرية من حلة السائق البحارين ، وهيئة سرية دماءات ، وهيئة بطارية مدفعية ، ورواة لكل مصلحة من مصالح الجيش - والمجموع زهاء ألمي رجل ، وكانت ابصاراً طياري سربين ، واحيراً اربسج سفن للشحن فرنسية : « اقدير » و « كاراماس » و « قور - لامي » و « بيغادا » ، تحمل المتاد الثقيل - دماءات ، ومدافع ، وطائرات « ليراند » ، و « هوريكان » و « بلسهايم » في حناديق ، وعربات نقل من مختلف الانواع ، وكذلك مواد التموين .

أما البريطانيون فلم يكن أسطولهم ليشتمل على السفن التي تحدث عنها المستر تشرشل أول الأمر ، إذ كان يتألف أخيراً من مدرعتين من طراز عتيق : « برهام » و « ريزوليوش » وأربع سفن استكشاف ، وحاملة للطائرات « آرك روبال » ويضع مدرعات وناقلة بقول ؛ وكان هذا ذلك يحتوي على ثلاث سفن نقل 'تقل' فوجين من مشاة البحرية يقودها آمر اللواء إروين ، وتقيب في مختلف الشؤون ، ومعها وسائل السرب إلى البحر . ولم يبق ثمة من حديث بعد ، عن لواء بولوني كان قد أعلن من قبل أنه سيشارك في المعركة . وبدأ ان رؤساء الأركان العامة كانوا أقل اقتناعاً من الوزير الأول ، أو من عرس الحاح في هذه المعركة ، فأهملوا القواعد في الوسائل التي كانت في الأصل مهيأة .

وقبيل الانطلاق بضعة أيام ، أثار الانكليز نقاشاً حاداً حول المصير الذي قد أفرره في حالة النجاح ، لكبة كبيرة من الذهب كانت في باماكو ، وهي كبة من ذلك المعدن الثمين أودعها مصرف فرنسا لحسابه ، وحساب مصرفي الدولة البلجيكية والدولة البولونية . وكان حزمه من ودائع مصرف فرنسا ومدخراته قد نقل ، في الحقيقة ، إلى السفن أثناء الفرو الألماني ، بينما أودع الحزم الآخر في « القنرال بيلك » الأميركي ، واتي الارصدة تحول إلى المارتينيك . وكان ذهب باماكو موضع تحريات دقيقة تقوم بها مصالح الاستخبارات لدى مختلف القراء المتحاربين ، من خلال الحصار ، والحدود ، ومراكز الحراسة .

كان البلجيكي والبولونيون يرغبون رغبة حدة مترددة ان تترك لهم حصصهم ، وقد قدمت السيد صبالكا للسيد راليسكي ، التأكيدات المناسبة . ولكن البريطانيين الذين لم يكونوا ليطلبوا ، قطعاً ، بأي حق في ملكية ، على المجموع ، وإنما كانوا يبتغون مع ذلك ، ان يتصرفوا بهذا الذهب كوسيلة يظلمون بها مباشرة ما يشترونه من اميركا ، راحين

انهم انما يشعرون به في مصدحه التعالف وكانت اتصالات لخدمه
تسبح ، في الواقع ، شيئاً لأحد ، خلال تلك الفترة ، ما لم يدفع نقداً
وعلى لرغم من إلحاح سيرر ، وحق من السيد عدي وفتح و به في
تحسني لاسكتلير عن تحله المنع عليها ، فقد رفضت ذلك الادعاء ، وحيراً
ثم التعام ، على نحو ما اقترحت عند البداية ، ان الذهب المرسي في
بماكو يستخدم وحده رهناً لقاء حصص اسكتلرا من مخزونات التي تشتري
اميركا لحساب فرنسا المحاربة

وقبل ان يجرى ، جاء سبأ انصام تشد ، والكامبرون ، ونكوسو ،
والاواممي ، في الوقت الملائم ، يمشي آماليا فنحن حق ان لم يوشق
الى وضع يدها على دكار ، فقد اصبح في حساب ، بفصل السجدة التي
يمكننا شتمدها ، امكايه امشاء قاعدة للعمل والسيادة لفرنسا المحاربة في
وسط افريقيا .

وانطلقت الحملة من ليبربول في ٣٠ آب (اغسطس) . وكنت انما
بنفسي مع قسم من الوحدات العربية وهيئة ركان حريب مصمرة ، على
ظهر « وسترلاند » رهناً العلم الفرنسي ، الى جانب الهولندي . وكان أمر
ذلك المركب الثقيل دلاءي ، ، وانصاط ، والمعارضة قد اظهروا جميعاً ،
شان رملاتهم في د سلايد ، اهم امثلة بقندي بها في النصحية الودية
وكان يرافقي سيرر ، وهو الذي أوفده تشرشل بوصفه صابط ارتباط ،
ودبلوماسياً ، ومحرراً . وتركزت قواتنا المشككة في اسكتلرا تحت مرة
موريليه ، وفي ادارة اسطوان بواة لتنظيم ادري ، وفي شخص ديوارن
عصر ارتباط واعلام مباشرين . رعدا هؤلاء ، كان الحول كازرو ، الذي
اتجه من الهدد الصنعة ، مستظراً ان يصل قريباً ، وقد شرحت به في
رسالة تسلّم اليه عند وصوله ، حملة عطشني وبساتني تحاهه وكنت قد
حسبت ، ان احتياطي الحكمة الذي احضره رفساني يحول ، رغم عياسي

على أن لا يطول كثيراً ، دون أن يحدث من البحر والدماس من
الخارج ، فلا يتزعزع سبيل زوابعاً عميقاً ، وهو الذي لا يزل يربح
المعركة ، ومع ذلك ، شعرت وأنا على ظهره ، وسرلاً ، الذي ترك مرفأ
إبان صدوره ، لا تدار نقصف حوي ، مع هرقتي الصغير كله وسقي الضئيل ،
شعرت وكأن ثقل الواجب يحدني ، ها هي سعيبة فقيرة عريضة ، تجري
في عرض البحر بلا مدافع والأبواب كلها مغطاة ، أثناء الطلام الدامس ،
هوق عذاب ينفع به لأوفى سر - نعم من معها مصير فردا

كانت فريناون محطت الأولى ، وكان علينا ، حسب الخطة المرسومة ،
أن نعيد بها تجمعنا ، ولتقطب بها أسير المعلومات . ثم لم نصل إليها إلا في
١٧ أيلول (سبتمبر) وسيرنا كان وثيقاً يتبع صرعة سفننا الشاحنة ،
ويقوم بالمضامف كبير ينحجب به طائرات الألمان وعو صاتهم ، في عرض
الأطلسي . وفيها عن نمر لاوقيانوس وصفنا معلومات من لند «اللاسكي»
عن قوات فيشي ، وفيها خبر من زانه أن يحمل على إعادة النظر في
حملت كلها ، ففي ١١ أيلول خرجت من طولون ثلاث طرادات كبيرة
وحديثة هي : « جورج لبع » و « غوار » و « مونكالم » ، وثلاث
طرادات أصيلة هي : « أوداسيو » و « هاساسك » و « مالان » ، وعبرت
مضيق جبل طارق دون أن يوقفها الأسطول «الكليري» ، ثم قامت من
بعد الدار البيضاء وبلغت دكار . ولكن ما كدنا نلقي مرصينا في
فريناون حتى فوجئنا بأ حطير رادنا ملقة على ملقة ، وذلك أن لأسطول
في دكار الذي أصبح ، أكثر قوة بالطرادة « بريوجيه » و « نجر » ونحوه بسرعة
نحو الجنوب . وقد حادرت عذمة بريطانية من بعيد انفصلت للمرافقة ،
أن تحنك به .

لم استطع أن اشك في أن هذه القوة البحرية الكبرى ، بما تتسلل نحو
أفريقيا الاستوائية ، حيث كان مرفأ ليرفيل مفتوحاً أمامها ، ويصح من

السير على ن تحتولي على د ثوبت توار ، ودرالا ؛ وقد لم تكف عن
 هذه انصره الصاعقة لملم الموقف في الكونكو وانكسروا ، في هذه
 السج الحارة تمتطع بسهولة تمطية نقل وارل القوات شرادعه بعدمة
 من دكار وكوذاكري او ابيدجان . وقد تحققت صحة هذه المروية في
 الحبل تقرباً حين اوقف الاسكندر سببه الشخص وسواتيه ، وكانت قاعدة
 من دكار ، منسلة نحو ليرول ، وعدد رماها الى خرطب بنية عرق .
 كان واضحاً ان فيشي شرعت في عملية واسعة ترمي بها الى التمركر
 في الاراضي التي انصمت الى فرنسا الحرة ، وان إرسال سبع طرادات
 الى خط الاستواء شيء لا يمكن تصور وقوعه من غير تراش تام مع
 الألمان ، ان لم يكن قد حدث بأمر منهم وقد وافق الاميرال كنفهام
 على ان الواجب بقصي في الحال ، وقف اسطول فيشي .

وكما على وفاق في الرأي ان الدحلاء سينلقون لايمسار ان يولو
 وحوهم شطر الدار البيضاء لا دكار ، وذلك كيد " قادام يعملو ذلك ،
 شرع الاسطول الاسكندري في القتال . وقد فكرنا جيداً من جهة اخرى ،
 ان التهديد يكفي لجر هذه السفن الصالة نحو الشاطئ ، لانه اذا كانت
 سرعة السفن البريطانية أقل من سرعة تلك ، وذلك واضح ، فلن يكون
 في استطاع البريطانية ان تعترض سف فيشي وقوة تلك وهي ضعف
 قوة هذه ، تؤمن لها الأفضلية ، في اللحظة التي تضطر بها هذه الى الالتجاء
 لأي مرعى استوائي لا تحمي أية بطارية . ولا بد حينذاك للمعتدي ان
 يلقى سلاحه ويسلم و ان يقاتل وسط ظروف سيئة . وكانت هناك
 احتمالات ضئيلة ان يرح رئيس الحملة بنفسه في مثل هذا المارق

والذي حدث ان الطرادات الاسكندرية التي شرعت في الانسحاب
 بالاميرال د بوراغيه ، قائد الاسطول العاصف ، تكثرت من حمل هذا بسهولة ،
 عن الانعطاف نحو الشاطئ حين علم رئيسه ، لندسته التامة ، بوجود

اسطول فريكو - انكليزي في الحوزة . ولكن صفن فيشي استطاعت ان تلتحق سائلة حذمة ، يدكار ، متحدة كل تعقب . غير ان الطرادتين « غرار » و « ريموغي » و « حدوم » احداثا السر لعطل احاب ادواتها ؛ وكان فقيص البارحة تيسوي دارجيليو ادي البحر على ظهر المدرعة « اسرفيد » وتصل بها مباشرة من رمي ليهوم دمه وجهه « فادعنا لثسروم وبلغنا الدار البصه » بعد ان رفضنا ما عرضت عليه ان تستصلحا في فرنناون .

وهكذا نحت افرقيا الفرنسية الحرة من خطر حد جسيم وكان هذا الحادث وحده يدر حادثة مرة الحملة التي اغدورها ثم ان تصرف لاسطول القادم من طولون « في حارب آخر » المبحر نحو حط الاستواء كما لو ان لم يكن فيه « وتحليه عن مهمته في اللحظة التي أدرك بها لنا نحن انفسا مثبتون فيه وعودنا » يحمل على التكبير ان فيشي لم تكن متشنة من قصدا الخاص ولكن كان عليه ، بعد ان هأنا انفسا على احباط خطة اعدائنا هكذا ، ان يفر على ان حطنا كانت في حرج شديد . والواقع ان منصات دكار احدث بالحيلة والحذر منذ ذلك الزمن وتلقت نجدة من السمر المهمة وعلمنا في الحال تقريبا ، عن طريق موظفينا في الاستخبارات ان رجالا من مدفعية البحرية حلتوا محل مدفيسي المستعمرات الذين سرى الشك في ولائهم ، لتوفروا على خدمة الطاروت في حصة البحر لقد تراءت ، بقول عنصر ، عرض احتلالنا دكار ، بعد اليوم ، اقل بكثير مما كانت عليه .

وفي لندن ، قدر المسر تشرشل والأميرالية ان من الأفضل في هذه الظروف ان لا يُسرع في شيء . وقد أيقنا لنا منذ ١٦ ايلول بذلك ، واقترحنا ان يؤمى الاسطول مواكبة سفننا فحسب ، حتى دوالا ومن ثمة ينتقل لمكان آخر . لا ندسة عن القول ان هذا للتخلي بدا لي انه

سواءً حاولوا التوقيع على الاتفاقية أو لا ، فإنهم تركوا الأشياء على حالها في كازان ،
 يبقى دم فيتشي التمدد فكرة على هريفيك لاسه شه ، إلا أن تنظر فعول
 لدمي لوكديرة نحو الشيل ، د يصيح البحر مامها مفتوحاً ، وتتوغل
 طرقات أو تغم من حدود نحو خط استواء ، وهكذا يصيح بحارو
 صلب اللورين من فيهم ، هذه لي ديمول ، محسورين عرجلاً و آحلاً في
 تلك الارضي الدنية ، وحينذاك ، تنصهم ، حتى وأن لم يروحوا ، معركه
 عقيمة ، يحوسونها ضد فرنسيين آخرين ، في البراري الناسبة والقابات .
 وليس لهم في هذه الاحوال ، أي محل لمحاربة الأسي ولا الإبطلي .
 وفي شككت عظمى هذه ، كانت بيتت العدو لي تشتت ، ضيعة
 الحيل وراء اشباح فيتشي ، وهؤلاء ادوات عمل عن وعي او غير وعي .
 وتراهي بي ان من واحد في الطرف لذي وصلت اليه أسلاك ، ن
 نحاول دخول دكار ، رغم كل شيء .

وعلي أن نمر بعد كل شيء ، أن المحادثات التي يلدها في اهريليا
 اعمشي بأمر أصم ، ورستغته الأخبار الطبية التي كانت تترى علي من
 حظ ، جرى ، من بعدت من لندن ، وفي ٢ يلول التحدث بمرس
 الحرة ، مؤسسات وفيديسيا الفرنسية ، في ظل الحكومة المؤقتة التي
 قولها لدمه ، أمن ، ولا عارد ، ومارفا ، وفي ٩ ايلول أعلن الحاكم
 بولمان ان مؤسسات عهد الفرنسية معازت الى جانبي . وفي ١٩ ايلول ،
 توحيث في الجمعية العمومية للمحاربين القدماء في سان - بيير وميكيلون ،
 ببحياره الرسمي ، واعتف ذلك ان عهت الحكومة الانكليزية لحكومة
 كذا ، ن نزيد حركتهم ، وفي ٢٠ يلول بلغ الحاكم « سوتو » ، بناء على
 أمر مني ، « ميا » بعد أن كان قد ضم اليه نفسه « هيريد الجديدة » في
 ١٨ تموز ، في يوم سقطت « هذه ديمول » التي يرئسها ميشال بيرج ،
 على لوقف مسنده الأهابي « مابية » ، بما اتاح لسوتو ان يتولى الحكم .
 واحيداً تنكت من حمل « سطون » بدراعيه على تحويل وحته لدى أول

اگر اصدوری است در قریب مذکور تاکید نمائیم ملاقای بی دگر
 چیست منتظر اصحح التلخیص است که بعد از این دو نفر از القیاس ۶ کان
 مواجب بقصی از بعد از بی ۶

وكان ردّ الفصل لدى الأميرال "عبد" يجري في هذا الاتجاه نفسه ،
فأبرقنا الى لندن نطلب بإلحاح عاجل ، من "أحمد" لنسب أمر المحاولة .
وكان "استر شيرمل" على مسأري لي مر بعد ، صدها ، ومفتونا
بذلك الإحباط ، فقلل انصاف نفسه ، حافظ ، وتقرر الأمر

وقيل ان عصي في الأصل : كان عتيقاً ، تحمل خطوة بقصد عدم بها
كسبرم ، و أراد ان يكون حصصاً لا مراه ، صبح قوتي ، موضعها ،
وهو يقصد لقاء ذلك ، صياح في نحو صبر عذريته و امير لى رهم ،
وقد وقعت الطلب والدعوة ، بعضها الخال ، وحدثت في ذلك اسم
بعضه مشدات كلامية على ظهير « ومارلانك » حيث حرت مشدات
وفي ثناء الاس كسب لى ، لامي لى كذا عداوة ، لوى ، يحصل بها عن
طائفة و رعب لرساء في « كذا » في عهد ٢٤ ، كذا و صرح صاحب
جد كتيب ، امام دسار .

أوشك الله أن يوفى جميع ما في ظهر حبيب ، ولا سيما لأثر
العموي الذي كان يلقي في عذبة ، كما تصور تشوش ، علو
الحامية وشكك آدم بحشي قطر ههنا فعمى ، فرب أحد لم
يشهد شيئاً وفكده ، من بسجود ، فقهه ، إن رجل أحطية
ووضعت عوداً مرسومة وجميع الدماء إلى الله العبد المذنب
بداء بالرادير في البحر ، والى الله ، لا يفتي عنهم في محصوره ويدين
الوفى ، وعقب ذلك في آخر ، طارت عن ظهر ، الأثر ، روى ،
طائفتان مرسيتان حديتان ، سيرت ، للياحة ، غير مستجبتين ،
وحطتا في مطار أواكم واتتا عن ثلاثة ضباط ، غابت ، حكاهم روى ،

وسوفليه بعثة إحياء . وعفت بسرعة ، في الواقع ، ان الطائرتين حطتا
من غير صعوبة ، وان الإشارة ومحاح ! ، اشترت فوق ذلك الميدان !

ومحاة أحدث طلقات المدافع المضادة للطائرات تسمع في نقاط
مختلفة . وراحت مدافع « ريشليو » ومدافع أخرى من الساحة تقاوم
الطائرات الفرنسية الحرة والاكاديمية التي شرعت في التحطيق فوق المدينة
وإلقاء نشرات الصدقة . وأبنا كان الجانب المحرن من تلك الطلقات
المدفعية ، فقد بداي ، مع ذلك ، انها قنطوي على شيء من التردد ،
وأصدرت كذلك الأمر لي السعيد اللين نقل الدلائل ان تدخل
المرفأ ، بينما مع الاستكشاف الفرنسية الحرة ، ومثلها « وسترلاند »
و « بيلاند » أحدث تقرب ، في الصباح ، حتى مدخل الميناء .

لم يكن ثمة أي رد فعل لأول وهلة . على ريان الخارجية دارجليو ،
ورئيس الموج غوتشو ، والرائدان بيكور - فوش وبيترن ، والمسلارم
الثاني بورغيس ، ربحوا مراكزهم وقرلوا الى رصيف المرفأ ، وحطوا
قائده . وقدم هذا نفسه ، فتقدم منه دارجليو وقبل له انه يحمل
رسالة من المحرل ديمول الى الحاكم العام ، وان عيبه ان يسلمها لصاحبها
تسلم اليد . ولكن القائد صرح بصندوقين ، دون أن يحصي اضطرابه ،
إن لديه الأمر شوقيهم . واظهر في الوقت نفسه النية بالقيادة على المحرمن .
ذلك بأنه شهيد المبعوثين يعودون الى قواربهم ، وفيما أحدث هذه تنعد ،
أعلنت عليها نار المدفع الرشاشة . وسرح دارجليو وبيران حراهما
خطرة ، ونفلا الى ظهر « وسترلاند » .

وعند ذلك ، بدأت بطائرات دكار في قوحبه بيران متقطعة على السفن
الأكاديمية والفرنسية الحرة ، طوال عدة ساعات دون رد . وحولت
« ريشليو » عن مكانها في الميناء لتتمكن من استمبال مدافعها على نحو
افضل ، وبدأت تطلق بدورها . وحوالي الساعة الحادية عشرة كانت

الطراد ، كمبرلاند ، قد أصيب إصابة خطيرة ، فوجه الاميرال كسهم
بالراديو من موقعه ، هذه الرسالة : « انا لا اطلق عليكم ، فلم تطفون
عليّ ؟ » وكان الجواب : « اسحب على بعد ٢٠ ميلاً ، ورد الاسكندر
دورهم ، جيداً » ، في أن اطلقوا مصع طلقات من المدافع الحربية
وكان لوقت ير ، في تلك الاثناء ، دون ان يلحظ ، من هذا الحباب
ولا من ذلك ، حادثة حقيقة لقتل ، هما من طائرة اعشي حلت في
الجو حتى منتصف ذلك النهار .

م استنج من مجموع هذه الأمارات ان الموقع كان عارماً على مقدمة
صارية . أيمتعل أن تكون البحرية ، والحمامية ، والحكومة ، تنتظر
جميعها حادثاً ما يمكن أن تستخدمه درسة الى احراء مصالحة ؟ كان أن
وجه الى الاميرال كسهم ، حوالي الظهر ، برقية يشير فيها إلى أن
ذلك هو شعوره الخاص أيضاً ، ولا ريب انه لم يكن في المتطوع إقصم
الاسطول على المرفأ ولكن ألا يمكن ارل الفرنسيين الاحرار في نقطة
قريبة من الموقع يحاولون بعدها أن يفتروا من الباسة ؟ كان عد الحس
قد رُوّجه مسقاً وهذا مبدء روجيسك الصغير القائم خارج منطقة العمل
الحربي ومعظم المشآت العسكرية ، ملائماً لعملية الانزال شرط ن لا
تلافي هذه ، مع ذلك ، مقاومة صرامة صارمة . ولواقع ، انه ،
امكن سمياً الاستكشافية ان تحدي روجيسك ، فان سم اسفل لذي
لا تستطيع ذلك نظراً لصحاة الماء . يجب ادن ن يبرل اخود
بزوارق ، وهذا ما يحرمهم من اسلحتهم الثقيلة ويتطلب هدوءاً تاماً .
ولم تلتفت في هذه الاثناء من كسهم التأكيد انه يعطيساً من سائب
البحر ، ادوت كل شيء معو روجيسك .

وحوالي الساعة ١٥ ، وصلنا وشرعنا في العمل والصب بحيم دواء .
ودخلت الطراة ، كومند دوبيوك ، المرفأ وكان على ظهرها فصيلة

من لرمدة ، وأرسلت نحو اليابسة مصعة بمحارين في رورق للقيام بعملية
الربط . وهرعت على الشاطئ . جمهرة من السكان لاصليين لاستقبال
الدورية ، وإذا بمحمود فيشي المرائطين في الجوار ، يحتضون المسار على
مفبتنا لاستكشافية ، ويفتلون عدداً من الأشخاص ويخرجون أحري
وكانت قبل لحظات قد خلقت قاذفتان علين - مارت على ارتفاع
منخفض فوق قواتنا الصلبة كما لو أرادتا ان تبتس لها اها تضم تحت
رحمتها . وهذا ما كان واقعاً فعلاً . وابق الاميرال كسهم اخيراً ان
الطرادتين « جورج لبع » و « موكالم » خرجتا من مرفأ دكار ، واهما
في الصاب على بعد ميل منا ، وان النفس الانكليزية مشغولة في جهات
اخرى ، لا تستطيع ان تعطينا منها . الأكيد ان قضية الحملة حاسرة ا
فليس الارال وحده لم يكن ممكناً ، وانما يكمن ان تطلق طرادتا فيشي
بصع خلقت من مدافهما ، لتصبح الحملة الفرنسية الحرة كلها في القاع ،
فقررت ان عود الى عرض البحر ، وهذا ثم دون أي حدث جديد .

قصيا للبل في ثقت ما يحدث وفي الصباح التالي ، وكاب
لاسطول الانكليزي قد تلقى برفية من السيد تشرشل بدعوه الى دفع
الحملة قدماً ونهائية ، وحت ادراكاً الى سلطات « دكار » ، فكان جواب
هذه « ام . بن تسم الموقع . وحيداك » مر السهار كده ، والبريطانيون
يتبادلون طلاق لدعية عملاً ، وسط صاب كان أكثف ما يكون ،
مع بطاريات الر ومن المرفأ . ولدى الاصل ، ظهر حلياً ان اية نتيجة
حاسمة لا يمكن ان تحصل .

وحين حده السلام ، اقتربت « برهام » من « وسترلاند » ورحابي
لاميرال كسهم ان ادعت لمقاتله ومناقشة موقفه كالب الحو على
ظهر مدرعة لانكليزية حريماً متوتراً نتيجة الانخدق . ولكن الدهشة
كانت هي شعور الساند . والبريطانيون وهم قوم عميون ، لم يتوصلوا

ان فهم هذه القضية وهي كيف ان السلطات في دكار ، والحرية ، والحدود
يسألون مثل هذه المطالبة في مقابلة مواطنيهم وحكامهم ، بينما تعرف فرنسا
تحت حرمة العرافة ، ولماذا يفعلون ذلك . ما انا ، فان ذلك لم يعد بعد
ليدهشي ، إذ كشف لي ما جرى ، مرة واحدة ولي ، الأبد ، ان حكام
عشي لن يتورعوا امداء عن ان يسيثوا استهلال الشجاعة والانتظام لدى
أولئك الذين يحصون السلطات ، ضد مصالح فرنسا

وقد عرّض لاميرال كسهم الوضوح كما رآه : « نظراً الى موقف
الموقع ، « لاسطول الذي يسانده ، « لا اعتقد ان الفصف يمكن ان
يؤدي الى حل ، « وأصف الحمرى إروى أمر وحدات الانزال ، « كان
مستعداً لوضع حدوده في العر لمهاجمة المنشآت ، ولكن كان من الواجب
ان يُبهر ن ذلك يعني عارضة كبرى بكل سعية وكل حسيدي ،
وكلامه سألني ما تقول اليه « حركة ، فوسا الحرة ، « فبا اذا وضع
حد الحملة .

فستدبرهم بوجه حتى الآن ، هجوماً مركباً على دكار ،
ومحاولة دخول الموقع بصورة ودية اخفقت والقصف لم يقرر شيئاً .
ثم نال الدور بقوة عميقة ومهاجمة المنشآت ، يجرى الى معركة بطارية
أرغب من جهتي ، في تجسها ، وأنتم انتم بأمسكم ان هابتها مربة .
عليه ادن ، في الآن ، ان نتخلى عن الاستيلاء على دكار . وأقترح على
الامير ان يعلق وقف اطلاق القصف تلبية لطلب الجنرال
ديبول . ولكن الحصار يجب ان يستمر كي لا نترك للفرن الراسية
قرب دكار حرية العمل . ثم يكون لنا بعد ذلك ، ان نقوم بإعداد
محاولة جديدة ، في ان نحقق على الموقع من الدور ، بعد إرغال في نقاط
غير محبة ، او صعبة الحماية ، كسان - لويس مثلاً . وأية كانت الحال ،
ومما حدث ، فان فرنسا الحرة ستستمر .

و قد لا يراد الخذلان الاكليريان على رأيي ، فبما يخص الآن
الذي هو في حيزه الطلام ، تركت « برهام » الى قارب يتراقص فوق
الاركان والعمارة ، وقد اصطفتوا امام سياج المدرعة ،
في وقت شروق الشمس وهم حزاني .

في ذلك وقت انشاء الليل ، حولا الاميرال كنفهام عن
التي قد اتفقا عليه ، إذ وردته اولاً برقية من المنر تشرشل
فيها مناداة في متاعمة الخطه ، وفيها يظهر الورير لاون صدهشاً
و استصفاً للحاجه التي أفضت اليها القصبة على ذلك النحو ، وراى في
الوقت بعض منساج في لندن ، وفي واشنطن على الأحص ، فأثرت
فيهم من دلت فيني وبرلين ، وأخذت تهاج وكان ان انقشع
التي في حيزه اخرى ، وبمئة بدا ان للقصص حصاً من السحاب . وكان
التي في الحجاز عند الفجر ، دون ان يستشيري احد ، هذه المرة ،
و قد كان في ذلك المذبح طلقت المدافع ولكن المدرعة « ريزوليوشن »
أشككت ان تعاقب حوالى المساء بسفنها احدى المواصات ، واستشقت
على بسفنها قاطرة ، وأصيبت عدة من اكليريية اخرى اصابت
بجراح ، وأثارت اربع حائرات من « الآرك رويال » . ومن الجانب الآخر
اصيبت « شار » و بعض حربية حتى اصابت بالغة ، وأغرقت السفينة
بجراحه ، « سر » والموصتان . « برمي » و « أحاكس » واستشقت
بحرهم ، « سر » على بسفنها مدمرة اكليريية . ولكن حصون الموقع
استمر ، « ملان » و « وقر » وقرر الاميرال كنفهام وقف المعينات . ولم
يكن في استطاعتي الا ان اوافقه . وأقلعنا الى فريتاون .

في ذلك وقت التي تلت قاسية . وكان يخالجي معها شعور امرئ
من البيت الذي يسكنه دلال عفيف ، وراح يتلقى على رأسه سبل
الحجارة طرقة من السقف .

ولاح لي مع ذلك ، على نحو جيد سريع ، ان الفرنسيين ، لاجرار
 ظلوا ، رغم إحماتهم صامدين لا يتزعزعون ، إذ لم احد واحد من
 عناصر حملنا جميعها الذين قمت برؤيتهم لحظة ألقينا المراسي ، يود ان
 يفارقني . بل ان العكس هو الصحيح ، فقد ثبتت اقدامهم جميعاً
 موقف قبشي العدائي . وهكذا رأيت كيف ان طائفة من دكار ،
 حوت فوق سفننا للعائفة ، فاستقبلت بظاهرة من الصمير الخائج ،
 ارتفع نحوها من كل صوب ، الأمر الذي ما كان ليحدث قبل صوع مثلاً .
 ووصلت اليّ بعد قليل بوقيات حارة من لارميسا ونوكير قمصي ان
 الولاء الحارم لها وحولها ، لم يمد قط موضع تساؤل . ولم ترد من
 لندن أية علامة تشير لي تراجع في المرائم ، رغم الضغط الحاد الذي
 تدفق على حنودها . وكان لي من هذه الثقة لدى جميع الذين ارتبطوا
 بي ، عراء كبير ، وحافر قوي على الاستمرار . كانت أسس فرنسا
 الحرة اذن مكينة ، وطيدة . فليض ! كان علينا ان نتابع ا ومنذ
 عاد سرر الى صحنوه واطمان ، استشهد بمكتور هوغو . وفي المدة ،
 استولى آييري على المدينة .

يجب القول ان الحكومة ، معها في لندن ، عرفت كيف تتعامل
 المشاعر امرسة وان كانت هذه المشاعر ، هي التي انتعشت حية في تلك
 العاصمة والسيد تشرشل لم يتذكر لي ، رغم كل ما تشبه من لوم
 وتقرص ، كما اني لم اذكر له . وفي ٢٨ نول (ستمبر) عرس الحوادث
 في مجلس العموم بموضوعية ترمع الى مستوى ما يمكن ان ينتظر منه ،
 وصرّح ن ه كل ما جرى ، لم يكن الا ليرد حكومة حلاكة ثقة على
 ثقتها بالحزب الديمقراطي . صحيح ان "وربر" لأول كان يعلم جيداً في
 ذلك الظروف ، وان لم يشأ ان يصرّح به ، كيف ان الاسطول الذي
 قدم من طولون استطاع ان يعبر مضيق جبل طارق وهو معه الذي

سرد عبيّ القصة ، حين رجعت الى انكلترا بعد شهرين من الحادث

ذلك ان برقية وحدها من طسعة الى لندن ، وحمل طارق ، صابط
استخبارات فرسي التحق سرّاً بفردا الحرة ، هو الفيب لويس ،
وأطلع بها السلطات على تحرك سمن فيشي . ولكن تلك البرقية وصلت
في وقت كانت الطائرات الألمانية تقصف ، التوايتبول ، (مقر الحكومة
البريطانية) ، وكل من فيب من الموطمين مختبئ في الملاهي . طوال
ساعات ، مما أدى بالتالي الى بلفة طويلة في عمل الاركان العامة . وجاء
حل رموز البرقية متأخراً لدرجة لم يستطع معها لورد البحار ان يحضر
أسطول جبل طارق في الوقت اللازم . وهناك ما هو اسوأ ذلك ان
لمحق البحري اميشي في مدريد احضر هو نفسه ، ككل مداحة (؟) ،
اطحق البريطاني ، وهكذا كان الاميرال قائد موقع حمل طارق ، قد
احضر من مصدرين مختلفين ، ولم يُتخذ اي تدبير لوقف السفن الخطرة .

ومع ذلك ، فان الموقف العلمي الصريح الذي وقفه الوزير الاول من
« الديموبليين » اعان كثيراً على اتخاذ الجراح في البرلمان والصحف .
وعلى الرغم من ذلك كله ، فقد تركت قضية دكلر في قلوب البريطانيين
جرحاً لا يتبدل ابداً ، وتركت في ادهان الاميركان هذه الفكرة ، وهي
انه اذا كان عليهم يوماً ما ان يبرلوا جنوداً في اراض تسيطر عليها
فيشي ، فان عليهم يقتضيم ان يكون دون فرسيين احرار ،
ودون انكليزاً

وكان حلفؤنا البريطانيون ، في جميع الأحوال ، عازمين على عدم
اعادة الكرة في الحال وقد صرح لي الاميرال كسمهام حلياً ، ان
الواحب يقضي بالتحلي عن ذلك الامر ، بأي شكل . وما كان هو نفسه
ليستطيع ان يقوم بشيء بعد ، سوى مواكبي حتى الكامبيرون ، وقد
ضرب الحصار على دوالا وفي ٨ تشرين الاول (اكتوبر) في اللحظة

التي كانت تهم بها السفن الفرنسية في خوض خليج دويري ، حيثها
السفن الاسكليزية ، وتوارت في عرش البحر .

وحين دخلت الطرادة د كومنندان - دوبروك ، التي أفلتسي في تلك
الرحلة ، مرفأ « دوالا » ، احتاحت المدينة موحة عارمة من الحماسة .
وكان لوكليو بفتظري فيها . وذهبت بمد استعراض الجنود الى قصر
الحكومة ، يسا كانت قمرل العناصر القادمة من اسكلترا . وكان الموظفون
والمستوطنون الفرنسيون ، والأعيان المحليون الذين اتصلت بهم يملون في
غمرة من الاغتناسط الوطني . ومع ذلك ، فاهم لم يبنوا شيئا من
مشكلاتهم الخاصة ، وكان أهمها ، تصدير منتجات البلاد ، واستيراد
الضروريات ، التي كانت تعتقدها . ولكن كانت هناك ، فوق المهوم
والخلافات ، وحدة الفرنسيين الأحرار الممنوعة ، سواء ممن انصروا
في لندن ، او التحقوا بها في افريقيا ، فتلك كانت تظهر لتوهمها
جلية سافرة .

هذه الوحدة في الطبيعة ، بين جميع الذين انصروا قعت حليب
النورس ، ستكون في لآتي من الأيام ، احد المعطيات الدائمة لحطة العمل .
لقد أصبح في الامكان بعد اليوم التنبؤ على نحو أكيد ، بما يفكر فيه
« الدبويلون » ، وصحيف يتصرفون بها حدث ، وأتى حدث . فان
مناعر الحدة التي لقينها هنا مثلا ، سألها دوما في جميع الظروف ،
وكما وقعت أمام المجهير . ولا بد من القول ، انه سيشأ لديّ بها
عودية دائمة ، غاسي إذ أجسد لرفقي ، مصير قصيت ، وللجمهور
الفرنسي ، رمز أمله ، وللأجانب وجه فرصة لا تروح قعت الارزاء ،
سأصطر الى توحيه سلوكي وفق ما يقتضيه هذا الأمر ، وفرض موقف
على شعبي لا أستطيع بعد أن أعيرته . كن ذلك مائدة لي وصاية داخلية
لا هكالك مپ ، امارسها على نفسي ، ويراأ جدّ ثقيل في الوقت ذاته .

كان المراد في المرحلة الرابعة إحصاء المجموعة لاستوثانة الفرنسية
وتعبئتها لتسام في معركة إفريقيا . وكان في بيتي ن ركن في محوم
تشد وليبيا ، مسرح عمليات صحراوية ، منتظراً ، يتبع تطور الأحداث
يوماً ما ، لرنل فرنسي أن يحتاج فزاًل وسند منها في خوسط ولكن
الصعراء ومصاعب القل والتعوي الهائل م تكن تسمح ن يكبر من هـ
هلاكات قتل محدوده واحتصاصه . وأردت كذلك ، في الوقت نفسه ،
أن أرسل إلى الشرق حملة تلتحق به ، بريديين . وهذا جميع الأعداء
انما كان ، إفريقيا الشمالية الفرنسية . ومع ذلك ، كان على قل كل شيء
تصميم الحبيب المعادي في العيوب ، فأنصرت يوم ١٢ تشرين الأول ،
الأوامر اللازمة ، في دوا

وهنا كانت هذه العملية القوة قيد الإعداد ، عادت الكاميرون
لأرور البلدان الأخرى . وكانت تشاد هي التي ررتها أولاً ، بعد اقامة
قصة في « يارنده » . وأوشك رئيس فرد ، الحرة ولدين يراققونه ن
هلكوا خلال هذه لرحلة ، وذلك لأن طائرة « السونبر » ٥١٠ ، التي
كانت تقلنا نحو فور - لامي تعطل بحركها ، وكان من الخوارق أن
وجد قائدنا ميلاً إلى الموط على ارض مستطع من عبر صرار حسيمة

لبيت في تشاد حواً حماسياً مؤثراً ، وكان شعور كل فرد ن بور
التاريخ اشرق ليحط فوق هذه الارض المامرة والكفاءة والألم ولا ريب
أن ما من شيء يمكن أن يُعمل بها الا يصرب من البطولة ليثقل من
يسهلها من عبوديات المسافة ، والعزلة ، والمساح ، ونقص الوسائل .
ولكن كان يجب عليا ، عوضاً لها عن ذلك كله ، الجو الطويل الذي
تثبت فيه الاعمال الجلية .

استقبلني « أبويه » في فور - لامي . وشعرت انه يمحني نهياً ولاء
وثقه ، ولست في الوقت نفسه انه واسع الأفق بحيث يستوعب المشروعات

الواسعة التي كنت أريد أن أشرك فيها ، وهو وإن قدم آراء تنض
 بأحسن الحليم ، لم يعترض قط على الخطر والجهود . ومع ذلك ، كان
 أقل ما يراد أن تشرع الحكومة في أعمال المواصلات الضخمة ، لتصح
 تشد في المستوى الذي تستطيع معه أن تتلقى من برار ميل ، ودوالا ،
 واللاعوس ، العناد والتموين اللارمين للقوات الفرنسية الحرة ، وتنقلها حتى
 حدود ليبيا الإيطالية ، لتسير حرب فعالة . كانت لمسافة ٦٠٠٠
 كيلومتر من الطرق التي ينبغي للبلاد أن تشقها أو تصونها ، وبمثلها
 الخاصة . ويبدو من الضروري ، عدا ذلك ، تنمية اقتصاد البلاد لتتمكن
 من تقديم الغذاء للمحاربين والعمال ، وتصدير ما تنتج لتؤدي النفقات .
 وتلك مهمة ترداد صعوبة بمقدار ما يرداد عدد المستوطنين والموظفين
 الذين ساستفدهم التعبئة .

وطرت مع العقيد مارشال قائد جيوش تشاد حتى « فابا » ومحطات
 الصحراء . وهناك لقيت جنوداً ذوي بأس وعزيمة ، ولكن فقرهم
 بالوسائل مدفع ، إذ لم يكن ثمة من عناصر متحركة ، سوى وحدات
 « المهاريين » ودمض الأهواج للسيارة . وحين صرحت للصباط أنني أعتمد
 عليهم لاجتياح قرآن يوماً ما وبتوع المتوسط ، رأيت الوجوم يرسم
 على وجوههم ؛ فإلى العارات الألمانية والإيطالية ، التي لا يملكون دفعها
 كلها اقتضت الحال ، كانت تبدو لهم أكثر احتمالاً من المحرم الفرنسي
 على المدى الواسع الذي رسمت لهم بحاله . غير أن ما من أحد بينهم
 أبدي ، من جهة أخرى ، علامة تردد في متابعة الحرب ، وكان صليب
 اللورين مرفوع اللواء ، في كل مكان .

ونزه إلى الغرب ، مع ذلك ، في أراضي البحر والواحات الصحراوية ،
 كان لأوتك الصاط رفاق ، بشموهم في وجودهم ومر كرم ، إذ
 كانوا هم أيضاً يقيمون على تخوم ليبيا ، ولكن ليس « وقيم في سلم

الرتب ، رئيس واحد أوتي المرأة على فلك البحر ، وظلوا مستعدين
لاطلاق النار على أي مريء بداعي حركهم إلى عاربة أعداء فرنسا ،
وما من ربة معوية من جميع الرديا التي أنزلتها في اخطاء فيشي
لأثمة ، كانت توحضني أشد الوجع ، مثل هذا المشهد الذي بسم عن
عقم ابنة .

ولدى عودتي إلى هور - لامي ، انقبت مقابل ذلك ، تشجيعاً دارز
العام ، وساهبي به الخمرال كاترو ، وكسان المظلمون من ذوي النيت
السيئة قد تصوروا ، ضد وصوله إلى لندن ، بعد دهابي إلى أفريقيا ،
ان لا يكلمر سيحاولون أن يتحدوا من هذا الخمرال في الجيش ، الذي
تمرس «مهام» الكندي ، ورقة راححة يعتمدونها في اللعة للتبدل ، بينها
كان المتحدلقون من ذوي الآق محدود بنساء ثون ما ، كان هو
بهم برصي أن يكون مروضاً من قبل عبيد لوء بسيط ، وكان قد
رأى تشرشل مرراً وتكراراً ، وراح كثير يلطمون حول موضوع تلك
المنحادثات التي ظهر منها حلياً أن التورير الاول كان قد أوحى إليه أن
يأخذ مكاسي ، لا امتحاناً له ، ولا ريب ، ولكن أحداً بالبدأ المعروف :
فرق لندن . وكان تشرشل قد أبق في فجاء ، قبل وكبار بأيام أنه
أرسل كاترو إلى القاهرة ليعمل في انشور حيث كان ثمة أمل سنوء
فرصة مؤنية . وكان أن رددت بوضوح على ما بدا لي ، ليس فكرة
سيئة بالتأكيد ، بل مسألة قتلص موفقي ، وشرح لامر تشرشل
بومدالك معارات مرضية ، وستن الحاسة الملص منه

وها قد وصل كاترو عملاً إلى القاهرة . ورفعت كاسي ، وأنا إلى
المدنة ، على شرف هذا الرئيس الكبير ، الذي ما دلت أهل له على
الدوام ، صداقة هي التوفير والاحترام ، فرد على محور جد نبيل وحدة
بسيط انه بصم به تحت برادتي . وعرف ابويه وسائر الحصور وهم

متأثرون ، أن ديفول في نظر كانوا ، أصبح بعد اليوم ، خارج سلم الرقب ، وأنه مكلف بأداء واجب لا سبل إلى حصره في سلطة المراقب . وما عاب عن كل أحد قط قيمة مثل الصالح الذي تقدم ، على ذلك الحو . وحين افترقت عن الخيال كانوا قرب للطائرة التي عدت به إلى القاهرة ، بعد أن حددت معه رسالته ، شعرت انه يعود أعظم قدراً .

وكانت الأمور بحملتها في براراميل ، حيث وصلت في ٢٤ تشرين لاول (كنور) تظهر للعين مقبلة بمقدار ما هي في دوالا وفور - لامي . ولكنها كانت ترمي متأية رربية كان ذلك سوياً بالسنة لـ « العاصمة » . ولادرة والاركان العامة ، والمصالح ، ومؤسسات الاعمال ، والمعثات كانت تدبر المصاعب التي تواجهه البلدان الاستوائية - وهي افقر بلدان الامبراطورية - لتعيش خلال السنوات التي انفصلت بها عن الوطن الأم ، وتقوم بالجهود الحربي . والقول الحق أن بعض منجياتها : الزيت ، المطاط ، الخشب ، القطن ، القهوة ، الخود ، مما كان يسع بيسر للبريطانيين والاميركيين . ونهض انتقاد المصانع ، والمنتجعات المعدنية ، باستثناء قليل من الذهب ، لم يكن يدفع الثوارن بين مجموع ما يصدر ، وما ينبغي استيراده من الخارج .

وعيت بليس امياً عاماً ليؤزر لارمينا في ذلك الحال . وسيكون من شأن بليس حين ياتر العمل ، أن يذهب إلى لندن وواشنطن لينظم مواعيد الاستعفاق والمدفوعات . وبدأ أن كفاءاته جد فعالة ، إذ تسدها سلطة لارمسا «كلاهما كاتا اداريين ، ومرارعين وفاحرين ، وعاملين في شؤون القل ، كما كاتا يرمان أن ثمة جهداً كبيراً يجب أن يبذل ، وأن الهدف يستحق عناء المذل ، فافتشحا ذلك الدور من النشاط الراجح الذي سيحول تحويلاً عميقاً حياة البلدان الاستوائية خلال الحرب الدائرة . وقد ألمحت لي المرحلتان اللتان قمت بهما في نهاية

تشرين الاول الى أوانتي حيث استقلني حاكم سان - مار ، ثم الى « بونت - نوار » وكان يديرها داعان - غاغا لي أن اعطي الانطاع لذي كان الجميع ينتظرونه .

ودعت أخيراً في ٢٧ تشرين الاول لي ليوبولد فيس ، حيث لقيت استقلالاً حاراً من قبل السلطات والحش والاهالي ، والفرنسيين من سكان الكونغو البلجيكي ، وكان الحاكم العام ريكمان ، المقطع هو أيضاً عن وطنه ، ولكنه يريد أن نسم بسلامة في الحرب ، يمل بمطاعته الى فرنسا الحرة . وهذه كانت ، من جهة أخرى ، تحرس الكونغو البلجيكي ضد روح الاستسلام ، بقي أوشكت أن تسلط عليها من الشمال . وكان على ريكمان أن يحفظ الى اقصى حد ، على علاقات واثقة بحورته الفرنسية في الضفة الأخرى من نهر الكونغو . ويمكن القول إن ذلك كان أيضاً شأن زميلها لاسكازين بوردبون في بيجيريا وهندلستون في السودان . وحلّ تضام شعبي بين حكام لاغوس ، ودوالا وبرازيل ، وليوبولد فيل ، والخرطوم محل المناهضة والدمار في كرات نصح الحيران ، في مصر ، ضد بعضهم البعض . وكان لذلك التضامن ورمه الكبير في اليهود الحربي وأمان أفريقيا .

كان كل شيء في هذه الأثناء قد أُعيدَ لإنهاء قضية القانون . وكانت لارميا قد تحم جميع الاستعدادات الأولية قبل وصولي الى دوالا . وكانت بضعة عناصرُ تجتمعت تحت إمرة المقدم لماران ، على أرض الكونغو ، قد تقدمت حتى بلغت لامباريه على ضفاف الأوغوبه . ولكنها صدمت بمقاومة من قوات فيتشي . وفي الوقت ذاته ، وجه من الكامبيرون البقيب دير دنلا صغيراً قساده بنعمه ، وحاصر مركز ميتريك وفي لامباريه وميتريك احتلّ « الديفوليون » والفيتشيون ، وقادوا إطلاق القذائف ، وحجج القوة . وحدث في بعض المرات أن حطقت طائرة د غاي -

مارثان ، قادمة من ليرفيل ، فوق قواتنا وألقت بضع قنابل وكثيراً من النشرات . وفي اليوم التالي ردت على المعارضين طائفة من طرار ، و بونج ٢٠٠ ، قدمت من رارافيل . وما كانت هذه المعارك المهيئة للملّة والألبية لتُنْضِي إلى حل .

وكان أن قررت ، بعد وصلت ، أن أُنْزِع ليرفيل مباشرة وأُفْع خطة العمل . وما كان من المنتظر ، لسوء الحظ ، أن يشكّ أحد في أن مقاومة خطيرة لا بد أن تقترض قواتنا ، فقد كان لدى الحزب ثلث *Tetu* المتمركز في ليرفيل أربعة امواج من المدفعية ، وأربع قاذورات قنابل حديثة ، وسبعة الاستكشاف ، وبعفيل ، والفواصة ، و بوسيليه . استطاع أن يمتدّ مدداً من المستوطنين والمهمة التي أمر بها ، من جهة أخرى ، فرصت عليه أن يقاتل . وصلت إلى السيد تشرشل ، ممحاً له من قلبي التحذرات ، أن يحظر جيشي أن لأطول معصده إحداه ، عند لاقتصاد وحاء الاميرال كسهم عمده وصول رفيقي مضالتي في دوالا ، ونفقنا أن لا ننام معه مباشرة في عمية ليرفيل ، وى يقع في عرض البحر تسع أهالي دكار من إرسال طردتهم بحدداً اليه ، و كانت لديهم بنة المعامرة بذلك . وكنا تواجه القضية من جانب ، بقالب 'مُثَلِّل' وأعطت وسط الموافقة العامة ، ن لا يشتر حد بأحد في تلك المناسبة الاليمة ، فكان الجميع على واحد في ذلك .

وفي ٢٧ تشرين الاول ، سقط موقع ميبريك في أيدينا . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ، ألقت حامية لامباريه السلاح وأُقلعت في الحال ، السوانغر التي تقل المرتن من دوالا ، إلى ليرفيل كان لوكلير بفود الجميع ، وكوبيع كان على رأس القوات البحرية هوج نظامي ، وفوج مستعمرات محتلطة ، سعالتيون ، ومستوطنون في الكامبرون . وكان الإنزال في رأس ، مونداه ، ليلة ٨ تشرين الثاني ، وتثبت معارك

حامية في ٩ منه على مشارف المدينة . وفي اليوم ذاته حلفت عدة طائرات « ليراند » ، بشرت عليها المقدم دي هارميه ، ك قد استقدمناها بهندائق من بكالتراف ، وركبت بمجلى في دولاف وأقمت عدة قتائل . وفي تلك اللحظة دخل دارحتليو على ظهر « مافوربن دي براراف » ، تناولها « كومننداف - دوميه » ، مرفأ المدينة حيث كانت ترسو « بوعفيل » . وراحت هذه الطراوة « على الرغم من رسالات المودة التي وجهها اليها مراراً وتكراراً » تطلق عليها ديارها . وكان رد « براراف » عليها أن اشعلت فيها النار . وفي هذه الاثناء « حطمت الحيش » على ارض المطار ، مقاومة عناصر فيتشي واستطاع دارحتليو ان يوصل الى المنزل « ثاو » رسالة سائده فيها وقف العمل ، وانتهى اسسلام المحررين ، واحتمل كوسج ليعرفال واستم « دن » ، لذي عينه حاكماً للعبون ، مركزه . وبلغ عدد قتلاها ولأسف ، نحواً من عشرين .

وكانت العواصة « بوسيليه » ، قد عذرت عشية ذلك اليوم بور - جنفي ، واقيت في عرض البحر احدى طرادات كسمهام ، فقدفتها بلمح وردت المفردة بفصله عليها ، فارتفعت العواصة ان السطح ، وهما احد الانكليز يجمعون بخارتها ، عند رآها و حرقها وعرق معها ، بمسالة .

وفي حتلان بور - جنفي وهذا ما سمى في ١٢ تشرين الثاني ، بعد مفاوضات طويلة ، ولكن من غير مقاومة أنداها للموقع ، والصحية الوحيدة هذه العمية لاجيرة كان الحاكم ماسون ، الذي كان قد نصح في شهر آب الى ليمون ، ثم رجع عن رأيه . ذلك ان هذا المسكين اعتصم بالطراوة « براراف » ، وقد أأاسه صلاله وسانحه ، بعد سقوط ليرفيل ، وأبحر الى بور - جنفي مرفقة بالمفيد كروشو ، رئيس أركان

ثاقو ، ليطلب الى المحافظ والحامية ، أن لا يحوضوا بدورهم معركة يقتل فيها الأحباء . ولكن السيد ماستون ، وقد أرمقته المحن المصيبة التي مرت بها ، شفق نفسه في غرفته خلال العودة .

ذهبت الى ليرفيل في ١٥ تشرين الثاني ، والى بور - حقي في ١٦ . وكان الشعور السائد لدى الأهالي ، الارتياح لخروجهم من مأزق أبله . وزرت في المستشفى سرحى المسكرين ، الذين كانوا يماخون حنأ الى جنب . ثم عملت على أن تقتل امامي وحدات فيشي ، فانبضت بعض العناصر الى فرنسا الحرة ، ولكن معظمها كان قد أعطى رئيسه كلام الشرف ، أن يبقى على الولاء للمارشال ، وهؤلاء فصّلوا ان يظلّوا محنّرين كانوا ينتظرون لاستئناف الخدمة ، دخول افريقيا الشمالية الحرب ، ومنذ ذلك الحين أدّوا كعدد كبير غيرهم ، واحسهم بأمانة وبسالة . أما الجنرال ثاقو فقد وكل امر ضيافته لواء « الروح القدس » ، ونقل من بعد الى براراميل . ومن ثمة ، ذهب هو ايضاً ، عام ١٩٤٣ ، الى عاصمة الجزائر .

وايضا مذباج دكار ، وفيشي ، وماريس ، بثنائيم العضب ، بعد أن كان قبل بضعة أسابيع ، يبالغ في صرخات الظفر . ووجهت اليّ التهمة ، اني قصفت ليرفيل ، وأحرقتها ، وهشّتها ، فصلا عن رمي أهياهم بالرصاص ، ابتداء من الأسقف : الموسسيور ثاردي . ولاح بي أن أهل فيشي ، كانوا يريدون من احتراع أمثال تلك لأخاديب ، ان ينقذوا عاراً ما ، إذ كبروا منذ وقعة دكار ، فقد اعتمدوا الطيارين الفرنسيين الأسرار الثلاثة الذين سقطوا عرلاً على ارض « اواكام » ، ثم اعتقلوا ايضاً بوالامير ، وبيستاسه ، وكادورا الذين أرسلتهم لي لمدينة ، ومن طرق حمية ، مع الدكتور درونل ، ليفتشروا فيها لكم الطبيب . ولم يستطع ان يعود من أولئك ، « الميمونين » سوى الدكتور درونل ،

لدي تمكن ، بعد الحوادث ، من المرور الى غامبيا البريطانية . وقد حملني التهم التي قدمت بها دكار ، افكر انهم ربما كانوا يريدون الثأر بالانتقام من الاسرى . ومقدار ما اقترحت على بواسون في سرية تامة ، مبدلة هؤلاء ، « ثاقو » وضابطه ، راحت امواج دكار تديع في لحال خطوتي نك ، مرفقة بشديد الإهانات والتحديات . وعمد ذلك ، اضطرت المندوب السامي ليشي ، ان لدي كثير من اصدقائه استطيع ان ارد باعدامهم على إعدام الفرنسيين الاحرار الذين وضعهم في المعتقل وسمعت لهجة المديع المعادي في اللحظة ذاتها

ثم ان هناك علامات مختلفة كانت تبين مدى الاضطراب ، الذي تلقى الحوادث به حكام فيشي ، فان ذلك النوع القوي الدسي ، الذي نجسهم به الهدية ، طلق بنده على عجل فالعدو لم يضع نهضة لاسكترا ، خلافا لما أعلنوه من قبل تبريراً لاسلامهم ؛ وانصواء عدة مستعمرات الى ديمول ، من جهة أخرى ، ثم وقعة دكار ، وأخيراً وقعة العائون ، اظهرت أنه اذا كانت فرنسا الحرة تحس استخدام المديع ، فإلا أيضاً شيء . مدبر كل اغارة له وقصة ، من لمرقة المنحصر حول الميكروفون . ومساء ، أحد الناس يتصلون في فرنسا الى ملاذ فرنسي خالص ، يبا وحده الأذن أنهم مكرهين على التحصن للصاعب المتفارقة التي تسببها لهم المقاومة . وكنت في أعماق أفريقيا ، الملح الهرات التي كان هذا الوضع قد أحدثها في تصرفات جماعة فيشي .

كان الصف هو الرد الذي ظهوروا به ، في اليوم الذي تلا وقعة دكار ، اذ انطلقت من المغرب طائرات ألقت القنابل على جبل طارق . ولكن جاءت بعدها محاولة نهضة في الحال وورقني برفيات من السيدين تشرشل وايدن تطمعي على المحادثات التي افتتحت في أول أكتوبر ، في مدريد ، بين السفير السويدي لاجوم وزميله البريطاني السير صموئيل مور .

وكان المراد الحصول من الاسكيز على السماح لسفن الشحن القادمة من
افريقيا بالمرور الى فرنسا ، وقد اعطيت المايه الصيانات بأن لا تستولي
عليها . وصرح السيد دي لاوم ، عدا ذلك ، من قبل يودون انه
« اذا قنض العدو على هذه السلع ، فان الحكومة تنظر الى افريقيا
الشبابية » ونعود فرنسا الى الحرب بحسب المملكة المتحدة .

حذرت الاسكيز ، في الوقت ذاته الذي أخذت به علماً بالاضطراب
الذي قمّ عنه مثل تلك التصريحات ، فانه بما لا يفهم أن الأمان لدين
وصعوا السيرة بأيديهم تحت شرعة العدو ودانوا الذين أرادوا محاربتهم ،
يمكن أن يصنعوا فجاء أبطال المقاومة ، لأن المرأة يريدون وضع اليد على
بعض السلع زيادة عما كانوا يستولون عليه في كل وقت . والواقع أنه
سرعان ما تبدد كل وهم تحت ضغط الألمان ، رغم الجهود التي بذلتها
حكومة لندن لتتجسس فيش في ترددات الطبقة التي كانت تظهر عليها ،
ورغم الرسائل الشخصية الموجهة الى المارشال من ملك اسكوتلندا ورئيس
الولايات المتحدة ، ورغم الاتصالات التي قام بها الاسكيز مع عبان الذي
تمركز في عاصمة الجزائر ، ومع فوعيس المقيم دوماً في المغرب ، ففي ٢٤
نشرين الاول تم لقاء بستان وهنر في مونتوار ، وأعلن التعاون رسمياً
بين فيشي والعدو . وأخيراً ، وضعت فيشي حسداً لمفاوضات مدريد في
الأيام الاولى من تشرين الثاني .

اصبحت لدي بعد اليوم ، أسباب أكيدة تجبلي أنسكرك ، نهائياً ،
لحكم فيشي وتحويلني الحق المشروع في أن أنشئ بمشي وكاشي المدير
لمصالح فرنسا ، وأن أعادس في الاراضي المحررة ، صلاحيات حكومة .
وهذه السلطة المؤقتة كسداً وكماية قدمت . الجمهورية بإعلان طاعتي
وتبعني تجاه الشعب الجديد ، وتمهدي علانية بأن اقدم حسابات في اللحظة
التي يساردها بحريته . وحددت في أرض فرنسية ، في برارافيل ، يوم

٢٧ تشرين الاول ، هذا الوضع القومي والدولي ، في بيان ، وأمري ،
 وتصريح عصوي ، يؤلف مجموعها ميثاق عملي الشخصي . وأعتقد أنني
 لم أخجل به حتى ذلك اليوم وهو ضمن المدة الذي وصفت به في اندي
 الممثلين الوطنيين ، بعد خمس سنوات ، تلك السلطات التي عارستها . ثم
 اني أنشأت ، من جهة اخرى ، مجلس دفاع الامبراطورية ، وكان
 المقصد منه ان يعينني بأرائه ، والذي دخلت فيه أولاً كاترو ،
 وموريليه ، وكاستان ، ولارميسا ، وسبسه ، وسوتو ، ودارحيليو ،
 ولوكليبر ، وأخيراً ، وجهت مذكرة يوم الخامس من تشرين الثاني الى
 الحكومة البريطانية ، كانت قراراً هاماً ، بالموقف الذي تتخذه فرنسا
 الحرة ، وتدعو حلفاءها الى اتخاذه . راء حكومة فيشي ومثلها ، مثل
 فينان او بوعيس ، الذين جحد نصر من كائناتين ، القاصري النظر في
 بث الاعتقاد اهم يستفنون يوماً ما الى العمل ضد العدو .

واذا كانت خطتنا الاقربىة مجموعها ، لم تمنح جميع الاعداد التي
 رمت اليها ، فقد وصفت على الأقل ، قاعدة جهودنا الحربي على أسس
 وعديدة ، من الصحراء ، الى الكونغو ، ومن الاطلسي الى حوض النيل .
 وفي الأيام الاولى من تشرين الثاني ، وصفت القيادة التي تدبر العمل في مكاب ،
 فكان ايسويه المعين حاكماً عاماً لافريقيا لاسنوائية العربية مدياً في
 بر رافيل ، ومعه مدرسان بومعه فنداً للحبوش وامندعي دلاي ، من
 لندن ، وأصبح حاكماً للشاد ، ومحافظة كورناري حاكماً للكاميرون ،
 حل محل لوكليبر وهذا أرسل الى تشاد ليقود العمليات الصحراوية ،
 حيث تعرف على نحو فاس ومؤثر الى الجهد ، رغم الاعتراضات التي كنت
 غلبها عليه رغبته في متابعة ما بدأ به في حورلا وأخيراً ، كن على
 لارمينا ، ان يقود هذا المصوع كه ، مدونا سامياً ، سلطات
 مدنية وعسكرية .

وقبل أن أذهب إلى لندن ، أصدرت معه قراراً بخطة العمل خلال الأشهر القادمة . وكان القصد تركيز الممارات المموتة الأولى ، والحوية صد « مرزوق » و « كفرا » من جهة ، وإرسال لواء محتلط إلى ارتريا من جهة ، مع سرب من طائرات القصف التي تساهم في الممارك الناشئة ضد الايطاليين . وستكون هذه الحملة الأخيرة بداية التدخل الفرنسي في معركة الشرق الاوسط . ولكن كان يجب ايضاً تجديد العناصر التي تذهب الى هناك ، ووضع ملاكاتها ، وتسليحها ، وتقوية هذه الطلائع مع الرمس في الصحراء ووادي النيل . ولا سبيل إلى تصور ما يقتضيه ذلك من جهود في ساحات وسط افريقيا الشاسعة ، والمناخ الاستوائي ، والتعبئة والتدريب ، والتجهيز ، والنقل ، لقوات كما يريد أن تقف على اقدامها ، ونرسلها إلى تلك المناطق النائية . ولا سبيل إلى قياس معجرات النشاط التي سعى الجميع في تحقيقها .

وفي ١٢ تشرين الثاني ، تركت امريكا الفرنسية الحرة إلى المكسيك ، عبر لاغوس ، غريتاون ، مافروست وحبل طارق . وفيها كانت الطائرة تقطع لأرقباوس تحت مطر الخريف ، شديت في دهي التماريج المزهقة التي كان على الفرنسيين المحاربين أن يمروا بها بعد اليوم ، في هذه الحرب العجيبة ، لينتخبوا الألماني والايطالي ، ورحلت اقيس العراقيل الكبرى التي تسد عليهم الطرق والتي يصبها امامهم - ويا للأسف - فرنسيون آخرون . غير أنني تشجعت ، في الوقت نفسه ، حين فكرت في الحماسة التي تثيرها القضية الوطنية في اوساط اولئك الذين وجدوا انفسهم احراراً ليقوموا بتحديثها . فكرت فيما نطوي عليه من إثارة لسخوتهم ، معامرة تشمل أبعادها الارض كلها . وأية كانت قوة الوقائع ، فإن في مستطاعي أن اسيطر عليها ، ما دام في امكاني ، كما يقول شاتوبريان : « أن أقتاد الفرنسيين فيها بالأسلام » .

لندن

كان الصباب في لندن يفلت العوس ، في مستهل هذا الشتاء . وجدت الانكليز حراسي متوترين لا رب أهم كانوا يحسبون باعتزاز ، انهم ربحوا المعركة الجوية ، وأن أخطار العدو بصدت كثيراً عنهم . ولكن بينما كانوا يرفعون ألقاصهم ، أحدثت نصب عليهم وعلى حلفائهم المساكين ، هموم أخرى .

كانت حرب الغواصات حامية الوطيس . والشعب الانكليزي يشهد بقلق متزايد ، غواصات الألمان وطائراتهم وغاراتهم ، تعمل في تخريب سفن التي تتعلق عليها بحرى الحرب ، وحتى معدل حصص المواد الغذائية . ولم يبق من شغل شاعل للورداء والمصالح ، سوى « حيلة السفن » . وأصبح مقدار الحولة فكرة تلاحق الجميع ، وطاعة هيمن على كل شيء . « حياة وكلائرا » ويجريها بتمرسان ، كل يوم ، للخطر في البحر .

ومدأت في الشرق العمليات الشطة . وقد أصبح المتوسط ، غداة الحرف فيشي ، غير قابل لصور الفوادل البريطانية الطيئة . وكان على القوات والعناد التي ترسلها لندن إلى مصر أن يمرأ برأس الرجاء الصالح ، ندماً لطرق بحرية طويلة طول نصف الارض . وما كان يرسل من الهند أو استراليا وريلامدة الجديدة ، لم يكن يصل إلا بعد قطع مسافات لا نهاية لها . ثم إن ركام المواد ، والمتسلح ، والتموين - ٦٠ مليون طن عام ١٩٤١ - التي كدت تستوردها انكليزاً لصاعتها وأسلحتها وسكاتها ،

لم يكن في الامكان أن يأتيها إلا من أفريقي اميركا واقربقيا أو آسيا .
وذبت بقنصتي حولة غاية في الصحامة ، من الاطباء ان سحر في طرق
ملتوية ذات مسافات شاسعة تنتهي في مرهاين صبيين *Merser* مرسي
وكلايد ، وتقضي وسائل عواكبة كبيرة .

كان قلق بريطانيا يرداد حده وثقلا كلما بسد أن ليس في الافق ،
من أي جهة ، انمراح يتفتح عن آمل مسعدة . وعلى المكس بما كن
يسأمل كثير من الانكليز أن يؤدي قصف مدهم وانتصار سلاح الجو
الملكي إلى حمل اميركا على اتحاد قرار بدحول بيدان ، فإن شيئا من
ذلك لم يحدث . ومن المؤكد أن الرأي العام في الولايات المتحدة صعد
بكره هنر وموسولي . ثم ان الرئيس روزفلت ، شحذ مدد اعيد
انتعابه في « تشرين الثاني » من جهة أخرى ، بحث الخطر في
دبلوماسيته وتصريحاته العامة ، وجهده نحو حر اميركا من التدخل
ولكن الحيات ظل موقف واشطن الرسمي ، وهو الذي يمرضه الفنون ،
في جانب آخر . ثم كان على الانكليز ، خلال ذلك شتاء المظلم ، أن
يدفعوا ثمن مشترياتهم من الولايات المتحدة بالذهب والنفد الددر . وكان
حتى العمون اللامباشر الذي توفره لهم براعة لرئيس السهلوانية ، موضع
مخطط دقيق وثقة طيب لا يبي في الكونغرس والصحافة وحلاصة القول
إن الانكليز كانوا يرون ساعتهم تقترب ، ولا يستطيعون بها تلقي ما
يؤمنهم للقتال ، لنقص في الوسائل ، وهم يقومون بدفعات فدرصها
حاجياتهم .

ولم يظهر من جانب روسيا السوفييتية أدنى صدع في السوق التي
كانت تربطها بالرايخ ، بل كان المكس ، فإن انفاقا تجاريا حرميا
- روسيا عقد في شهر كانون الثاني (يناير) ، بعد رحلتهم فنام بها
مولوتوف إلى برلين ، وكان من شأنه أن أعان ألمانيا إعادة كبرى على

الشميون ، ووقعت اليابان ، من جهة أخرى ، في تشرين الأول ١٩٤٠ ،
 الميثاق الثلاثي معطية تصديها التهديد مع برلين وروما . وبدأ في
 الوقت نفسه أن وحده أوروبا في ظلّ الرعاية الألمانية وقد تمخض ،
 وفي تشرين الثاني اجازت المحرر ، همدريا ، ورومانيا وسلوفاكيا إلى
 المحور . والتقى هيرستو مع هتلر في ساس-سيامتيا ، ومع موسوليني
 في برديمبر . وأخيراً ، لم تكن قسبي من القدرة بدولة تترك معها
 الحفاظ على أسطورة الاستقلال التي سمعتها إليه الهدنة ، ودخلت محور
 التعاون العملي مع المرأة .

وإذا كان الأفق في الخارج مربوذاً ، فإن في الداخل أعباء ثلث
 كانت ترقى الشعب البريطاني ، إذ حكان من أمر النعمة للعدمة أن
 زحمت عشرين مليوناً من الرجال والنساء في الجرش ، والمصانع ،
 والحقول ، والمصالح العامة ، والدفع المادي . وكان الاستهلاك للجميع
 جدياً محدود ودقيق ؛ وصرامة المعايير الشديدة تفصل لنوا في كل حساب
 مع عملاء السوق السوداء . ثم إن غارات العدو الجوية لم تنقطع ، وإن
 كان لا يهدف بعداً إلى نتائج حاسمة ، وراح يخلق الارتباك في المواسم ،
 والصناعة ، وسكك الحديد ، ويسحق بعنة : كوفنري ، ومدينة لندن ،
 وبورتسموث ، وسودامبتون ، وليفربول ، وغلانكو ، وسوانزيسا ،
 وأهل ، إلخ .. فأنصأ على أساس السكان طيلة ليل وليل ، مبهقاً
 أعصاب هيئات الانقاذ والدفاع ، مكرهاً زمر الساكنين على ترك أسرهم
 ليوعلوا في عتمة الأفيّة والملاحرة ، فضلاً عن محطات المترو في لندن
 كان لامكثير في حتام هذه السنة ١٩٤٠ ، بشمرون وقد حوصروا في
 جزيرتهم أنهم في أسلاك نقطة من النفق .

لم يكن من شأن هذه الآراء التي نزلت فالبريطانيين ، على كثرتها ،
 أن 'تيسر' علاقاتهم ، فهم ، وقد استغرقوا في مشاعلهم ، تبدو لهم

مشكلة في عهدنا ، وكانت تزعمهم إلى امتصاص ، عدد ذلك ،
 تعوى ومشتد بقرار ، كما يعتقد ثورهم ، فقد كان من الأيسر عليهم ،
 في الواقع ، من الوحدة الادارية والسياسية ، أن يمسكوا العربيين
 الأحرار كعناصر متذبذبة ، بثقوت ، ذكورية وعصايتها ، أكثر من
 اعتبارهم إياهم حلفاء ذوي مطامع وطام ، ويضاف إلى ذلك خلال
 تلك الفترة التي أحدثت بها احزاب تنافس ، وروح السخط بتفشي ، أن
 لاوساط الحكمة في لندن ، لم تكن ، إلى شيء نحو الجديد ، ولا نحو
 العدو الخس في الأمور ، فقد كان أركان الحرب والوزراء ، يمارسون
 بطبيعتهم ، في حصر المشكلات المستعصية ، بطرقهم ، مثل مطامعهم وتذرع
 الإصلاحات ، بينما كانت الحكومة تلاميذ الماء لشدة السخط على اتحاد
 قرارات ، وهي تحت يرا ، فقد التي بدلتها على البرلمان والصحة .
 بعد قول لي تشرشل ذلك يوم ، هل تعرف ، هو انتم من أصل ،
 الوزارة البريطانية بخط من .

ومع ذلك ، كانت حاجة فرنسا ، خرم إلى كل شيء ، ملحة .
 كانت الضرورة التي لا مناص منها تعصباً أن نحصل من الانكليز على
 ما لا غنى عنه ، ولتحفظ في الوقت نفسه تجزئهم باستقلال حارم ،
 بعد رحلات الصيف والخريف ، وقبل البدء بالمشروعات الجديدة التي
 قررت السير بها في الربيع . وقد نشأ عن هذا الوضع كثير من المشادات

وكانت طبيعة منطقتنا المتحركة ، المتعددة العناصر تدور إلى حد ما ،
 حبيطة البريطانيين بمقدار ما قبض في الوقت ذاته قدحلاتهم . كان من
 المستحيل على فرنسا الحرة المجتدة على عجل رجلاً رجلاً ، أن تجسد
 قوتها الداخلي سريعاً ، بعد كانت كل وحدة من مؤسساتها في لندن :
 الجيش ، البحرية ، الطيران ، المالية ، الخارجية ، إدارة المستعمرات ،
 الإعلام ، الارتيادات مع فرنسا ، فتكون وتؤدي عملها برغبة كبرى

في الانقذ . ولكن الحرية والناسك كانا يعورانها على نحو قاس مرير .
وعدا ذلك ، كانت روح المصممة لدى بعض الشخصيات أو بسطة ،
إبعدام استعدادهم الإدعان إلى قواعد الخدمة العامة والتزاماتها ، يخاف
هزات شديدة للجهاز ، ويظمه بصره . هكذا حدث أنه ، إقامتي في
أمريكا ، أن ترك أسيرة لامارث إدارتنا ، واصطدم الأميرال موريليه
ودوي الصالح الأخرى . وحزت في « كارثون غاردنز » حدثت حادثة
بين أشعص ، ومأس - هرة في المسكن ، فصح بها منظوعونا ،
وأفلقت حلماها .

شرعت من عودتي في مائة تشرين الثاني ، بوضع الأمور والأشعاص
في مواضعها . ولكني ما كنت أبداً إعادة التنظيم هذه ، حتى وجدت
نفسى أسيرة خطي فادح أرتكته الحكومة البريطانية ، وكانت نفسها
صعبة تصليح ، ففره رجل « الانتيجاس » .

والواقع أن حتى الحصار التي شعلت اسكلترا آنذاك ، حطت مرتعا
لأفراد لاستعمارات وأعصاء الأمن العام ، و « الانسيحس » الذي
هو للاسكلير ولح عقدر ما هو خدمة ، لم يعمل « نطس » عن عد
شاكه في اتجاه « هرة » الحرية . وكان أن استخدم لذلك أناسا ملهمين
وأحرين أعباء دعة واحدة . وموحر القول أن الوزارة الاسكليرية
عمدت فعلة ، بمرار من عملاء غير مرغوب فيهم ، إلى إضمان « هرة »
الحرية ، بجراح أوشكت أن تكون ذات نتائج سيئة .

كنت مساء اليوم لأول من كلون الناس في شروشر مع ذوي
وأقاربي ، وإذا « سيد » إندن يظلي بالحاح فقلته وعلى وجه السرعة
في لفورين أوفيس (وزارة الخارجية البريطانية) ، حيث حل مؤحراً
محل اللورد هاليماكس الذي عن سحراً في لولايات المتحدة . وفي صباح
اليوم الثاني ذهبت رأساً لقلته ، وأظهر وهو يستلقي علامات اعمال

شديد ، وشال بي : « حدث ما يروى له ، فقد كنت لست لست أن الأميرل موزيليه على علاقة سرية بفيشي ، وأنه حاول أن يقتل إلى دارلان خطة الحملة على دكار في اللحظة التي كانت تمت بها ، وأنه ينوي أن يسلمه و سركونف » . وحذ أعلم الوزير الأول أصدر أمراً باعتقال الأميرال . ووافق مجلس الوزراء البريطاني على ذلك . موزيليه إذن معتقل . ولا تخفي الاثر الذي تحدثه هذه القصة المزعجة في نفسك ، كما أحدثت في أنفسنا ، ولكن كانت من المستحيل علينا أن نتهم قبل الفصل .

وأظهر لي السيد إيدن ، عند ذاك ، الوثائق التي استند إليها الاتهام . وكانت عبارة عن مذكرات مكتوبة بالآلة في أعلاها ومعها ختم قنصلية فرنسا في لندن - التي ما زال يشغلها موظف من فيشي - وموقعة في الظهر من الجنرال روروي الذي كان رئيس البعثة الجوية سابقاً ، وأعيد مؤخراً إلى ملكه . وهذه المذكرات تين ملحوظات يقول إن الأميرال موزيليه روى لها روروي وعرف أن هذا كان قد نقلها إلى مفوضية دولة من حبوب أميركا في لندن ، ومن هناك وصلت إلى فيشي . ولكن أفراداً حساسين من الاستليجاس ، قطعوا الطريق ، حسب رواية إيدن ، على الوثائق ، وأصاب . « كان من السلطات البريطانية ، وبأ للأسف ! » أب اقتنعت بصدق أصالتها ، بعد تحقيق دقيق .

شمرت بي الحال ، وإن أدعيتني المفاجأة لأول مرة ، أن « انكاس كان فعلاً ، حاراً ، وأن الأمر لا يمكن أن يتمدى كونه خطأ فادحاً ناشئاً عن مكيدة . وأعربت عن ذلك بوضوح للسيد إيدن ، وقلت له إنني سأرى بنفسى ما يمكن أن يكون منها ، وإنني اسأل تحفظاتي كلها ، بانتظار الحقيقة ، على هذه القصة الخارقة .

لم يذهب في الظن أثناء ذلك ، إلى التصور لأول وهلة ، أن القضية يمكن أن تكون ملفقة تحت ستار مصلحة بريطانية ، معزوتها إلى فيشي . ألا يجوز أبداً أن يكون مؤلفوها قد عبروا هذه القنلة لموقوفة وتركوها في انكلترا ؟ وبعد ثمان وأربعين ساعة من الاستعلام والتفكير ذهبت إلى الوزير الأنكليزي ، وصرحت له بها يلي « الوثائق مريبة إلى أبعد عايات الريب . سواء في ساقها ومصدرها المفترض . وفي جميع الأحوال ، هذه ليست أدلة . وما من شيء يبرر الاعتقال المبين لثائب أميرال فرنسي ثم إن هذا لم يستجوب ، من جهة أخرى ، وأنا شخصياً لا أملك إمكانية مقابله . كل ذلك مما لا يمكن تبريره . يجب ، لأن ، على الأقل ، أن يخرج الأميرال موريليه من السجن ، وأن يعامل بشرف إلى أن يلقى القور على هذه القصة المظلمة » .

لم يقل المسار إيدن ، وإن بدا مرتبكاً ، أن يقوم بما يرصيني ، زاعماً جدية التحقيق الذي قامت به المصالح البريطانية . واضطدت احتجاجي برسالة ، ثم عذكرة . وقت برابرة للأميرال السير ددلي ماوند البورد الأول للبحار ، واعدت إلى ذهنه الصفة الدولية للأميرالات ، ودعوته إلى التدخل في هذا النزاع المشين الذي رُح به احمد انداده . وظهرت على موقف السلطات البريطانية ، عقب خطواني ، بعض الدبدبات . وهكذا ، حمات ، كما حكمت قد طلعت ، على مقابلة موريليه في اسكونفلديارد ، لا في رزانة ، بل في مكتب من غير حرس ولا شاهد ، لأظهر للناس كلتهم ، وأقول له إني رفضت التشهير الذي كان ضحية له . وأخيراً كانت هناك إشارات شتى حلاني على التفكير بشخصين ادعوا أثناء إقامتي في افريقيا بـ « مصلحة امنا » ، تلتسا بلباس فرنسي ، ولكنها لعفا نفقة بإلحاح من لامكثير ، فطلبت مثولها بين يدي ، واقتضت لشهد دعهما أن الأمر بكل تأكيد ، « قصة انتليجانس » .

و استدعيت الجنرال سيرر في ٨ كانون الثاني ، و بينت بصراحة بقبي
لثت ، و صرحت له أنني أعطي الحكومة البريطانية مهلة أربع وعشرين
ساعة لإطلاق سراح الأميرال و التعويض عنه ، وإلا فإن جميع العلاقات
بين فرنسا الحرة و بريطانيا العظمى تقطع ، أية كانت النتائج لقطعها .
و حالي سيرر في اليوم نفسه ، وهو مرتدك ، ليقول لي إن السلطة
أفرت باخفا ، وإن « الوثائق » لم تكن إلا دورا ، وأن مدعي أقرها ،
وأن موريليه خرج من السجن و راربي نائب العام في اليوم التالي ،
و أخبرني أن الملاحقات انصائية أخذت تجري في محراها ضد مدبري
المكبدة ، و على الأخص ضد عدة صباط بريطانيين ، و حالي أن أعيش
من يشع باسم فرنسا الحرة ، التحقيق و الدعوى . وهذا ما فعلته .
و بعد الظهر ، لقيت في داوونج مقرب ، السيد تشرش و إيدن حد
منزعجين و اعروا لي عن اعتذار الحكومة البريطانية و وعدوها بالتعويض
على موريليه عما أوجبه اليه من إهانة و يجب أن قول إن هذا الوعد
أحمر ، و كان تعتبر مرقف الانكليز و الأميرال كما ظهر من بعد ، غاية
في التأم حتى بدا متطرفاً ، على نحو ما سنرى في المستقبل .

لأأحكي ان هذا الحادث الأليم كان ذا تأثير في علمتي بما يجب ، ولا
رب ، ان تكون عليه علاماتنا مع لدولة البريطانية ، إذ ابرر ما كان
على الدوام واهياً في موقفا نجاء حلفت غير ان نتائج الشر لم تكن ،
في موقع الراهن ، مع ذلك ، جميعها سيئة ، ولأن الانكليز رغبة
منهم ولا شك ، في التعويض عن خطئهم ، اظهروا انهم ، كثر استعداداً
للبحث عما في القضايا المعلقة .

هكذا وقعت ، في ١٥ كانون الثاني ، مع المستر إيدن إتفاق و ولاية
شرعية ، على الفرنسيين الأحرار في الأراضي البريطانية ، ولا سيما
بصلاحيات محاكمة الخاصة التي تعمل ، وفقاً للتشريع العسكري الوصي .

و ساعد من جهة اخرى ، ان يفتح معاوضات تتعلق بالنفاق المالي
و اقتصادي و يقضي مع الحربية الانكليزية . و كلف كاسان ، و بلين ،
و « ديني » من قبلنا للقيام بهذه المفاوضات التي انتهت في ١٩ آذار (مارس) .

كانت لمشكلات التي طمعي ان يحلها بهذا الخصوص ، معقدة لدرجة
تقتضي ان يخرج من عدم الوسائل التي تفرصها الظروف . وكيف لنا
ان نمنح اللجان المختصة في اوروبا و اوقيانوسيا ، نحن الذين لا نرى
بلا مصرف ، ولا نقد ، ولا مواصلات ، ولا دوات بث ، ولا تحميل
تجاري ممنوع به في الخارج ؟ كيف نصور قوات فرنسا الحرة الموزعة
في جميع أنحاء العالم ؟ كيف لنا ان نحذف قيمة الاعندة و الخدمات التي
كان يرودها هذا العدو من تلك التي نرودهم بها ؟ لقد وضع في مصوص
الامانة ان كل نظام ، أيا كان عرصه ، يجري تعديله في لندن بين الحكومة
الانكليزية و الجورنال ديمول ، ولا بد شرعياً بدأ مع السلطات المحلية الفرنسية
بحسب الظروف و المصادفات ، و كان معدل الصرف المتفق عليه ١٧٦
فرنكاً مقابل الليرة الواحدة ، اي ان هذا هو المعدل الذي كان ساري
المفعول قبل الهدنة المتوقعة مع فيشي .

و أخذاً بالسياسة نفسها ، أساساً بعد ذلك بقليل « الصندوق المركزي
لفرنسا الحرة » و كان على هذا الصندوق ان يقوم بجميع المدفوعات
أحور ، روت ، مشعري ، الخ . و ان يطمى جميع مقصودات
حصص أراضيها ، سلطات الحربية البريطانية ، هدت فرنسيي الخارج ،
الخ . . . و صبح من جهة اخرى ، المصرف الوحيد للأصدر التام
لفرنسا الحرة في كل مكان من العالم . وهكذا ، بينا كان الانصواء الى
ديمول يربط معدياً بين جميع عناصره ، أصبحت ادارة هذه العناصر
هي نفسها ، متمركزة على نحو و طيد . و بدأت وحدة شملت مجموعة
كاتب مع دنك مرتجلة و مستترة الى اقصى حد ، او لم يكن قط بيت

إقطاعيات مالية واقتصادية ، ولا سياسية وعسكرية ، وامتنعت ايكالترا في الوقت نفسه عن كل تدخل محلي بالوسائل المالية .

غير أننا كنا مع ذلك نمكر اكثر ما نمكر في الوطن الام ، ونحن نوجد قاعدتنا وراء البحار . ما نعمل بذلك الوطن ؟ وكيف ؟ ومدا ؟
فأما يمكن تحت تصرفنا اية وسيلة للعمل في فرنسا ، ولم يكن حتى لنرى من اي طرف نتناول المشكلة ، فإن ذلك ما كان ليحول ، على الأقل ، دون محيلتنا والتفكير في اوسع المشاريع ، آملي ان تشارك البلاد فيها مشاركة كثيفة شاملة . وما كنا لتحويل ادن اقل من منظمة لتبج لنا دفعة واحدة ، إلقاء النور على عمليات الحلفاء بعض معلوماتنا عن العدو ، ومن ثم مقاومة على ارض البلاد ، في جميع المجالات ، ونجهر قوت تشرك ، حين يأتي الأوان ، في معركة التحرير حلف المؤتمرات الاندية ، واخيراً إعداد النجم الوطني الذي بعيد لي البلاد سيرها الطبيعي ، بعد الانتصار . واردنا كذلك ان تكون هذه المساهمة المتعددة الخواص ، مبرورة بمرسيتين من ذوي الجهود الحربي اشترك ، وان يكون هذا الجهود لمصلحة فرنسا ، لا حورعاً ابداً ، بل خدمات أدت مباشرة للحلفاء .

ولكن هذا الصميد للعمل السري كان بالنسبة لنا حياً ، شيئاً حديداً كل الحدة . فما من شيء قط ، كان قد أهد في فرنسا لمواحة انوقف الذي وصلت اليه البلاد . وكما نعلم ان دوائر الاستخبارات الفرنسية كانت تتوسع بعض النشاط ، في فيشي . وكذا نعلم ان هيئة اركان الجيش كانت تحاول ان تسحب من لجن الهدنة بعض الاعتدة . وما كنا شك في ان عناصر عسكرية مختلفة كانت تحبب الاتحاد الاستعدادات اخذاً منها بفرضية اسلاف القتال . ولكن هذه الجهود الهزأة كانت تبدل خارج دائرتنا ، لحساب عهد يتكون مبرر وجوده

على وجه الدقة ، من عدم استكمال تلك الجهود ، وان لا يكون لستم
لرتب العسكرية ابداً اي معنى او قبول ، بأقل اتصال مع فرنسا الحرة .
وموحد القول إنه لم يكن في الوطن الأم شيء ما ، يمكن ان يستند
اليه عملنا . كان الواجب يقضي ان نستل من العدم الخدمة التي تعمل
في ذلك الميدان الرئيسي من ميادين المراك .

لم يكن حولي نقص في عدد المرشحين ، بكل تأكيد . فقد حدث
ان كان ، بضرب من سوء عمضة لطيفة ، عام ١٩٤٠ ، جرد من
الحبل الراشد 'وجهه من قبل نحو العمل السري . والواقع ان الشبهة
اظهرت ، في فترة ما بين الحربين ، ميلا لقصاص المكتب الثاني ، والخدمة
السرية ، والشرطة ، فصلا عن ميلها إلى الصربات المفاجئة والمؤامرات .
وكانت الكتب ، والصحف ، والمرح ، والسينما ، قد غنيت عنابة
واسعة بمغامرات الأبطال الخياليين - الخياليين كثيراً او قليلاً - الذين كانوا
يحدون بالطولات ، في الظل ، خدمة للبلاد . وكان من شأن هذه
النفسية ان تسهل تحيد المعنات الخاصة ولكنها كانت تنطوي ايضاً
على خطر ، هو إدخال الرومنطيقية على تلك المعنات ، والحفة ،
والتلصص اسماً ، بما يشكل عقبات كأداء . ولن يكون ثمة مجال
تكثر فيه طليعات الاستخدام كهذا المثل ، ولكن على الرجال الذين
يكتفون فيه بالأعمال ان يقدموا الدليل على جدية أكثر ، وجراءة أكثر
في الوقت ذاته .

وقد وجد ، لحسن الحظ ، طيوس من هؤلاء . وكان المقدم دبرافران ،
الملقب بـ 'باسي' ، رئيسهم . وما من شيء أعقد 'باسي' لهذه المهمة
التي لا سابق لها . ولكن كان ذلك في نظري ، افضل . إذ لم يكده
بقية ، من جهة أخرى ، حتى استولت عليه مهمته بضرب من الولع
البارد كان من شأنه ان سدّد خطاه في مسالك مطمة حيث وجد نفسه

منخرطاً في كل ما كان حتماً وكل ما كان شيئاً . ولقد قضى ناسي على دفعة الرورق في عباب القلق الضامي ، والدسائس ، والوان لإحفاق ، خلال المساء اليومية التي كانت هي العمل في فرنسا ، يؤارده ماوبل . ومن بعد فاللون ، وويسو ، وبيير بلوخ ، الخ ... واستطاع هو نفسه ان يقاوم القرب ويتحامي المناهاة ، وهما الايليدان الحديشان مثل ذلك النوع من النشاط . وذلك هو السبب الكامن وراء احتفاظي بناسي في منصبه عبر الرعارع والاعاصير ، اية كانت التغيرات التي كانت تطرأ على المكتب المركزي للاستثمارات والعمل ، مع تراكم التجارب .

كان المطلب الأكثر إلحاحاً ، ان نذكر في ارض الوطن نواة منظمة . وكون الحبيب البريطاني يريد ان يرانا يرسل فقط عملاء مكلمين بأن ملتفتوا ، مفردين ، معلومات تتعلق بأعراض محددة ، على حساب المدور . تلك هي الطريقة المتبعة في خاسوسة . غير أننا كنا نؤوي من ما هو افضل من ذلك ، فما دام العمل في فرنسا سيأخذ في الانتشار وسط اناس فندفق فيهم الارادات الطيبة ، كما يرى ، دون ما كنا نؤوي نكونه ، هو الشكات السرية . وهذه ترتبط فيما بينها بمناصر منتخبة ، ولحاربنا بوسائل متمركزة ، ونحصل على افضل النتائج . وكان لذين قاموا بالتجارب الاولى . يشيخ دورف ودوكلو ، زلا على شاطئ الماش ، فوركو وفيل كوريل عمرا بإسبانيا ، روبر وموتيه قدما من تونس الى مملكة وأعيدا الى افريقيا الشمالية . وبعد هؤلاء ، بلليل ، بدأ ريمي بدوره ، هذه المهنة كميل سري ، وبها اظهر ضرباً من المقربة

وحينذاك بدأ الصراع في ذلك الميدان الذي ظل حتى ذلك الزمن محمولاً . ولكن بعد اشهر ، او هلال بعد هلال ، بتصير اوضح ، لأن كثيراً من العمليات كانت تتوقف على كوكب الليسل ، شرع

الـ $B C R A$ (المكتب المركزي للاستخبارات والعمل) في نشاطه :
 لتجنيد المحاربين للحرب الخفية ؛ اوامر تصدر للبعثات ؛ تقرير للنشر
 والدرس ؛ نقلات على روارق ، وغواصات ، وطائرات ؛ تسلات عبر
 البرق ؛ وإسبانيا ؛ نزول مطلبين ؛ اتصالات مع ذوي البياض الطبية في
 فرنسا ؛ دهاب وإذاب المفتشين وضباط الارتباط ؛ الكتب عمطات راديو ،
 وانواع البريد ، والملاحظات المتفق عليها ؛ الشغل مع المصالح الخليفة التي
 كانت تصوع مطالب اركانها العامة ، وتروء المعتاد ، وتسهل ، حسب
 الحالات ، او تعقد الامور . واتسع العمل من بعد حتى شمل العتث
 المسلحة في الاراضي وحركات المقاومة ذات النشاطات المتعددة . غير
 اما لم يكن بعد قد وصلنا إلى ذلك ، خلال هذا الشتاء المظلم .

كان علينا ، ونحن منتظر ، ان نغارس مع الانكليز « طرار مبيشة »
 يسمح لـ $B C R A$ (المكتب المركزي للاستخبارات والعمل) بأداء
 وظيفته على ن بطل وطنياً . وكان ذلك رهاساً حقيقياً . والاكد ان
 البريطانيين كانوا يدركون مدى الفوائد التي يمكن ان تعود به عليهم
 امومات التي يقدم بها المرسيون من ناحية الاستعلامات - وهي السحية
 الوحيدة التي كانت تهتمهم اولاً - ولكن الموعات المباشرة هي ما كان
 يسمى وراءه الانكليز المختصون قبل كل شيء ؛ وابتدأت إذن في الحال ،
 ماسة حقيقية : كما نحن ندعو المرسيين ان لا يتدججوا في خدمة
 المصالح لاجنية اداء للواحب المعنوي والقانوني ، والانكليز يستخدمون
 وسائلهم في محاولة الحصول على عملاء ، ثم على شكايات لهم خاصة .

ما كان لمرسي ن يصل إلى انكليترا ، الا ويحدد له « لانتاليعائس »
 غرفة في « الباربيونيك سكول » ، هذا ان لم يكن شهيراً ، ويدعوه
 إلى الاضطرط في الخدمات السرية البريطانية . ما كان يخلص ليتحقق بنا
 لا بعد سلسلة من الزان للصعط والاعراضات . واذا حدث ان ادعى

نعول عما فلا نراه بعد بدأ وكان الانكليز في فرنسا نفسها يستخدمون التماس الالفاظ لتجنيد مساعدتهم ، ويشيرون هذه الاشاعة ، ، ويقولون وربطاب العظمى عما شيء واحد ، ، اما الوسائل المادية التي تخضع بها كلباً على وجه التقريب ، لخطائنا ، هائلا لم تكن نحصل عليها احيانا الا بعد صارومات مرهقة . ولا يخفى ما قدسوق اليه هذه الطريقة في المعاملة من مميزات . صحيح ان الانكليز كانوا ، اغلب الاحيان ، يلامسون الحد ، ولا يتجاوزونه ابدأ . لقد كانوا في اللحظة التي يريدون بها التدخل يمدون اصابعهم ثم يرجعونها جريئاً على الأقل ، حين تقع عند حدودنا ، وعند ذاك يفتح عهد من التعاون الثمر الى ن يأتي يوم تثور به فجأة عواصف جديدة

ولكن ما كنا نحاول عمله ، في هذه الناحية كما في غيرها ، لا يمكن ان يكون ذا قيمة ، الا اذا اتعت الرأي العام الفرنسي ، فقد اكتشفت اي دور يمكن ان تلعبه الدعاية على امواج الاثير في خطتنا الجديدة ، يوم ١٨ حزيران (يونيو) ، إذ تحدثت بالراديو لأول مرة في حياتي وتصورت شيء من الدور أولئك الذين يستمعون الي من ساء ورجال.

وكان فصل الانكليز ، وهو واحد من افضالهم لأخرى ، هم ادركوا فوراً الامر الذي يمكن ان يحدثه مدياع حر في نفوس الشعوب المعولة ، واستخدموه على اوسع مدى ، وعمدوا في الحال ، الى تنظيم دعاوتهم الفرنسية . ولكنهم كانوا في ذلك اعميين كما في كل شيء ، فهم وان ارادوا ملصق تمزير الصدى الوطني الذي لقيه ويقولون وفرنسا الحرة ، رعبوا ايضاً في ان يفيدوا من هذا الصدى لانفسهم ويظنوا في الوقت نفسه ، سادة الموقف . اننا نحن فكنا نرى ان لا نتكلم الا لفصيحنا . ولم اسلم قط من حقي بأي إشراف على ما قوله ، حتى ولا بأي رأي احبي حول ما اقوله لفرنسا ، وذلك مما لا حاجة الى بيانه .

وكان ان سويت وجهات النظر المختلفة هذه تسوية واقعية تقتصر وفقاً لها فرنسا الحرة كل يوم بإداعتين مدة كل منها خمس دقائق ونشأت ، من جهة ثانية اللجنة الشعبية « فرسيوت » يتحدثون إلى فرنسيين « مستقلة عنا » وكان يقوم بإدارتها السيد حاك دوشين ، رجل المسرح الذي استقدمته الي. بي سي وكان يشارك فيها عدة فرنسيين احرار مثل جان ماران و جان أوبرله ، موافقي . وكان من المنفق عليه ، في جانب آخر ، ان تكون اللجنة على اتصال وثيق بنا ، وهذا ما جرى لمدة طويلة ، فعلاً . وعلى ان اقول ان مواهب تلك الجماعة وفعاليتها حتمت علينا ان نسمحها كل عون قدرنا عليه . وكذلك فعلاً ايضاً مع مجلة « فرنسا الحرة » التي يعود الفضل فيها إلى السيدين : لامارت وريمون آرون . وتعاملنا بالطريقة نفسها مع « الوكالة الفرنسية المستقلة » وصحيفة « فرنسا » ، الاولى كان يديرها مابو المعروف بـ « بوردي » والثانية السيد كومبر شاييد مائتر من وزير الإعلام البريطاني ولكن من غير ان يكونا مرتبطين بنا ، على حال من الاحوال .

كاث الامور تشير على هذا النحو ، ولا نخلو من بعض احوادث الطبيعة طالما ظلت مصالح ائكلترا وسياساتهم متواربة مع فرنسا الحرة . وستناً فيما بعد أرمان لا نفع لها مما « فرسيون » يتحدثون الى فرنسيين ، ولا « الوكالة الفرنسية المستقلة » ، ولا صحيفة « فرنسا » . صحيح انه كان لدينا في مدام برارافيل على النوم وسيلة لتشر ما كان يبدو لنا مفيداً . والواقع ان مذياعنا لا يرقى المتواضع قدم صد الداية بوضيعة على نحو فعال ، وقد استقدمه نفسي مراراً . ولكن صك نريد توسيعه وتكبيره ، وطلت المواد اللازمة لذلك من اميركا . وكان يترمنا للحصول عليهم ان نحيط في الولايات المتحدة الكثير من الدسائس والمرايدات ، لا أن مصر طويلاً ونفد كثير من الدولارات ، فحسب .

وأخيراً ، مهضت لأداعة الصميرة وكانت بدايتها بطولة في الكومبو ،
خلال ربيع ١٩٤٣ ، التي كانت أساساً للقطعة الكبرى لغربا المهارنة

لا حاجة الى ذكر الأهمية التي كان يعطها على دعائنا الموحدة من
المدن ، فقد كان يدخل الاستوديو كل يوم ذلك الذي يتكلم باسمنا وهو
مشمع كل الاشياء بقمعته . ومن المعلوم ان موريث شومان كان يقوم
بذلك أغلب الأحيان . ومن المعلوم كذلك أية موهبة كانت ترحمه .
وكل ثمانية أيام تقريباً ، كنت أتكلم بمعي ، ولدي لانتطاع التبعيع
المؤثر أبي أودي للطلاب من المستمعين الذين كانوا يستنون إلي ، في حومة
القلق عبر نشوؤات رهبة ، صرباً من طقس كهنوتي . كنت أركب
خطاتي على عاصف حدة بسيطة يجري الحرب الذي كان يمشي خطأ
الاستسلام ، الكرامة الوطنية التي كانت تحرك العوس بعمق ، لدى
الاحتكاك بالحدود ، والأمل بالنصر أخيراً ، وعظمة جديدة له ، سيدتنا
فرسا .

ومع ذلك ، كان عليا ان نلجس جيداً ان الرأي العام كان على
صليته ، في المظفتين ، أياً كان التأثير الذي تحدثه تلك الخطابات وما
تلقاه من قبول . ولا ريب ان راديو لندن ، كان يسمع في كل مكان
مارثيخ ، وفي أغلب الأحيان بحماسة . كان الحكم على مقابلة مودتور جيداً
صارم ونصيرة طلاب مارس ، وهم يحملون في موكب ، حلف لافتة كتب
عليها « دو غول Deux Gaules » ، في ١١ تشرين الثاني ، الى قوس
النصر ، والتي فرقها الفهرماحت بطلقات التمدق والرشاشات ، تعطي
فكرة مؤثرة وثقة الهمة . وبدأ طرد لاول الوقت وكأسه هتارة

(١) Gaule تعني «عربية نصيب طومال لغربا التهار و Deux «ثان» . نطقها معاً
مؤلف جيناً لفظياً يشير الى الجبال ويمول .
المترجم

رسمية لتقويم الاعوجاج . وفي اول كانون الثاني ، ظن قسم كبير من السكان ، ولاسيما في المنطقة المحتلة ، قابضين في موارثهم تلبية لما طلبت اليهم ، وأحلوا الشوارع والساحات مدة ساعة . « ساعة الأمل » . غير انه لم يكن ثمة ادنى علامة تحمل على التفكير ان عدداً كبيراً من الفرنسيين مصمتة على العمل ، فالدور لم يكن يعاني في ديارفا أي خطر . أما فيتشي فقليل هم الذين كانوا يدعونها في سلطانه . ولدارشل نفسه طر يتمنع شحنة ونفقة وقد وصل اليها فيلج عن رماراته للندن الكبرى في اوسط الجنوب يعطي التديل القاطع على ذلك . وكانت الاعلية العظمى قد « في قرارتها » ان ترى في بيتان داهية من الدهشة ، وأنه سيرفع السلاح في اليوم الموعد . والرأي العام كان يحس اذن أنه وإيدي على وفاق سرتي . واخلاصة السهائب انه لم يكن للدعاوة ، شأها على أندوا . سوى قسمة حشبة في حد ذاتها . كل شيء كان يتعلق على الأحداث .

كان الاهتمام ، في الطرف الرابع ، منصرفاً الى معركة الفريقتين . وقد احدث قرب الحرة نظير فيها . وكان ان رحلت اتصل مباشرة ، منذ ١١ ثور ، « جندل وديال » لثمة البريطاني الاعلى في « الشرق الاوسط » ليجمع في وحدات منظمة العناصر الفرنسية التي كانت في منطقة عمدة ، ويرسلها إتحاداً للبحرل ليحتل يوم في جيبوتي ، ثم حسين تأكد من ساحل الوصول الفرنسي أدعى لأهدنة ، حصلت من وبعين على موافقة بأن يشترك فوج مشه البحرية الذي التحق بقمرص في حبرون واكمل الفرنسيين من مصر ، في اول محوم يشه الانكليز في بركة نحو طريق ودرية . وكثير من الوطنيين في فرنسا والخارج اهتزوا هرجاً حين عرفوا ان الفوج السائل الذي يقوده المقدم « فوليو » غير في معركة سدي برياني ، في ١١ كانون الاول (ديسمبر) . ولكن الامر المهم انما كان

الآن الإتيان بفرقة - خفيفة وبألأسف ١ - من أفريقيا الاستوائية الى البحر الاحمر ، والموافقة على اشتراكها بهذه الصفة ، في العمليات الحربية .

غير ان القيادة البريطانية كانت تريد بهذا الجهد كله في أريتريا والحشة ، خلال الربيع ، بحيث تصفي جيش الدوق دارست قبل الشروع بعمل آخر على شطآن المتوسط . كنت اريد ان يسهم اول فوج عربي في العمل ، أية كانت المسافات . وفي ١١ و ١٨ كانون الاول اعطيت لارميا وكاترو التعليلات الضرورية . وكان المراد إشراك نصف اللواء من اللصيف الاحني ، وفوج سنغالي من تشاد ، وسرية من الرماة البحريين ، وسرية من الدمايات ، وبطارية مدفعية ، وعناصر مصالح ، والكل تحت إمرة العقيد موككلار . وكانت هناك كوكبة من « الصيادين » جاء بها المقدم جوردييه من سوريا في حزيران (يونيو) ١٩٤٠ ، وبصفة طيارين قدم بعضهم من تونس مسح النقيب دوديليه ، واسمى الآخر من رماق مع الملامين كورنيز ودي ميمون ، وكذا بشاربون الى حاسب الانكليز . وكنت قد نظمت ازال الميلى القادم الى بور سودان بالاتفاق مع الجنرال وبفيل ، وكان على الدمايات والمدفعية ان تتبع الميلى والكوكبة المشار اليها ، ولكن من طريق البحر . اما فوج تشاد ، فقد ذهب الى الخرطوم عتقياً آثار الاقدام بكل بساطة ، مستخدماً شاحنات صغيرة محلية ، وقد وصل من غير عشاء ، رغم نبوءات الشؤم التي فكس له بها أعارقة محسوس . وخاض القتال منذ ٢٠ شباط (فبراير) بقيادة المقدم خارماي ، على مقربة من « كيكب » واحرز مجاًساً مرموقاً . ولتحت من بعد اربعة افواج سنغالية بهذه العناصر الطليعية ، وشكلت معها وحدة قتال ذات قيمة . وكنا تنوي من جهة اخرى ارسال شرفة فصاف فرنسية مزودة بأجهزة « ليلنايم » استقدمناها من اسكتلندا الى الخرطوم . واتجهت اخيراً سفينة الاستكشاف

« ساورين - دي - برازا » و « الكومندان دوبوك » نحو البحر
الاحمر

« كان أهمّ إسهام فرنسي معركة الحشة لو ان ساحل الصومال
الفرنسي بحاميته ذات الـ ١٠٠٠٠ رجل الذين أحسن تسليحهم ، وميادنه
حيونتي ، مينة سكة أدبيس » آديا ، كان قد ستألف القنال وكنت
احول واما حيث حطى الجيوش الفرنسية جنوب الحشة ، ان تصوي ثبث
المستعمرة الفرنسية الى جديف ذلك بأن حيونتي خضعت لاوامر فيشي
بعد ردت في رفض الهدنة ولكن الا يخلص ان جنوب معركة
تدور وحده ضد العدو في المنطقة نفسها ، وقدم فرنسيين للمشاركة
فيه ، كما يؤيدون الى تعديل في الموقف « وفي هذه الحانة كان علينا
ان نزل جيوش فرنسا اخرة في حيونتي لتلحق بها الحامية ، وعند
ذلك ، تأخذ المدرة في الهجوم قوت فرنسية مهمة فعلا ، وانطلاقاً من
تلك اللحظة ، تربط مجهودهم بمجهود البريطانيين . وادا كان العكس ،
ولم يقل الصومال فرنسي ان يحلما ، فإن الحلة الفرنسية الحرة تقايل
مفردة ، الى جانب الانكليز .

وافق حله زنا في لندن على هذا المنهج ، هكلت الجنرال ليحيثيوم
ان يحول قنياد قوته القديمة في حيونتي الى القتال ، وفي جميع
الاحوال ، ان يقدود تلك التي أرسلت او تلك التي ترسل الى البحر
الاحمر من افريقيا لاستوائية ، عدهم قوياً الى الخرطوم ، وحددت
للبحر كثره والحوار وبفيل الشروط التي تدعي للجنرال ليحيثيوم ان
يعمل فيها ، والقوت التي تأمر بأمره . ورحوت السيد تشرشل في
الوقت نفسه ان يطامن من قلقه اراء المادرة الفرنسية التي قدسها اول
لامر بوجه عانس ، وسحة مظلة .

وبما كنا نحاول مؤاررة القوات البريطانية العاملة في الشرق ، فتحنا

على مخوم تشاد وليبيا جهة فرنسية خالصة . وكان فتحها ، والحق يقال ، بوسائل جد ضعيفة ، وعلى مساحات واسعة ، ولكن كله في استطاعتنا هناك ان نستقل بأنفسنا ، وكنت أصر على ان يكون الموقف بحومره ، على ذلك النحو .

وكان لوكليز منذ وصل الى تشاد قد أعدت بنشاط مشاء العمليات الأولى المقررة في الصحراء ، تحت قيادة المتدوب السامي دي لارمينا الذي قدم له كل ما كان يستطيع تقديمه . وقد اندفع في استطلاع له خلال كانون الثاني (يناير) مع العقيد دورانو الذي قتل خلال ذلك حتى بلغ مركز « مرزوق » الإيطالي ، وكانت جولة استطلاع موفقة التحقت بها دورة قدمت من السل . وانطلق لوكليز في جهة كانون الثاني على رأس رتل محم للنيان ، بإساده طيرانا ، في اتجاه واحات كفرا ، على بعد ١٠٠٠ كيلومتر من قواعدهم ، وراح يهاجم الإيطاليين في مراكزم ، ويصف قواهم المتحركة ، طيبة عدة أسلحة من المناورات والمعارك ، وفي أول آذار (مارس) أرغم العدو على الاستسلام . وفي غضون ذلك ، كان التقدم السريع الذي أحرزه البريطانيون في ليبيا ، يبدو وكأنه يقدم لنا أيضاً مجالات أرحب . وذلك هو السبب الذي جعلني أصدر للبحراني دي لارمينا ، في ١٧ شاط (فبراير) ، أمراً بأعداد غزو قرآن . ثم اضطرنا سير الحوادث الأخيرة في ليبيا الى الامتناع عن تنفيذ الخطة المعدة في ذلك الحين . ولكن لوكليز وقواته الصحراوية ، اصبحوا على أهبة الاستعداد نحو ذلك الهدف الرئيسي . وكان ان حملتي الاحوال ، خلال ذلك الوقت ، على توطيد وضع فرنسا بالنسبة الى وضع البريطانيين ، فيما يتعلق بكفرا وقرآن . سوف تبقى في كفرا ، رغم ان الواحات كانت قد ألحقت من قبل بالسودان الاسكندري - المصري . وسين لمحتل قرآن ، يوماً ما ، وتفر اسكندرا بحف في البقاء

على أرضها ، يمكن عند ذاك ان نخلو عن كغرا .

ومع ذلك ، طلت اسادرة الاستراتيجية دوماً في يد العدو ، مها
فعل الانكليز والروسيون الاحرار معهم ، وعليه كان يتوقف توجي .
الحرب . أتراه ينقص على اهرنيسا الشمالية عن طريق السوس وحمل
طرق ، بعد ان احقق في عرو انكليزاً ؟ أم تراه يريد ان يصعب
حساباته مع السوفييات ؟ كانت هناك ، في جميع الحالات ، أمارات
تدس انه سيطلق في تعيد هذه او تلك من خططه . وأياً كان الاحتمال
لدي يصح اكثر من غيره ، بعد كذا ، فيما نرى ، نخدنا من لاستعدادات
ما يسمح لفرنسا الحرة ان تخلص الميدان على محور محدد بما لديها من قوت
الا انسي كنت مصفاً ، عدا ذلك ، وبالرغم من المعمر الذي كسا
تقلب فيه ، على التكلم باسم فرنسا وأدعي في ذلك حسب ما تقتضيه
الظروف ، حيل كل مشكلة بطرحها على العالم معوم حديد نشه الماب
وحملهاؤها .

وفي شهر تشرين الثاني ١٩٤٠ ، هاجت ايطاليا اليونان . وفي اول
آذار ١٩٤١ 'رغم ترّيع بلغاريا على الانضمام الى المحور . وفي الايام
الاولى من نيسان (ابريل) دخلت الحيتوش الانابية بلاد اليونان
ويوغوسلافيا . واصبح في إمكان العدو ، بعد وضع يده هذه على اللقدان
ان يهدف الى الانصاب على الشرق ، بمقدار ما يمكنه ايضاً ان يطوق صد
البريطانيين كل رأس جسر خلف المهرماحت (الجيش الالماني البري)
اداً اراد هذا ان يتفعل في روسيا . وكنت قد ابرقت الى الجنرال
ميتاكاس ، وزير اليونان الاول ، منذ بدأ الهجوم الايطالي على بلاده ،
ليكون معلوماً لدى الجميع الجانب الذي تميل اليه أمانى فرنسا وولاؤها .
واظهر جواب ميتاكاس انه ادرك القصد . غير اني لم اوفق الى حمل
الانكليز على القبول بنقل سرية صغيرة الى اليونان كنت أردت ايفادها

صفة رمزية . ولحج القول إن وبفيل ، وهو المتهمك بعمليات لبيب وأريثريا ، لم يوفد هو ايضاً الى اليونان آنذاك ، أية قررة من قواقه الخاصة

وعلمنا في مستهل شباط (فبراير) برصول السفنة الالمانية دون هنتيغ وروزير الى سوريا . وكان من شأن الهياج الذي أثارته تلك السفنة في الاقطار العربية ، ان يفيد إما بأعداد غارة لقوات المحور عليها ، وإما بأن يخلق فيها إلهاء مفيداً في حالة شن هجوم من قِبل هذه القوات على كيف وأوديسا .

وراح الخطر الياباني في الوقت ذاته يتعدّد في التشرق الأقصى . لم يكن في الامكان ، ولا ريب ، تبين ما اذا كان اليابانيون يسوون دخول الحرب قريباً ، عن ارادة وتصميم ، أم أنهم يمارسون بدساسة ، ضغطاً في جنوب شرق آسيا ، يراد منه إشغال اكبر عدد ممكن من القوات البريطانية والاستمدادات الاميركية ، بينما تنفق كل من المايك واطاليا جهودهما إما لمحور موسكو ، وإما فجاً وراء المتوسط . ولكن اليابانيين كانوا يبتغون بأي شكل ان يؤمنوا لانفسهم فوراً السيطرة على الهند الصينية . وادام دخلوا الحرب ، فإن مستمرالنا ومصالحنا نفدو كلها مهددة من كاليدونيا الجديدة ، الى أرخبيلنا في الباسيفيك ، الى المنشآت الفرنسية في الهند ، وحتى الى مدعشر .

كان للتدخل الياباني في الهند الصينية قد بدأ منذ اتصح ان فرنسا خسرت المعركة في أوروبا . وفي شهر حزيران ١٩٤٠ ، وجد الجنرال كارو الحاكم العام نفسه مكرهاً على قلبية المطالب اليابانية الاولى . وقبل ان يلبثها ، جسّ بعض البريطانيين والاميركيين ، واستنتج انه لا سبيل الى انتظار مؤازرة خارجية ، من اي نوع . وعند ذلك ، عيّنت فيشي ديكور ، محل كارو . واما بالنسبة الي ، فقد وجدت نفسي معكراً على رقب الاحوال الى اشعار آخر ، إذ لم يكن في وسعي ان اثّر حركة

في الهند الصينية قدرة على تولي الأمور سداً ، ولا أن أعظم التدخّل ليهادي اندي لا يد ثل تلك الحركة أن تتحداه ، ولا أن أحمل الحلفاء بصموم على معارضة التعدادات اليابانية . وكان صبي أن أبرقت ، بمشاعر يدركها الجميع ، من دولاً ، في ٨ تشرين الأول ، إلى معشّش المستعمرات العام كآر ، ومدير المالية في سابعون ، حوالياً عن رسالة مؤثرة أعرب فيها عن الود الذي يكنه قسم كبير من السكان الفرنسيين الأحرار ، كما عرض أيضاً أوصاع الهند الصينية مبدأ أنه يستحيل عليها أن تتصرف وفق ما ترغب وتتمنى . وكانت الهند الصينية تترامى لي شخصياً ، وأنا الذي أفود قارباً صغيراً فوق أوقيانوس الحرب ، وكأني ، يومذاك صعبة كبرى تشرف على العرق ولا استطيع إنقاذه . قبل أن يتساح لي وقت طويل أجمع به وسنني الانقاذ . وقد اقسمت أن أعيدها إلى الحياة يوماً ما ، وأنا أراها تبتعد في الضباب .

وفي مثل عام ١٩٤١ ، دفع اليابانيون سيام إلى الاستيلاء على ضفتي نهر الميكونغ ، فضلاً عن كمبوديا واللاوس ، وفي الوقت نفسه راحوا يشددون في مطالبهم الخاصة ، وهم يشتدون لأنفسهم أولاً ، سيطرة على الهند الصينية من الناحية الاقتصادية ، ثم احتلالاً عسكرياً لأهم النقاط فيها . وكنت أطلع على تطورات هذه القضية الخطيرة ، لا عن طريق لاسكلير والهولنديين في لندن وحسب ، وإنما عن طريق الممثلين الذين كانت فرنسا الحرة تعتمد في أهم منقبات الطرق العالمية . شومرو ، ثم مارون ولاملاذ في سماعورة ؛ عارو - دومال في واشنطن ؛ إيدال في شمهاي ؛ هيو في طوكيو ؛ بريسك في سدي ؛ أندرو عيو ثم بيثان في تشونغ - كسج ؛ فكتور في بيودهي . ومدا لي أن مختلف التيارات أراء تلك الأحداث الصارية ، مرتبكة بعضه ما كانت معقدة ، ولكن أحداً ، على كل حال ، لم يندل شيئاً لمساعدة الهند الصينية الفرنسية

على مقاومة اليابانيين . لم يكن لدى فرنسا الحرة ، بطبيعة الحال ، وسائل المقاومة . وفيشي التي كانت تلك هذه الوسائل ، وجدت نفسها مع الألمان الذين أسلمتهم قيادتها ، غير قادرة على استعمال وسائلها ، ما دام سادتها يرفضون . وكان هم الانكليز مصرفاً الى ربح الوقت ، وهم يشعرون ان المعاصرة لا بد ان تبلغ يوماً ما سنهاورة . وبدء عملهم في بانكوك حريصاً قبل كل شيء ، على الاحتفاظ بعلاقات الود مع سيام ، أيا كان مصير أراضي الميكو وسج . أما الاميركيات ، فانهم كانوا عبر مستعدين مادياً ، ولا مضموناً لجبهة الرأع ، فقدوا اليه على ان لا يتدخلوا .

كان كل ما نستطيع عمله ، في تلك الاحوال ، وهو ما عملناه ، إنما كان أولاً أن نشعر الناس في كل مكان أن فرنسا الحرة تعتبر كل تدخل من حكومة فيشي عن نصرة المهند الصينيين لعملاً وليس له أي مفعول شرعي . وكان أيضاً ان لا نقوم بحركات داخلية من شأنها أن تسيء إلى المقاومة التي تنفي منها السلطات المحلية ، احتمالاً ، معارضة السياسيين والسياسيين . وكان أيضاً وايضاً ، ايجاد انسجام بين عملنا في الباسيفيك وعمل الدول الأخرى المهتدة ، ومحاولة - ولكن عتاً - وساطة مشتركة تقوم بها انكلترا والولايات المتحدة وهولندا ، لمصلحة الهند الصينية . وكان أخيراً ، تنظيم دفاع كاليدونيا الجديدة وقامبي ، بالاشتراك مع أستراليا وزيلندا الجديدة .

وكان أن قابلت ، فيما يخص هذه النقطة الأخيرة ، وزير أستراليا الاول السيد منزيس لدى مروره بلندن في شهر آذار ، ووضعت القاعدة الجوهرية مع ذلك الرجل ذي الحس السليم . وقام على أثر ذلك ، الحاكم سوتر بالمفاوضة ، وخلص باسمي الى اتفاق دقيق مع الأستراليين متخذاً جميع الاحتياطات لتفادي وقوع أي انتقاص من السيادة الفرنسية .

وعند هذه الفترة وحيدة ، السلاسل أخذت في مهاجمة اليكوج ،
 و هم حصلوا ، ثم لم تم تدمر ، بل رلت بهم في البحر ، على
 الاراضي التي كانوا يطمحون بها ، وكانت نتيجة صعد شديد قسم به
 البابايون على سابعون وفيشي تحت ستار اسمه : « وساطة » . وكان
 ان فرصت اليطان ساعد بها من بعد على اعد تصديده ، ولم تكن ثمة
 أدنى مقدومه ، ولا رافع صوت واحد ، لاحتجاج من جانب أية دولة
 اخرى ذات علاقة بالخط الهادي . وصبح وصحوا ، منذ ذلك حين
 ان دخول البابايين الحرب العنيفة لم تعد سوى قصة وقت

وراحت العلاقات بين الفرنسيين والبريطانيين تزداد كلها توصفت اسباب
 العمل المشترك ، وكان الحشكك ، على مدى الابد ، قد ادى ، من
 جهة اخرى ، الى التعارف ، و من و احب القول إنه قد كان تقديري
 لأولئك الاسكندر الذين يدرون دقة الحكم في بلادهم امراً مفروغاً منه ،
 فمن هؤلاء كانوا يولوني ، فيما بدا لي ، تقديرهم ماي شعبي . لقد
 كن املك أولاً قدوة وعلى اطلاع دائم ، والملكة ، وكل افراد اسرتها ،
 يضمون عديد امسات ، لاطهر تقديرهم ، وكنت مع السيد تشرشل
 من بين الوزراء ، اكثر ما اكون بالطمع على صلات عامة وخاصة ،
 غير اني كنت ارى ابصاراً ، اكثر ما ارى ، في تلك الحقبة سواء من اجل
 الشؤون العامة ، او في اجتماعات ودقة ، السيد ايدن ، والسير جون
 اندرس ، والسيد آمري ، والسير ادوارد ايريس ، والسيد ألكسندر ،
 والسير أرشبولد سكر ، والورد لويد ، والورد كراسوري ، والورد
 هيكلي ، والسير ستافورد كريس ، والسادة أنلي ، ودور سكور ،
 ودالتون ، وبيس ، وهوريسون ، وبيمان ، وبنر ، وبراندا - بركن .
 كنت أشتقي اكثر الاحياء من بين اوائل الخدمة ، المديين او
 العسكريين السير روبرت هاستنارت ، والسير ألكسندر كادوغان ، والسير

سترايغ ، والسيد هورتون ، والقيادة السير جون ديل ، وإسماي ،
ولأميرال السير داني ماوند ، ومارشال الجو بورغال . وكان الجميع
يظهرون فيها بشئق بالمصلحة البريطانية امانة وثباتاً بفرضان نفسيهما
ويامتدنان الانشياء ، سواء كانوا من الحكام او كبار الرؤساء ، او كبار
الموظفين ، او من شخصيات البرلمان ، او الصحافة ، او الاقتصاد ، الخ ...

وليس ذلك ان هؤلاء الرجال كانوا بحال ، مجردين من كل روح
نقدية ، فضلاً عن بدوات الخيال ، فكم من مرة قطعت محلاوة السخرية
التي كانوا يمارسونها في نظرم الى الرجال والحوادث ، رغم الإعياء الذي
يقتايم ، وفي صميم المأساة التي كما تنقلب فيها جميعاً كما تنقلب الحصى
في لجج البحر ! بيد ان كل واحد منهم كان يطوي على احلاص للخدمة
العمامة ، وكانت بينهم جميعاً وحدة نبات تشدم بعضاً الى بعض . وكان
المجموع يوحى ، من خلال الهيئة الحاكمة ، ان هناك تماسكاً كنت
اعبئهم عليه ، واعجب به اعطب الاحيان .

وكان علي ايضاً ، ان أتحمل شدات الحزام ؛ ذلك بأن مطارمة آلة
الحكم البريطانية بحمة قاسية ، ولا يب حسين تأخذ في التحرك لفرض
أمر ما . فإن المرء لا يملك ان يتصور أي استغراق في الجهد ، واي
تنوع في الطرائق ، واي إلحاح طوراً ثامناً رقيقاً ، وطوراً ضاغطاً او
مهتداً ، يستطيع الانكليز ان يمارسوه لنيل ما يرضيهم ، اللهم الا اذا
كان قد هانى التحرية بنفسه .

هناك أولاً تلميحات كثيرة لها وهالك ، ولكنها باردة في توافقها
كانت ترد عليا فتوقظ انتباهنا وغارس فينا إعداداً منهجياً . وكانت
الشخصية ذات الصلاحية تقدم المطلب أو المقضى البريطاني فجأة ،
خلال حديث منظم في الشكل ، فاذا نحن لم نقل الدخول في السبل
المقترحة - ويجب أن أقول إن هذا ما كان يحدث كثيراً - بدأت بحمة

« الصعظ » ، « وراح الناس كلهم يمارسون من حولنا » ، بجميع القوالب ، وعلى مختلف الدرجات . وكانت هناك للحادثات الرسمية أو شبه الرسمية ، التي 'تستدعى' بها المستويات على أنواعها المتعددة : الصدقة ، والمصلحة ، والرهبة حسب المناسبة . وهناك عمل الصدقة الذي 'يختزن' بمهارة لاستخدامه في موضوع الدرع نفسه ، ولكنه كان يحقق فيما يتعلق بنا ، جواً من البرء والكفاية . وكان هناك موقف الأئمة الذين يتفق أن تربط بهم علاقات شخصية ، وكانوا جيباً يجهدون ، متوافقين بالضرورة ، في قساعاً . وكانت هناك في كل مكان ، وعلى نحو مكثف جماعي ، هاتيك الملامات ، والشكايات ، والوعود ، والمصبات .

وكان يساعد شركاءنا البريطانيين في ذلك كله هذه النزعة الطبيعية لدى الفرنسيين إلى التحلي لزم الأجنبي ، والانقسام فيما بينهم . لقد كان النسرل عندما ، عادة أغلب الأحيان ، إن لم يكن صدأ ، في أوساط أولئك الذين قدر لهم في حياتهم العملية ، أن يهتموا بالشؤون الخارجية من قريب أو من بعيد . وكان أمر فرنسا في نظر كثرة من الناس ، وكأن فيه تعاقاً بسهم ، أنها لا تقول أندأ : « لا » ، وذلك لمرط ما فمرسوا بالحجة في ظل عهود محرومة من انشأت والصلابة . وكنت أشهد كذلك حتى من حولي في اللحظات التي ، صمد بها أمام التطلعات البريطانية ، تظاهرات مذهمة ولصيق وقلق . كنت اسمع المصبات ورر ، الكواليس ، وأقرأ في العيون هد السؤال : « إن أين يريد أن يذهب ؟ » ، كما لو كان أمراً يفوق التصور أن لا يذهب امرؤ ما إلى قول ما يراه منه . أما أولئك الفرنسيون المعتزون الذي لم يجهلونا ، هاهم كانوا يسعدون موقفاً معادياً لنا ، على نحو شبه أوقوسني ، وكان معظمهم يتبع سحدر اندي تسير فيه مدرستهم السياسية ، وهي التي ترى أن فرنسا كانت دوماً على خطأ ، في الوقت الذي كانت تشت به وجودها . وكانوا جميعهم يسعون

باللائمة على ديفول ذي الصلابة التي يتعونها أيا دكتاتورية ، وتترامى لهم
منار رية بالنسبة لروح الاعمال والتخلي التي يدعون أنها وروح
الجمهورية سواء !

وحين أتيح لهذه التأثيرات المتعددة أن تلعب لعبتها بعمق ، كان
الصمت يهيم فجأة ، وبشيء حولنا ضرب من الفراغ يخلفه القريطانيون ،
فلا محادثات بعد ، ولا مراسلات ، ولا زيارات ، ولا ولائم . وتظل
المسائل معلقة ، وأجراس الموائف تنقطع عن الرنين . والذين كنا نلتقيهم
مصادفة من الانكليز يظهرون غامضين لا سبل إلى دخائلهم . كنا إذ
أنا ينكروهم ، كما لو كانت صفحة التحالف وحتى صفحة الحياة ، قد
طلبت بعد الآن عنا ، وامطرينا معها ، ويحيط بنا في قلب انكلترا
المستفرقة والخازمة ، برد جليدي .

وأقبل في ذلك الحو المكهر الهجوم الحاسم ، فقد عقد اجتماع فرنسي
- بريطاني دون تفكير سابق ، وفيه وصحت جميع الوسائل لتعمل كل
واحدة ههنا ، وقامت جميع المحجج ، واشتكت فيما بينها الاحقاد ،
واصبح كل جانب ينفي على ليله . وعلى الرغم من أن كان لتلك
المرحبة درجائها لدى الانكليز المسؤولين ، فقد راح كل واحد منهم
يلعب دوره كفتان من طبقة اول . وتولت الساعات ، وكنت فتوال
مما المشاهد الثورة الراجعة . واقترق الجمعان على إنذارات متبادلة ،
وذلك لأننا تخليسا عن كل رغبة ومطلب .

وما كاد يمضي بعض الوقت ، حتى كانت المقدمة . هناك عدة
مصادر بريطانية ألقت بعلامات انفراج . وأقبل بعض الوسطاء يقولون
ان ثمة ولا ريب ، سوء تفاهم . وراح بعض المسؤولين منهم يتسقط
اخباري . وظهرت في الصحف مذمة تشيد بذكري ، وهذه المناسبة
وصل مشروع تسوية انكليزي يتعلق بالمألة موضوع النقاش ، وهو يشبه

كثيراً ما سبق لنا ان اقترحناه بأغسا . ومنذ اصحت الشروط مقبولة
”سوتي“ الأمر سرعة ، في الظاهر على الأقل . وكان النص قد وُضع
اشياء احتجاج ودي ، لا لأن شركاء كانوا قد حاولوا ، في غبطة
التعام الذي وحد بعد صياح ، ان يحصلوا بفترة على بعض الفوائد . ثم
”قلّف“ التقارير كما يجب ان تلف ، وحوهر الأشياء بظل مع ذلك ،
غير محدد . وذلك لان ما من قصة بالنسبة لبريطانيا العظمى يتم حولها
التفاهم ابداً .

وفي بديّة شهر آذار ١٩٤١ ، لم استطع ان اشك ان الحرب كانت
قرينة الاندلاع بالنسبة لنا ، في الشرق واطريقيا ، وانما سنمنى هناك
معن كرى تجاه العدو ، معارضة فيشي الجديدة ، واستقاقات خطيرة
مع الحماة . وكان عني ان اتخذ المقررات الضرورية في المناطق تلك نفسها ،
فهممت على الذهاب اليها .

وقصيت عطلة الاسوع ، قبل ان اسافر ، في وزارة المال عند الوزير
الاول الذي نقل اليّ ”شارتيز“ وهو يودعني في الوقت نفسه ، فقد
اقل السيد تشرشل في ٩ آذار ليوقصي ويقول لي ، وهو يرقص فعلاً
من المرح ان الكونغرس الاميركي اقترح الى جانب قانون الاعارة
والتأجير ، ان يناقش ضد عدة اميرج . وكان في ذلك ، ما يلا
بوصف عطلة ، لا لأن المحاربين سيحدون انهم بعد اليوم مطمئنين الى
تلقي الامتد الضروري نقشل ، من الولايات المتحدة وحسب ، بل لان
اميرك خطت أيضاً ، ان اصحت كما عسر دور ملت ، مصع حرب
للديمقراطيات ، ، خطوة حجارة نحو الحرب . وعند ذلك ، أراد السيد
تشرشل ان يمد ، ولا ريب ، من ارتياحي ، فصع الحشر الثاني ،
قائلاً : ”انا أعرف أنك نحمد على سيرر باعتباره رئيس ارتباط معكم
غير اني اطلب اليك ان تحتفظ به بعد ، وان تقتضاه الى الشرق

وتلك خدمة شخصية تؤديها لي . . ولم استطع ان ارفض ، وفترقنا على ذلك .

وكان لديّ للشعور هذه المرة ، وانا اطير نحو خط الاستواء في ١٤ آذار ، ان فرنسا الحرة تتفتح بجوار قيم من الاسلحة . وكان مجلسنا الدفاعي عن الامبراطورية بشكل ، أيا كان تشتت اعضائه ، مجموعة متماسكة ، مقدرة ومحمداً بها من قبل الحكومة البريطانية ، منذ ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٠ ، من جهة اخرى ، وقد توطدت في لندن ادارتنا المركزية ، واصح بؤلف هيكلها رجال اكفاء مثل كاسان ، وبليفن ، وبالفسكي ، واسطوان ، وبيسيه ، وديجان ، وألفان ، وديستيري ، وهوريس ، وآميه ، إلخ . . وكان لدينا ، في جانب آخر ، هذه ضباط ذوي قيمة من الناحية العسكرية امثال العقلاء : بيسي ، ألمجينو ، داسوفيل ، بروسيه ، قدموا من اميركا الجنوبية حيث كانوا في بمشات اختصاص ، وانتقل هورس من الكاميرون . وعقيد الجوفالان ابدي وصل من البرازيل ، وكلاهما زاد في صلابة اركان حربنا . وكأرو في الشرق ، ولارمينيا في افريقيا ، قبضا على مقاييد الامور جيداً . وكانت مفاوضاتنا تتركز ثابتة في كل مكان من العالم الجديد ، بتأثير من هارو - دومبال في الولايات المتحدة ، وريدو ، في اميركا الجنوبية ، وسوسثيل في اميركا الوسطى وماركان - برينل في كندا . وما انضكت بلجاسا في الخارج عن التناسي ، رغم العمل الذي كان يمارسه بمثلو فيشي في امكنتها ، ورغم سوء المعاملة من قبل معظم الاعبيان الفرنسيين والمشاحنات المعتادة لدى مواطنينا . وكانت منظمة التحرير ، التي أنشأتها في برازيل ، بتاريخ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٠ ، ومظمتها في لندن بتاريخ ٢٩ كانون الثاني ١٩٤١ ، قد أثارت منافسة من أرقى الدرجات في أوساط الفرنسيين الاحرار . واخيراً ، كنا نشعر

من على البحر ، إن فرنسا تتطلع إلينا .

هذا التقدم الذي أحرزته فرنسا الحرة ، في الوسائل والتوطين ، بدأ لي ، مدى الطريق التي ملكتها في موقف الحكام الانكليز الذين كانت تحطّ لديهم الطائرة التي تقلّتنا في جبل طارق ، فيج بالورست ، في غريتاون ، في لاغوس . كنت أرام من قبل يملأ قلوبهم الود ، وأرام الآن وكلهم تهيّب واحترام . ونحن صكّنت أجوب ، في الايام التالية ، كتلة البلدان الاستوائية الفرنسية ، لم أشعر قط في أي مكان ، بقلق ، ولا باضطراب . لقد أصبح الآن كل فرد مطمئناً في إيمانه وأمله ، يدير طرفه نحو الخارج ، فخوراً وهو يشهد قوتنا نخرج من مهدها البعيد ، وتكبر بما ينضم إليها ، ونضرب العدو ، وتقترب من فرنسا .

الشرق

طرت نحو الشرق المعقد وأنا أحمل أفكاراً بسيطة . وكنت أعلم ان قسماً جوهرياً من لغة القدر يجري به ، في صميم الموامل المتشابكة . كان الواجب يقضي ادن ان لا ينسب عنه . وكنت أعلم ان مفتاح العمل بالنسبة للعلاء انما كان قناة السويس التي قد تعضي حصارها الى نيل المهور آسيا للصعري ومصر ، وان امتلاكها يُتيح ، على العكس ، العمل يوماً ما حسن الشرق الى الغرب ، في تونس وإيطاليا وجنوب فرنسا . وذلك يعني ان كل ما في الموقف كان بقتضينا الحضور في المعارك التي تدور حول القوة . وصحبت أعلم ان الأهواء والمطامح السياسية ، والمصرية ، والدينية ، احدثت تضخم وتوتر في وهج الحرب ما بين طرابلس الغرب وبغداد ، مروراً بالقاهرة ، والقدس ، ودمشق ، كما بين الاسكندرية وبيروني مروراً بحدة ، والخرطوم ، وحبوني . وكنت أعلم ان مواقع فرنسا في هذه المناطق تحوم حوماً المطامح وتبت حولها ١٨١٨ ، وانه لم يكن ثمة اية فرصة ، على اي فراض ، لنحتفظ بأي منها اذا هي بقيت - اي فرنسا - سليمة ولأول مرة في التاريخ ، مبسماً كل شيء كان موضع شبهة وإشكال . كان الواجب يقضي بالعمل اذن في كل مكان ، وأداء ما يجب أدائه من غير توان ولا بطاء .

اما الوسائل التي كانت في حوزة فرنسا في تلك المنطقة من العالم ،

نأيا تلك التي كنت أنصرف بها أولاً : قوات محاربة « احتياطي في طريق التشكيل » وارضى تشاد أيضاً التي جعلتنا في سعة من العمل في ليبيا من الجنوب ، ووفرت عدا ذلك ، للطيران الجليف قاعدة ينقل إليها معداته جواً من الأطلسي رأساً إلى الليل ، بدلاً من أن ينقلها عن طريق البحر ، في عودة طويلة حول رأس الرجاء الصالح . وكانت هناك ، من جهة أخرى ، الأوراق الراجعة التي طفت فيشي تحسرها في اللعبة : حضور فرنسا في دول المشرق ، حيث كان لها جيش ومصب بذول ، ومستعمرة جيبوتي ، واسطول الاسكندرية . وإذا كان لي أن أواجه ، فكتيكاً أو ضرورة ترك هذا أو ذاك من العناصر خارج الحرب ، وإذا كنت أقدر وحده الأعداد في سلوك المنقذين ، وأقر ما أقر من نزعة إلى الانتظار أو الادعاء والطاعة ، فإني لم أكن أقبل عزماً ونصيماً على إخضاع تلك العناصر في أسرع وقت . وكنت ، من جهة أخرى ، قد أخذت رأي أعضاء مجلس الدفاع ، لحظة غادرت لندن ، حول ما يناسب عمل ليبيا إذا قررت اكلترا وتوصيها ضمان الاراضي السورية واللبنانية تجاه تهديد مباشر ما ، يمارسه الألمان . وموحز القول : إني وصلت إلى الشرق وأنا عازم على ألا أداري شيئاً لتوسيع العمل من جهة ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من موقف فرنسا ، من جهة أخرى .

نزلت ، أول ما نزلت ، في الخرطوم ، قاعدة القتال في أريتريا والسودان . وكان يقود هذه - أحسن قيادة - الجنرال بيلات ، إذ كان رئيساً فقط مليئاً بالحياة ، وقد وفق منذ وقت قريب إلى انتزاع خط الدفاع الاساسي في أعالي « كيرين » ، من أيدي الإيطاليين . واشترك في ذلك اشتراكاً مشرفاً لواء العقيد مونكلار ، وكتيبة الطيران التي يقودها المقدم أسليه دي فيتات . أما قوات جيبوتي فانها لم تقرر خط سيرها

رغم بعض الاتصالات التي قام بها الجئرال ليجنتيوم معها ، وراح الحاكم فواييتان يجمع الحركات التي تتظاهر بتأييد الانضمام الى فرنسا الحرة ، مستخدماً جميع الوسائل ، بما فيها الاعداد .

لم يكن اذن يصحّ الاعتماد على انضواء طوعي لتدخل جيوتي الحرب . ولم أكن ، من جهة اخرى ، لأزعم أنني سألجأ بقوة الحراب ، فهناك الحصار الذي يستطيع ، مؤكداً ، ان يحصل مستمرة تلقى حاجاتها الأساسية عن طريق البحر ، من عدن ، وشبه الجزيرة العربية ، ومدغشقر . ولكننا لم نتوصل قط الى حل الانكليز على عمل كل ما هو ضروري في هذا السبيل .

لا ريب ان قيادتهم العسكرية كانت مبدئياً ، تحبذ الانضمام الذي يزودهم بمعدات جديدة ، ولكن جهات امكليزية اخرى كانت أقل تعجلاً ، إذ كانت تفكر ، في اكبر اسئال ، هكذا : « إذا كان للتزام في اتجاه منابع النيل ، منذ ستين سنة ، بين بريطانيا العظمى وايطاليا وفرنسا ، ان ينتهي مظفر بريطاني صرف ، وإذا سُحق الطليان آخر الامر ، وبدأت الفرنسيين ظلوا على عجزهم وسليبتهم ، فأي موقف فريد تحوزه امكليزاً بعد اليوم في مجموعة هاتيك المنطقة بأسرها : الحبشة أريتريا ، الصومال ، السودان ! أليكون علينا ان نشغل عن مثل هذه النتيجة ، من اجل بضعة افواج تستطيع جيوتي ان تجندوها في معركة هي ضمناً مكتسبة لا محالة ؟ » . كانت هذه الحالة الذهنية المنتشرة على نحو يقل او يكثر في اوساط البريطانيين هي التي تفسر ، في رأيي ، نجاح سلطات فيشي ، طيلة عامين كاملين ، في تكوين المستعمرة ، ومن ثم في الابقاء عليها خاضعة لطاعة مثرومة .

غير ان ثواني البريطانيين ذاك لم يزد على الموقف الا انه جعل خدمات الجيوش الفرنسية التي كانت تحارب في أريتريا ، أعلى شأنًا وأرفع قيمة .

فقد ذهبت لأقضي معها يومي ٢٩ و ٣٠ آذار (مارس) ، وأقمتني طائرة فرنسية الى ارض آغوردات ، وبلغت المنطقة الفاتحة الى الشرق من كيرين ، حيث كان لواؤنا بشكل مع فرقة هندية ، ميسرة الجهار الخليف . كان جنودنا في حالة معنوية فائقة ، فقد أسهموا اسهاماً ملحوظاً في انتصار كيرين بعد كبكب ، اذ توغلوا في مينة الطليان وبدحوها . وقدم لي العقيد الملازم جيتان الذي تميّز في تلك الواقعة ، وهو الذي عبر افريقيا ، منطلقاً من عاصمة الجزائر ، ليتحقق بنا وما كاد يصل حتى شاخص الميدان . وقبل لي - « ما قد رأيت الآن ما رأيك به ؟ » - « آه ! لو كان الجميع ، في الجانب الآخر ، يستطيعون أن يروا ، لما كان ثمة مجال لسؤال » .

ومنذ عهد الجنرال بلات ، في اليوم التالي لزيارتي ، الى استقلال الانتصار ، فقد ساق آمر اللواء الفرنسي جنوده نحو مصوّع ، عاصمة أرباريا وهرزير دفاعياً . ومنذ استولى جنودنا في السابع من نيسان على ديتيكولو و « فور أومبرو » ، دخل الجيش مصوّع في شكل اعصار ، وأسرع أفرادنا في حال من الفوضى اختلطوا معها يجماعات الطليان المنهزمة ، نحو المرفأ ، واستولوا على الاميرالية وأعطى العقيد مونكلار شرف تلقي الاستسلام من قائد البحرية المدوّة في البحر الأحمر . وكان مجموع ما ألقت القبض عليه المفزة الفرنسية في القتال ٤٠٠٠ أسير ، وثلثت في مصوّع استسلام ١٠٠٠٠ آخرين .

لم يبق لفلول القوات الايطالية بعد ذلك اليوم ، وقد اكفأت الى الحبشة ، الا أن تعمل متفتحة غير منسقة ، ولكن بقاء الصومال للفرنسي خارج الصراع ، كان يعوق فرنسا عن الدور الحاسم الذي كان في استطاع قواتها أن تقوم به ، في أن ترحف رأساً ، على مدى سكة الحديد ، من جيبوتي الى أديس - أبابا التي كانت يوم النجاشي بالعودة

اليها . لم يكن في استطاعي الا أن أستلّ النتائج المؤسفة . كان يجب الآن ، نقل القوات العربية الحرة الى مكان آخر ، سواء في ذلك هذه التي تجددت وتلك التي تسمى سرعة الى النعمد . سيظلّ بالوفسكي مكانه كمعرض سياسي وعسكري ، محنطاً بفوج وبصع طائرات تحت تصرفه . وهبطت اول نيسان ، في القاهرة ، وها كان يفيض قلب الحرب ، ولكنه قلبٌ مخرج متزعزع . وكان موقف البريطانيين وحلفائهم فيها يبدو ، واقفاً ، غير مستقر ، لا بسبب من الأحداث العسكرية وحسب ، بل لأنهم يقفون هناك على صعيد نكس تحته تيارات سياسية هي الغام ، بين اقوام كانوا يشاهدون اقتتال العربيين فيها بينهم ، دون أن يسموا فيه ، وهم ، الى ذلك على أهبة للاستعداد من غنائم المهلوبين .

كانت هذه الاوضاع تجعل مجرى الحرب في الشرق جدياً ممقداً . وكان الجنرال ويفيل القائد البريطاني الاعلى يتحرك في بلج من التقلبات العديدة التي لا تتصل ، في معظمها ، بالاستراتيجية الا على نحو غير مباشر ، بيد أنه كان لحسن الحظ وافر الموهبة فيها يتعلق بمحاكاة الامور وهدوء الاعصاب . ثم ان تلك الاستراتيجية نفسها كدت من اعسر الاشياء وكان من يفيل ان قاد في مستهل نيسان (أبريل) معركة على ثلاث جبهات كانت تدها بعناء مواصلات لا نهاية لها

كان على الاسكتلزي في ليبيا ان يتراجعوا ، بعد انتصارات رائدة حلّتهم الى ابواب طرابلس الغرب ، وأوشكت برقة ، خلا طريق ، ان تسقط في يد العدو . فإن القيادة على كفائها ، والجيوش على بسالتها ، لم تكن بعد قد نرست بذلك الصراع في الصحراء ، وهو جد متحرك وسريع فوق مساحات شاسعة مكشوفة ، جد مملة ، وما يرافقه من المطش والحميات الدورية ، تحت شمس محرقة ، على الرمال ، وبجفاف الذباب . وكان ان غير رومسلي مصير المعركة في الوقت نفسه الذي

فرضت به حكومة لندن على وبيل ان يحدد بعض قواته في حملة الى اليونان . ذلك بأن الحبهة اليونانية لم تكن هي ايضاً تسير على ما يرام . صحيح ان انتصارات اريتريا والحشة قدّمت بعض العراء ، ولكن علامات تسدور الخطر اخذت تظهر في الاقطار العربية ، فالمراقق بنغي ، ومصر لغز لا بين ، وفي سوريا شرع الالان في مساومات حقلقة مع فيشي ، وفي فلسطين كان الصراع الكامن بين العرب واليهود يفره الكثير من الاحتياطات .

وبصاف الى هذه المشكلات المتراكمة على وبيل ، ضروب التدخلات ، فهناك برقيات لندن ، لأن السيد تشرشل لم يكن يترك شيئاً يمر ، وهو الكهف الفارغ الصر ، دون ان يطلب تفسيرات ، ومطري توجيهات وكانت هناك ، بصرف النظر عن ربارات المستر إيدن كوزير للحرب أولاً ، ثم كوزير للخارجية في نيسان ١٩٤١ حيث لقبته في القاهرة - خطوات السير عايلر لميسون ، الموض ، نظراً لكعاقته وقسوة الاشياء في ايامه ، بسوع من مئة تسيق دائمة وكان هناك هذا الواقع وهو ان جيش الشرق كان يشتمل ، في قسم كبير منه ، على قطع عسكرية من اقطار الدومينيون ، اوستراليا ، ريلاند الجديدة ، افريقيا الجنوبية ، وكانت حكومات هذه الاقطار تراقب استعداد قواتها بدقة وحذر . وكذلك كان الشأن مع قوات الهند التي يجب ان يمد منها من غير إساءة اليها في سير الحرب . وخلاصة القول ان وبيل لم يكن يمارس قيادته العسكرية الا من خلال قيود سياسية متنوعة لا حصر لها .

يجب ان قول إنه كان يتحمل هائيك القيود يبدوء بسبل ، لدرجة انه احتفظ بمقر قيادته العامة في القاهرة ، حيث مكثت تلك الاعلال تكتشفه من كل جانب ، فهي قلب هذه المدينة الصاخبة ، في الموضاء والغبار ، بين جدران مكتب صغير ترصد الشمس في حره ، كانت

التدخلات الخارجية تنهال باستمرار على ذلك الحدي العادي . وما أنا
أصل 'معاصر' وملحق ، مصمماً على حل المشكلات الفرنسية التي تجعل
البريطانيين موضع اتهام ، وعلى رأسهم قائد الماعلى .

رسمت مخططينا مع الجنرال كانزو . والجنوري في نظرتنا ، انما
كان ما يحدث في سوريا ولسان . ولا بد من انهاب اليها عاجلاً او
أجلاً . وانتهاء من اليوم لدي نكون به هناك ، يصبح لدي فرص
فرصة للآتين بمجهود مشترك دي عون كبير ، وبدون ذلك ، تصبح
تلك الفرصة ، ويضيع موقع فرنسا ؛ فاداً افترسا ن المهور كالب
العالب ، يطر هناك كما يسيطر في مكان آخر ، وفي حالة المعاكسة ،
يحل الانكليز علماً . ينبغي ادراك ان نمند سلطة فرنسا الحرة الى دمشق
وبيروت ، في اللحظة التي تقدم بها الحوادث فرصة الامتداد تلك .

ولكن الفرصة لدي وصولي الى القاهرة لم تكن مؤنية . وما كان
في الامكان الأمل بأن تفك سلطات المشرق وحبيته ، من قنفاء نفسها ،
سحر لاعلال المشؤومة التي كانت تكبلها . والحركة التي دعمت ،
واسر حريبران ١٩٤٠ ، بأرنال كامة في انحاء فلسطين ، تجتمعت لتتظفر
ثم ان فريخ كنبر من المباط والافرد ، الذي اصدرت به فيشي قراراً
بعد هديتها ، حملهم على العودة الى فرنسا . وسكان في عداد الموظفين
والعسكريين الذين اقاموا على نشاطهم واستمادتهم فيشي ، دعك من
الذين اعتقلتهم ، عدد من الديبوليين . وموحز القول ان الحركة
التي كان يؤمل بها لدي وصول الجنرال كانزو الى القاهرة ، لم تحدث ،
ولا كان من شأن المعلومات التي تلقيناها من غبريا في بيروت ودمشق
ان نخطنا على الاعتقاد بأن نشومها قريب .

وهذا الانخبار نفسه للتخلي عن الحرب هو الذي جدد الاسطول الفرنسي
في الاسكندرية . فذا ان عقد الاميرال عودفروا الاتفاق الذي جعل

سفنه محايطة ، مع اندرو كستفهام ظلت راسية في المرفأ المدرعة « لورين » والطرادات : « دوغساي - تروين » ، و « دوكن » و « سوفرين » ، و « تورفيل » ، والمقاتلات المضادات : « باسك » و « فورمان » و « هورتوبه » ، والعواصم « بروقيه » . وراحت بعض العاصم من الاركان العامة والبحارة فلتحق بنا في فترات متقطعة . ولكن الآخرين ممن اطاعوا تعليمات فيشي ، كانوا يستخدمون اوقات الحرب في تبادل الدرامين ان افصل طريقة لخدمة فرنسا المخروقة ، انما هي اللاتقال . وفي ذات يوم من نيسان ، شاهدت ، وانا اعبر مرفأ الاسكندرية في زيارة للأميرال كستفهام ، سفناً فرنسية بديعة غاية لاجدوى منها ، بين سمن الاسطول الانكليزي ، على أتم الأهمية لمنازلة الأعداء .

ولما لم يكن في استطاعتنا التسليم ، اراه تلك الحبال ، ان سير المركبة في المتوسط لم يحدث أي تأثير على أدهان الرؤساء في افريقيا والشرق ، فقد حاولوا اجراء اتصالات بهم ، وكان كاترو قد اوصل خلال تشرين الثاني رسالة جوار الى فيمان . وقد وافقت على هذه الخطوة بالما ما بلغ املي فيه من الصالة . واطلقت بنفسي عدة نداءات صريحة من المذباغ ، مبنياً في ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٠ ، بشكل بارز : « اننا نقف الى جانب جميع الرؤساء الفرنسيين الذين يصمون على استلال السيف الذي اغمدوه أنه كانت خطايهم بلا استثناء ومن غير مطمح ، واذا نهضت افريقيا المرسية ، اخيراً ! لتعارب ، فدا تندمج بها مع الجزء الذي في ابدنا من الامبراطورية » .

ووجدت في كانون الثاني أعضاء مجلس الدفاع متلي ، مستعدين للاتحاد مع فيشي في حالة عودتها الى القتال ، حين استترتهم حول الموقف الذي ينبغي اتخاذه ، اذا اتفق لتلك الفرضية أن تصح . وكنت في ٢٤ شباط بهذا المعنى نفسه الى الجنرال فيمان ، رغم المصير المزعج

الذي كنت انتظره والاستقبال الباقى الذي تلقى به رسالتى السابقة .
 وشدته أن يقتسم العرش الأخيرة التي نمت له ليستألف القتال ،
 واقترحت أن تتوحد معي إياه أنه اذا قبل ذلك ، يستطيع أن
 يعتمد على احترامى ومؤررتى . وكان كاترو ، من جهة أخرى ، لا
 يترك مناسبة تمر دون أن يفتتها لتوجيه اشارات للأميرال غودفروا
 لحله على السير مضاً . وأخيراً ، كتب فى تشرين الثانى الى السيد « بيو »
 المفوض السامى فى الشرق ، والجنرال فوجير القائد الأعلى للقوات ،
 ومساعد الجنرال « أرلايوس » ، وما كان هدفه سوى أحداث ارتباط
 ما معهم .

إلا أن هذه المحاولات المتعددة لم تنفر عن أية نتيجة . كاه فبهان
 يجيب موعدياً ثارة ، أنه يجب اعدام ديفول رمية بالرصاص ، وثارة :
 « أ ، هو جنداً هزيم لينتخذ موقفه المتمرد ، وطوراً ، أن ثلثي فرنسا
 فى قبضة العدو ، والثلث الباقي فى يد للحرية ، وأن دارلان - وذلك أسوأ
 ما فى الأمر كله أيضاً - يتحس عليه باستمرار ، فلا يستطيع أن
 يفعل شيئاً حتى وان هو أراد . أما الأميرال غودفروا ، فقد
 تلقى رسائل الجنرال كاترو بوقار ، ولكنه لم يجب عنه . ووجه أرلايوس
 من بيروت الى الجنرال كاترو جواباً رصيناً ، ولكن بارداً . ثم
 ان السيد بيو استبدل فى نهاية كانون الأول بداتر ، على أثر الحادث
 الحوتى الذى وقع فى « شباب » ، وكان داتر هذا جبراً جدياً قتلدي ،
 مستعداً لتطبيق الارشادات التي يوجهها اليه دارلان ، بمحذيرها
 وبعد قليل أقبل فوجير وانتقلت قيادة قوات الشرق الى الجنرال
 دي فريدلهاك .

م يكن فى استطاعتنا ، والحالة هذه ، أن نفكر فى دخول سوريا
 لا اذا وطىء أرضها العدو نفسه . وما كان أمامنا ، ونحن نترقب ،

الا ان نجمع قوات ليحيبوم ونضعها تحت تصرف وبفيل ليخوض بها ميدان ليبيا . وهذا ما كنت قد اتفقت عليه مع القائد البريطاني الأعلى ، وركبت في الوقت نفسه ، مع مارشان الجولومبور تنظيم قواتنا الجوية الصغيرة واستعدادها .

يجب ان اقول ان حمودا كانوا يعطون أحسن الانطباع لأي وصولا . فقد كانوا يشعرون في هذا الشرق المتعد حيث تردد أصده القرون صيت فرنسا ، أنهم ابطال ثم ان المصريين استقبلهم بترحاب خاص ، وري كان رحيبهم بالفرنسيين ينطوي على اظهار البرودة التي يحملونها تجاه البريطانيين . وقد قت شخصيا مفاوضات ممتعة مع الأمير محمد علي ، عم الملك ووارث عرشه ، ومع سرتي ماشا رئيس الوزراء ، وعدد من ورائه . اما الفرنسيون المقيمون في مصر . علماء ، واعضاء في سلك التعليم ، واختصاصيون في الأثریات ، ورحلان ، ورجال اعمال ، وتجار ، ومهندسون ، ومستخدمون في الفناء ، فقد بذل معظمهم نشاطا حاراً لمحوه قواتنا . وكبوا قد اشارا ، منذ ١٨ حزيران ، بتوجيه من البارون دي بنوا ، والاستاد جوعيه ، والسيد ميسوست وبوبيتو ، مظلمة حكات في الحال ، احدى دعائم فرنسا الحرة . ومع ذلك ، فان بعضاً من مواطني اقاموا عمأى عن الحركة ، وكانوا يتمشون عند المساء أحياناً ، في حديقة القاهرة للحيوانات ، ويمرون امام معوضيه فرنسا المقابلة للحديقة حيث تطل وجوه متورة ، لأولئك الذين لم يلتحقوا بي ، رأيتها من خلال النوافذ ، وكانت نظراتها تتبع الجنرال ديمول .

هناك اذن بعض أمور اقتضت أثناء الاسوعين اللذين قضيتها في السودان ومصر وفلسطين . ولكننا لم نقم بالجوهري منها بعد ، وما كان في استطاعتي ان أوذي منها شيئاً لتوي . ففعلت اذن عائداً الى برازافيل . وكان من الضروري ، بأي شكل ، ان ندفع قدماً تنظيم

كنيتنا لاشوائية ، فاذا كانت خسارة الشرق مقدرة ، فشكون تلك
الكتلة محنة للمقاومة الخلية ، واذا لم يضر الشرق ، فيكون لنا فيها
قاعدة لهجوم مقل .

وبلغني دورتي التفتيشية مرّة أخرى الى اللجان الآتية : دوالا ،
ياونده ، سمروى ، ليبرفيل ، بور - جاتي ، فور - لامي ، موستورو ،
فايا ، فادا ، أبيشه ، فور - أرثمو ، بامي ، وات - لوار ، وكانت
تعملها أشياء كثيرة ، ولكن النظام والعربة ما كانا قط يعورانها في
شيء . وكان الحكم : كورناري في الكمبرون ، لاسي في تشاد ، سان -
مار في أومانفي ، هورتون في الكومبو الأوسط ، هلتان - سميت في
المانون . وهذا جاء ليحل محل مارن الذي هلك في حادث طائرة أثناء
الخدمة - بقودون وبديرون في ذلك الجو الذي لا يساوره شك في شيء ،
ويهمن على الفرنسيين حين يصادف أن يكونوا على اتفاق لخدمة قضية
كبيرة . وقد جعلت الأولوية في المجال العسكري لاعداد رتل لوكير
الصمراوي ، وأرسلت اليه من امحلترا كل ما بقي من الملاكات ، وكل
العتاد الخاص بما الذي قبل الانكاز تويندا به . غير اني لم أكن
اشك ، منذ حلت نهاية نيسان ان عملنا المقبل اما سيكون ، بين يوم
وآخر ، في الشرق .

وراقع الأمر ان الالمان كانوا قد غدوا الى المتوسط ، ففي ٢٤
نيسان انهارت المهاجمة الانتكالي - يونانية ، بينما حلت لهزيمة باليونغوسلافين
انفسهم . ولا ريب ان البريطانيين سيحاولون التعلق بحريّة كريت .
ولكن هل يستطيعون الصمود فيها ؟ لقد بدا لي من المؤكد أن العدو
سيجعل الى سوريا عما قريب اسرايه الجوية على الأقل ، انطلاقاً من السواحل
لأعريقية . وحضور تلك الاسراب في قلب الاقطار العربية بشير بها
اضطراباً يمكن أن يستخدم قوطة لقدمو الفهرماخت (الجيش الألماني) .

ثم إن الطائرات الألمانية تستطيع بسهولة من جهة ثانية أن تقصف القناة ومنافذها من أراضي دمشق ، ورياق ، وبيروت ، على بعد ٥٠٠ كيلومتر من السويس وبور سعيد.

كان دارلان بهذا الخصوص ، أعصر من أن يرد مطالب هتلر. ولكني رحت أعهده في نفسي الأمل أن كثيراً من الفرنسيين سيرفضون الادعاء للوجود الألماني ، وبنفطون رفضهم ذلك بأسلحتهم ، على افراض أن الرؤساء والجوهر للفرنسيين في المشرق سيشهدون أسيرة اللقنات (سلاح الطيران الألماني) تهبط على قواعدهم. وفي هذه الحالة ، يجب أن يكون قادرين على مد يد العون لهم ، فوراً. وهكذا ، ركزت أذن توجيهاتي فيما يختص بالعمل الذي تشرع فيه . والمراد أن مدفع فرقة الجنرال ليستيموم الصغيرة رأساً إلى دمشق في اللحظة التي يثير بها ظهور الألمان لدى مواطنينا الحركة التي كانت تبدو محتمة . وكان كاترو من جهته يستعد ، في هذه الحال ، للقيام بجميع الاتصالات المحككة ، مع دانتر نفسه عند الحاجة ، بحيث يركز ضد غزاة فرنسا وسوريا ، جهة الفرنسيين المشتركين .

ولكن هذه الخطط لم تلاق القبول من البريطانيين . فالجنرال ويفيل الذي استفرقته جهات قتال ثلاث ، لم يشأ أن يفتح مجال ، وأبنا كان الثمن ، جهة رابعة . ثم لم يشأ ، في جانب آخر ، أن يأخذ بأحقال الاسوأ ، فكان يقول ، انه متأكد استناداً إلى تقارير القنصل الانكليزي العام في بيروت ، أن دانتر سيفاوم الألمان عند الاقتضاء . وراحت حكومة لندن تجهد ، في الوقت نفسه ، بلاطمة فيشي ، وهكذا كان من الأميرالية البريطانية ان سمحت في شباط ، رغم تحذيراتي ، بمرور الماخرة ، بروفيداس ، التي كانت تقل د دينوليين ، اعيدوا قسراً إلى بلادهم ، من بيروت إلى مرسيليا . ثم هكذا عقدت ، في نهاية نيسان

معاهدة تجارة مع دائرة تومين شمون الشرق . وهكذا ، كانت تستمر
المفاوضات في عدد لتومين جيسوي مع الحاكم لواييتاس .

وكان من شأن المعلومات التي تلقيتها من فرنسا ان حملتي على التفكير
في ان النفوذ الاميركي كان يعمل عمله في محاولات « التهدة » هذه .
وقد نقل إلي ان بيتان ودارلان كلا يبذلان مفرقاتها تجاه الاميرال ليهي
السفير في فيشي ، في الوقت نفسه الذي كان يلبسان سرّاً مطالب هتلر .
وقد أثرت برقيات ليهي في روزعت بدوره ، فراح هذا يضغط على
الانكليز ان يظهروا تسارلاً وليناً . وبمقدار ما كان يبدو لي إعداد العمل
في الشرق ضرورياً ، كان حلفاؤنا يبدون انهم على غير استعداد له .
وقد أهي إلي سيز من القاهرة في ٩ ايار ان « احداً لا يفكر بأية
عملية في الشرق يقوم بها الفرنسيون الاحرار » وان لا فائدة لي ان
ازور مصر ، وان من الافضل ان اسلك طريق لندن .

واعتقدت ان واهي يفنصني ان أؤثر في الانكليز بدوري ، وانما
المتبع ان سياسة الاعتدال بخارفة تكلف عالياً ، فأبرقت في ١٠ ايار
(مايو) الى السفير البريطاني في القاهرة والقائد الاعلى «حتج على
« القرارات المتخذة من جانبهم وحده حول تومين الشرق وجيسوي » من
جهة ، وعلى « المراقيل في طريق تجمع فرقة ليجنيتيوم في النجاء سوريا »
بينما يزداد احتمال وصول الالمان اليها يوماً عن يوم » من جهة اخرى .
وبينت ان لم تكن لدي في هذه الظروف ، أية بالذهاب الى القاهرة في
وقت قريب ، وأني تركت الامور فيها تأخذ مجراها ، واسي ساء مصر
بجهود الفرنسيين الاحرار بعد اليوم ، في تشاد . ثم اوضحت الى لندن
أني استدعيت الحتراز كاتر من القاهرة ، حيث اصبح وجوده فيها بلا
جدوى . واحيراً ، حاهني السيد مارتن قنصل بريطانيا العام في برارافيل
برمائل بعضها السيد إيدن لتبدير سياسة التهدة حبال فيشي ، فأعلنت

عليه جواباً يدين هذه السياسة محرارة توارى حرارة تقمقي عليها
بعد ان عرفت خبر المقابلة التي جرت في برشتغادن بين دارلان وهنزلر ،
وعقد اتفاق بينها ، وهبوط طائرات المايه في دمشق وحلب .

ذلك بأن المدر كان يلعب هو ايضاً لعمته الكبرى ، عقد بدأ رشيد
علي الكيلاني رئيس حكومة العراق الفراغ في الايام الاولى من ايار ،
مليار من العدو . وحاصر الاسكندر في مطاراتهم . وفي ١٢ ايار ،
وصلت الطائرات الألمانية الى سوريا ، ومن هناك بلغت بغداد . وفي
عشية ذلك اليوم ، ارسلت سلطات فيشي الى « نل كجك » على الحدود
العراقية عتاد الحرب الذي كانت لجنة الهدنة الإيطالية قد وضعت من
قبل ، في عهدة تلك السلطات ، وبإشرافها . كانت هذه الأسلحة مرسلة
بكل تأكيد الى رشيد علي وألح الاسكندر على دانتز وهم بطلون
اليه بين ما عده ، فأجاب جواباً تعتمد فيه التهرب ، دون ان ينكر
الوقائع ، مع ذلك . واصاف انه اذا تلقى من فيشي الامر بالسماح
للقوات الألمانية ، فإنه لن يتوانى عن الطاعة ، مما يعني ان الامر
كان قد صدر . وأعلم في الواقع ، ان الشيطان التي سيرل بها العدو
كانت قد حُجبت سلفاً

ورأت وريرة لندن ان من الافضل ، في هذه الظروف ، ان تنحاز
الى وجهة نظري ، وكان انقلابها مساعداً وقاماً . مما اقل ١٤ ايار حتى
اعلن في ذلك ايدي من جهة ، وسيرر . وكان لا يزال في مصر
من جهة اخرى ، بدون مداورة . وحادثتي اخيراً رسالة من المستر
تشرشل يطلب فيها إلي ان ذهب الى القاهرة ، ولا اسحب معها كاترو ،
ماعتار ان العمل قريب . وانغسخت كثيراً الموقف الذي تبناه الورد
البريطاني الاول ، فأحسته محرارة ، ولأول مرة ، بالاسكندرية . ولم يكن
بوسعي ، مع ذلك ، لا ان استل انتائج التي كانت تعرض دسها من

تصرف حلفائنا في هذه القضية . اما الجزائر ويصير ، فإن حكومته أمرته بالشروع في العمل الذي كنا قد ارتأينا التقييم به في سوريا . وقد وحدته مملكتاً بأدائه عند وصولي الى القاهرة في ٢٥ يار . وانصحهم ان حسارة كربيت وانعدام الجهة الاعربية في تلك الدوحة ، حثفتنا من أعباء القوائد الاعلى .

ولم تكن الأمور تجري في سوريا ، أثناء ذلك ، على نحو ما كنا نأمل . لقد حسب كانوا ، في لحظة من اللحظات ، أن في إمكانه تنفيذ حطتنا والرحف على دمشق بقوات فرنسا الحرة وحدها . ولكن سرعان ما تبين أن التآمر بين فيشي والمدو لم يتر أدنى حركة لدى مجموع القوات في المشرق ، بل كان العكس هو الذي وقع ، إذ تمركزت تلك القوات على طول الحدود لمقاومة الفرنسيين لأحرار والحلفاء ، بينما كان الألمان حلفاء ، يتجولون على هوامم . ومنذ كان دانتو يتصرف بأكثر من ٣٠٠٠٠ رجل مزودين أحسن الراد عذمية ، وطيران ، ومصمحات ، عدا القوات السورية واللسامية ، هذه لا يمكن تطبيق حطتنا الأول ، عى ما كانت عليه ، أي في الرحف رأساً عى دمشق بما لدينا من قوات وعدد ٦٠٠٠٠ من المشاة ، ٨ مدافع ، ١٠ دبابات ، ونحو من ٢٠ طائرة ، ولافادة من المؤثرات التي كـ ، مائة ألفاً في المنطقة كانت لا بد للامكثير من ان يندسو في صوفسـ ، ونحصى في حوض معركة منسقة

كما يريد أن تكون تلك المعركة أقل ما يمكن احثداماً ، وأقصر ، يستطيع أمداً . وكانت بذلك مسألة وسلس . وقد أشاع أصدقونا في بيروت ودمشق عن لساننا القول ، إذا نحن الحلفاء سوريا من جميع الجهات بعدد كبير ، قلل يكون ثمة سوى معركة رمزية ، وإذا حدث العكس ، ووجدت قوات المشرق نفسها تجاه قوات ضئيلة في

العدد والعتاد ، فإن كرامتها الملكية تلعب دورها وتصبح المعمة حامية الوطن . . ولقد قمت ، يرافقي الجنرال كاترو ، بعدة محادثات حول هذا الموضوع ، مع وبيل ، وألحسنا عليه أن يتوغل في الشرق ، لا جنوباً ، إطلاقاً من فلسطين وحسب ، بل شرقاً أيضاً من العراق ، حيث كان البريطانيون يعملون في قضية رشيد عالي وحركته ، وطلبنا إلى القائد الأعلى أن يخوض الميدان بأربع فرق ، تكون إحداها مصفحة ، وأن يحمل إلى جو سوريا عدداً كبيراً من طائرات السلاح الجوي الملكي . وتشدت في أن يقدم القوات ليحتيتم ما يعوزها من وسائل النقل والمدفعية ، خاصة .

الأكيد أن الجنرال وبيل لم يكن مجرداً من الدكاء الاستراتيجي ، وكان يرغب ، عدا ذلك ، في إرضائنا ، غير أنه ، وهو المهتم في عمليات ليبيا ، المتزعج دون ريب من برقيات المترئشثل الملقى بالتهديد ، وها كان يطلع على تأثير إلحسا الحاص ، كان يرد على تقريرتنا بلطف طيب سلمي . وما من شيء استطاع أن يقنعه بأن يكرس من قوته للقضية السورية شيئاً أكثر من الحد الأدنى ، فهو لم يصح في الميدان تحت إمرة الجنرال دبلس سوى فرقة أسترالية ولواء من الفرسان يسلك الطريق الساحلي : صور - صيدا ، ولواء من المشاة يتبعه محور الفيطرة ومرحبيون ، ولواء هندي أعير للجنرال ليحتيتم لدى رحف على دمشق من طريق درعا . وقد اضاف إليه وبيل من بعد ، فوجين أستراليين ، وأخيراً مفرزة همدية أفضت ، عند نهاية المطاف ، إلى العمل بطلافاً من المرق . وكان يُساند الكل رهاء متين طائفة ، وسفن حربية شتى فواكب العمليات البرية ، على طول الساحل . وبهذا ، يكورب الحلاء قد خصوا الميدان بمجموع يقل عن مجموع ما قابلهم من عدد وحسن لا بد مع ذلك ، من العمل وإنهائه على هذه الأسس المتعقدة واتحد

القرار النهائي ، وأوشكت المأساة ان تبدأ .

وذهبت لتفتيش القوات الفرنسية الحرة إلى فلسطين ، في ٢٦ أيار (مايو) وهي التي تجتمعت هناك الآن ، ولكن ظلت بيئة الزاد ، فقدم لي ليجشوم صبعة أفواج ، وسرية دبابات ، وبطارية ، وكوكبة الصباحين ، وسرية استكشاف ، وهاصر مصالح . وقد سلمت هذه المناسبة صلبان التحرير الأولى التي كسبها في ليبيا وأريتريا . ولست ، من خلال اتصالي بالضباط والأفراد ، أهم كانوا في الحالة الصحية التي كنت أتمنى بها تماماً . أسف واشتتار لقائة فرنسين ، سقط على فيشي التي تضلل انتظام الحنود ، اقتناع بوجوب الرسف ، وتأمين المشرق ، وتجويزه ضد العدو . وفي ٢١ أيار احتار الحدود والتحق بنا مع قسم من حنوده المقيد كولييه *Collet* آمر الكوكبات الشركسية ، وهو ضابط ذو كفاءة كبرى وبسالة أسطورية . وفي ٨ حزيران (يونيو) اندفع الفرنسيون الأحرار والبريطانيون إلى الامام نطلبهم الرايات الخليفة ، ويأثمرون بريميل وكارو معاً اللذين أمراهم أن لا يطلقوا إلا على أولئك اللذين يطلقون عليهم أولاً . وكانت هناك محطة اداعية أقيمت في فلسطين قبل أسابيع ، تتوجه عنشدات ودبة إلى مواطنينا ليس كما نأمل من أعمالي قوينا أن لا يسادروا بالعداء ، وكان يوحى هذه المناشدات كل من النقاء شمينلان ، وكولي *Coulet* ، وريبتون . وكان علينا أثناء ذلك أن نصبر ، ولم أذع بحالاً لأي شك حول هذه البسطة ، في تصريح هام .

وكننت من جهة أخرى مصمماً على المضي في دفع الأمور إلى قراراتها وعلى وجه السرعة ، بمقدار ما كانت هناك علامات تحمل على التنبؤ بهجوم تقوم به فيشي ، وربما المحور ، ضد إفريقيا الفرنسية الحرة . وقد رشحت إلى عليا أثناء تعيد أن هنر طلب إلى دارلان عندما تم لقاءهما في برشتسغدن خلال ١١ و ١٢ أيار ، أن يصع تحت تصرف ألمانيا مطارات

سوريا ومراقبتها ، وامكانية استخدام تونس و صفاقس وقابس من قبيل قواته وطائراته وسفنه ، لاحتلال المناطق الاستراتيجية بقوات فيشي . ولا ريب ان غمرينا اصابوا ان فيغان رفض فتح معبد تونس للاندن ، وشن هجوم على الاراضي الفرنسية الحرة ، راحا أن مرؤوسيه لن يطيعوه . ولكن لو كان هتلر مصمما على تنفيذ مشروعه هذا ، فما ورن احتجاج فيغان الذي لم يكن أمامه في نهاية المطاف ، وقد ثبت عدم ارادته في القتال ، إلا أن يقدم استقالته في المجالس التي كان يعقدها المارشال ؟

ومكثنا أقمتنا على أهمية لصد الهجوم ، وأفاد لارمينا من الأثر الذي أحدثه بيا وصول طائرات ألمانية إلى سوريا ، في بعض عناصر من شاطئ العاج ، وداهومي ، وتوغو ، والبيجر ، فاعدت عدة لتوغل في سوريا لدى أول فرصة . وكنت أنا نفسي قد أرشدته إلى الملك الذي ينبغي له أن يسلكه . وأجابني الحكومة البريطانية ، من جهة ثانية ، في رسالة بعث بها المستر إيدن ، أنها ستساعدنا على المقومة بكل ما لديها من رسائل ، وأنا الذي كنت قد سألتها عما تقوم به ، فيما اذا حاولت فيشي أن تهاجمنا في تشاد مثلا ، سواء أررها الالمان فوراً او لم يؤادروها . وقصا أخيراً عما هو ضروري لحل الاميركان على الاهتمام مباشرة ، بأمن افريقيا الفرنسية الحرة . وفي ٥ حزيران قدمت مذكرة لوزير الولايات المتحدة في القاهرة ، بيئت فيها أن اهريقيا ستكون يوماً ما قاعدة انطلاقات اميركي لتحرير أوروبا ، واقترحت على واشنطن أن تقيم ، دون ابطاء ، قوات حربية في الكامبيرون وتشاد والكونغو . وبعد أربعة أيام ، توجه قنصل الولايات المتحدة في ليوبولدفيل لمقابلة لارمينا وسأله باسم حكومته ما اذا كان يفدر أن اهريقيا الاستوائية الفرنسية مهددة ، وسين ردت المندوب السامي بالإيجاب ، طلب إليه أن يطلعنا على المساعدة المباشرة التي ينبغي على أميركا أن ترودها ، من ناحية التسلح خاصة

وعلى الرغم من كل شيء ، ومن بعض الاحتياطات التي استطعنا اتخاذها
للدفع المحتمل عن لحسن الاستوائي فاني كنت أنعجل رؤية المشرق
معلقاً في وسع الأمان ومنقطعاً عن فيشي ، أمام احتمال جهد جنار بدل
في أفريقيا من قبل المحور وأعوانه .

وفيما كان الانكليز والمصريون ، الأحرار يُعدّون العدة في أفريقيا
للعمل معاً على الصعد العسكري ، راح ناصحهم السياسي يرتسم في
الأمم كما يدرك تحركات هيئة مختصة أحدث ترى مجال التطبيق يفتح
أمامها أحياناً الخطة عمل معدّة منذ زمن طويل ، في سوريا ، وذلك
على مقربة من الأركان العامة الحليفة ، وحول السفارة في القاهرة ،
وحول المفوضية العليا البريطانية في القدس ، وفي غارات الفورين أوفيس
التي تقوم بها مع كسان ، ولبين ، وديجان ، والتي كان ينفذها هؤلاء
إلي رانا في لندن ، ثم في اعمدة الصحف التي يوحى اليها ، وخاصة في
« المستانب بوست » (بريد فلسطين) . فان الحوادث ستقدم لبريطانيا
المعظمى في سوريا ، مجموعة من أوراق سياسية وعسكرية واقتصادية ، راجحة
لدراسة لا تفك معها قطعاً ، أن تمتنع عن اللعب بها لحسابها الخاص .

كان ذلك واضحاً بمقدار ما كان يستحيل علينا ، إذا نحن تمسكنا
في دمشق وبيروت ، أن نحفظ فيها الوضع الذي كنا من قبل راغبين .
فان الحزب التي أحدثتها مكة ١٩٤٠ واستلام فيشي ، وقائير المحور ،
كل ذلك كان يتطلب من فرنسا الحرة أن تتحد لجاء دول المشرق وصعبة
جديدة تلمي التنطور وقوة الاشياء . وكان يبدو لنا ، من جهة أخرى ،
أن فرنسا لن تحفظ بالانتداب ، حين تنتهي الحرب وإذا اقتصرها أها
لا تزال راغبة في إعادته ، فقد كان واضحاً أن حركة لأقطار العربية
والصعوبات الدولية لن تجمع لها بذلك . هلك ، والحالة هذه ، نظام
واحد ، يمكن في الواقع والقانون أن يحل محل الانتداب ، ألا وهو

الاستقلال ، على أن يحفظ لفرنسا مصالحها وحقوق المصداقة التاريخية .
وذلك هو ما كادت تهدف إليه ، في جانب آخر ، معاهدة ١٩٣٦ التي
عقدتها باريس ، مع لبنان وسوريا . وهاتان المعاهدتان تشكلان حادثين
لا سبيل إلى إنكارهما ، فإن الحس السليم والظروف تقع من الشكر لهما ،
وإن كان إرغامها قد تأجل .

وكذلك كنا قد عقدنا العزم على أن نعلن فرنسا الحرة إرادتها في
إنهاء نظام الانتداب وعقد معاهدات مع دول أصبحت تتمتع بالسيادة ،
مور دخولها الأراضي السورية واللبنانية . وما دامت الحرب قائمة ، وما
سعتنا طمعا بسلطة المدبوبة العليا في الشرق ، وبما عليها من التزامات
في الوقت ذاته . وإما لنقل أخيراً أن نقارن القيادة العسكرية البريطانية
على مجموع السلاسل ، سلطة النواحي الاستراتيجية ضد العدو المشترك ،
نظراً لأن سوريا ولبنان حرة لا يتحرراً من ميدان المعارك في الشرق
الأوسط ، وللاكتفـاء فيه بالنسبة لنا ، نعوق ضعم في الوسائل

ولكن ظهر في الحال أن لاكتفـاء لم يمكتموا بذلك راضين . فإن
لبنان ركزت في لندن على أيدي إبهارات ملحة ، وكان يجر كها في
المطلة جـمـد مجرد من كل وارع شريف ، مجهر بجميع الوسائل . وقد
رفضت الفودين أوفيس تلك اللصة التي كانت تثن منها أحياناً ، ولكن
لم تتنكر لها قط ، وساندها الوزير الأول الذي كان يصدق الوعود المبهمة
والعواطف التي أحكم تقنيها ، وكان الناس يصدعون لجلهم «لبنات» .
والوزير الأول كان يرمي منها إلى إنشاء «رعاية» بريطانية في الشرق
بأسره . كانت السياسة الانكليزية تهم إذن في مدل جهدها على نحو
خفي وطوراً بعظمة ، للمدلول محل فرنسا في دمشق وبيروت

كانت المرابدة كأسلوب عمل هي التي ستعيد منها تلك السياسة ،
موجهة أن كل امتياز نطقد به عنق سوريا ولبنان ، إنما كان بعض

مسئمتها الحبيدة ، محرضة الحكومات المحلية على تقديم مطالب تأخذ في
الأردباد ، وتقصي أحياء في مسانده التعريضات التي تتولى من بعد أمر قيادتها .
وكانت المحارلة تدل في الوقت نفسه ، لحمل الفرنسيين 'نمضاء' وحمل
الرأي العام المحلي والدولي على الوقوف ضدهم . وهكذا ، يتحول لاستياء
الشعب عن المظالم البريطانية في الأقطار العربية الأخرى .

وما كاد القرار المشترك بدخول سوريا 'يتخذ' ، حتى راح الانكسار
يتصرفون على نحو نفذ منه إلى بياهم . فلما كان كاترو 'بعد' مشروع
التصريح بإعلان الاستقلال ، طلب السير هيلز لامبسون أن يكون لإعلان
باسم انكلترا واسم فرنسا الحرة معا . وعارضت ذلك ببطبيعة الحال .
والبحر الصغير يومئذ أن يشير النص إلى الصيانة البريطانية لوعدها ، فرفضت
هذا الطلب ، مبينة أن كلام فرنسا لا يحتاج إلى ضمانة أصلية . وأبرق
إلى السيد تشرشل في ٦ حزيران ، عشية الرحف ، يعرب لي عن نسيته
الودية ، ويبلغ في بيان الأهمية التي تحملها على الموقف تلك الضمانة الشهيرة .
فأجبت عن نسيته ، لا عن ادعائه ذلك . وكان من اليسر أن نرى أن
شركاءنا كانوا يريدون إعطاء هذا الامطاع ، وهو أنه إذا قال الأوروبيون
واللبنانيون استقلالهم ، فإنا هم مديون به لانكلترا ، ومن ثمة بأحدون
موقف الحكم بيننا وبين دول المشرق وكان تصريح كاترو ، في نهاية
الأمر ، كما يجب أن يكون ، ولكنه ما كاد يذاع ، حتى نشرت
حكومة لندن تصريحاً آخر باسمها الخاص ، على حدة .

إنها لذكريات أليمة هذه التي تعيدها إلى ذهني لمركة التي اضطربنا
إلى خوصها . وامي لأشاهد نفسي ، من خلال تلك الذكريات ، وأنا
أغدو وأروح منتقلا بين القدس حيث اتخذت مقرّي ، وقوتنا الناسة
التي تتقدم نحو دمشق ، أو داهيا في زيارة إلى الحرمي ثقلني سيارة
الاسعاف الفرنسية - البريطانية مع السيدة سيزو والدكتور غروشو .

وفهمت ، مع الزمن ، أن كثيراً من حرجنا ، ومن أفضليهم ، كانوا يتركون في الأرض المراء ، وأن الجبال ليحتبوم مثلاً أصيب بحرج خطير ، وأن العقيد بيجان ونقيب السينة المصرية ، دكتوراي قتلا ، وأن المقدمين دي شعبييه ، ودي بوانودوي ودي هيوتري أصيبوا إصابات بالغة ، وأن عدداً من الضباط والجنود انطبعوا بسقطون ، في الحاسب الآخر ، صرعى رصاصا ببساطة ، وأن قتلاً عيباً در حول الميداني في ٩ و ١٠ حزيران ، وفي ١٢ منه أمم و كسوة ، وحول القسيطرة ودرعا في ١٥ و ١٦ ، وكانت هذه المباركة تخلط أموات المرشحين من المصكرين ، بأموات حلفائهم البريطانيين . وكنت أشعر لحب أولئك الذين يمارسون من أجل فكرة الشرف التي يحملونها ، ومواطني حنلظ فيها التقدير بالثناء . وفيها كان العدو يدق دبري كاس هون ، ويحم في أفريقيا ، ويشلل إلى المشرق ، كانت هذه الشعبة تدن وهذه الحباثر تحمل في صواع بين الأسماء مرمه هتلر على رؤس سقطوا تحت يده ، فأشعر أن ذلك كله تذيير لطيف .

ولكن ، كما كان الأسى بمصر نفسي ، كس ردود مضاء في عزمي على الخلاص منه . وذلك هو ، من جهة أخرى ، موقف جنود فرنسا الحرة كلهم ، ادلى يكون فيهم واحد يشمر بالثور ، وذلك هو أيضاً موقف جميع مواطنينا في مصر الذين اجتمعوا في القاهرة لإحياء لذكرى السنوية الأولى لـ ١٨ حزيران ، وقد استقبلوا كلمتي في تلك المناسبة بهتافات إجماع .

‘خيل في ذلك اليوم أن دانتر أوشك أن يُنهي الصراع النقيض ، وكان هذا الصراع من جهة أخرى ، لا يفتح له أدنى باب أمل . والواقع أن هيتلي أوفدت ينوا - ميسان إلى أبنقرة لإرسال تحذات إلى المشرق ، فلقني الرفض . وفتحت هريفة رشيد عيالي في العراق ، مر

الجانب الآخر ، وهرية الى ألمانيا في ٣١ أيار ، أبواب سوريا للحلفاء عن طريق الصحراء والقرات . وبدأ فجأة أن الأسان غير متعجلين إرسال قوات جديدة الى الاقطار العربية . بل ، على العكس ، أهدت الطائرات التي بنوا بها ، الى اليونان . والتجعدات الوحيدة التي وصلت الى الشرق منذ بداية المعارك ، كانت صربين من الطائرات الفرنسية ، قدمت من أفريقيا الشمالية عبر اثينا ، حيث استقبلها الالمان ومدوها بالمؤن . وها هي واشنطن ، ونحن في تلك الحال ، تنقل اليها النبأ ان السيد كوني ، مدير العرقة السياسية في المفوضية العليا للشرق ، وجه الرجاء في ١٨ حزيران الى القنصل الاميركي العام في بيروت ، ان يطلب على وجه السرعة من البريطانيين انفسهم ما هي شروطهم ، وشروط الديبوليين ، لوقف القتال .

وكنتم ، ادراكا لماقمة واحتياطاً للمستقبل ، أعلنت السيد تشرشل ، منذ ١٣ حزيران ، بالقواعد التي كنت ارى انه ينبغي للهدنة الموقعة ان تمهد على اساسها . وكتبت نص الشروط بالمعنى نفسه ، خلال اجتماع عقد في ١٩ حزيران ، عند السير مايكل لامبيون وحضره كارو ، وهي الشروط التي كانت تبدو لي مقبولة منسأ ولانقة بأولئك الذين كانوا يحاربوننا : « يجب ان تركز النسوية على القواعد الآتية : معاملة شريفة للمسكرين والموظفين جميعهم ، الصيانة الممطرة من بريطانيا العظمى بأن حقوق فرنسا ومصالحها في الشرق مصانة ، تظل كذلك بمجرد واقعها ، تتولى السلطات الفرنسية المهمة تمثيل فرنسا في الشرق » . وحدثت ان « جميع الموظفين والعسكريين الذين يرغبون في البقاء حيث هم ، يمكنهم ان يبقوا مع أسرمهم ، والآخرين يرحلون الى وطنهم فيها بعد » . غير اني أضفت ان « جميع الاجراءات ينبغي ان تتخذ من قبيل الحلفاء ليكون هذا الاختيار حراً ، فصلاً » . وصرتحت اخيراً ، رداً على

الإشاعات التي كانت تروج لها فيشي ، أنني لا أؤي مجالاً ، محاكمة رفاقي في السلاح الدين حاربوني ، تنصّباً منهم للأوامر التي تنفّوها ، وأنا الذي لم أحاكم أحداً منهم قط ، . وذلك هي الاجراءات الجوهرية التي تبناها البريطانيون حالاً آنذاك ، وابتدأ بها الى لندن لتقلها هذه بدورها الى واشنطن ، ومن ثمة الى بيروت .

وشمرت كذلك في اليوم التالي ، عمارة في النفس حين اطلعت على النص الصحيح الذي كانت الحكومة البريطانية قد نشرته آخر الامر ، والذي لا يشه البيان الذي كنت قد وقعت ، فهو لم يذكر حتى اسم هربا الحرة ، كما لو كانت اسكتلندا هي التي يُراد من دانتر ان يسلمها سوريا ، ثم لم يذكر ، عدا ذلك ، الاحتياطات التي اردت الاخذ بها منعاً لمكربي الشرق وموظفيه ان يرحلوا جميعاً الى بلادهم ، ويأمر من السلطة ، وأنا الذي كنت ، آنذاك ، في حاجة الى الاحتياط ما امكن بهم ، فكان ان وجهت الى السيد إيدن احتجاجاً صريحاً ، وحذرته فيما يتعلق بي ، أنني لا اراد عند الشروط المقسولة في ١٩ حزيران ، ولا اعترف بغيرها . وكان لهذا التحفظ اهميته ، كما سنرى من بعد .

ما هي الاسباب التي جعلت سلطات فيشي تفتظر اكثر من ثلاثة اسابيع لتنفيذ قرارها الخاص بالمفاوضة لوضع حد للنزاع ؟ لماذا كان من المحتوم نعماً لذلك ، إطالة أمد عراك لا يملك ان يغير شيئاً ، سوى ارباب الحسام ؟ لم اعثر على تفسير الا في اندلاع الهجوم الألماني على روسيا ففي ٢٢ حزيران ، وهو اليوم الذي تلا إيداع المفوضية الملي في بيروت جواب بريطانيا المظني عن طريق قنصل الولايات المتحدة ، اطلق هتلر جيوشه على موسكو . وكانت له مصلحة لا يطاقها شك في ان تظل اكبر كمية ممكنة من القوات المادية مشتبكة في افريقيا وسوريا ،

فترلتى روملى جداً من ذلك ، وكان على القوات الفرنسية الشاعمة في
المشرق ان تقوى الجانب الآخر .

ومع ذلك ، دخلت قوات دمشق في ٢١ حزيران ، بعد قتل شديد
في كسوة . ردها اليها كاترو في خلال ، ووصلت انا في ٢٣ . وخلال
الليلة التالية ، حامت الطائرات الالمانية تقصف المدينة ، وتقتل مئات
من الاشخاص في حي المسيحي ، وتظهر بهذه الطريقة تعاونها مع
فيشي . ولكن ما كذا استفاد ، حتى رامت اليها من جميع الجهات
اساء مقلعة ، من حوران ، وحبل الدور ، وتدمر ، والحيرة ،
خاصة ، عن السلوك البريطاني . ولم يكن لدى من الوقت ما تصبغه
للتدليل على ان هزيمة فيشي لم تكن تقهقراً لفرنسا ، رنوطبداً لسلطاننا .

وفي ٢٤ حزيران ، عيّنت الحزب الكارو مفوضاً عاماً مطلق الصلاحية
في المشرق ، وحددت له في رسالة ، غاية مهمته ، توجيه الموقف
لداخلي والاقتصادي نحو استعادة وضعه الطبيعي بمقدار ما يمكن ظروف
الحرب ؛ التفاوض مع ممثلي الاهلي الاكفاء ، لاجراء معاهدات تضع
اسس استقلال الدولتين وسيادتهما ، كما تركز تحالفها مع فرنسا ؛ تأمين
دفاع المنطقة ضد العدو ؛ التعاون مع الحلفاء في عمليات الحرب في
المشرق . وقد تولى الحزب كاترو ، جميع سلطات التدبب السامي
لفرنسا في المشرق ، وتبعاته ، في انتظار تطبيق المعاهدات المقبلة .
اما المدوصات التي يُشرع بها ، فينفي ان تكون د مع حكومات
موافق عليها من قبل مجلس وطنية تمثل واقعياً مجموع السكان ، وتلتم
متى امكن ذلك ، وتكون نقطة انطلاق المدوصات ، معاهدات ١٩٣٦ .
وهكذا ، يكون الانتداب الذي وُكل الى فرنسا في المشرق ، قد
بلغ نهايته ، واكمل عمل فرنسا .

وقد استقلت خلال إقامتي في دمشق كل من فيها من اعيان

السياسة والدين والادارة ، وكان من هؤلاء الكثير . وكان واضحاً للعيان ، من خلال النقطه شرقية المعنوية ، ان سلطنة فرنسا كانت موضع اعتراف بلا راع ، هي شخص ، وث حاسوب الخطة الادبية الرامية الى تثبيت قدمها في سوريا ، يد سيجل هي حره كبير منحه لريدة رصيده المعضوي ، وأن كل امرئ أصبح ، يكس ينظر إعادة تسيير اعضاء الدولة ، وتركيز حكومة جديدة من احد سوتا . وكان من الجنرال كاترو الذي يعرف اهل البلاد وامورها معرفة معقدة ، ان أعاد الامس ، والتموين ، والخدمات الصحية للمستشفيات ، ولكنه نهمل في تعيين الوزراء .

ونتهت المسألة على كل حال . ففي ٢٦ حزيران استولى ليجنبيوم على النيك ، وهو الذي ما أمك ، وغم جراحه الخطيرة ، عن قيادة جنوده ؛ وفي ٣٠ منه صد عنها هجومًا مماكاً شديد الوطأة . وفي ٣ تموز (يوليو) عبر رقل هدي قدم من العراق نهر الفرات ، على جسر دير الزور الذي بقي سليماً بفصل مصادفة أستطيع القول انها كانت مدروسة ، وتقدم نحو حلب وحمص . وفي ٩ بلغ البريطانيون على طريق الساحل مدينة الدامور ، وحزبن الى الشرق منها . وفي ١٠ تموز ارسل داتر سفنه الحربية وطائراته الى تركيا حيث عزلت ثم طلب وقف القتال ، فأجيب في الحال وتم الاتفاق على ان يتمتع مطلقو الصلاحية بعد ثلاثة ايام في عكا .

كان هناك كثير من الدلالات تحدوي على التفكير ان ما يفر عنه ذلك الاجتماع لن يكون متوافقاً ومصالح فرنسا . لا ريب اني كنت في ٢٨ حزيران قد انتهت السيد تشرشل ، الى الاهمية للقصى السقي يقسم بها ، من وجهة نظر تحالفنا ، سلوك اسكتلندا تجاهنا في الشرق ، ثم لا ريب اني كسبت من ذلك ان يحضر التفاوض الجنرال كاترو . ولا

ربب ان مندوبينا في لندن كانوا قد تلقوا مني إرشادات تتعلق بالشكل
الذي ينبغي لسلطتنا في المشرق ان تقوم عليه ، ليقيدوا من في خطواتهم .
ولكن الشروط التي صاغها لندن من قبل الهدنة مع دانتر ، والحو الذي
كان يسود الدوائر البريطانية ، وتعيين وبفيل نائب ملك الهند ومعارضة
القاهرة ، وإحلال خلفه أو كنتك محل دون ان يلتحق بمركبه الجديد ،
بما ترك المجال حراً امام اهواء المستعربين ، كل ذلك لم يكن يسمح
لي بالنك ان تسوية الامور بما لا يُطمأن اليه ، وانها تسير من سوء الى
اسوأ . ولكن الهدنة ستعقد آخر الامر على يد ولسن مع فرديلهاك .
ولم يكن لدي من وسائل لتعديد الاضرار سوى التهريب والاستعلاء ،
وبدوع نحملة أنفس منها على اتفاق لا يترمي بشيء ، وفي منطاعي
ان أمزقه في حدود الممكن .

كانت العمارة برارافيل . اقيمت فيها بيتا كانت يكتب في عكا ذلك
النص الذي تجاور بمناء السوء ، وفي شكل ومحتواء ، كل ما كنت
الخوف ان يكون .

الواقع ان نص الاتفاق كان يوازي إنتقال سوريا ولبنان للبريطانيين
على نحو خالص وبسيط ، فليس فيه كلمة واحدة عن حقوق فرنسا
سواء في الحاضر او في المستقبل ، ولا اي ذكر لدولتي المشرق ، فقد
تمحلت فيشي عن كل شيء ووضعته في يد دولة اجنبية ، ولم تمنح الا
للحصول على شيء واحد : رحيل كل الحيوث ، وارتحال كبر عهده
ممكن من الموظفين والرعايا الفرنسيين . وهذه الطريقة ، بمنع على ديقول ،
قدر المستطاع ، ان يربد في قواته ويحتفظ بمركز فرنسا في المشرق .

لقد أظهرت فيشي بتوقيع هذا الاسلام انها امينة لصيرها الكتيب ،
ولكن الاسكليز ظهروا انهم يعمرون فيشي افكارهم الدفينة جميعها ، انهم
يبدون ، وقد تجاهلوا ، حتى بالكلام ، حلفاءهم الفرنسيين الاحرار

الدين أعانهم أكبر العون ، بما بذلوا من جهد وإبداع ، على بلوغ غايتهم الاستراتيجية - يريدون انهم يريدون الاستفادة في الظاهر ، من تحركات فيشي لبلعوا ، تحت ستار من قيادتهم العسكرية ، السلطة التي ملها لهم دانتز في بيروت ودمشق . وكلوا ، عدا ذلك ، يوافقون فيشي على تحويل حبوش المشرق بأسرع ما يمكن ، اد يكون من شأن هذه ، حسب الاتفاق ، ان تتجمع بأمر من رؤسائها وتنقل على السهول التي يبعث بها دارلان . وهناك ما هو أدهى وأمر ، فقد صيغ على الفرنسيين الاحرار ان يتصلوا بفرنسي فيشي ويحاولوا ضمهم اليهم . والعناد الذي تركه حبوش المشرق بسلم الانكليز وحدهم ، اما القوات التي يقال لها خاصة ، اخيراً ، اي السورية والسورية التي اظهرت دوماً ولاهها لموسا ، حتى ان فيشي لم تجرؤ على استعادتها صعداً في الماروك الاخيرة ، فلانها ستوضع كما هي ، تحت القيادة البريطانية

وكان ان أعطت أني ارفض اتفاق عكا حتى قبل ان اطلع على التفاصيل ، مسلداً الى الاشارات ، المزرقة طعماً ، التي كان قد اعطاها عنه مذبح لندن . وسافرت على الأثر ، الى القاهرة ، مسبباً للحكام والرؤساء العسكريين الانكليز ، في كل مرحلة من مراحل سفري الى اي حدث بلغ الامر من الخطورة . هذا ما فتت به في الخرطوم مع الجنرال السير آرثر هودلتون حاكم السودان العام الورد ، الفائق ، وفي كمالا مع الحاكم ، وفي وادي حلفا مع محافظ الدائرة ، بحيث نسقني بوقبات التحذير المنذرة بالويل . وفي ٢١ تموز (يوليو) اتصلت بالسيد اوليفر لينتون وزير الدولة في الحكومة الانكليزية ، وكانت حكومته قد أوقدته الى القاهرة ليجمع بها ، تحت سلطته ، جملة الشؤون البريطانية في الشرق .

لم يشأ الكائن ، لينتون ، وهو الرجل الورد الرصيد ، ذو العقل

المنعج الناشط ، ان بدأ علناً مهمته ، مكارثة . وقد استقبلني بشيء من الصيغ ، فأجبت نفسي في تجنب الانعجارات ، وتلفتت بالحديد ، وصرت له بما يلي ، وهو الجوهر من حديثي البه :

- « لقد استطعنا بفضل المعركة التي خضناها معاً ، ان تؤمن ميزة استراتيجية مرموقة . ها هي الرهينة في المشرق صيغ وهي التي كان يضعها الحور في ميدان فواء على مسرح العمليات في الشرق ، وثانها بخضوع فيشي له . ولكن الاتصاف الذي عقدتموه مع دانترو هو بما لا يمكن القول به . ومن واعي ان اقول لك ذلك . ولا يمكن ان نتقل السلطة في سوريا ولبنان من فرنسا الى إنكلترا ، فهي لفرنسا الحرة ، ولها وحدها ان تقارنها هناك ، وعليها ان تؤدي احبابها لفرنسا . ثم امي في حدة ، من جهة أخرى ، الى هذه اكر عدد من الجنود الذين حاربوا ، ورحيلهم السريع المكثف ، كالاكتفاء بهم بمجموعين ومعزولين ، يبرع هي كل وسيلة كالتنظيم فيهم . وعمل القوم ، لا يستطيع الفرنسيون الاحرار القبول بان يكونوا صمدين عن مورد فرنسي بدعم ، للحداد ، وهم لا يستلمون ، على الاخص ، بان يفصي جهداً مشترك الى تركيز سلطنتكم في دمشق وبيروت . »

أحاب البد لينتون : « ليست لدينا البية في ذلك وبريطانيا العظمى لا ترمي في سوريا ولسان الى هدف سوى كسب الحرب . ولكن هذا يقتضي ان لا يكون الموقف الداخلي في البلدين ، مضطرباً . وسندو لنا أيضاً ان من الضروري ان تسال دول المشرق الاستقلال ، الذي همته لها انكلترا . وما دامت الحرب قائمة ، من جهة ثانية ، فبان للقيادة العسكرية حقوقاً عليا فيما يتعلق بالأمن العام ، والتيها اذن ، عند نهاية المطاف ، يجب ان ترحم القرارات التي تتخذ محلياً . أمما الشروط التقنية التي تساهل الحزبان ريلسن وهرديلباك لانسحاب القوات الفرنسية

وترحيلها ، فانها قلبي كذلك على نحو ما ، حاجة القيادة الى سير
الامور بشكل منتظم . وانه ليسوؤا ان لا تفقوا معنا ، فقضيتنا ،
بعد كل حساب ، مشتركة .

وعدت الى الكلام ، فاجبته :

« - نعم ! قضيتنا مشتركة . ولكن وضعا غير مشترك ، وعمليا
يمكن ان يصح مثل وضعنا . ففرنسا في الشرق هي المنبذة وليست
بريطانيا العظمى . انتم تتكلمون عن استقلال الدول . ولكن نحن وحدنا
ذوو الصفة لاعطائه ، وقد اعطيناه في الواقع ، ضمن شروط ولأسباب
نحن وحدنا لمحكم بها ، وسأل عنها . ومن المؤكد ان في استطاعتكم ان
توافقوا من الخارج ، وليس لكم ان تدخلوا معنا ، من الداخل . ما
الامن العام في سوريا ولبنان ، فهذا من شأننا لا من شأنكم ابداً .

وقال المستر ليتلتون : « - ومع ذلك انت اقررت في اتفاقنا في ٧
آب (أغسطس) ١٩٤٠ ، بسلطة القيادة البريطانية . »

أجابه . « - لقد اقررت فعليا بهذه القيادة ، لاعطي توجيهات للقوات
الفرنسية الحرة ، ولكن كان إقرارى في الناحية الاستراتيجية وصدا العدو
المشترك ، نعم . وما كنت قط لأفهم ان هذه الصفة تنفذ الى السيدات ،
الى السيدات ، الى الإدارة في مناطق ووكيلت شؤونها الى فرنسا . وعندما
يعود يوماً ما الى الارض الفرنسية ، هل تميدون الى الدهن حقوق القيادة
لتدعوا حكم فرنسا ؟ ويجب ان اكرر عليكم ، من جهة أخرى ، انني
اصر على الاتصال بالامصار التي كانت تدبر بالطاعة لمبشور . وهذا مما
يعود عليكم ، بعد كل حساب ، بالفع ايضاً . وذلك لان من الميث الخاص
تسريح جيوش كما هي ، شهدت وطيس القتال واكتوت بجرارته ، ثم لمجد
أعصنا يوماً ما تحاه العدو في افريقيا ، او في مكان آخر . ويجب اخيراً
ان يعود الصناد الفرنسي وقيادة الجيوش الخاصة ، الى فرنسا الحرة . »

وحينذاك ، ردّ السيد لينتون قائلاً . - لقد أطلعتني على وجهة نظرك . وفيما يتعلق بعلاقاتنا المتبادلة في سوريا ولبنان ، نستطيع ان نتناقش حولها ، ولكن فيما يتعلق باتفاق الهدنة ، فإنه موقع ويجب تطبيقه .

- وهذا الاتفاق لا يلزم فرنسا الحرة ، فأنا لم اوافق عليه .

- ماذا تنوي أن تفعل إذن ؟

- هاك اياه لي لشرف ان أعظم ، راقلة لكل ايهام يتعلق بالحقوق التي تروى القيادة البريطانية في سوريا ولبنان ، في ممارستها ، ان القوات العربية الحرة لن تخضع بعد لهذه القيادة ، ابتداء من ٢٤ تموز ، أي بعد ثلاثة أيام . وأنا آمر الجنرال كاترو ، عد ذلك ، ان يضع يده فوراً على السلطة في جميع أراضي سوريا ولبنان أية كانت اعمارصة التي يلقاها ، ومن أي جانب أنت . وأمر القوات الفرنسية الحرة ان تتصل كما تستطيع ، بجميع المراكز العربية لآخرى وانت تأخذ لحسابها ما لديها من عتاد . واحيراً ، هناك تنظيم الحيوث السورية والنسابة الذي كنا قد بدأنا به سلتابعه بشايط .

وسلمت الكاتب لينتون مذكرة معدة من قبل ، وفيها تلخيص دقيق لهذه النتائج . وقلت له : وأنا استأذن بالانصراف .

هـ . إنك لتعرب ما فعلته انا والدين يسمونني ، وما نفعله في سبيل تحصيلنا . فأنت نستطيع إذن ان نقدين مقدار أسفنا إذا لم نتمكن علينا ان نرى ذلك التعاضد يتعكك . ولكن لا يملك التسليم نحن ، ولا أولئك الذين يملقون في بلادنا أمهم علينا ، ان يقوم التعاضد على حساب قوس ، وضد مصالحها . فإذا وقع ذلك ، لسوء الحظ ، فإننا نفضل ان نعلق تمهداتنا نحو انكافرا . وكيف دار الامر ، فإننا سنتابع لقتال ضد العدو من جهة اخرى ، بجميع ما لدينا من وسائل . وإني

لأبوي السمر الى بيروت خلال ثلاثة ايام ، وأنا مستعد لكل مفاوضة تبدو لك مرغوباً فيها ، اثناء هذه المدة .

وعادرت ليلتون الذي بدا لي ، على برودته الظاهرة ، قلقاً ، متأثراً . وكنت انا شخصياً حاد مسعل . وبعد الظهر ، أكدت له كتابة ان اقتناع القوات الفرنسية الحرة للقيادة البريطانية ينتهي أجله : الساعة الثامنة عشر من ٢٤ ؛ غير أنني مستعد للتوبة الكيميائية الجديدة لتعارن العسكري ، معه . وأبرقت أخيراً لتشرشل ما يبلي . وأنا لنعتبر اتفاق عكا ، مخالفاً في محتواه ، لمصالح فرنسا الحرة العسكرية والسياسية ، أي لمصالح فرنسا ، وفي شكله نعتبر انه يسيء إساءة بالغة لكرمتنا . أنني ان تشعروا شخصياً ان مثل هذا الموقف البريطاني ، في قضية لحسبها حيوية ، يزيد في مصاعنا الى حال من التماقم خطيرة ، ويكون ذا عواقب أفدّر اها وخيمة ومؤسفة من وجهة لمحة التي شرعت فيها .

كانت المناذرة لانتكلترا ، فتنازلت عس موقفها . وفي مساء نعه طلب السيد ليلتون مقالتي ، وراح يكلمي باللمة الآتية :
« أنا أوافق على ان بعض المظاهر أوحى اليكم اننا نريد ان نحل في المشرق محل فرنسا وأؤكد لك ان ذلك خطأ . وأنا مستعد ، قديداً لسوء التعام هذا ، ان اكتب اليك رسالة تضمن تجردنا التام في المجال السياسي والاداري .

أجبنه : « سيكون ذلك تثبيتاً للبدا ، منبسط به . ولكن يبقى اتفاق عكا الذي ينقض المبدأ على نحو مرعج ، والذي يوشك ، بالاصافة الى ذلك ، ان يؤول الى اصطدمات بين ذويكم الذين يطبقونه ودوين الذين لا يقبلونه . ويبقى كذلك الامتداد للصلاحيات الذي تنوون اعطائه لقياداتكم العسكرية في المشرق ، والذي لا يتوافق مع وضعنا هناك .

- « أياكون لديك ما تقترحه حول هاتين المسألتين ؟ »

- « لا أرى من مخرج ، «السنة الأولى» سوى عقد اتفاق فيها يسا حول «تطبيق» معاهدة الهدنة ، يصلح به عملياً ، ما هو مردول في النص . أما المسألة الثانية ، فإن من الضروري والملح ان تتعهدوا بتحديد الصلاحيات لقيادتك على الاراضي السورية والسانية ، في الصلوات العسكرية ضد العدو المشترك » .

- « اسمع لي بأن افكر في ذلك » .

ونحنس الجو . وانتهيا في ٢٤ ثور بعد تقليات شتى ، ال اتفاق «تسيري» ولا ، لاتفاقية عكا ، وهو ما فاوهر فيه لحسابنا الجبرال لارميا والمفيد هالان . وبه صرح الاسكليز انهم مستعدون للساح لنا بالاتصال بقوات المشرق ليعرف فيها على من ينصوي اليها ، واعترفوا ان المعتاد يعود لي القوات العربية الحرة ، وتخلوا عن اخذ القوات السورية والسانية الى حاسهم ، ونحت لواثهم . وذكر ، عدا ذلك ، انه اذا حدث إحلال جوهري لاتفاق الهدنة من قبيل سلطات فيشي ، وجب ان يلاحظ ، وتتخذ القوات البريطانية والقوات العربية الحرة جميع التدابير التي راها ناعمة لإلحاق قوات فيشي بفرنسا الحرة . وهذا كانت هناك عدة : إحلالات جوهريه ، قد لحظت وكشفت ، فإن في الامكان لاعتقد - وهذا ما اكده لي السيد لينتون نفسه - ان قضية مصير القوات برمتها ، ستكون موضع اعادة نظر .

لم يحالني الشك في حسن نية الورير الاسكليزي ، ولكن ما الذي سيقوم به الجنرال ويلس ورمركه من المستعربين ، رغم الاتفاقات المعقودة ؟ كان ان ابرقت مرة ثانية للسيد تشرشل ، محاولة هي لملمهم على ان يسلكوا سلوكاً حسناً ، ناثبته فيها ، ان لا يترك تحت تصرف فيشي جيشاً كاملاً ، بوحداثه المشكلة . وأصفت : « يجب ان اكرر

عليك انه يبدو لي ان ايسط قواعد الامن تقضي بوقف ترحيل جيش دانتر ، وترك الفرنسيين الأحرار يتبعون السبل التي يرونها ويفهمونها لإعادة هذه القوات المكية التي صلاتها دعاوة الأعداء ، لي حظيرة الواجب .

وفي اليوم التالي ، ٢٥ ، كتب إلي السيد أوليغر ليتلتون وزير لدولة في الحكومة البريطانية ، باسم بلاده :

«إنا نلتفت بمصالح فرنسا التدريجية في المشرق . ليس لبريطانيا أية مصلحة في سوريا ولبنان ، باستثناء كسب الحرب . وليست لدينا النية في التنازل بأي شيء ، على مركز فرنسا . لقد وعدت كل من فرنسا الحرة وبريطانيا العظمى ، سوريا ولبنان ، بالاستقلال . وإنا لنسلم طوعاً أم حين 'نقطع هذه المرحلة ، ومن غير وصعها من جديد موضع جدل ، يجب أن يكون لغرب مركز سيطرة وامتياز في المشرق ، من بين أمم أوروبا جمعاء .. ولكم أن تأخذوا علماً بتأكيدات الوزير الأول ، الأخيرة في هذا المعنى . وأنا سعيد في أن أؤكد لكم اليوم ذلك » .

وبصرح السيد ليتلتون في الرسالة نفسها ، بقول نص الاتفاق الذي وصته بين يديه ، والمتعلق بالتعاون بين السلطات العسكرية البريطانية والفرنسية في المشرق . ونجم عنه أنه لن يكون للاسكندر أن يتدخلوا في المجالين - السياسي والإداري في المشرق ، لقاء قبولنا أن نقارن قيادتهم التوجيه الاستراتيجي ، ضمن شروط أحكم تحديدها ، من جهة أخرى .

وفي اليوم نفسه سافرت إلى دمشق وبيروت .

ولدى دخول رقيس فرنسا الحرة عاصمة سوريا ، وكان يوماً مشهوداً ، ظهرت الحماسة لحة ترتفع فوقها تلك المدينة الكبرى التي عاشت دهرها حتى ذلك اليوم ، وهي تبدي العتور لجاء السلطة الفرنسية في كل مساسة

وبعد بضعة أيام ، توجّهت في رحلة الجامعة ، بخطاب إلى شعبيّة البلاد المهتمين حول الحكومة السورية ، وأوضحت الهدف الذي وضعت فرنسا نصب عينها بعد اليوم في المشرق ، فقلت مرحباً حاراً لا تشوبه شائبة .

ووصلت إلى بيروت في ٢٧ تموز . كان الحود الفرنسيون واللتانيون يشكّون من السباح لحظة وصولي ، بينما كان الأصالي ، وقد تجمّعوا حول الطريق ، يصفقون ، ولا يأنفون تصفيقاً ودّهت ، حاراً بساحة الشهداء المدوّية حارة ، إلى السراي الصغير ، حيث تبادلّت علانية مع رئيس الحكومة اللبنانية السيد المرّد نقاش كلمات يعمّمها التعاؤل . ثم انطلقت إلى السراي الكبير حيث التأم جميع الشخصيات الرسمية . وكان معظمهم قد أولى الجهار الذي انشأته فيني مؤازرته ، وفي أغلب الأحيان ثقتي ، عبر أسّي تحقّقت مرة أخرى ، لدى اتصالي بهم ، من ثقل الأمر الواقع - حين يكون واقعاً حقاً - في الموقف التي يتخذها الناس ، وحتى في المادى ، ادراج الموظفين والأعيان ، ورجال الدين جميعهم يؤكدون لي ولاهم ، ووعدوني ان يقدموا لمصلحة البلاد ، في ظل السلطة الجديدة ، إسلاماً لا يشوبه تحمّط . ويجب ان أقول إن هذا التمهّد روحي تقريباً وأنجز ، باستثناء عدد ضئيل . وما انك جميع الفرنسيين الذين طوّروا في لبنان وسوريا عن اظهار تعلّقهم الشديد في حرج الظروف ، بفرنسا الحرة واحتجاج شملهم عليها ، وهي التي كانت لقاتل لتحرير البلاد ، حاملة في الوقت ذاته حيث كانت محل ، حقوق فرنسا وواجبتها .

وكانت الضرورة الملحة قلبي ، على وجه الدقة ، ان نعيد لتلك الحقوق والواجبات ورها واعتسارها . فأنا لم اكّد اجد نفسي في بيروت حتى لمست ، دور دمهنة ، مقدار ما يستحقّ الخنزير ويلس والعملاء السياسيون الذين كانوا يعاودونه ، بالاتفاقات التي عقدها نفسي مع لبتلون

لُحِثَ سِتْرٌ مِنَ اللِّبَاسِ الْعَسْكَرِيِّ . فَقَدْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي فِي سُورِيَا وَلُبْنَانٍ ، كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدًا لَا يَدِينُ لَنَا بِشَيْءٍ ، سِوَاهُ فِي ذَلِكَ مَا يَنْطَلِقُ بِتَنْفِيدِ الْهَدَنَةِ وَلِصَرَفِ الْبَرِيطَانِيِّينَ فِي مَدِينَةِ الْمَشْرِقِ .

كَانَ دَانْتِرُ ، وَهُوَ عَلَى وِفَاقٍ تَامٍ مَعَ الْإِنْكَلِيرِ . قَدْ جُمِعَ جَمُودُهُ فِي مِصْطَلَفَةِ طَرَابُلُسَ ، وَظَلَّ مُسْتَمِرًّا فِي قِيَادَتِهَا ، وَكَانَتْ الْوَحْدَةُ تَحْمِي عَلَى مَقَرِّهِ مِنْ بَعْضِهَا الْبَعْضُ ، مَعَ رُؤَسَائِهَا ، وَاسْلِحَتِهَا ، وَأَعْلَامِهَا ، تُعَدُّ عَلَيْهَا فَيْشِي الصُّلْطَانِ وَالنَّشَاءِ . وَلَا تَقْلُقُ مِنَ الْإِسَاءِ مَوْيَ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا بِطَرِيقِ التَّلَسُّلِ ، وَيَضْمُرُهَا حَوْلَ نَهْصِي مِنَ الْأَرْجَحَالِ الْوُشَيْكِ إِلَى الْوُطْنِ . وَكَانَتْ الْفِئَةُ الَّتِي تَقْلِبُا دَعْمَةً وَاحِدَةً ، قَدْ أُعْلِنَ عَنْهَا ، مِنْ حِجَةِ أُخْرَى ، فِي مَرْسِيَلِيَا ، وَمَا كَانَ دَارْلَانُ وَلَا الْإِلْمَانُ لِيَصْنَعُوا بِرَمًا وَاحِدًا فِي الْأَسْرَاعِ بِذَلِكَ التَّرْجِيلِ . وَهِيَ كَانَتْ الصَّاطِ وَالْحُودُ بِطُرُونِ ، وَفَقْدًا لَتَعْلِيَّاتِ دَانْتِرِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ بِهَا كَلْبًا لِحِجَةِ الْهَدَنَةِ الْبَرِيطَانِيَّةِ وَمِرَاكِرِ الشَّرْطَةِ الْإِنْكَلِيرِيَّةِ ، إِذَا يَمُّهُمْ يَجْعَلُونَ أَنَّهُمْ مَمُوعُونَ مِنْ كُلِّ انْصَافٍ بِرِفَاقِهِمُ الْفَرَنْسِيِّينَ الْأَحْرَارَ ، وَهَؤُلَاءِ يَدُورُ لَمْ يَلْكَوْنَ ابْدَأً أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنْ وَلَيْكَ . وَلَمْ يَشْ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، يَصْحُحُ مِنَ الْبَادِرِ أَنْ يَنْصَحَ إِلَيْهَا حُدُودًا مِنْ الْأَقْصَاعِ الْخَادِيَّةِ الَّتِي كَمَا يَدْعِي مَرَامَهُ فِي خِزَائِرِ الرِّجَالِ وَفَهْمِهِمْ مِنْ وَضْعِهِمْ مُنْفَرِدِينَ بِحَيْثُ يَقْدِرُونَ عَلَى تَعْمَلِهَا وَاحْتِيَارِ السَّبِيلِ الَّتِي يَرَوْنَهَا ، لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ سِوَى تَنْجِيرِ جَمَاعِي طَيْشٍ مُتَكَوِّنٍ ، أُعْلِنَ عَلَيْهِ فِي حَوْلِ مِنَ الْحَقْدِ وَالْهَوَانِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ رَعْبَةٍ سِوَى التَّحَلِّيِ بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُ ، عَنْ تَضْعِيْفَاتِهِ الْبَاطِلَةِ وَجُودِهِ الْمَرِيَّةِ .

وَبَيْنَمَا ظَلَّتِ التَّعْهِدَاتُ الَّتِي أُعْطِيْنَاهَا مِنَ الْحُكُومَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِيهَا يَخْصُ تَفْسِيرِ هَدَنَةِ عَكَا ، حَمْرًا عَلَى وَرَقٍ ، ظَلَّ كَذَلِكَ بِالْصُّطِ ، تُحْيِي بَرِيطَانِيَا الْعَظْمَى عَنْ الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ فِي سُورِيَا ، وَتَحْدِيدِ السُّلْطَةِ لِقِيَادَتِهَا الْعَسْكَرِيَّةِ . وَإِذَا كَانَتْ التَّحْدِيَّاتُ فِي دِمَشْقَ وَحَتَّى فِي بَيْرُوتَ ، قَدْ احْتَفَظَتْ بِشَيْءٍ

من مظاهر السرية . فانها بدت على المكس من ذلك ، هي لمناطق
الأكثر حساسية ، اذ راحت مطامح اسكلترا او مطامح اتباعها الحسينيين
الذين كانوا يهدفون إليها في كل زمان ، تعرض بعضها هناك عارية

وقد عومل المقدم ربيير في الحرية ، وكان مندوب الجبرل كاترو ،
معاملة المتهم من قبل القوات البريطانية هناك ، وسمع من إعادة تشكيل
الأفواج الأثورية - الكلدانية وظكوكيات السورية التي تمزقت موقفاً
وتعمل إلى تدمير والسيادة المستر غلوب المسمى ، غلوب ، شا ، القائد
الاسكائيري له ، قوات شرق الأردن ، محاولاً ضمّ القبائل البدوية
للأمير عداثة . وفي حوران ، عهد إلى عملاء الاسكائير الصعظ على
الرحماء المحليين ، لحلمهم أبصاً على الاعتراف بسلطة عبد الله ودفع الضرائب
له . وكانت التقارير ترد من حلب وبلاد العلويين مرعبة مندمرة بالشر .

ولكن البريطانيين كانوا مظهرون بياتهم علانية في جبل الدروز ، على
الأخص . ولم تنشب مع ذلك ، أية معركة هناك ، وكان التفاهم قد
تمّ بين كاترو وويلسن أن لا تدخل القوات الخليفة إلى أن يتخذ في شأنه
قرار مشترك . وليس من الميسر أن ينصور اللاوي . حالتها السنية حين
عصا أن لواء بريطانيا مركز فيه ، وأن الكوكبات الدرزية أصبحت
رسمياً في عمدة الاسكائير ، وأن بعض الرؤساء استدعاهم وأبغى عليهم
المستر فاسن اسمي ، الكومودور فاسن ، وصرحوا أنهم طرخوا
السلطة الفرنسية ، وأن د بيت قرب ، في السويداء حيث كان يقسم
مندوباً ، تحول بالقوة إلى مقرّ عمدة البريطانية ، وأن هذه القيادة
سافقت إليه أخيراً جنود العلم المتلث الألوان على مرأى من القوات
والأهالي ، ورفعت علم بريطانيا (الأرموني حاك)

كان الموقف يقضي أن تردّ في ١٤٠٠ ، على هذه الحركات . وفي ٢٩
تموز أصدر الجبرال كاترو أمراً ، بموافقتي ، لامتقيد موسكلار أن يتوجه

فوراً للسويداء على رأس رتل من الأشداء ، ويستعيد بيت فرنسا ،
 ويسترد سرايا الحبيسة الدرور . وأحيط وبلس عفاً بذلك ، وفق
 الأصول في الوقت المناسب ، فوجت أياً في الحال رسالة تنطوي على بعض
 التهديد يناشدني أن أقف الرتل ، فأجسته : « أن ذلك الرتل بلغ
 مرامه ... وأن له بنفسه أن يسوي مسألة تمرير القوات البريطانية
 والمصرية في جبل الدرور مع كاترو - وهو الذي كان قد اقترح
 ذلك - ... وأني أعتبر كتاباته التهديدية مما يؤسف له ... ولكن
 إذا أنا بقيت على استعداد لتعاون عسكري محض ، فمن الواجب
 يقضي أنت تفضل حقوق السيادة لفرنسا في سوريا ولسان ، وكرامة
 الجيش الفرنسي أعز من أن تنال بسوء » .

وحين وصل مونكلار إلى السويداء ، ومهم أن قائد اللواء البريطاني
 صرح أنه « إذا انقضى الأمر القتال فليكن القتال » وكان حوسه
 بالإيجاب . ثم لم يبلغ الأمر ذلك الحد إذ استطاع مونكلار أن يتمركز
 يوم ٢٦ تموز في بيت حرسا ، وأن يرفع فوقه علامة عم لألوان الثلاثة ،
 ويتخذ في المدينة ثكنة لحومه ، ويعيد تشكيل سرايا الدرور تحت
 إمرة ضابط فرنسي . وبعد فترة وجيزة من الزمن غادر الاسكندر المنطقة .

غير أن كثيراً من حوادث الاصطدام رحلت تدبج في كل مكان ،
 بعد تسوية ذلك . فقد أعلن وبلسون من جهة أخرى ، أنه سينشئ
 مادعاء « الحكم العربي » ويتولى جميع السلطات ، فأحضرناه أسب
 نصح سلطتنا ، في مثل هذه الحال ، على طرف النقيض من ملصقاته ،
 وأن ذلك يؤدي إلى القطيعة . وقد امتنع ليتلون عن التدخل في هذا
 النزاع ، رغم اطلاعه على أطواره . وكان من هذا الوزير البريطاني ،
 حتى لدى سريان الاشاعة أن كاترو أخذ في إجراء محادثات في دروت
 ودمشق لعقد معاهدات مقبلة ، أن كتب إلى كاترو مباشرة يطلب إليه

أن يحضر سيرر في تلك المناقشات ، كما لو أن الأمر كان بدهماً .
وهذه الادعاء المتواصل بحق الدحل في شؤون ، بلغ الآن الحد الذي
لا يمكن أن يحمله ، شأنه شأن الاعتداءات التي ما انفكت تترصد ،
هكان أن أرفقت في أول آب لكاسان ، أن يذهب لقاعة إيدن ويقول
له من لاسي ، إن تدخل إنكلترا يسوق إلى أحضر التعقيدات ، وأن
المؤثر المرمية التي يمكن أن تستلزم السياسة الانكليزية في الشرق ، من هذا
انسياح الحقوق فرنسا ، لا بد أن تكون حد ضئيلة مقابل لأصرار
البحري التي تنجم عن خلاف بين فرنسا الحرة وإنكلترا .

حلاف ؟ لم تكن لندن عند وأول في ٧ آب السيد ليتنون
يروري في بيروت ، وبعض النور كنه معي وكانت هذه الزيارة مناسبة
لاحتجاج بمتقد أنه كان حاسماً مانسة للبريطانيين في الشرق ، كما لم يستق
هم قط أن عرفوا مثله . فقد أقر الوزير بصراحة أن التفكيرين
الانكليز لم يمدوا انصافاً لمفردة في ٢٤ و ٢٥ ثور ، وقد أكد
د أن ليس في ذلك سوى تأخير يُعزى إلى نقص في الإبلاغ ، وربما
إلى سوء فهم آسف له من كل قلبي ، وأنوي أن أصحح خطأ هذه الأشياء
كلها . . وبعد ذلك ومساء من الحوادث التي انفلتت عنها الانكليز ،
وسردها كانوا عليه ، وصرّح أن «دشي أخلت باتفاق الهدنة ، وأن
الضابط البريطاني مثلاً ، وعدمهم النسيان وحسن ، الذين أسروا في
المعارك الأخيرة وكان ينبغي أن يهادنوا بلا إبطاء ، لم يرجعوا بعد ،
ولا يعرف حتى أين وضعوا ، وأن دانتير سيدفن بتيعة لذلك ، إلى
فلسطين ، وستقدم له بعد اليوم جميع التسهيلات للقبض فاستلحاق
الحدود وضمتهم إلى صفوفنا .

م أحفر عن لينتون ، ما كنا مهكين من الطريقة التي مارس بها
حلفونا التعاون ، وقلت له . . د إنا لفصل ان يسير في طريق الخاصة ،

ونتم تلبعون طريقكم ، على ان نستمر هكذا . . ومنذ راح يشكو بدوره ، الموائن التي نضعها في طريق القيادة البريطانية اجبته انه لا يمكن ان يكون ثمة قيادة حليقة مشتركة ، كما علمي « فوش » في سالف الايام ، من غير تجرد وزاهة ، وان كل ما يقوم به هو شخصياً ، اي لئلتون نفسه ، عن اخلاص ، وما يقوله لي او يكتبه ، لا يبرهن وضع الانكليز هنا ، ولا هم يتقيدون به . اما الخوض في حديث الدفاع عن المشرق ، على محسو ما كان يفعل ويلس ، لاعتصاب السلطة في الجزيرة ، وفي تدمر ، وفي جبل الدروز ، فما ذلك سوى حجة واهية ، اد كان العدو بعيداً ، في الراهن من الظروف ، عن جبل الدروز ، وتدمر ، والجزيرة . واد كان من الحكمة مواجعة مثل هذا الاحتمال بعين بقطعة ، اي حين يعود خطر المحور يحوم بظله الثقيل على سوريا ولبنان ، فإن ما ينبغي عمله ، لأحد الأمانة والاحتياط ، بصبح من شأن الدفاع المشترك بين فرسيين وبريطانيين ، وليس سياسة اعتداء انكليزية على مجالنا بحال من الاحوال .

ومنذ كان همّ المستر لئلتون منصرفاً الى اهراء ريارته عند نقطة من نقاط الاسباجام ، فقد وثب يستعمل « خطة الدفاع » ، واقترح عليّ إدخال الخنزير ويلس لتكمم حولها ، وانا الذي لم اشأ ان يحضر اجتماع ، فأحست سداً ، ولكن قلت : ان بلنقي ويلسن وكاترو خرج بسيروت ليصعد مشروعاً عملياً . وكان القاءهما في اليوم التالي ، ولم يسر عملياً عن شيء . وذلك دليل على ان الحجاب الاسكليزي كان يفكر ، بما يخص المشرق ، في كل شيء ، ما عدا احتمال هجوم الماني . ومع ذلك ، وضع وزير الدولة بين يديّ ، وهو يفادري ، رسالة تكرر التأكيدات التي سبق تقديمها حول تجرد بريطانيا العظمى السياسي ، وقد اراد بها اظهار حسن نيته . وكان المستر لئلتون قد اكد لي شعوراً اني سأكون

مرئياً لنتائج حديثنا العملية .

ولما كانت تلك الهزات ، على كثرتها ، لم تزعزع فرنسا الحرة ، فقد قرّر في الرأي على ان في الامكان فعلاً ، ان نعتد على مهلة في المصاعب التي يترقب حدوثها . عبر ابي لكثرة ما كان لديّ من ، اصعبت وثقاً مع ذلك ، ان الارمة ستعود عاجلاً ام آجلاً . ولكن كان لكل يوم من عدته ما يكفيه . وقد رجعت الى معوصية لندن ، التي كانت تتخوف من موقفي ، وصفاً مني لصيغة السليخة التي انحلت عنها المحنة الاخيرة ، وقد تعلّما عليها بصورة موقته ، وحيث رسائل تلخص لقلبات الحال ، وصرحت احيراً كتيبه اخلاقية ، في تقوم عظمتنا وقوتنا في الصلابة وحده لدى كل من يتعلق بمحقوق فرنسا . وسنكون في حاجة الى هذه الصلابة حتى نهر الراين ، الداخلى ضمن جهودنا .

ولقد تحدث لامور ، على كل حال ، بحري آخر ، انطلاقاً من ذلك الحادث . واستطاع لارميا مع مساعديه ان يتصل بالوحدات التي لم تخرج بعد ، ويبحث لمداء الأخير ، على عمل ، الى الضباط والاهلاد وتقيص لكارو ان يقابل بعضاً من الموظفين الذين كان يرغب شخصياً في الاحتفاظ بهم . واستقبلت نفسي عدداً من الزائرين . وارتفع عدد تصميم آخر الامر الى ١٢٧ صابطاً ، ورماء ٦٠٠٠ من صف الضباط والجنود ، اي ، يعادل خمس قوات المشرق . وأعيد ، عدداً ذلك ، تشكّل العاصر السورية والشمالية في الحال ، وقد بلغ مجموعها ٢٩٠ صابطاً ، و ١٤٠٠٠ جندي . ولكن اشرع منا ، في النهاية ، ٢٥٠٠٠ بين صباط ، ورواب صباط ، وحمود في الجيش والطيران الفرنسيين ، بها كان القسم الاكبر منهم يميل ، دون ادنى شك ، الى الالتحاق به ، هي لو كان لديهم الوقت الكافي والوسائل اللازمة لتوفير اذعاهم . وذلك لان ليس نقلوا الى فرنسا بإذن من العدو ، متخليين عن امكانية العودة

أليها كبحاريين ، انما كانوا ، فيا اعلم ، ترهقهم الريبة والكآفة . اما من
جاني ، فقد كنت اشهد ، والقلب يغمره الأسى معن النفس للقي
ارسلتها فيشي ، واراها بعد ان امتلأت ، تتوارى في عرض البحر ،
وهي تحمل معها احدى قرص الوطن ، للظفر .

ولكن ما بقي هنا من تلك العرص يمكن الآن ، على الأقل ، ان
يُعدّ للعمل ويعمل . وهذا ما شهد كاترو في مرآه بكل نشاط . لقد
انطلق بكثير من الكرامة والتميز يقود حركة فرنسا في المشرق ، وهو
لمالك حسن العظمة العربية والميل الى السلطة ، البارع في تسيير الرجال ،
ورحل الشرق خاصة الدين يحس النعاذ الى مراوغاتهم الدقيقة المفعمة
بالأهواء الحارة ، الواثق من قيمته الخاصة بمقدار ما هو محصل لعملها
الخليل ، والعمل الذي يشرف عليه . وادا خطر لي ان افكر مرة في
ان ميله الى الإغراء ورعته الى المسافة لا ينسحبان دوماً وتوع الصراخ سي
فرض عليه ، وادا تأخر ، على الاخضر ، في تبين المكر الذي ينطوي
عنه القصد البريطاني في اعرقه ، فإني لم اترك فرصة قط ترقى دون
الاعتراف بكفاءته وعراياه الروبعة . لقد خدم الجنرال كاترو فرنسا
احسن الخدمة ، في موقف حرج محدود ، على نحو استثنائي بسبب من
اوضاع رهينة اساسية ، ونقص في الوسائل ، وعوائق كانت توضع في
كل مكان .

كان عليه ، في مستهل امره ، ان ينظم من اعلى الى اسفل ، فتيين
فرنسا الذي تحول فجأة ، وفي كل مكان ، الى المدم تقريبا ، بسبب
من ارتحال معظم الموظفين ذوي السلطة ، والقسم الاكبر من صراط
الاستخبارات . وقد اتخذ كاترو بول لببتيه اميناً عاماً ، وهو الذي
جاءنا من بانكوك ، حيث كان وريثاً لمرسا . وانتدب كلا من الجنرال
كوليه والسيد بيير بار . الاول لحكومة سوريا والثاني لحكومة لبنان ،

كما انتدب في الوقت نفسه السادة : دافيد ثم فوكينو في حلب ، ودي
مونخو في طرابلس ، و « دومارساي » في صيدا ، والحاكم شوغلر ثم الجنرال
موسكلار في ملاد الطلبيين ، والمقداء . يروسيه في الجزيرة ، ديربيتر
في حمص ، اوليما - روجيه في حلل الدرور . وقد ذهب هؤلاء لتأمين
حضورنا ونفوقنا ، في كل واحدة من تلك المناطق .

يجب ان اقول - ان الاهالي اظهروا تجاهها ترحيباً حاراً ، فقد
رأوا في فرنسا الحرة صرباً محسباً اليهم من الشعاعة ، وإثارة ،
والعروسة ، بدا لهم انه يلي ما كان في نظرم فرنسا لمثلي وشعروا ،
عدا ذلك ، ان حضرة بعد عن ارضهم خطر الحرو لالمسي ، وبؤس
عدم في الحال لاقتصادي ، ويمرض حداً لمساوي ابرهم الاضطعين
وكانت تشتت الكربة أحياناً التي علقها عن استقلالها ، مشار
أرجحياتهم ونظائرات الحمة التي قومت دور دحوي دمشق وبديوت ،
مجددت بعد مصممة أمم في حلب ، وثلاثفوية ، وطرابلس ، وكديلت كل
الأمر في كثير من مدن هذه القطر الداعت على الاعجاب ، ود . ك .
حيث تنص كل محلة فيه وكل بقعة ، بأمارمها وثقة ليدها ، وحكم
شهود التاريخ

ولكن ، إذ كان شعور الشعب يظهر بخلاء في حارسه ، فإن رجال
السياسة كانوا أول صراحة في إبداء مشاعرهم ، كان أكثر الأمور إيجاباً
من هذه الجهة ، في كل من دولتي ، نولية حكومة قدرة على الاصلاخ
بواجبات جديدة ، كما نريد أن ننقل إليها سلطات الانتداب ، ولا
سيما من نواحي ادل ، والاقتصاد ، والأمن العام . وكنا سوي ، في
الواقع ، أن لا نحتفظ من تلك السلطات بغير الدفاع ، والملاقات الخارجية ،
و « المصالح المشتركة » بين دولتي أي « نقد ، حرك ، والتمور ،
رسائل المخابرات التي يستعمل بقلمها فوراً ، كعقل سوريا عن لسان بعثة

وحين يسمح تطور الحرب من بعد ، يُعقد إلى إحراء انتخابات تفر
عن تولية سلطات وطنية عامة . وفي انتظار ذلك ، راح تسيير حكومات
دات صلاحيات واسعة يرفع حتى الطغيان ، حرارة الأهواء القبلية ،
والنارعات الشخصية .

وكان الموقف في سوريا ، من هذه الوجهة خاصة ، معقداً . لقد
تحمس مندوب فرنسا الأسامي في تور عام ١٩٣٩ ، وقد رفضت باريس
آخر الأمر المصادفة على معاهدة ١٩٣٦ ، لحل على إقصاء رئيس الجمهورية
هاشم بك الأسامي ، وحل البرلمان وقد وجدنا مكانه في دمشق ودارة
حصرت مهمتها في تسيير الأمور ، من غير أن تكتسب صفة حكومة
وطنية ، وكان على رأسها خالد بك الأعظم ، وهو شخصية تتمتع باحترام
وقيمة كبيرين . وكنت آمل أول الأمر ، أن اتكئ من إعادة الأمور
إلى نصابها السابق في سوريا . وقد أظهر الرئيس هاشم بك ومعه رئيس
حكومته الأخيرة جميل مردم بك ، كما أظهر السيد فارس الخوري رئيس
المجلس المسجل ، خلال المحادثات التي أضرمتها مع كل منهم بحضور الجنرال
كانزو ، أنهم متشبثون بآرائهم منعدون للعودة إلى الوضع السابق ؛ ولكن
هؤلاء الثلاثة ، على أهم كانوا ساسة محكمين ، ووطنيين مخلصين لبلادهم ،
ورحالة يراعون في إدارة الصداقة الفرنسية ، ظهروا أنهم لا يتبنون
الفرصة التاريخية التي منحت لهم بكل صغامتتها ، ألا وهي تسيير سوريا
على طريق الاستقلال ، بالاتفاق التام مع فرنسا ، والتجارب بوثنة كبرى ،
عن التعطلات والمآخذ السالفة لقد وحدتهم يصرطون في اهتمامهم ،
على ما شمرت ، بالشكليات التشرعية ، ويصرطون أيضاً في حماسيتهم
القومية . وقد دعوت الجنرال كانزو ، مع ذلك ، إلى متابعة المحادثات
معهم ، وأن لا يأخذ بحمل آخر ، إلا إذا كانت تحفظاتهم تحول ، على
سبيل قاطع ، دون الوصول إلى نتيجة .

وقد استطلعنا في لبنان ، أن نمضي بسرعة أكثر ، من غير أن نعثر ، مع ذلك ، على الحل الأمثل ، فإن رئيس الجمهورية إميل إده ، صديق فرنسا الصامد ، ورجل الدولة المثبت ، كان قد استقال قبل ثلاثة أشهر من الحركة التي ساقطنا إلى بيروت ، ولم يحل أحد محله . وكانت مدة ولاية البرلمان قد انتهت ، من جهة أخرى ، منذ زمن طويل . وهذا كان الوضع من ناحية المادى والدستور ، مبدءاً ، غالباً من كل عفة . بيد أنه لم يكن كذلك من ناحية المثبات السياسية ، إذ كانت هناك خصومة شائعة تجعل إميل إده على طرف النقبض من شخصية مارونية أخرى : السيد بشارة الخوري . فهذا ، وقد انقضى للابست الشؤون اللبنانية ومنعرجاتها ، جميع حوله عديد الأنصار ، ومتعدد المصالح . وصرح لي السيد الخوري : « سبق أن بلغ إده المنصب الأعلى ، وحياه دوري لأن أكون رئيساً » . وكان أخيراً رياض الصلح ، رعيم مسلمي السنة المتحمس ، يلوح حول الماحد بعلم القومية العربية ، ويحمل لتدسين على الاستمراخ ، دون أن يخلصاً ، مع ذلك ، إلى وفاق .

ورأينا ، في تلك الأحوال ، أن من الأفضل أن نرفع إلى السدة العليا ، الرجل الذي كان على رأس الحكومة ، أعني السيد ألفرد نقاش ، وكان أقدر لمعاناً من أي من الثلاثة الآخرين ، ولكنه كمؤ ، وموضع تقدير . ولم يبدُ لنا أن وجوده على رأس الدولة في ظرف سياسي انتقالي ، يثير معارضة عنيفة ، وذلك لم يكن صحيحاً ، من جهة أخرى ، إلا في حزم منه ، فإذا كان إميل إده قد اسعج ، تكريماً ، واختياراً ، الآتي ، ورياض الصلح تجب مضايقة من حمل الصب ، فإن السيد بشارة الخوري ابطلق ضده في ميدان من الدساتير والمؤامرات .

لم يكن هذا الموقف السياسي في دمشق وبيروت ، ليطوي في دأبه على ما يفتق ، بانتظار الاستعانة الشعبي الحر . وما كان النظام العام

يعاني أخطاراً تهدده . وكانت الإدارة تؤدي مهمتها . والرأي العام كان راضياً بمجملته ، عن تأخير الانتخابات ، هذا الأخير الذي تفرغه قوة القاهرة ، وهي الحرب . كان في الامكان ، ومن واجب دول أدنى شك ، يقول مختصر ، أن يمر فترة الانتقال من نظام الانتداب وعهد الاستقلال ، يهدوه تام لو لم سحبت الانكلترا حلالها ، عن نحو مسموح ، عن مبررات ومناسبات ، للتدخل .

وهيما كان المستر لينتون في القاهرة ، ساهمنا في المشكلات التي طرحها . قوير الشرق ، وهي كان احسن وبلس يتورى مع حكمه العربي وتطاولاته المباشرة ، مركز سير في بيروت ، كرئيس للاراء، طات الانكليزية ، ليصبح في كلون الثنائي (يسير) وريراً ريطابا مطلق الصلاحية لدى حكومتى سوريا ولبنان . وكان تحت تصرفه أوراق رابحة لا تطير لها وحود جيش الانكليزي ، عملاء الانتلجيدس دور النشاط المتعدد الأشكال ، السيطرة على العلاقات الاقتصادية بين البلدين بمبشان على التبادل ، تأييد الدبلوماسية الأولى في العالم ، في جميع المواسم ، وسائل دهارة كبرى ، مؤامرة رسمية من قبل دول عربية معادرة العراق وشرق الأردن ، حيث يسود أمراء حسبيون ، وفلسطين حيث يتظاهر المندوب السامي الانكليزي باستماتات لا تنقطع يتلقى أصداءها ، وبطلفي عرب مطلقته من الجور ، الذي يعابه إخوانهم السوريون واللبانسون ، وهم أحياناً حيث لم يكن يجد الورراء سبيلاً إلى الاستقرار في السلطة ، كالذين يطمحون إلى بلوغها ، من فرصة حقيقية آنذاك ، سوى التمتع برضا البريطانيين عنهم .

كان اللعب بمثل هذه الأوراق سهلاً ومعرباً ، في الوسط الرشاخ ، لنداس ، النفس الذي يفتحه المشرق لمشروعات إنكلترا . وكانت إمكانية قطيعة معنا ، وضرورة مداراة شعور فرنسا ، وحدهما ، هما القادراتان على

أن تعرض على لندن بعض الاعتدال . غير أن هاتيك الإمكانيات نفسها ،
وتلك الضرورة ذاتها ، كانتا متحدان أيضاً من ناحية وردودنا .
بالصبر المادي والمعنوي الذي يعود علينا من جراء انفصال عن بريطانيا
العظمى ، كان يقوم ، على التحقيق ، بدور هام في تنفيذنا ثم أمنا
كانت حربنا الحرة تفقد ، كلما اتسعت ، بعض انشياء من ذلك الحرم
المركز ، الذي أتاح لنا ان نتخط هذه امرة ، وهي تحسارنا بكل
شيء في سبيل كل شيء ؟ وكيف نكتف للشعب الفرنسي خبيراً ،
الاسباب خلفه خلال وقوعه في الهوة ، وفي الوقت الذي لم يكن فيه
من شيء أهم من بحث الثقة والامل في نفسه ، لنتمكن من حمله على
قتال العدو ؟

لقد كان من تركيز سلطاننا في سوريا ولسان ، على الرغم من جعل
شيء ، من مدّة معسكر الحرة بحدة كبرى ، فقد اصبحت مؤخرات
اختفاء في الشرق بعد اليوم ، مؤمنة على نحو وطيء . ولا سبيل بعد
للألمان الى موضوع قدم في الانصراف العربية ، إلا دأبهم حاسوا في حملة
واسعة وحضرة . وتركيا التي كان يأمل هتلر ان يثير من نخوفها مسا
يكفي لحملها على الانضمام الى المحور ، ويستعملها جسراً بين أوروبا
وآسيا صبحت في مأس . وثبتت دفعة واحدة حيث كانت واحداً ،
عدت فرنسا الحرة في مستوى حملها قادرة على قيادة قواتها

وقررنا ، من هذه الجهة ، ان نركز في اراضي الشرق مع القوات
السورية واللبنانية ، دفاعاً ثابتاً في الساحل مكيفاً الى بحريتنا ،
وحتياطياً يتألف من لواء فرنسي ، ونضع الجميع تحت إمرة الجنرال
هملو . ونظمنا في الوقت نفسه ، لنذهب ونقاتل في مكان آخر ، لواءين
قويين محتلفين ومجموعة مصفحة مع ما يدرمها . وكلف الجنرال دي لارمينا ،
وقد حل محل مدونا سامياً في براراميل الطبيب اللواء سيده ، بقيادة

هذا المجموع المنحرف ، المحدود - ويا للأسف ! - بلاكانته ، ولكنه يتمتع بقوة كبرى من السلاح بفضل العدد لسي بلباء في المشرق . ولدى مروري ثابة بالقاهرة ، قابلت الجنرال أركمك القند لاعلى الحديد ، وقلت له . « في اللحظة التي تصبح بها قوات جبهة » نصعبا تحت تصرفك ، على ان يكون ذلك لقتل . . فأجابني : « سيقيم رومل مؤكداً ما يقدم لتسمح لي فرصة الاعادة منها » .

ولكن ، بينما كانت الحرب في المتوسط تجري ضمن ظروف افضل باندسة لنا ولحلفائنا وتنحصر في تخوم مصر وليبيا ، كانت تشتعل على مساحات اوروبية شاسعة من السطيط الى البحر الاسود . وكاب المحرم الادبي على روسيا يتقدم بسرعة . وأية كانت الانتصارات الاولى التي حققتها جيوش هنر ، فقد كانت المقاومة الروسية ، تشدد مع ذلك يوماً بعد يوم . كانت هذه ، على صعيد السياسة كما هو الشأن على صعيد الاستراتيجية ، أحداثاً لا يرقى الى مداها حساب .

ورأت اميركا في تلك الاحداث ما تقدم لها فرصة اعمال حساسة . وما لا شك فيه ان الموقف كان يقضي ان تتوقع من اليابان الشروع قريباً ، بعملية إلقاء وسمة الطاق في المحيط الهادئ ، تحدة من تدخل الولايات المتحدة وتعميقه . ولكن هذا التدخل حول اوروبا واقربق ، اصبح بعد اليوم كيداً ، ما دامت هذه مغامرة حسارة تقتض في أقصى روسيا الجوهري من القوة الالمانية ، وما دام البريطانيون من جهة ثانية ، استطاعوا معوّاررة الفرنسيين الاحرار ، ان يؤمنوا مواقع حصينة في الشرق ، وما دام المنعطف الذي سارت فيه الحرب اخيراً ، يبعث الامل ، وبالتالي روح التصميم على القتال ، لدى الشعوب المعلوبة على امرها .

ان ما ينشئ لي ان اقوم به الآن ، وكان في حدود المستطاع ، انما

هو التأثير في واشنطن وموسكو ، ودفع الاحداث لتسمية المقاومة
الفرنسية ، واستثارة مجيود وماتلنا في طول العالم وعرضه ، وقيادته . وقد
وجب عليّ ، من أجل ذلك ، أن أذهب الى لندن ، مركز المواصلات
وعاصمة الحرب ، فكان ان بلغتها في اول ايلول (سبتمبر) ، وانا اشعر
بعدم التجارب الاخيرة ، بما ستكون عليه عتق العملية حتى اليوم
الاخير ، ولكي كنت عتقنا بعد اليوم ، ان النصر قائم هناك ، في
نهاية المطاف .

الحلفاء

لم تعد فرنسا الحرة ، حين اقتربت من عاصمها الثاني ، في نظر العالم هاتيك الزمرة المثيرة للدهشة التي قوبلت اول امرها بالسخرية ، والشفقة او الدموع . الآن اصبح الناس في كل مكان يواجهون واقعها السياسي ، والحربي ، ومجالات اراضيها ، واصبح لازماً عليها اطلاقاً من ذلك الواقع ، ان تتعد الى الصعيد الدبلوماسي ، وتحتل مكانها مع الحلفاء ، وتظهر فيها كفرنسا المحاربة ذات السيادة التي يجب احترام حقوقها ، وإفراد حصتها من النصر . وكنت في هذا الشأن ، على استعداد لتحمل فترات الانتقال . ولكي لم أشأ ، ولا كان في استطاعي ، ان اتنازل عن شيء ليسياً يتعلق بالاماس . وكنت ، عدا ذلك ، أتمجّل العاية وكسب الموضع قبل ان تقرر الصورة الحاسمة مصير الحرب . لم يكن ثمة إذن وقت مضيق ، ولا سبيل الى حاسب الكبار : واشنطن ، وموسكو ، ولندن .

كانت الولايات المتحدة ذاتي كسار الأمور بمشاعر مدنيّة ، وسياسة معقّدة . هكذا كان موقعها تجاه فرنسا عام ١٩٤١ ، فيها كانت حركة الجنرال ديفول تبحث في أحماق الرأي العام الاميركي ردود فعل حماسية ملتهبة ، كان كل ما هو شبه رسمي يجهد ان يعاملها ببرودة او عديم اكتراث . اما الرسميون فقد احتفظوا بعلاقاتهم كما هي ، مع فيتشي ،

راغبهم اهم يشارعون بذلك النفوذ الاتالي على فرنس ، ويمنعون تسليم الاسطول ، ويحافظون على الصلة بفيما ، ووعيسى ، وبواسون ، الذين كان ينتظر منهم دورهم ان يفتحوا له يوماً ما ابواب فريقه . ولكن سياسة الولايات المتحدة المعتلة لدى بيتان كانت تقف ، وذلك تناقض يبعث على الدهشة ، مستعدة عن فرنسا الحرة ، وحجتها انه لا يمكن الحكم مسبقاً على الحكومة التي توليها الامة الفرنسية مقابلتها بعد ان تحرر . وسوهر الأمر ان الحكام الاميركيين كانوا يحسون انهم فرنسا مرةً مفروغاً منه ، فاستحووا ثعماً لذلك ، مع فيشي . وذا واحدها ، مع ذلك ، في بعض نقاط من العالم ، ان يتحدوا ، تحت إلهام من ضرورات الكفاح ، مع هذه او تلك من السلطات الفرنسية ، فقد كانوا يرون في ذلك تساويات عارضة ومحلية ، لا أقل ولا أكثر .

هذه الحالات جعلت من العسير علينا ان ننضم مع واشنطن . وما كان للرئيس فرانكلين روزفلت ان يخفف من تعقيد المشكلة ، أو يقرها من حل مقبول ، نحن ، وان كنا لم نتمكن بعد من التلاقي ، فقد كانت ثمة علامات تجعلني أحذر ما ينطوي عليه تجاهي من تحفظ . غير اني أردت ، مع ذلك ، ان افسح بكل ما استطيع لأمنع الولايات المتحدة التي همّ بسدحول الحرب ، وفرنسا التي أردت عنها انها لم تخرج منها قط ، من ان تسيرا في طريقين مختلفين .

أما شكل العلاقات المراد إقامتها التي مضى رحال السياسة والدبلوماسيون والدعاة يلبارون في مناقشتها ، فيجب ان اقول إنه كان يومذاك ، بما لا يثير اهتمامي على وجه التقريب . كان يعني وقع العلاقات ومحتواها اكثر بكثير من الصيغ المتتالية التي راج مشاريع واشنطن بلجيونها حول الاعتراف . ومع ذلك شعرت ان الاستقلال موضع شبهة وتساؤل امام ضخامة الموارد الاميركية وطموح روزفلت الى تطبيق

القبول وقبول الحق في العالم - ولو اردت ، باختصار ، ان أحول التفاهة مع واشنطن ، لكان ذلك هي اسر عليه ، ولكن في وصي فمصبوقا .

لقد أوقدت خلال لحمة الضولية ، وهي الأشهر الأولى من قيام فرنسا الحرة ، إهانة حرمة ، من عذرو دول وحك التي سيس كسطعين بلدي ، ونرد الآن ان معامل ، فكنت بلعين ان يشرع في إحراء الاتصالات ، وكان يعرف اميركا كان مدعاً ، لا يحمل شيئاً من شؤون الخاصة وقد حدثت له منذ شهر ابر ١٩٤١ في بر ر قبل مهمته تلك ، كما يلي : تنظيم إهانة علاقات الدغة والاشرة مع وزارة الخارجية ، وعلاقات مريخيا واوقياتا لفرسيتين لخرتين مع اميركا ، ومشترياتا لداشرة من العتاد المفيد للحرب ؛ إتهام إعلاما ودعاوتنا حتى يقا على اقدامها في الولايات المتحدة ؛ إنشاء لجانا فيها وتنظيم المؤامرة التي يوليها إيها دوو الإرادة الطيبة من اساء اميركا ، ولم يصل بلطف الذي سافر في مستهل حزيران ، صغر اليدين ، لقد قدمت ، في الحال ، للولايات المتحدة ، إملابة تركز قواتها الجوية في الكاميرون ، ونشد ، والكوممو ، وكانت اميريقيا يمدك ملحوظة مسبقا ، لأن تكون قاعدة لهم يستعدمونها في اطلاقهم صوب اوروبا ساعه يصطرون ان أعمال السلاح ، وكان ، عدا ذلك ، عون حرر المحيط الهادىء حيث يفرق صليب اللورين ، إراه التهديد الياباني ، د أهمية باررة بالنسبة اليهم .

والواقع ان الحكومة الاميركية لم تتأخر عن طلب الحق في استخدام بعض مسن قواعدا الافريقية لطائراتها ، ثم قواعد هيريد ، الجديدة وكاليدوب الحديد ، ولم تكن بعد بحارمة ، وانما فوجئت بذلك الطلب لحساب شركة الطيران ، والاب اميركان ، ، ولكن احدا لم يحاخه شك

في مدى ما تطوي عليه خطوتها تلك .

كانت واشنطن تولى موقعنا المريد من الانتاء ، كلما اقترب أجل الحرب من الولايات المتحدة ، فهي آب أرسلت الى تشاد بعثة ارتباط يديرها العقيد كستهام ، واعطى كوردل هول على ملأ في ايلول ان هناك وحدة في المصالح بين الحكومة الاميركية وفرنسا الحرة ، و صاف ، « إن علاقاتنا مع هذه المجموعة حدة حنة على جميع المستويات » . وفي اول تشرين الاول (اكتوبر) استقبل بلين رسمياً في وزارة الخارجية ، وكان نائب الوزير « سمير ولر » هو الذي استقبله . وفي ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) شمل الرئيس روزفلت فرنسا الحرة ، لإفادة من نظام « الإعارة والتأجير » في رسالة وحنها الى المشر متلبليوس لأن « لدفع عن الاراضي المنصمة الى فرنسا الحرة حيوي » للدفاع عنس الولايات المتحدة ، وفي نهاية الشهر نفسه ، استدعي فيعان من عاصمة لحرائر ، فذهب يحمل معه ومعا اميركيا ان واشنطن لا تعرف بعد الى اي جانب تنحاز . وفي هذه الاثناء ، عاد بلين الى لندن ليكون عضواً في اللجنة الوطنية التي شكلتها ، واصبح آدريان تيكسيه مدير مكتب العمل لدولي بالاتفاق مع مظارة الخارجية ، رئيس معوصيتك في اميركا . وانتظمت خيراً علاقاتنا في لندن معها ، بدأ وبين المشر دريكس ببدل ، سفير الولايات المتحدة لدى الحكومات اللاحقة في بريطانيا العظمى .

وفيا راحت العلاقات الرسمية لأولى تسعد على هذا النحو ، كان يلاحظ تحولات شتى في الصحافة والاداعة ، وهما الأدان اللذان طلنا حتى ذلك الزمن تحملان علينا ، هذا اذا هما لم تلتزم الصمت . وظهر من جهة اخرى ، بين الفرنسيين المعتربين وبيهم رجال ماررون ، رغبة في الارتباط بأولئك الذين يصوبون علم البلاد . وهكذا كسب التروفور فوسيتون موافقة زملائه على الطلب من الجنرال دينفول ان يصدر مرسوماً

يعترف فيه بالثؤينة التي أشاعها ، وهو الذي كان قد أسس ، المعهد
العربي ، في نيويورك ، جمع فيه أئمة العلم والتاريخ والفلسفة .

وفي ٧ كانون الاول (ديسمبر) ، رج المحسوم على ميل هاربر ،
بأميركا في الحرب . وأصبح في الامكان الاعتقاد ان سياستها بعد ذلك ،
ستميل بها الى معاملة الفرنسيين لاجرار الذين كانوا يحاربون ، عداها
بالت ، على اهم حلقات . ولكن شيئا من ذلك لم يكن . لقد كانت
من المحتمل تحمل كثير من التقلبات الأليمة قبل ان تعقد واشنطن العزم على
اعتبارها أسلفاً . وهكذا كان من امر الحكومة الاميركية ان حجرت
في مراقبتها يوم ١٣ كانون الاول السابعة ، بورماندي ، مع ثلاث عشرة
سفينة فرنسية اخرى ، ولم تقبل التفاوض بشأنها ، حتى ولا التكم
معا حول استيائها ، وتسلحها . وبعد مصحة اسابيع ، كانت بورماندي ،
طعمة للذيران في ظروف مفعمة . وحلال شهر كانون الاول (ديسمبر)
حررت مساحات ميثاق الامم المتحدة . ووقعته ٢٧ حكومة لم يكن نحن
في عدادها . والعجب ، ان لم يكن المموض ، في موقف الولايات المتحدة
تجربا ، هو ما سينكشف على يد حادث يكاد لا يدرك لصآته في
حد دته ، ولكن ردة الفعل الرسمي عليه من واشنطن جعله على جانب
خطير من الامة . وردا كنت أنا اندي أثرته من جهتي ، لأحرك قراره
الاشياء ، كما يلقى حصر في عدير . والموضوع إما كان بصم جريزي
سان - بير و « ميكون »

لقد فكرنا فيها ، منذ البداية . لقد كان في الواقع ، معينا
يطلب الاتحاد بها هالي أرحيل فرنسي صغير يقع على مقربة من
« قير بوف » (أرض الحديد) ، ويظنوا تحت بير فيشي . وكان وسواس
البريطانيين الدائم ، عواصت الالمان على طريق القوافل الكبرى ، وان
تتمكن هذه العواصت من العثور يوماً ما على مساعدة تطلقها خاصة ،

من محطة إذاعة كانت قائمة في سان - بيير ، ولذا كانوا - أي البريطانيون - يرغبون في انضمامها . ولكن لا بد ، حسب رأيهم ، من موافقة واشنطن على ذلك . أما أنا فكنت أعتقد أن تحصل هذه الموافقة ، ولكي لا أحدها ضرورة لا غنى عنها ، طالما أن القضية كلها من شأن فرنسا وحدها . وقد رادني نصيماً على استعادة الأرخبيل إلى فرنسا الحرة ، ما رأيت من تعامل الاميرال روبيير ، مدبوق فيشي السامي في جرر الأنتيل وعبثاً وسان - بيير ، مع الاميركان ، مما لا يمكن أن يؤول إلا إلى تحييد هذه الاراضي العرسية بضمان مس واشنطن . وقررت العمل لدى أول فرصة ، حين علمت في كانون الاول ان الاميرال هورن أوفد من قبيل الرئيس رورفلت إلى «فور - دي - فرانس» ، ليطلع مع روبيير شروط تحييد ممتلكاتنا في اميركا والسفن الراسية في موانئها .

وقد سعت تلك الفرصة على يد الاميرال موزيليه ، إذ كان عليه ان يذهب إلى كندا لتعويض الطرادة العوامة «سوركوف» التي كانت متمركزة آنذاك في هاليماكس ، ويعمل كذلك السفن الحربية الفرنسية التي تواكب القواعد ، فاتفقت معه على اجراء العملية مبدئياً . والذي حدث انه جمع في هاليماكس يوم ١٢ كانون الاول ، ملحق لحرب «ميسورا» ، و«أكوي» ، و«آليس» ، حول «سوركوف» ، وتأهب للمرور في سان - بيير وميكون . ولكنه حسب ان عليه ان ينال موافقة الكنديين والاميركيين في أوغوا مبقاً ، وهذا انكشف السر ، فرأيت بي مرغم على إعلام البريطانيين نجساً لمظاهر المداخلة . وكان جواب واشنطن لموزيليه . «لا» عن طريق وزيرها في أوغوا ، وصرح الاميرال انه ما دام الامر كذلك ، فهو يعدل عن الذهاب إلى الحريثين . وكنت إلى حكومة لندن اها لا تسمع ابداً من جهتها ، ولكنها تطلب ، نظراً لمعارضة اميركا ، تأجيل العملية . واتجه الرأي

في تلك الظروف ، إلى الأذهان لا تلبه ، إلا إذا طرأ حديد على الموقف

ولكن الحديد طرأ ، فقد أحاطت بالثغورين أو هيس علماً بعد ساعات من حوارها . أما كان ذلك مقصوداً ؟ إن الحكومة الكندية بالانفاق مع الولايات المتحدة ، إن لم يكن بإيعاز منها ، قررت الدول بالعدد والعدة اللازمة في سان بيير ، طوعاً أو كرهاً ، لتأمين محطة الإذاعة . فأرسلنا على الفور احتجاجاً إلى لندن واشتطى غير به منذ أصبحت مسألة قضية تدخل أجنبي في أرض فرنسية ، بدا لي أن يتردد بعد ذلك ، أمر غير مسموح به إطلاقاً ، وأصدرت للأميرال موريليه أمراً بضم سان بيير وميكيون نوآ وهذا ما فعله عشية الميلاد ، وسط حماسة الأهالي الكباري ، من غير أن تطلق رصاصة واحدة ، وكان استفتاءً قالت به فرنسا الحرة أكثرية ساحقة . ولحمد الشان في الحال ، وأتلف لراشدون من الرجال معبرة تؤمن بدفاع عن الحرر ، وتعتن ساهاري محافظاً ، حل محل الحاكم .

كان في الامكان لاعتماد ان هذه العملية الصعبة التي بددت تفهيني رفع ، سنال موافقة الحكومة الاميركية من غير صحة ، أو أنهم ستقبل على الأكثر شيء من الاستياء في مكانه بطائرة الخارجية . ولكن الذي حدث ، ان عصبة حقيقية هنت في الولايات المتحدة ، والمستر كورديل هو نفسه هو يدي انارها في بلاء على به أنه قطع إحارته في عيد ميلاد ، ووصل على مدح السرعة إلى واشنطن ، وأصاف سكرتير الدولة ، إلى العمل الذي قامت به في سان - بيير وميكيون البحر التي بقل إلى فرنسية حرة ، إلى أخرى دون ان تكون حكومة الولايات المتحدة على علم سابق به ، ودون ان تكون قد وقعت عليه ، حول ، ونسبي بلاءه مصرحاً ان حكومته سألت الحكومة الكندية

عن التدابير التي تتوي هذه اتخاذها لإرجاع « الحالة الراضة سابقاً » إلى الحزيرتين .

وظلّ لفظ الصحافة وهيجان الرأي العام في الولايات المتحدة ، طوال ثلاثة أسابيع ، يتجاوز حدود التصوّر . ذلك بأن الحدث قدم فعلاً للجمهور الأميركي فرصة المفاصلة بين سياسة رسمية لا تزال تؤلر بيتان وشعور كثرة من الناس قيل إلى ديعول اما نحن فكما نرمي ، وقد بلغنا الهدف ، إلى حمل واشططن على فهم للأمور أصط وأصح . ومد كان تشرشل في كويك ينشاور مع رورفلت ، فقد أبرقت للوزير الاول أعله بالأثر السيء الذي أحدثه موقف نظارة الخارجية في الرأي العام العربي . وأحابي تشرشل انه مبدل ما في وسعه لتسوية لأمره ، ملحقاً في الوقت نفسه إلى مثل فلك التطورات المؤاتية التي حبل دورها وسلمت تبكيه ، من حاسي ، المستر كوردويل هل في الوقت نفسه ، معلومات مطمئنة ، بينا راج روستي دي سال يستخدم صلاته بالصحافة الأميركية في الوحة نفسها ، وكذا نجهد في ان يستعيد المستر و . أملت آخر سفير للولايات المتحدة لدى الجمهورية ، مشطه ، وكان يقم آتذاك في القاهرة .

م يبق في وسع حكومة واشيطن ، إراء القند الشديد في بلادها ، وتذكر بريطيا وكندا الهات ، لها ، إلا ان تسلّم في نهاية اهدف بالامر الواقع . وقد حاولت التهيول ، مع ذلك ، قبل ان تسلم به ، وذلك في ان تستخدم توسط الحكومة البريطانية . ولكن هذا التوسط نفسه لم يكن مقنعاً بصواب موقفه . وقد قلبي المستر إيدن ، وكرّر مقابلي في ١٤ كانون الثاني (يناير) وتظاهر بالإلحاح في ان يصل تحييد الجور ، واستقلال الإدارة عن اللجنة الوطنية ، وإقامة إشراف على يؤمنه موظفون حلفاء . وقد رفضت أي حل من هذا القبيل .

أخبرني المستر إيسدن أن الولايات المتحدة تفكر في إرسال طراد ومدمرتين إلى سان - بيير وقال لي : « ماذا تفعل في هذه الحالة ؟ » فأجبت : « فتوقف السفن الحربية عند حدود المياه الإقليمية الفرنسية ، ويذهب الأميرال الأميركي لتناول عدائه مع موزيليه الذي يكون معتبطاً به ، على وجه التأكيد ، » ولكن إذا تجاوز الطراد الحدود ؟ - « يقوم رجالنا بتوجيه الإنذارات المفجأة » . « هذا تعدّي هذه الإنذارات ؟ » - « سيكون إذا ذاك الريل الكبير ، لأن على حدودنا أن يطلعوا النار . ورفع المستر إيدن ذراعه إلى السماء ، فأهتت الحديث مبسماً وقلت : « إنني لأهم استعافتك ، ولكن لي ثقة بالديمقراطيات . »

لم يبق إلا أن نقلب الصفحة . وكان أن استقبل المستر كوردويل هل في ١٩ كانون الثاني نيكسيه وسرد عليه ، من غير حيدة ، أسباب السياسة التي تسببها حق ذلك اليوم . وبعد قبيل أحد عظماء الخواب الذي كنت قد أنهيته إليه . وحين عاد المستر تشرشل في ٢٢ إلى انكلترا ، طلب أن أقابله ، وقدمته مع بلير . واقترح علينا الوزير الأول ، ويجاسه بدن ، من قبل واشنطن ولندن وأرغوا ، تسوية يقضى معها كل شيء على حاله في سان - بيير وميكلون ، على أن نترك للحكومات الثلاث ، لقد ذلك ، أن تشر بياناً يصون ماء الوجه مهما كان ضئيلاً ، لطائرة الحربية . وقال لنا الوزيران البريطانيان : « وبعد ذلك ، لن يتدخل أحد في هذا الشأن » . وقطنا التسوية . غير أن شيئاً لم يُذع ، آخر الأمر . لقد احتفظ سان - بيير وميكلون ، ثم لم يتم أحد جهات بعد ، من جانب الحلفاء .

وأما كان وضع واشنطن القانوني والعصبي تجهنا ، فإن دخول الولايات المتحدة الحرب فرض عليها أن تتعاون مع فرنسا الحرة . كان ذلك صحيحاً ، في الراهن العوري ، من أجل الباسيفيك ، حيث كانت

ممتلكاتنا كاليدوي الحديدية ، وحرر المركب ، ونواموتو ، والسوييني ،
وحقنا تاهيتي ، امام تقدم اليابس الصاعق ، قائلا لان تصبح في يوم او
آخر ، صرورية للاستراحة الخليفة وكان بعضها قد استخدم كمحطات
حوية - بحرية . وكان البكل الكاليدوي ، عدة ذلك ، مما تحتاج اليه
كثيراً صناعة الاسلحة . وقد ادرك الاميركان ، على وجه السرعة ،
العائدة التي يحموها من النعام معاً . وكذلك هي حائنا ، اذ لم يكن
في مقدورنا ان ندافع وحدنا عن حدودنا ، عند الاقتضاء . وكانت لحمتنا
الوطنية قد قررت مسبقاً ، عن روية ودرس إيدن ، ان يلقي كل صلات
لاميركان فيما يخص ممتلكات في المحيط الهادى . لقفء شرط واحد ،
وهو ان يحترموا فيها السادة المرسنة وسلطت الخاصة .

ثم يجب ان ندرس هذه السلطة عالياً على نحو مرضي ، ولم يكن
ذلك امراً سهلاً ، نظراً لمد حررها ونشنتها ، ونقص الوسائل ، وطبيعة
السكان ، وهم المتعلقون اكيداً بغرب ، وقد ثبتوا ذلك «بصهاهم الب »
ولكنهم من جهة ثانية ، مشاعدون وقبولون للأحد «الدسائس السني ثمت
عابها مصالح المحلية او الاجنبية . ويضاف الى ذلك ان من بين العناصر
المهنددة ، وكثيراً من «فصلها» تركوا اوقيايا امثالاً لأومري ، وقدموا
الى اقريف ، ليحاربوا مع القوات العربية الحرة . وهكذا أرسل الى
الشرق فوج الدسيفيك التاسل الرائع مع غيره من جنود الافواج لآخرى
تحت مرة التقدم برروش ، وقد اكتسبت هذه المساعدة لاوقيائية في
المعارك لتحرير فرنسا ، مصر سامياً . ولكن الدفاع المباشر عن منشآتنا
اصبح معها اكثر صعوبة . وكان من حالة حرب حيراً ، ان تملك
الحياة الاقتصادية لملك الممتلكات النائية . وحمة الموقف ان الحدحة الى
سلطة قوية ومتمركزة قدر المستطاع ، كانت تفرص نفسها في اوقياب .

كنت قد رأيت ، مد رسع ١٩٤١ ، ان مى الصالح ان أرسل

اليها ، في جولة تقييضية ، لحاكم العام برونو الذي أصبح متفرعاً منذ ضمّ لوكثير الكامبيرون . ولكن برونو اصطدم ، بعنف اغلب الاحيان ، وموظفين يعرفون اليه ، ولديهم صبب ظاهر ، فية الحلول محلهم مع اصدقائه . وكانت « نابت » مسرح احداث مصحكه - مبكية ، فقد شهدت الحاكم ، والامين العام ، وقصل اكلترا يُعتقلون بأمر من برونو ، بينما كان الحاكم سوفو في اوميا ، يذبح في انلأ مخطئه على المفتش . كان لا بد من اجراء تدابير استثنائية ، فعيّنت في ثور (يوليو) ١٩٤١ نقيب البحرية - ثم اميرال - ثييري دارجليو متوضاً سامياً في السابريك بجميع الصلاحيات المدسة والمكرية ، ومهمة . « إعادة سلطة فرنسا الحرة » شيئاً من غير أنصاف حلول ، وتضمنة موارد البلاد في سبيل الحرب ، وتأمين الدفاع عن الأراضي المرمية بالوفاق مع الحلفاء ، ضد جميع الاخطار الممكنة ، والمهمة في وقت قريب .

كانت لي ثقة بدارجليو ، وإلى رفعة عنه وحرمة كائنا يضمه معزوباً في مستوى يسيطر به على الدوائس . وكانت كفائه حكرئيس تحملي على ثقة من ان وسائلنا لنخدم بمصاء ولكن بحس فهم ، وستلاني كدهته كدبلوماسي عبلاً رحياناً نحول به ، وذلك لانه اد كان قد ادرك بهطرقه ، ولي الجرأة ان اقول « إلهامه » ان عمل فرنسا الحرة يشبه صبراً من صليبية ، فانه كان يرى ، وهو على صواب ، ان هذه الحرب الصليبية يمكن ان تكون موفقة . وقد وضع الطراد الخفيف « ترونتان » وسفينة الاستكشاف « شمروني » تحت تصرف بعض السامي في السابريك . وشرع هذا بتدعيم الامور في تهيتي ، وفي فيها أورسيلي حاكماً ، بينما قدم برونو « صحبايه » يفسرون في لندن ما حدث لهم ، ومد كان الموقف في الشرق الأقصى برعته ، من جهة اخرى ، لا يكلف عن التجهيم ، فقد ارتأى دارجليو

أن يصيف لي مهمته الأولى ، تسبق العمل بين ممثلينا سواء في 'لوسا' أليا
وريلندا الجديدة ، والصين ، وفي هونغ كونغ ، وساموارة ، ومادريلا ،
وإفريقيا . وذهب إسكرا في الوقت نفسه ، وهو الشير لبي الصبيبي
كشترع دولي ، إلى تشونغ كينج ، ليعقد الصلة مع المارشال تشان .
كاي - شك ، وبعد إقامة علاقات رسمية

والتهب المسيحيك دفعة واحدة في مستهل كانون الأول ، إذ برز
البابون بعد مصادفة بول هدرر الرهينة ، في ملاير الليريطانية ، وحرر الحب
المولدية ، والفيليبين ، واستولوا على عوام ، ودايك ، وهونغ كونغ .
وحاصروا في مستهل كانون الثاني جيشاً رياضياً في ساموارة ، اضطروا
بعد قليل إلى الاستسلام ، واستولوا في الوقت نفسه على مادريلا ، وحوصر
ملك آرثر في شبه جزيرة تانكا . وما أعرفه عن هذا الخنزير كان
يوحى إلي الكثير من تفكيره . وقد أديت يوماً دجون ويمانت ، مدير
الولايات المتحدة في لندن ، وكان دبلوماسياً مفعماً بالكفاءة والشعور ،
وصرحت له ، بيلي ، علي أن أقول لك كحدي وكحليف ، أن افتقاد
ملك آرثر وبيد كبير ، فليس في معسكرنا سوى فتلة من الرؤساء
العسكريين من الطراز الأول ؛ وهو أحد هؤلاء . ولا يجوز أن نخسره .
هنا نحن نعتقد دا لم تصدر إليه حكومته ، الأمر بأن يصدر ، بأن ، نفسه
على ظهر رورق حربي ، وحماية حو - ماء . اعتقد أن مثل هذا الأمر
يجب أن يوجه إليه ، وأطلب منك أن تصلح الرئيس رورقلت علي رأي
الجنرال ديمول في هذا الشأن . . واسمي لأحمل ما دا كانت خطوتي
هذه قد سهمت أم لا ، في القرار الذي اتخذ . غير أنني عمت داعشاط
كبير ، على كل حال ، أن الجنرال مالك آرثر استطاع ، بعد وحيز من
الوقت ، أن يبلغ ملبورن .

كانت كاليدوريا الجديدة إذن مهددة منذ بداية كانون الأول (ديسمبر)

وكان الخطر يشتد بمقدار ما هي ملاصقة لأستراليا ، هدف لعدو الرئيسي . ثم إن فيشي ، وقد توقعت احتلال اليابانيين حررتنا في أوقيانيا ، واراوت دون ريب ، ان تحاول استعادة السلطة فيها تحت ستار الفرة ، عيتت الاميرال ديكو مفوضاً سامياً للسيفيك . وهذا لم يترك مناسبة إلا اغتحمها لتحرير لاهلين في كاليدونيا الجديدة ، من مدياع سايعون ، على التمرد ضد فرنسا الحرة . وكاتب دارجيليو ، وهو يشغل في لجة من الهموم والمصاعب ، يوحه الي تقارير ملأى بالحماسة ، وتناهى عن الاوهام . أما من جهتي ، فقد وجهت نصيحة إمدادات امكي الحصول عليها ، الى بوميا ، وبنت له في الوقت نفسه اعتقادي انه قادر على انقاذ الشرف ، على لاقبل . وكان المدد الذي أرسلته يتألف من . ملاكات عسكرية ، ومدفع بحرية ، طراد مساعد ، كات ديبالم ، والمواصة وسركوف ، أخيراً التي كان يعتقد ان كفاءتها في العوص وسعفتها تجد مجالها العملي في السيفيك . ولكن هذه المواصة . وهي اكبر غواصة في العالم . ارتطمت ، وبالأسف ، ليلة ١٩ شاطئ على مقربة من مدخل قناة بناما ، مسعنة شمن ، وغرقت على رأسها مع ربانها : نقيب السفينة الحربية « بليرون » ووثنيته جميعهم السابعد عددهم ١٣٠ رجلاً .

أخذ النامون مع حلفائنا ينظم ، في هذه الاثناء ، تحت ضغط الحوادث . هي ١٥ كانون الثاني ، رحبت بظارة الخارجية الى مفوضيتنا في واشنطن مذكرة توضح التمهيدات التي التزمت بها الولايات المتحدة فيما يتعلق بـ « احترام سيديتنا في حزر الباسيفيك الفرنسية » وان القواعد وامفشات التي يرخص لها قتل حفاً مكتسباً لمرسا ، وان حق التبادل يعترف به لمرسا في الاراضي الاميركية إذا بقيت للقواعد الاميركية بعد الحرب ، . وفي ٢٣ كانون الثاني أرق لي المستر كوردل هل ان رؤساء الاركان العامة الاميركية والبريطانية يقدرون أهمية كاليدونيا

الجديدة ، وهم يتخذون التدابير لتأمين الدفاع عنها وفق الشروط الجديدة
في مذكره ١٥ كانون الثاني . وأعربت فاضل الخارجية بروتش عن « أملها
في أن يسير في المستقبل التعاون الرئع والتعاون اللذين قد تمهما من قبل
المفوض السامي الفرنسي » .

وقعت هذه الأساليب الطيبة ، تدابير عملية ، إذ تمكنت في ٢٥
سبتمبر أن أحضر دارحليو إن الجنرال فانتش ، الذي عين قائداً للقوات
الأميركية في الساميك ، تلقى من حكومته الأمر بالذهاب إلى
بومب ، وأن يتفاهم وإياه « مباشرة وبروح ودية كبرى » حول تخطيط
القيادة . وفي ٩ آذار كانت اللجنة الوطنية الفرنسية مدعوة لإيجاد ممثل
عنها في « جهة الحرب للمحيط الهندي » التي سُنّت في لندن حيث
يجتمع مندوبون عن بريطانيا العظمى ، وروسيا الجديدة ، وأستراليا ،
والولايات المتحدة ، لبيان المعلومات و« مقترحات » . وفي ٧ آذار ،
صالت أيضا الحكومة الأميركية الإذن بإقامة قواعد في أرخبيل تومبو
وحرر اسوسيني ، والتي طلبها . ووصل الجنرال فانتش أخيراً إلى لوميا
في ٩ آذار ، وكانت تلمحه قوات مهمة .

قد أصبح لدى المملكات الفرنسية في الساميك بعد اليوم ، فرص
للتغلب من العدو . ولكن كان عليها ، مع ذلك ، أن تتغلب على رمة
دقيقة في تلك المنطقة ، قبل أن يسير التعاون بين وسين حلفائنا كما
كان يجب أن يسير . ولا ريب أن الاستجمام ساد العلاقات أول الأمر
بين فانتش ودارحليو . ولكن وجود القوات والدولارات والمخابرات السرية
الأميركية سيؤدي حتماً قريباً أسباب الاضطراب الكامنة لدى «ناس تقص
مصاحبتهم حتى الحصار . وهناك قسم من الميليتيا عملت فيه المطامع
لحلية عملها ، فتعلت من المفوض السامي ، ووضع نفسه تحت إمرة
فانتش الذي ارتكب خطأ التعطية لذلك العصيان . ثم إن الحاكم

سونو الذي لم يطق ، من جهة اخرى ، ان يكون مسؤولاً دارجيو ،
 راج يسمى وراء شعبة شخصية يستطيع ان يعيد منها . وكان مني ان
 دعوت سونو الى لندن ، بعد اضطراب مدة من الوقت ، لأعطيه منصفاً
 يتوافق مع الخدمات التي أداها ، فقرر أول الأمر ان يلتقي دعوتي ،
 غير انه عدد واحتج «استياء آثاره الأمر الذي قلده في اوساط الاهليين»
 وأعلن أنه يأخذ على عاتقه «التمهل في السفر» .

إلا ان الحاكم سونو أبحر تلبية لدعوتي متبعاً الأسلوب اللائق مشدراً
 بالحزم المنشود ، وأوفد مونتشان من تشاد ليعمل معه ، والعقيد دي كونشار
 من لندن ، ليقود القوات ولكن تبع ذلك في روما والأدغال ، مظاهرات
 عنيفة كان الاميركان يشجعونها علناً وحالتي الشهور بأن حركة مرعبة
 لستر تلاتي من الأيام ، فعدت واشتغل وسيت ، من جهة اخرى ،
 باتش أما لا يمكن ان نقل قدومه في شأن فرنسي ، عبد أبي أوعرت
 في الوقت نفسه الى درجوليو ، ان يذن أقصى جهده في توطيد علاقات
 شخصية وثيقة مع باتش ، وان يظهر ، إذا أمكن ، بعض السذاجة
 تجاه أهالي لا يرقى شك الى هياهم . واستعاد الحسن السليم حقوقه
 كاملة بعد ثلاثة ايام من الاضطرابات ، كما استعاد دارجوليو جميع مقومات
 القيادة . وكان ذلك امراً لا بدحة عنه ، لأن آخر قوات المقاومة
 الاميركية في الفلبين استسلمت في ٦ ايار في كوريبيدور ، و ١٠ منه
 في مندلو ، بينما نشبت معركة بين اسطولي اليابان والولايات المتحدة في
 الكوراي شمال شرقي اوستراليا ، توقف عليها كل شيء ، واصبح من
 المحتمل ان تهاجم روسيا بين لحظة واخرى .

وتراعى الاهالي حذراً واحداً ، حول السلطة الفرنسية ، امام الخطر
 لدايم وهم يشجبون الاضطرابات الأخيرة ونقل عديد من الاشخاص
 لمشاغبين ليخدموا في سوريا . وذهب باتش من جانبه لمخابرة دارجوليو ،

يعتد له عى . سوء التفاهم . الذي أقحم فيه . وأبرفت الى اخبرل
الاميركي أعرب له عى ثقى وثقة فرنسا الحرة به ، إذ هو مشى بدأ
بيد مع مقوص فرنسا السامى . وسار الاميركيون والمريسون معاً عى
أثر ذلك ، ليأخذوا مراكزهم للقتال معرم ومصاء . وحدث ، من جهة
اخرى ، ان لم يكن عليهم ان يدافعوا عنها ، لأن اليابانيين وقد أعلنوا
في بحر الكوراي آنذاك ، تخلفوا عى مهاجمة اوستراليا وكاليدونيا
الجديدة .

ومكدا دفعت الحرب الولايات المتحدة على ان تقسم مع علاقات
أوثق وأوثق . ويجب القول ان المحيط القومى لديهم كان يوطئه لذلك
قوتنة واضحة ، عى وثبة الصليبية التي توحىها للشعب لاميركي مثالب
المرزية ، وفي وسط ذلك الجهد الضخم الرائع لدى صمم ذلك الشعب
ان يمرسه عى عى في السلاح والتعبئة ، لم يكن محاربو فرنسا احرى
ليظهروا بهم شعبون ، وقد انعكس ذلك عى السياسة وتأثرت هذه
به ، فقد كان في وسنا في شاط (فبراير) ١٩٤٢ ، ان تتم معوضيتنا
في واشنطن سبعة عسكريه وكلت أمرها الى المقيد دي شيبه . وقد
اعترفت ميركا اول ادار في تصريح عام ، ان « حرر الباسيفيك الفرنسية
كلت تحت الاشراف العملي للجنة الوطنية الفرنسية » وان حكومة
الولايات المتحدة « تتعامل وتستمر في تعاملها مع السلطات التي تمارس ذلك
الاشراف » . وصرحت بظارة الخارجية كذلك ، في شأن افريقيا
الاستوائية ، في بلاغ اصدرته بتاريخ : بيان ، ان « نهترف بسيطة
فرنسا الحرة هناك » . إذ عيقت قنصلاً عاماً للولايات في برارافيل وسائر
المناهق لاستوائية التي كانت تخضع لسلطتها . وحين طلست الولايات
المتحدة حق استعمال المطار لقاذبتها الثقيلة في بونت - سور ، أدبت لها
بذلك ، شرط ان تزودنا أولاً بثناسي طائرات من طراز « لوكهيد » كانت

ضرورية لمواصلتها خاصة . وقد تلتها بعد مفروضة معقدة ، و أتاح
للعقيد دي هارميه ان يشره حثاً قديماً بسبب برر من ودمشق
وللطفرات الاميركية ان تتخذ من بونت فوار محطة عقل وهكذا
صح الجو بيننا وبين اميركا ، من غير ان تكلف عن توطيد مكانة
فرنسا .

وهنا كنا نقصر المسافة الدبلوماسية التي رمض واشطن عن فرنسا
الحرية ، خطوة خطوة ، فوصل الى عقد علاقات تحالف ، في وثيقة
واحدة ، مع موسكو . وهنا ، يجب القول ان المحوم دي شه هنتر
على روسيا ووضعها امام خطر الهلاك ، يتر على السبيل ، ثم ن
السوفيات لموا ، من جهة اخرى ، عقم انفسه اني انه هو تحب
انديا عامي ١٩١٧ و ١٩٣٩ ، بين ادارا ظهورهم لفرنسا وانكسروا
وقد بدا احكام الكرملين ، في هذا لطلب . انما " في انعام بها العود الالامي ،
يتراجعون عن موقفهم في عكسه بوضوح . ومن غير تحفظ ، وهذا كتاب
مدياح موسكو لا يكف عن طعن ، لاميراليين انكسروا و د هرتزفتم
الديموليين ، حتى الملاحظة التي عرت ، انما ان لا ية حدود روسيا ،
إذا بالناس يسمعون إداعات موسكو ، تهتق الله ، على قشرشل ودمبول
تماماً بعد ساعة ، على وجه الدقة .

وكان نهار روسيا في الحرب يفتح في جميع الاحوال ، لفرنسا
المستعفة ، أوسع آفاق الأمل ، فإن لهذه ان تكسب المدد أهدح الخسائر
ويلحق به اصراراً رهبة ودافئة إذا لم يوفق الرايح سرباً ان تصفية
الجيش السوفياتي . وما كنت يقيناً لأشك في ان نهرأ تكون للسوفيات
فيه سهم رئيسي أوفر ، يمكن بمعددهم ان يضع العالم من بعد
امام حصار اخرى . يجب التحسب لهذه الاحصار ، في الوقت نفسه
الذي يكافح به الى حاسمهم . ولكني كنت أرى ان يجب علي قبل

التعسف ان نعيش ، اي ان نغلب . وروسيا قدّمت إمكانية هذه العتبة ،
وحضورها في معسكر الحلفاء ، من جهة اخرى ، مدّة فرنسا الحاربة
تجاه الانكلو - سكسون ، بمصر توازن وحتّى تعتمد جيداً على
الإفادة منه .

لقد عشت وأنا في دمشق ، التي ررتها على أثر دخول قواتنا المدينة
يوم ٢٣ حزيران ١٩٤١ ، اندلاع الحرب بين الروس والالمان ، واتخذت
موقفاً لثنوي ، إذ أبرقت في ٢٤ الى مفوضية لندن بالتمهيلات الآتية
« يجب ان نعلم - كما فعل تشرشل - أننا نكل صدق مع الروس ،
ما داموا يحاربون الالمان ، ولا نسل للمناقشة جانباً في عيوب النظام
السوفييتي وحتى في جرائمه . فليس الروس هم الذين يسحقون فرنسا ويحتلون
باريس ورأس وبوردو وسراسورج . والطائرات والدمارات والحسود
الالمان الذين يقصّي عليهم الروس الآن وعدداً ، لن يكونوا هناك بعد
ايمنعوا من تحرير فرنسا . تلك هي اللهجة التي أمرت ان تعطى
لدعاوت . وأشرت على مفوضيت في الوقت نفسه ان قدّم لي السيد
ميسكي سفير السوفييت في لندن ونقول له «سمي » والشعب الفرنسي
مع الروس ضدّ ألمانيا . أنا سمي بالتالي ، تنظيم علاقات عسكرية مع
موسكو » .

وقابل كاشن وديجان السيد ميسكي ، فأظهرهما في الحال ، أعطي
لاستعدادات اما النتائج العملية ، فإن قطع العلاقات بين فيشي وموسكو
وهي القطيعة التي طلبها هنري فيشي ، افضى الى تسهيل الامور ،
على نحو عاجل . ولذلك أوعزت ، وأنا في بيروت في ٢ آب (أغسطس)
الى كاسان وديجان ان يسألا السيد ميسكي « عمداً إذا كانت روسيا
مستعدة لاقامة علاقات مباشرة معنا » وعما إذا كانت تموي ان تتوجه
اليها بتصريح عن نيتها في عودة استقلال فرنسا وعظمتها ، ون تصيف

الى ذلك ، إذا أمكن ، وحدة كيانها .

وأوصت المحادثات في ٢٦ أيلول إلى تبادل رسائل ممي وبين السيد ميني ، إذ صرح مدير الاتحاد السوري ، باسم حكومته أن هذه . تعترف في كرئيس لجميع العربيين لأحبار . . وأنها على استعداد للاتصال بمجلس الدفاع عن الامبراطورية العثمانية من أجل جميع المسائل المتعلقة بالشؤون مع أرمني . ما وراء البحار لموضوعه تحت سلطتي . وأنها مستعدة لتقديم الامون والمساعدة للعربيين لأحرار في سبيل الكفاح المشترك . . وأنها مصممة على تأمين إعادة استقلال فرنسا وعظمتها ، إعادة كلمة مطلقة . . ومع ذلك فإن السوفيات شأنهم شأن برطانيا اعظمى التي لم تعمل بموجب اتفاق ٧ آب ١٩١٠ مع كلوا ليتحدثوا عن وحدة كيانها .

وبعد ذلك ، قليل اعتمدت الحكومة السوفياتية السيد بوغومولوف ، لما لدى اللجنة الوطنية . وقدّم السيد بوغومولوف من فيشي حيث كان ، مندوبه ، مبعوثاً لدى بيتان . وكان أن تكيف دون أدنى ارتباك ، مع الأوضاع الجديدة على الأقل ، التي أخذ يمارس فيها مهمته . غير أني لم أسمع قط من هذه كلمة تشير إلى سخطه مع على أشخاص . المارشال وورران ، ممن كان يمثل لديهم حكومته ، حتى أنه سرد على مسامعي ، في إحدى محادثتنا ، هذه الحكاية . : كان لدي في فيشي من أوقات الفراغ ما أستعمله في البره حصة وتطواف الريف والمحدث إلى عمدة الناس . وقد قال لي يوماً هلاج وهو يحرث أرضه : : إنه لخير أن يكون الفرنسيون قد نعلوا أولاً . ولكن ، انظر هذا الحقل ! إنما أنا أستطيع أن أحرثه ، لأب لأمر سوتت على نحو تركي به الألمان وشأنني . وسأرى أنها ستؤتي عما قريب على نحو يرحلون معه من فرنسا . وقد حسنت أن السيد بوغومولوف أراد ، من خلال هذه

التعريف الذي يوضح نظرية « الثرس » و « السيف » ، أن بين لي أنه
هم الموقف الهرسي جيداً ، وأن يشرح لي في في الوقت نفسه مبررات
المواقف المتعاقبة التي اتخذتها روسيا السوفياتية .

ومع ذلك الزمن ، أحدث ألتقي السيد بوعومولوف ، أغلب
الأحيان . وكان يستخدم أقصى ما يستطيع ليظهر أنه إنساني بما يتحدد
من خطوات ويجري من محادثات ، في حدود ما يسمح له المرف الدبلوماسي
الصرم المفروض عليه . وكان حين يوجه أو يتلقى بحبره رسمية ، صلب
العود ، متأهلاً كتلة واحدة ، وهذا الرجل نفسه ذو الثقافة الحقيقية كان
يبدو ، في ظروف أخرى ، مرناً ، رحب الصدر ، يحسن استخدام
السخرة ، ذمناً حتى الانسجام عند الحكم على الأشخاص والأشياء . يجب
أن أقول إنني اقتنعت من خلال احتكاكي به ، أنه إذا كان النظام
السوفياتي يطلع على شخصية حادمية علناً لا فكك منه ، فإنه لا يملك
أن يمنع من أن يظل تحت ذلك العمل ، إنسان .

وكنا ، من جانب ، قد أرسلنا الجوال بيتي إلى موسكو ليقوم مهمة
الارتباط العسكري ، وأظهر السوفيات لنوهم ترحيباً عاتقاً به وأعطوه
بالرعاية والاعتبار ، من احتفالات أقامتها لأركان المصانة ، إلى زيارة
للحصة ، إلى استقباله من قبل سنالين نفسه . ورحلت أناسل من بعد ،
ما إذا كانت عاية حفاوتهم هذه للجوال بيتي ، مجرد عمل مملوكي . وفي
جميع الأحوال ، كانت للتقدير التي نرد من مصادر شتى تعطي الانطباع
أن الجيوش الروسية راحت ، وقد تصدعت أول الأمر ، على أثر
الهجوم الألماني ، قتلاهم شتاً شتياً ، وأن الشعب في أعماقه ، وقف
على قدميه ليقاوم ، وأن سنالين إزاء الخطر الذي احتاج الأمة ، عين
نفسه مدرشاً لا ثم لم يزعج اللباس العسكري قط ، وأنه يجهد في أن يظهر
كرئيس لروسيا الدائمة ، الثابتة ، أكثر مما يظهر وصياً على النظام .

كانت خريطة المعركة الحارة مشورة على حدران مكائنا ، وكان
 أحمد الحار الذي ينفقه الأمان صمو في يومه على الخريطة ، مجموعات
 حبوشهم الثلاث : عون لوب ، وهون بوك ، وفون رونسنت بعدو خلال
 أربعة أشهر . إلى قلب الأراضي الروسية ، وأسروا عدة مئات الوب ،
 واستولوا على عثائم صعبة ، إلا أن عمل حوكوف الناشط في كلون
 الأول حول موسكو ، ساءده شتاء قاس سابق لأوانه ، أرقب المرأة ،
 ثم جعلهم نراحعوب . ولينسراد لم تسقط ، وسياسنوبول ظلت صامدة .
 وبدا أن هلم لم تنوص إلى فرض الاستراتيجية الوحيدة ، التي كان يمكن
 أن تكون حاسمة ، على القيادة الألمانية ، أي تجميع كل القوات الآلية
 في تحرك العاصمة السوفيتية وحده ، لضرب العدو مباشرة في القلب .
 لقد اضطر الموهبر هذه المرة إلى الأخذ بالأخطاء البليغة ، وبوريس
 وسئل لاحتياج بين مارشالاته الثلاثة ، والنورع على حبة ، لا إطلاق
 مسبق يصبغ للعدو دفعة واحدة ، رغم الانتصارات المتتالية التي حققها
 في معارك بولوب ، وفريدا ، والدقن . مما قد مرت لحظة المدعنة ،
 وسيرغمه الروس ، مع لديهم من مساحات شاسعة ، على أن يدفع
 الثمن عالياً .

رحم . بالتصديق ذلك ، نحمد في أن عد الحربة الشرقية يعود حاشر ،
 منها كان صليلاً . هناك سمى الحربة وشاحنا تشارك في القوافل
 الخلعة التي تأتي مورمانسك «امتداد» عبر الأوقيانوس المنحد الشبالي ،
 وفي أشق الأحوز والأوصاع . وثمة أوقى بادي دي دده ، إن التعصيل
 من البريطانيين سوى العزيتين الخفيفتين التي ألقيها لأرميا في المشرق ،
 وحاصتا لجدان في ليب ، فقد أصدر الأمر في شباط (فبراير) إلى
 الجنرال كارو أن يجمع العدو لقل واحدة معها نحو إيران والقفقاس ،
 مما عتبط به الروس وشغل بال لاسكابر . ومنذ كانت قوات لأرميا قد

اشتبهكت من بعد في المركب ضد رومل ، فقد أرسلت إلى روسيا مجموعة المطاردة « نورماندي » ، التي أصبحت من بعد : فوج « نورماندي - نيمن » ، وأدت خدمات جلتي ، وكانت القوة الغربية الوحيدة التي تحارب على الجبهة الشرقية . وشاهدنا ، في الجبهة الماكنة ، مدرزة من خمسة عشر ضابطاً ولجواً من مائتي رجل محاربين ينزلون في لندن بقيادة النقيب بيلوت وكانوا قد هربوا من الأسر في ألمانيا ، واستطاعوا بلوغ روسيا ، ليسجنوا بها من جديد ، واطلق سراحهم بعد قليل من اندلاع الحرب الألمانية للسوفياتية ، فوصلوا عن طريق السيبرغ في قافلة عائدة من أرخانجيلسك .

وحيت من المدياع ، في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ أنباءت روسيا العسكري وأكدت التحالف الذي جددنا عقده معها في الحاضر والمستقبل . وفي شباط أوفد روحيه غارو الذي كان حتى ذلك الوقت وزيراً مطلق الصلاحية في إنمكوك ، وكان قد انضم إلى فرنسا الحرة ، أوفد إلى موسكو مندوباً عن اللجنة الوطنية . وقد مثل غارو فرنسا في روسيا طيلة ثلاث سنوات تمثيلاً مجدياً وواضحاً وقام فيها بحميم الاتصالات التي يسمح بها النظام القائم ، وجعلنا على علم واسع بما كان يجري فيها . ومنذ تسلم مهمته قابل السيد مولوتوف وفيتنكي : الأول مفوض الشؤون الخارجية والثاني مفوض مساعد الشؤون نفسها كما قابل السيد لوروفسكي ، وكيل الوزير . وهؤلاء الثلاثة بينوا له مؤكدين نية حكومتهم في عقد علاقات أوثق مما يمكن أن تكون مع فرنسا المحررة .

وفي شهر أيار قدم السيد مولوتوف إلى لندن ، وجرى بيني وبينه ، في ٢١ ، حديث معصق ، وكان يرافقه بوغومولوف ، ورافقني ديمان . وقد وجدت ذلك اليوم ، كما بالثاني من الأيام ، في السيد مولوتوف رجلاً بدا أنه ممد بكل ما اجتمع له من ظروف وصفات ، لأداء العمل الذي

وكل إليه . لقد كان وزير الشؤون الخارجية السوفياتية يقول ما
 بود أن يقوله برصانة ، وبصبي فائده وله خبرة حادة ، قليل الإشارة ،
 إلى ستعنة مندبرة ولكن دقيقة ، ونظرة مصونة إلى داخل ذاته .
 بيد أنه ما كان ليلقي شيئاً يظهر أنه عموي ، فلا سبيل إلى حملته على
 التأثير ، ولا إلى إصحاكه ، ولا إلى إعاضته . وإن المرء لبشر معه ،
 أية كانت مشكلة التي تخرج ، أنه يعرف مذهبها ، ويسمع العناصر
 الجديدة التي دخلت أحدث عليها بدقة لا تخطيء ، وبصوغ بالضبط
 وضعها الرسمي ، ولكنه لا يخرج عما كان قد أعد وقرّر من قبل
 وصدق أنه كان قد عقد من قبل لاتفاق الجرمانى السوفياتي مع
 رينستروب بالصلابة معها التي أتى به رض لأن يها ، لعقد الموائقي
 العربية . واعتقد أنني تعرفت في شخص مونونوف ، الذي لم يكن ولا
 أراد أن يكون سوى دودب أحكم صمعه وتركيبه في جهاز ميكانيكي لا
 يدور في غيره ، إلى محاج كامل أحرره النظام الاستبدادي ، وفيه حثيت
 عظمة ذلك النظام ، وانكسر تحت الكأفة التي يمتطي عليها ، أية
 صكبت ثقمره التي اصطلم بها انصاره على إحماء ما يكمن في قرارة
 لاشبه .

لقد تسبب من خلال حديثي في لندن إلى وزير الشؤون الخارجية
 السوفياتي على وفاق عمي حول ما ينبغي لحكومته واللجنة الوطنية أن
 تفعله كل منها للأحرى في الحال . فإن من شأن حرب الحرية أن تدفع
 حايقيها أميركا وبريطانيا على فتح حصة ثانية بأعمال ما يمكن في أوروبا
 ونؤازر ، من حصة ثانية ، بموقفها الدبلوماسي والعام ، روسيا السوفياتية في
 جهدها لتلك طوق العرلة الذي حصرت به منذ زمن طويل . وهذه من
 جانبها تساعد جهتنا في واشنطن ولندن لاعادة وحدة الامبراطورية
 والوحدة الوطنية ، فيما نحن نتابع الحرب . وهذا ينطبق على إدارة

أراضينا - مدغشقر مثلاً - ، على المشرع التي يقال إنها متوارية وهي في الواقع ، متمركزة في المخرج يبرزها الأكلو مكسون من وراء ظهورنا ، وأخيراً على حركات المقاومة في فرنسا إذ تملأ موسكو أن لاحق لأية حكومة أجنبية - حتى الحكومة للسوفييات - أن تصد أية حركة منها عن الادعاء بالجنرال ديفول أما في المستقبل ، فكان من المنطق عليه أن يتم التناغم بين فرنسا وروسيا حول بناء السلم . وقد قل لي السيد مونولوف : « ان حكومتي حليقة حكومتي لندن وواشنطن . ومن الجوهرى أن متعاون تعاوناً وثيقاً معها في سبيل الحرب . ولكن روب ترعب ، في أن يكون لها مع فرنسا تحالف مستقل » .

وما كان عهد فرنسا في توسيع علاقاتها بالتحالف واشنطن وموسكو ليمنح أن يكون مركزها قديماً على الدوام في لندن ، وأن تكون شؤونها الخاصة من عمل عسكري ، إلى ارتباطات بالوص الأم ، إلى دعوة ، إلى إعلام ، إلى مالية ، إلى اقتصاد أراضي ما وراء البحار ، جميعها ، وكأنها صدقة قسراً بشؤون تعريضيين . وقد نجم عن ذلك «السنة» التي ، أن يحتفظ معهم بعلاقات أوثق مما كانت عليه في يوم من الأيام غير أن اعتماداتهم كانت تزداد يلاماً لما بمقدار ما يرداد كثيراً ومع ذلك ، كان دخول روسيا وأميركا الحرب ، وهو بطوري «السنة» لاكثر بدورها ، على عهوديات تحالف مع حاربن ، قديلاً لأن يحتم عليها تقرب سياستها من سياستها ، وأن تمارس في صلاتها بنا تصامناً صريحاً للعمل في أوروبا ، والشرق ، وأفريقيا ، والباسيفيك . ونحن نتجيب صريحاً مثل هذا المعبر ، وكان لدينا الانطباع في بعض الأحيان أن بعض الحكام البريطانيين كانوا كذلك على استعداد لنقل التمييز .

ذلك هو شأن أمطوي ايدن ، فإن هذا الوزير الانكليزي آدمي ، ون ظل انكليزياً ، ما أمكن أن يكون وزير بريطاني ، بعضاً في

ابدهن وحشية أوروديين أكثر مما كالا العربيين في الحرير ، واستبدن
 أكثر مما ظهرا ، فربما هذا الولد لم يلد لآلة اليد الرطبة ، ابتون ،
 اكهورد ، حرب المحاصص ، مجلس العموم ، القورين أوغوس ، لم تكن
 كلها مما سهل ولوحه لمن يدور عدواً ومعدداً ، هذا دبلوماسي الذي
 بدر نفسه كلياً لمصالح بلاده لم يكن ، درني مصالح الآخرين ، وظل
 مهتماً بالأخلاق الدولية في حصص محمد عصرية الرينة ، لقد كان في
 أغلب الأحيان شأن ما مع السيد ابدين وكثرة هي الفصايا التي كان
 عليه ان نعالجها ، وكانت مزرعة إرعاعاً صريحاً ، وكنت أتعجب في
 معظم تلك المناسبات ، لا بل كان الامرح ، ومعرفة بالأمور ، وسحر
 تصرفاته وحس ، وانما بالاسلوب أيضاً الذي حواره في خلق جو من
 التعاطف حول المفوضة والآلة عليه ، ذلك الجو الذي يعزز الوفاق بين
 يمكن التخلص منه ويتجنب الالباءات المذرة حين يتصدر بلوغة . وكنت
 مقتنماً قدام كل شيء ، ان أنظر من ابدين شمر تحاء فرنسا بمررة خاصة ،
 لديها كان قد استقى حروماً كبيراً من ثقافته ، وكانت تدور لهذه السببي
 وكأها ضرورة لتوارن عالم تحتنا هذه المحدثات جميعها من كل جانب . وما
 كان هذا لرجل ذو القلب الكبير ليدع نفسه غير متأثرة أحياناً ، بويل
 أصاب أمة عظيمة .

لا أن يبات السيد ابدين الطقة لم تستطع ان تجعل من التحالف ردة
 بلا شك ، وامي لأفتر انه كثيراً ما عوكس في جهوده ، كان يلقى
 من خشونة وعوس ، ولكن الصعوبات لها كانت تقتصر من جانب
 البريطانيين على الأحص ، وتمثل في . حذر المورس أوفيس ، ومطامح
 المستعمرين ، ومبادئ السكرين ، ودسائس الانتدعاس . ثم ان
 علم لمدن السياسي من جهة ثانية ، رغم انه كان يحملته مؤيداً لفرنسا
 الحرة ، كان يخضع لتأثيرات ليست منه دوماً ، فقد كنت بعض

الأوساط المحافظة تنظر شزراً الى أولئك العربيين من ذوي الصليب اللوريني الذين أولعوا بالثورة وحديثها ، وهناك عناصر عمالية شتى كانت عكس أولئك ، تتعامل ما اذا كان يقول ورفاقه لا يدعون مربع المشيئة . وامي لا ارال اري السيد أنلي وهو يدخل مكنتي بهدوء ، يشدني التأكيدات التي من شأنها ان تخفف ما شغل ضميره كرحيل ديفرطي ، ثم يسحب وهو يتنسم ، بعد ان سمع مي ما سمع

كان كل شيء متوقف ، عند نهاية المطاف على الورير الاول وهذا لم يكن في سربرته ، قادراً على ارضا والتسلم باستقلال قرب الحرية . وكان السيد تشرشل ، عدا ذلك ، يعمل من خلافه وكأنه قصة شخصية ، في كل مرة تتصادم سبب من نصائح التي تنوي كل مما أمرها . وكان الخلاف يجرح شعوره ويحمره بدسة الصداقة التي تربطه لوحد ما بالآخر . هذه الحالات من الفكر والشعور ، يصف اليها نكتيكه السياسي ، كانت تلقى به في أزمات من المصعب تتر معها حالات اعتذاراً عنيفاً

وكانت ثمة اسباب أخرى تتعاون فيها بينها ، من جهة ثانية ، لفصل ذلك برحل الكبير مربع المصعب ، هون الانكليز كانوا يعدون في بعض الاحيان خطأً ومحباً هادئة شتت عليهم وقفها بمقدار ما كان العدو الذي يُبهرهم ، لا يملك دوماً التصوق لمدي ، وإن بدلوها خلال ذلك الدور جهوداً عديدة تنير الإغصاف ، ولا سيما في حرب المعاصات . ففي ١٠ كانون الاول (ديسمبر) أعرفت طائرات يابانية في بحر ماليزيا لمدرعة الرافعة ، برمس أوف ويدر ، والطراد الكبير ، ريمس ، قتل اب يتمكنا من طلقة مدفع واحدة . وفي ١٥ شباط ١٩٤٢ استسلم ٧٣٠٠٠ جندي بريطاني في سغانفورة بعد مقاومة قصيرة . وفي حزيران عظم رومل حسب الجيش الثامن وأرغمه على التراجع حتى أبواب الاسكندرية على الرغم من الوسائل الحديثة التي كدتها الانكليز في الشرق ، يسم

استلم الآن بسرعة يصعب تمريرها ، الثلاثة والثلاثون عاماً من الجهد الذي كان عليهم ان يصمدوا في طوق ويحموها . وكان السيد تشرشل يتدبر اكثر من اي شخص آخر ، نتائج هذه المكبات في سير الحرب . ولكنها كانت تؤله كالكليزي وكماحارب ، على الاحص .

ويجب ان نصيف هنا ان النقص في الاوساط الحاكمة ، لم يكن يرحوي عن ان يعرفوا اليه جميع قذمة حراء من العثرات البريطانية . وعلى الرغم من ان امكنترا برمتها كانت تتمسك بـ وستون تشرشل تمسكها بإسنان عينا ، فقد كانت تشر ، والبرلمان يستمع ، والادون تهمس ، والاندية تتسقل تقديرات كانت بعض الاحد ، نسبه اليه وتؤدي سمعت . ولحم عن ذلك كله ان السيد تشرشل ، يكن يجسد معه ، خلال لاشهر الاولى من عام ١٩٤٢ ، دا مراح يُلطف ولا سأي عن التور ، ولا سيا تجاهي

واسير ، وزعب كان لاهم في ذلك كله ، ان الورير لاون اتخد قاعدة لساوك ، وهي ان لا يقوم بعمل دي احمية ، الا بالاذن مسيع رورفلت . وادا كان يماي اكثر من اي اسكليزي آخر ، 'عسر' أساليب وشطن ، وادا كان يتحمل بعض حانة الخسوع ابي وضع بها عون' الولايات المتحدة الامراطورية البريطانية ، وادا كان الشعور بالمررة يخالجه إراء لهجة الاستعلاء التي اتخدم الرئيس الاميركي تجده ، فانت السيد تشرشل كان قد قرر نهائيا ان يدعي ، بليه عليه التحالف لاميركي ثم إنه لم يكن يرغب في ان يتعد تحاه هربسا الحرة موقفا مدحهم على نحو حاسم مع موقف السيت الابيض . ومد كان رورفلت يُظهر له غير وثق من اخبر ل ديمول ، فان احتمال التعمظ من جانب تشرشل ، حد وارد .

كان الورير البريطاني الاول منذ وصولي الى لندن في ياول (سبتمبر) ١٩٤١ ، على جانب كبير من صيق الصدر ، إذ كان مزعجاً لما جرى

بيسا وبين سكلترا في سوريا ولبنان . ونهب به السخط ان حد كتب لي معه في ٢ ايلول انه لا يرى في الوقت الحاضر من المفيد ، نظراً لموقعي ، ان تتلاقى وأدلى في مجلس العموم ، في ٩ ايلول ، بتصريح يثبت على القلق صحيح انه اعترف ان وضع فرنسا في المشرق كان متميزاً خاصة ، من بين جميع الدول الأوروبية . ولكنه اخذ على عاتقه الاضافة ، وانه لم يكن وارداً ان تحتفظ فرنسا في سوريا بالمركز نفسه الذي كانت تحتله قبل الحرب . وانه لا يمكن ان يكون المراد حتى في اوقات الحرب ، مجرد احلال مصالح الفرنسيين الاحرار محل مصالح فرنسي . وكان يرافق السيد تشرشل ، كعادته ، لورده مسج في العلاقات الفرنسية البريطانية . وقد تظاهرت حكومة لندن طوال عدة أسابيع ، ان ليس لها مع أية دولة في أي شأن ، وأنها أعانت دولنا ابوابها عما حدث في من حربي ، على تطبيق كل اسهام الفرنسيين في مذباغ لندن . غير ان عودة العلاقات ، مع ذلك ، سرعان ما تلت هذه المناشات ، حسب ابقاعها المعتاد ، ففي ١٥يلول جرى لي حديث مع السيد تشرشل انتهى جيداً بعد ان بدأ سيئاً ، إذ أكد لي في ختامه ان سياسة حكومته تجاه المشرق ، ظلت كما احدثت في تفافان، التي دفدت في القاهرة .

وأردت ان اكون مطمئناً في سلامة موقعي ، فتقابلت السيد إيدن عدة مرات في تشرين الاول وتشرين الثاني ، ونشبت لي ثروة أوصحت الجوهري وركوكه ، فقد اعتزعت اسكلترا ان الانتداب ما زال قائماً وان الجيرال ديفول يمارسه الى ان يستعاض عنه بمعدات يصدق عليها قانوناً ، حسب تشريع الجمهورية الفرنسية . اى في الواقع ، بعد الحرب ، وصلت ان اعلان استقلال سوريا ولبنان من قبل فرنسا الحرة لا يميز هذا الوضع الحقوقي . ويمكن من المفهوم ، عسداً ذلك ، ان تفافات

نيتلتون - ديمول تظل الميثاق الأساسي الذي تقوم عليه العلاقات الفرنسية
البريطانية في الشرق .

والواقع ان اسكتلرا ، وإن عاكت قرار استقلال كل من سوريا ولبنان
قبل اتحادهما ، فقد عمدت إلى التكيف معه منذ اتخذ ، وعرفت ، للجمهوريتين
ورئيسي الدولتين اللذين انتقاه معهما أقام الخبرات كاترو في ٢٧ ايلول
استقلال الجمهورية السورية وسيادتها برئاسة الشيخ فاج الدين ، واستقلال
الجمهورية اللبنانية وسيادتها برئاسة السيد ألفرد بقدش ، في ٢٦ تشرين
الثاني . وكنت قد وحيته مذكرات متوالية ، من جهة ثانية ، إلى الأمين
العام لمعصنة الأمم في ٢٨ تشرين الثاني ، و ٢٩ منه إلى الحكومة الأمريكية ،
و جميع الدول الحليفة ، كما لتركيا ، بيت فيها الاجراءات التي تشغلت
باسمي في سوريا ولبنان . وقد ورد في تلك المذكرات ، وهذه
الاجراءات لا تؤثر في الوصف القانوني القائم عن تلك الاضطرابات ، والذي
يجب أن يستمر حتى عقد موائيق دولية جديدة . ولم تعد الحكومة
البريطانية أي اعتراض على هذه البيانات ، بل إنها هي التي اقترحت
القيام بها .

كان في الامكان الاعتماد إذن ان المسألة هذه 'سويت' ، أي ن تضع
الحرب أوراها ، على الأقل ومدة كنت حذراً كل الحذر ، حرصت على
أن اكتب بيدي إلى معوصيتنا العامة في الشرق ، ان من رأيي و إراء
انصاعب التي تلافيتها اسكتلرا في الاقطار العربية ، وهي تعاني مثلنا الهم
في ن تشهد شعور التنصير يسود أكثر دولتين سلاميتين ، ويحصل عمل
المافيات المسكنة التي سادت الماضي ، ن ن تتعجب كل ما من شأنه
ان يريد في مصاعب طامنا ، وان لا يهمل شيئاً يستحق عنايتهم مهتهم ،
وذلك يتعاون محض ، والابقاء في الوقت ذاته على مركز فرنسا وحقوقها
سليمة ، مصانة . وكان هذا لسوء الحظ ، اعتماداً على شيء لا وجود

له . وواقع الأمر ان السياسة البريطانية مستمرة في التزم به دون ان
تتغير نظرياً في انه حق .

والواقع أيضاً ان أحداثاً منكرهه أحدثت تحدث في الشرق من شأنها
ان تبقى الخصام العربي - البريطاني على ما كان عليه . وهذا ما جرى
في تجريد - غير مشروع - لقرعة فرنسا دورية من قبل الانكليز ، وكانت
دعوات المدحوصة طعناً لإعلان حالة الطوارئ من نفاق بهم ، أي
الاستيلاء على السلطة في الجزيرة ، حيث بدلت اضطرابات نتيجة التمرد في
العراق وهذا ما جرى في تدخلهم لاعتدائي في عمليات مكتب التمتع
الذي امتد في المشرق ، وكثروا بلعون في لاسهم به عدة التل إلى
الادارة المحلية وتأثير فيها وهذا ما جرى في التهديد - الساطل من جهة
أخرى - الذي وجهه الجنرال ويلس ، بطرد بعض الموظفين الفرنسيين الذين
لم يرقه مسلكتهم وهذا ما جرى مع سمر في الموقف الذي تحده اد
كان يدي بتصريحات عدائية ، وتطوي عن التهديد ، ويتدخل دوماً في
علاقات مفوضيك العامة بحكومتى دمشق وبيروت

كان الجنرال كاترو يمارس الرضاة والحكمة في سياسته ، فهو ، وان
ظل راعاً إلى المؤلفة ، وتدارل للانكليز بأكثر مما كنت أريده أن
يعمل ، كان يجد معه أمم تدخلات تتحدد في كل لحظة ومن هنا ،
كان ذلك اتفاق الذي لا يقطع في المشرق ، وذلك بتدريبات الشافه
المرهقة دوماً في لندن .

وحده الصعد البريطاني خلال أيار ١٩٤٢ ، في الحصول على إحراء
اتخذت عاجلة في سوريا ولبنان ولم تكن لجنس الوطنية لتعرض ،
بطبيعة الحال ، في استفتاء شمس ينبثق عنه حكومات تمثل حقيقة البلاد
تمثيلاً كاملاً . والذين كانوا يحتلون مراكز السلطة ، ي وضعهم فيها
بصفة انتقالية ، وذلك ما كان في دمشق خاصة وقد أسعت من حاسي

ن لا يكون لرئيس هاشم ملك قد استأنف القيام بمهام منصبه ، بد
أت قدرنا ان من المناسب ان تنتظر انتهاء الحرب ، ليجري استئناف
السوريين واللسانيين ، أي الوقت الذي تجدد به الدولتان بعسبهما في أوضاع
طبيعية ، وتحف أتمه نعتنا كمتدين ومدافعين ، ويكون الانكليز فيه
قد استمدوا عن اللاد ، فلا يُثقل وجودهم عمليات الاعتراع . ومع ذلك ،
وعد الحمرال كاترو السيد كاري الذي ألج في الصمط ، وكان قد حن
عن السيد لينتون في القاهرة ، كورير للدولة البريطانية وعده كاترو
بإحراء نتجبات قريه ، ونشرت الصحف ذلك في الحال . وكان علي
ان انكيف صبح هذه التسمية ، ولكي أشرت في الوقت بمسه دنأحيل
التصية ، وكان من السهل نؤ بان هذه لماسة ستكون بعد ذلك اليوم ،
يدوعاً لا يصب ، للمصادمات الأمريكية البريطانية .

وسيكون هالك مصادمات أخرى في امكنة أخرى ، فقد كات
حلفاؤنا بلمون حول حيوتني لعة مزدوجة ، اد فكوا احصار لبحري
عسبا ، في لوقت نفسه الذي تركوا به فوندا الصميرة فوج المقدم يونون ،
والمهاريين ، تنبع الحصار المري ، فكانت تصل ان تلك المستعمرة المؤن
امطولة تصبة دعاة لانظر ، من عدن على ظهر قارب عربية ، ومن
مدعشقر في غوصات أو في سمبة لحرب « ابرهيل » . ولكن الانكليز
كأوا في هذه لائء ، بدأوضون النجاشي لافد معاهدة تصع لحشة تحت
وصانتهم وكان العمل الذي يقومون به في أدبس آباء يفسر جهودهم تجاه
حسوتي ، اد لو استطاعت فرمسا الحرة بمؤاررتهم ، ان تتحكم من ضم
الصومال العربي ليها عى وجه السرعة ، والتصرف بها ، وماتالي ملرفاً ،
وسكة الحديد ، والقوة لمهمة المقيمة على أرضها ، لكان في وسعها ان
تقدم نفسها للعبشة المهد والامن اللذين كانت هذه في حصة اليها . وعلى
العكس ، لما دامت فيشي تحتل ذلك الموقع ، فإن البريطانيين هم الذين

كما يقصون بأيديهم وحدها على مصير الامر طور وولاياته

ذلك هو السب الذي لم تتفكر معه عاصفون بالوفاة من ان يحبس
الحصار بالمصروب على المستعمرة فعلاً ، ولا هو توصل ايضاً الى حمل
الانكلير والاحاش على عقد اتفاق ثلاثي بدلاً من ثنائي . ومع ذلك من
نشاطه وشدته حربية المقدم آتير ، آمر المفرزة ، وشاسيل بدلوها في
الثبات في بيروت ، أعداء التبعة التي تلت إعداداً مفيداً فقد كان
من شأن ارواح التي أقاموها مع مختلف المناصر الفرنسية في حيواني ،
ثم مع السكان الاصليين ، والدعوة التي قدموا في الدشرت وديع ،
وصلاتهم باعتراف بلات ، من جعلت من انصاف الصودال في اليوم الموعد ،
حادثاً شكلياً ثم اهم كبر يقومون في أدس آراء ، من جهة أخرى ،
تمثيل فرد ، د حذفت حقوقاً بسكة الحديد ، واستطاعت معاهدة
الدينية وديعية التي أنقذها لاحتلال ليطاي من قبل ، أن تتصد
بشائها ، وفتحت معوصية فرنسا أنوارها . وكنت ، وما أديب اوقت
لمصر على يد الانكلير ، أشاهد الثمرة وهي تنضج على ساحل البحر
الاحمر .

ولكن ها هو تدخل الانكلير في حره آخر من الامبراطورية ، يظهر
فجأة ، ويحتمي في درره السعد وعلق . ففي ٥ أيار ١٩٤٣ ، رن
هاتف احدي وكالات الصحف ، وأعلي في ساعة ٣ صباحاً ان أسطولاً
بريطانياً أرسل حرداً في (ديمو - موارير) . لقد حتل حله مؤناً أحد
الممتلكات الفرنسية ، حتى من غير ان يستشعرونا !

كنت أجهد ، منذ وقعة برل ، ربور ، أن أعالج ، بعدد الخطوات ،
قضية التحالف مدعشقر بحكومة لندن ، من احتاج في ١٥ كانون الأول ،
«جنرال بروك رئيس الاركان الامبراطورية العامة» الى رسالة موحدة في
١٦ منه الى السيد تشرشل ، الى مشروع عملية أودع في ١١ شباط

الرئيس البريطاني الاول ، والجنرال بروك ، والمفاوض السامي في الاتحاد جنوب افريقيا ، الى رسالة جديدة للسيد تشرشل في ١٩ شباط ، وحيث ان مذكورة عحة لقيد إيدن في ٩ نيسان وقد اقترحت في هذه الوثائق جميعها ، القيام بعملية سريعة يؤديها لواء فرنسي حر يول في ماسنفا ، ويحمل على ثنائيات عديدة البريطانيين الجوية ، إذا حدث ان كانت هذه ضرورية ، سيسنفا يقوم حللهاؤنا بعملية إنقاذ في محاصرة ديبغو من البحر . وطالت ، من جهة ثانية ، ان تتولى اللجنة الوطنية إدارة الحرية .

ومد كان الاتحاد جنوب افريقيا يبدو في ، خلال تلك الفترة ، انه يتم بحث الأمر عندنا ، فقد رحلت التحرري المشروعات المهمة التي تعدت حكومتها بريندوريا ، وأرسلت إليها في أواخر ١٩٤١ المقيد بشكوف كمدوب لمرتب الخمر . وكان من شخصيه شكوف ان سمعت الجنرال سمطس ، وحدثت أنه إذا كان لنحو سوي دخول الميدان ، فإن وريوه الاول لن يحمي ذلك على حدودي الشارع الامين . وأخيراً ، ذهب في آذار الصيف الجنرال سمه ، مفوض بر رافيل السامي ، في زيارة الى افريقيا الجنوبية ، وخرج من محادثاته مع سمطس ولوررا ، بالانطباع ان للاتحاد معه ان يقوم بعمل في مدغشقر . كان عليّ إيدن ان أبدل حمدي في لندن ، وأذا مقتنع بأن ليس ثمة من يحارب أدارها .

الواقع ان دخول لمان الحرب كان يبدو مدغشقر . وكان علينا ان نتوقع زكراء جيش من قبل الاذن ، عاجلاً او آجلاً ، على ان نترك في أقل تقدير ، للضائقات المالية المصيرة والفواصات اليابانية استخدام قواعد مدغشقر ، وشأن ملاحقة الخلفاء في عرض البحر ، جنوب افريقيا .

كنا على علم دقيق وكان مأخوذة ذهبية التي تعود الحرية ، عن

طريق المتطوعين الذين كانوا يتمكنون ، من وقت وآخر ، من التغلّب منها ، ثم عن طريق الفس التي تمر بها . فقد استغسلت اهدنة هيبت اول الامر باستيلاء ، وكان في استطاع الحاكم العام دي كوتيه آنذاك ان يلتحق بفرنسا الحرة من عبر عماء ، لو انه اقبح تصريحاته الخاصة بالعمل ، ولكنه لم يفض في تصميحه ، فقد وضعت فيشي لتوها ، وكلاهما عمله ، وأعان هذا قائد الطيران حوبو ، فصرف همه الى إحماد روح المقاومة ، قبل ان يخلي هو نفسه مكانه للحاكم العام «آنتيه» ولو ان بيتان أمر بترك العمل للياسيين في الحرية ، لكان قبول بالطاعة والإذعان ، وكذلك اطيع لو انه أمر بمقاومة إرغال حليف ولا سيد للأكلو - سكسون في يوم قريب من تأمين جانب الحرية ولكن نظراً للحوف من التقليدي وراء السياسة البريطانية ، كان كل شيء بنفسه آنذاك ، ن تكون فرنسا الحرة حاضرة في العملية .

يمكن ادن فهم المصوم التي كانت تنبئ من حراء اساليب الانكليز ونصرهتهم . وكان يريد فيها ، ن واشطن شرث ملاعاً ، في اليوم نفسه الذي تم به المصوم على ديفغو - سواريز تمل به أن « الولايات المتحدة وبريطان العظمى على وفاق في شأن إرجاع مدغشقر الى فرنسا ، حين لا يعود بعدها احتلال هذه الجزيرة جوهرياً لفصية الامم المتحدة ، لمشركا » . اما الآن ، هل نترج مدغشقر من فرنسا ، بانتظار ما يأتي به استقلال ؟ ثم بأي دولة سنلتحق ، ، إن لم تكن اكلو - سكسونية ؟ وما يكون من امر مشاركة الفرنسية على ارضها ، في الحرب ؟ وما الذي يلقى فيها من سلطة فرنسا في المستقبل ؟

كان عليا ان نتفقت من هذا المأرق الحرج ، فانتظرت محمداً سنة أيام لأتصل بالسيد إيدن تلبية لطلب . وكان ان اظهر الوزير البريطاني ، بعض لارته ، خلال حديثي اليه الذي جرى في ١١ ايار ، وقال لي :

« إذا أُعْهِنَ لَكَ أَتَا لَا نَرْمِي إِلَى أَيِّ غَرْضٍ فِي مَدْعَشَقَرٍ » وَإِنَّا لَنَرْغَبُ فِي أَنْ تَسْتَمِرَّ بِهَا الْإِدَارَةُ الْمَرْئِيَّةُ عَلَى أَدَاءِ مَهَاتِمِهَا فِيهِمَا ، هَذَا .
« أَيْ إِدَارَةُ مَرْئِيَّةٌ ؟ » . وَقَدْ قَهَمْتُ مِنْ مَطَارِحَاتِ السِّدِّ إِيدَنْ أَنْ الْإِسْكَلِيزِ يَحْطِطُونَ لِلْمَعَاوِضِ مَعَ الْحَاكِمِ الْعَامِ آتِيهِ لِإِدَامَةِ وَصْعٍ مِنَ التَّعْدِيشِ بِتَرْكِهِ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى حَالِهِ فِي مَدْعَشَقَرٍ ، لَقَدْ بَقِيَ الْخَلَاءُ فِي دِيْبَعُو - سَوَارِيرِ وَيَشْرَهُونَ عَلَى مَا بَقِيَ مِنَ الْجُرِيرَةِ .

صَرَحْتُ لِلْسَيِّدِ إِيدَنْ أَنَا بِمَعَارِضِ هَذِهِ الْخُطَّةِ ، وَقُلْتُ لَهُ : « إِمَّا أَنْ تَقْصِي إِلَى هَيْأَةٍ ، وَتَكُونَ لِلْبَلَدِ تَحْيِيدَ أَرْضِ قَرْيَتِهِ بِصِهَابَةِ الْخَلَاءِ ، وَهَذَا مَا لَا يَسْلَمُ بِهِ أَمْدًا ، وَإِمَّا أَنْ لَا تَحْلُصَ إِلَى عَائِيَةِ ، وَيَصْرَحَ مَسْ رَاحِكُمْ حِلَالِ بَضْعَةِ اسْمَابِيْعٍ ، أَنْ تَشْرَعُوا وَحَدِّكُمْ دَاحِلَ الْحُرِيرَةِ فِي حِمْلَةٍ لَتَتَّخِذَ مَظْهَرِ عَرُوقِهَا . وَيَدْوِي ، مِنْ حِمْلَةٍ أُخْرَى ، جِدَّ يَحْتَمِلُ ، نَ هَذِهِ الْمَرْئِيَّةُ الثَّانِيَةُ هِيَ الَّتِي سَنُحَقِّقُ ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ سَيُكْرَهُونَ فَيُشِيْ عَلَى مَحَارِسِكُمْ » . وَاعْتَرَفَ السَّيِّدُ إِيدَنْ قَائِلًا : « إِمَّا أَنْتَ غَرْضٌ فِي الْوَاقِعِ مَشْرُوعًا بِوَشْكَ أَنْ يَتَمَقَّدَ كَثِيرًا . عَيْرَ أَيِّ فِي مَوْقِفٍ اسْتَطْبِيعَ أَنْ أُؤَكِّدَ بِكَ بِهِ نَ حَكُومَتِي تَرْغَبُ وَتَحْسَبُ اسْمَكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَسْتَعِيدُونَ ، آخِرَ الْأَمْرِ ، سُلْطَنُكُمْ عَلَى مَدْعَشَقَرٍ ، وَلَحْزَ عَمَلِي اسْتِمْدَادَ لِلتَّهْصِيْحِ بِهَذَا عِلَابِيَةِ » . وَتَمَّ التَّعَامُّ عَلَى أَنْ تَشْرَ وَرَارَهُ لِنَدْنِ بِلَاءًا بِهَذَا دَعْسِي ، وَهَذَا مَا قَدِمْتُ بِهِ فِي ١٤ آبَارٍ (عَابِرٍ) ، مَصْرُوحَةٍ : « عَيْرَ يَحْصِ مَدْعَشَقَرُ مِنْ نِيَّةِ حَكُومَةِ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ أَنْ تَقُومَ اللَّجِيَّةُ الْخَطِيئَةُ الْمَرْئِيَّةُ كَمَثَلَةِ لَمْرَسَا لِمُحَدَّرَةٍ ، وَمُظَرًّا لِمَعَاوِضِهَا مَعَ الْأُمَمِ الْمُتَعَدَّةِ ، فَالَّذِي يَحْدُورُ الَّذِي يَعْبُودُ إِلَيْهَا فِي إِدَارَةِ الْأَرْضِ الْمُحَرَّرَةِ » .

كَانَ فِي ذَلِكَ تَعَهْدٌ مِمَّنْ مِنْ حَانِئِ الْإِسْكَلِيزِ ، اسْتَشْهَدْتُ بِهِ عِنْدَ التَّعَدُّثِ مِنَ الْمَدْبَاحِ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ، وَأَظْهَرْتُ ، لِقَاءَ هَذَا التَّعَهْدِ ، ثَقْفِي بُولَاءِ الْخَلَاءِ ، عَيْرَ أَيِّ رَفَعْتُ عَلِيًّا كُلَّ نَسْوِيَةٍ حَوْلَ مَدْعَشَقَرٍ ، مَصْرُوحًا

أن إرادة فرنسا هي التي تلي أن لا تتحرراً امبراطوريتها ، ولا تكون محايدة . وأضمت « إن ما تريد فرنسا » هو أن توحده فرنسا المحاربة الجهد الرسمي وتظهره في الحرب بجميع أشكاله وفي جميع الحالات ، أن تؤمن تثيل حقوقها تجاه الحلفاء ، كما تؤمن الدفاع عنها ضد الأعداء ، أن تحافظ على السيادة الرسمية وتقدر شؤونها في أراضي فرنسا السني حُررت والتي ستتحرر ، وأحررت قائد القوات في أفريقيا الاستوائية ، في ذلك اليوم معه ، أن بعد عدة لواء مختلط ويضمه على أهبة التوجه إلى مدغشقر .

إلا أن وعود الحكومة البريطانية وتأكيداتي الخاصة فيما يتعلق «دور القفل لأهبة الوطنية » كانت تفترض أن الحل «وضع مسألة لم تكن محلولة ، إذ بقيت فيشي في الواقع ، سيده الحرية برمتها تقريباً ثم تبين بعد قليل ، أن البريطانيين دخلوا ، وقد حصرنا جهودهم في الاستلاء على ديفو ، في مفاوضات مع الحاكم العام آتشي ، وأن « تنظيمات » أفريقيا الشرقية أرسل ، في الوقت نفسه ، زمرة من العملاء إلى الحرية يفودهم استمر لاش . وكانت هذه التدابير تثير عكس ما تريده فرنسا حرة ، فقد تأخر من حرارتها دخول مدغشقر ميدان القتال ، وفقدت سلطة « آتشي » ، وتقدمت انقسام الامبراطورية ، وكانت أخشى ، هذا ذلك ، عمل الزمرة البريطانية الذي يكرر أن تدرسه على محورها رأياً اسوياً عراسه في الشرق ، وجيبسوني ، وأحدثه . وثمة حدث مرعب حدثت حديثنا هذه الدليل الموري ، وذلك أن شكوف الذي أردت يعساده إلى ديفو - موارد ليطالني على ما يجري فيها ، أصبح من السر .

وهكذا ، كانت هناك عيومت مرمدة تبسط ظلها الثقيل على العلاقات الفرنسية - البريطانية حوالي مستهل حزيران (يونيو) ١٩٤٢ . وكانت تضاف تدابير أخرى فتأكد بها محاولتها ، إلى جميع الأفاعيل التي كن

يكثُر الانكليز من اتيانهم في سوريا ، والصومال ، ومدغشقر ، اد راحت بعثة بريطانية يديرها المستر هرايك في الشاطئ ، لذهبي تقسم بانصالات عامصة حمية مع اهالي الاراضي العربية في نطاق البحر ، وفي الوقت ذاته ، راح الجنرال جيمارو القائد الأعلى في افريقيا العربية يحيطر الحثاثة العربية الحرة في ماثورست وهرتاون ، ان عليها ان تعادر البلاد . ومد كنت أنا نحد استعداداتي لرباره ايبيا في حولة فتنس بها قواتنا ، فقد تلقيت من الحكومة البريطانية طلباً عاجلاً شاحيل سفري ، وكن هذا يعني ان وسائل السفر لن تقدم بعد لي . وفي لندن ، راح الحكام ، والموظفون في الدوائر ، وركن الحرب الانكليز يحبطون انهم بحو كفيف من لدرية ، ان لم يكن من الحذر .

كن أكيداً أن الانكليز سكون شرعوا في وضع خطة لعامة واسعة على المبدأ العربي ، وقد أقام الجنرال مارشال رئيس الاركان العامة للجيش لاميركي ، والاميرال كبح القائد الأعلى للأسطول الأطلسي في لندن طول شهر ايار ، ومما يتحصن لقائي . ومع ذلك ، كنت فرنسا بممتلكاتها ، وسكانها ، وقواتها ، تدرج صمماً في كل ما ينوي الخلفاء ان يقوموا به من مشايح ظاهرة . ولكن مما لا ريب فيه ان ثمة فكرة ترمي الى إبعاد المصير العربي الناشط قدر الإمكان ، وهو فرنسا الحرة ، والتصرف بأراضيها ومادتها قطعة قطعة ، ورواها الإعادة من ثمنها ذاك لوضع البلد لها وهكذا ، على أنف من بممتلكاتها . وقد آن أوان الرد على هذه التحركات . كان الواجب يقضي ان سين للخلعاء ان فرنسا الحرة إنما وقعت في مصكرم لتدمج به فرنسا ، لا لتغطي ثغراء الأمة العربية هذه المادى والاعتداءات التي يفرها الخلفاء على حسابها . وقد اجمعت اللجنة الوطنية على هذه الفكرة ، بعد مذكرة مؤثرة ومعمقة .

وكان ان كلفت في ٦ حزيران ، السيد تشارلس بيك ، وهو دبلوماسي مختار أوقدته اليينا الصوريين أوميس ، ان يطلع السيد تشرشل وليدس على موقعنا ، وقلت له : « إذا كان على فرنسا ان تخسر اي شيء مما يخصها في مدغشقر ، او سوريا ، او اي مكان آخر ، بعمل حلفائها ، فإن تعاوننا المباشر مع بريطانيا العظمى ، ومن المحتمل مسح الولايات المتحدة ، لا يبقى له ما يبرره . يجب علينا ان نصنع له حداً وهذا يعني عملياً ، ان نتجمع في الاراضي التي انصمت لها او التي منضم ، وان منابع الكفاح ضد العدو بكل ما في وسعنا ، ولكن وحدنا ، والحساب ، . وأبرقت في اليوم نفسه الى إسويه ولوكسبر في جنس ، والى كاترو ولارميا في جانب آخر ، لأطلعهم على هذا القرار وأدعوم للاعداد له ، وأوصيتهم ايضاً ان يحطروا بمضي الحلفاء الذين انتدبوا لديهم ان ذلك هو ما قررت عليه هزيمتنا .

ولم تفتظر النتيجة لتظهر ، فقد دعاني السيد تشرشل لمقابلته في ١٠ حزيران ، وقضينا معاً ساعة ملأى ، إذ تناول الوزير الاول قصيدة مدغشقر ، بعد الشاء الدلع الذي اعدقه على القوات الفرنسية التي تعرفت وبررت في معركة شر حكيم . وأقر مخلصاً ان لفرنسا الحرية ما يور تخفيف حركتها في الظروف التي نعدت بها العملية ، وأكد : « ولكنا لا نضر أية خبيثة في شأن مدغشقر . اما ما سوي القيام به في المستقبل ، فإننا لا نعرف بعد عنه شيئاً . الحرية حد كبيرة . وريد ان نمر على تسوية ما حق لا نصيب فيها ، . قلت له : « إن ما يريده نحن ، هو ان نضم مدغشقر لفرنسا الحرة وتدخل ميدان الحرب . ولذلك ، نحن اليوم مستعدون كما اقترحت عليك امس ، ان نزن فيها جنوداً ، . واجاب الوزير الاول : « لست حليقي الوحيد ، وكان يلح لي بذلك الى ان واشطن تمارض مساهمت . وما كنت حقاً لأشك في ذلك .

وافقت" اتتياه السيد تشرشل بالحاج ، إلى الخطر الذي يدهم تحالفنا في بعض التصرفات إزاء الأباطورية العربية ، وغداً إزاء فرنسا نفسها ، فأظهر الاستنكار حينئذ من منته ، ثم اندفع فصاحة وصرخ . " أنا صديق فرنسا ! كنت دوماً أريد ولا أزال أريد فرنسا " عظمت ذات حسن عظيم . وهذا ما يجب ان يكون من أجل اللام والنظام ، وأمن أوروبا . وما كانت لي قط سياسة غير هذه . " أجبته : " هذا صحيح ، وكان لك حتى الفصل ، بعد هدنة عشي ، في الاستمرار بالاعتماد على فرنسا وإبلائها للثقة . ولكن حذر الآن أن تخسر هذه الورقة التي تدعى ديقول ! إن ذلك سيكون أكثر عيباً مما أنت فيه اليوم وقد أفلحت سبيلك وعدت فيه فرنسا الحرة روح القسارمة الفرنسية وإطاراتها . "

وتحدثنا عن رورفلت وموقفه مني ، فقال السيد تشرشل : " لا تلتزم في شيء ! أنظر إلي كيف أنشئ ثارة وانتصب ثارة ، فاندبت هذه الملاحظة . إنك لفادر على ذلك ، لأنك على رأس دولة وطيدة الأساس ، وأمة متراصة ، وأباطورية موحدة ، وجيوش كبيرة . ولكن أنا ! أين هي وسائلتي ؟ ومع ذلك ، أحمل على كامل ، كما تعرف ، عبء مصالح فرنسا ومصيرها . وإني لصب جد قليل ، وأنا فقير لدرجة لا أقوى معها على أن أحسي رأسي ، وختم السيد تشرشل حديثنا بظاهرة من التائر والود . " إن لدينا بعد عقبات كأداء ينبغي أن نتغلب عليها . ولكن سيكون يوماً ما في فرنسا . وربما يحدث ذلك خلال السنة القادمة . وعلى كل حال ، سيكون فيها معاً . " وشيخني حتى بلما الشارع ، وهو يردد : " لن نتخلص منك . تستطيع ان تعتمد علي . "

وحده السيد إيدن بدوره ، بعد ثلاثة أيام من هذا الحديث ، في تحديد التأكيدات المرحية حول تجرد بريطانيا عن كل مآرب في الأباطورية

الفرنسية عامة ، ومدغشقر خاصة . وأخبرني ان « أمر اللواء » لاش
استدعي ، ون في استطاعة شكوف ان يسافر ، وقال بحماسة :
« نحن على ثقة بي اننا نتمس السير معاً بدأ بيد لإعداد الجهة
الغربية » .

وظلت الأمور إذن متعلقة ، على نحو موقت . ومع ذلك ، فإن
التحذير الذي تقدمنا به حظي بأذان صاغية . وأصبح الموقف البريطاني
الاعتباطي نجده أمراً طوريئنا ، محصوراً في حد لا يحتمل بعد اليوم أن
يتجاوزهُ ، إلا في الشر البادر . كانت هالك فرص لاطمئنان الخواصر
حول القضية السورية ، فخل الوصول على الانضمام ، لأن يرفرف صليب
اللورين يوماً ما فوق مدغشقر . وأصبحت أشعر بوصوح ، كما لم أشعر قط
من قبل ، أن سكلترا لن تتحول ، آخر الأمر ، عن تحالفها معنا .

كانت المسرحية التي 'نشاهد' فيها فرنسا الحرة وهي تستعيد مكانة
فرنسا في مائة فصل متنوعة ، ترى الحكومات اللاحقة في بريطانيا العظمى
من بين مشهدين الأكثر اهتماماً وتحمساً ، وقد اتسعت حلقة تلك
الحكومات عام ١٩٤١ بوصول منك اليونان ووزرائه ، ثم ملك يوغوسلافيا
ووزرائه . وكان ما يحدث لفرنسا في نظر هؤلاء وأولئك موضع اهتمام
شديد ، هم وقد أخذ منهم في بلادهم أشياء كوبلج ، وأُهبوا على أيدي
هؤلاء الذين اعتصموا مراكزهم ، يشعرون ان فيشى بعيدة إليهم في قررة
بهمهم ، إذ كان موقفها حجة في أيدي المتعاونين مع الأعداء في ديارهم .
ثم إهم كانوا من جهة أخرى ، وإن لم تكن سيادتهم موضع راع لدى
الدول الكبرى الخليفة ، يعانون المصير الأليم الذي يصير إليه الصعد
اد يُسلم أمرهم للأقوياء . وما كان أحيراً ليحاجلهم شك في أن هوض
فرنسا شرط لتوازن أوروبا واتزان مستقبلهم نفسه . ولذا ، كانوا يشهدون
العمل الذي قامت وتقوم به فرنسا الحرة في سبيل تركيز استقلالها ، وهم

يستشعرون عبطة خفية ، وكانت الآدب الصاغية التي تجدها لديهم تجعلها في الشراح لا مريد عليه لمستريد .

وما كنا لنفعل ، مقابل ذلك ، عن عقد أوثق الصلات مع هذه الحكومات المخرجة من أراضيها ، ولكر لها تمثيلاً رسمياً ونفوداً واسعاً في كل مكان من العالم الحر . وكان ديجون ورملاؤه في اللجنة الوطنية يتصلون برؤساء تلك الحكومات وموظفيها ، ويتعامل أعضاء أركانها العامة ، ودوائرنا مع زملائهم فيها . وكنت أنا نفسي أقابل رؤساء الدول وكبار المسؤولين .

وكنا نكسب الشرف ، ونعيد من هذه الزيارات والمبادرات ، إذ ان علاقاتنا كانت مع رجال من ذوي القيم الرفيعة ، بيد اننا كنا نلتقي ورء المظاهر الرسمية ، هاتيك المآسي التي غمرتهم بها الهزائم والمذابح . لا ريب ان هذه الحكومات التي استمرت تدبر جهاز السلطة ، كانت تجهد في التظاهر بالهدوء والاطمئنان . ولكن كل واحدة منها كانت تعاني في قراراتها مأساتها الخاصة التي ترقبها ، في بحر ان من المصوم والأوصاب .

والحقيقة ان حكام البلدان الغربية ما كانوا يشكون ، ان بلادهم مستحرة ، منذ دخلت الحرب روسيا والولايات المتحدة . ولكن بأية حال ؟ ذلك ما كان يشمل مال الذين يتحدثون الي من الهولنديين ، والبلجيكيين ، والنوكسمورغيين ، والنرويجيين . وكان حكام البلاد الواطنة (هولندا) يشهدون جميعهم بقنوط امراض طوريتهم في اندونيسيا وهي تتوارى امام أعينهم : من الملكة ولطينا طسية ، الى وزيرها الأول البروفسور خيربراندي ، الى وزير خارجيتها الخذاب السيد فان كليفسز ، الى الأمير برنهاردت ، على الرغم من الجهود الجبارة التي كان بذلها اسطول الأميرال هلمريش والمقاومة المتصلة في الأدغال التي يقودها الجنرال

تيربوري . وكان السادة بيرلو ، غوث ، وساك يؤلفون معاً في خدمة بلجيكا ، قريباً من الحكمة والحكمة والمهارة ، تغمزه الكآبة وهو يستعيد القضية الملكية . اما الدوقة الكبرى شارلوت ودورها الأمير فليكس دي بوربون - دارم ، والسيد بيش وزيرها الدائم لحسن الحظ ، فإنهم لم يكتفوا عن حسان النتائج المادية والأدبية التي نصيب العرکسمبورغ من الاحتلال الساري . وهناك أخيراً الملك هاكون السابع ، القدوة في الثقة والحرم ، وكذلك السيد تريسمي لي الذي كان يذل في جميع المجالات نشاطاً لا يعقل ، وقد هاله ابن يشهد سفن الفروج التنعارية تتوارى ، وانذروحيون يرددون معه : إن رأسمالتنا الوطني هو الذي يفساه الظلام .

وكانت حالة اليونان ، وبرغوسلافيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا أكثر مأسوية بعد ، لانه اذا كان دخول موسكو الحرب بضمن هذه البلدان هزيمة ألمانيا ، فانه بطوي في نظرها ، على تهديدات أخرى وكان رؤساء دولها ووزرائها يتحدثون بذلك صراحة ، وقد كان ملك اليونان جورج الثاني والسيد تسوديروس رئيس الحكومة يصدان في البؤس المروع الذي ألقى به العرؤ الشعب اغليسي ، والمقدمة التي أظهرها رعم ذلك كله ، ضد المدور ، كما وصفا لي أيضاً هلاك الجنديين والمحاربين على يد احرب الشيوعي . وكنت ألاحظ في الوقت نفسه ، حول ملك برغوسلافيا الشاب ديمر الثاني ، وداخل وزارته معها التي رئيسها على التوالي الجنرال سيموفيتش ، والسيد برفانوفيتش ، والسيد تريغونوفيتش ، تلك المرات التي كانت تبحث عليها احداث يتصدع بها البلد . انتصاب كرواثيا مملكة منفصلة يتولى عرشها الدوق دي سوليت والمناذرة ملكاً عليها ، وصم إقليم ليوبليانا السلويني من قبل إيطاليا ، وكذلك دلماسيا ، والتنافس الذي تحول عاجلاً الى عداوة بين فيتو والجنرال ميخائيلوفيتش الذي كان

يقود الكفاح ، مع ذلك ، ضد العراة ، في الصرب .

صحيح أن الرئيس « بينيش » ووزرائه المونسنيور شراميك والسادة ماراريك ، وربكا ، والجفرال أمير كيرا عكس أولئك ، يظهرون أهم على ثقة من حسن تصرف السوفييت في المستقبل ، وكانوا يعتقدون ، بواسطة السيد برغومولوف ، علاقات طيبة ظاهرة ، مع الكرملين . وكان مثلهم في موسكو السيد بيرلر ، يبدو بها معزراً . وكان هناك فيلق تشيكوسلوفاكي أحد جنوده من التشيكيين ، وأسرهم الروس في صفوف الفهرمات ، أعادت القيادة الروسية تشكيله . وكان في الامكان الادراك ان بينيش كان يعتمد قـل كل شيء ، على روسيا ، أي كان معه لنظام السوفييتي ، ليعتمد سلطانه في براغ ، ويعيد بناء الدولة التشيكوسلوفاكية .

كانت المحادثات مع بينيش دروساً عليا في التاريخ والسياسة يلقيها بأسباب دون أن يلها الأستاذ ولا السامع . واني لأسمعه حتى الآن ، وهو يتحدث عن مصير الدولة التي أضرب على مقدراتها كرئيس ، مدة عشرين سنة . وكان يقول : « لا نستطيع هذه الدولة ان نبقى على قيد الحياة دون تأييد موسكو المباشر ، ما دام يجب ان ندمج بها منطقة السوديت وهم شعب من الالمان ، وسلوفاكيا التي سلخت عن المجر وهم نستطيع هذه ان نسلوها منذ عهدنا ، والد « بينيش » التي يطمع بها اهل بوليا . وفرنسا غير متأكدة ابدأ من موقعها ، بحيث لا نستطيع ان نلقي بأنفسنا الى ارادتها الطيبة » . واختتم الرئيس حديثه قائلاً : « نستطيع في المستقبل ان نتجنب عغات التحالف المنفرد الخالص مع الكرملين وحده ، ولكن شرط ان تستعيد فرنسا مكانتها ودورها اللذين ينبغي ان يكونا لها ، في أوروبا . وبانتظار ذلك ، أين هو الخيار بالنسبة لي ؟ ، هكذا كان يفكر بينيش ، وأنا اشعر بالاضطراب الذي يقتلي في قرارة نفسه .

أما البولونيون ، ، فهؤلاء لم يكن يخافهم شك ، فالروسي في نظرم
 خصم ، حتى وإن أكره على قتال العدو المشترك ، فقد كان تدفق
 السوفييات أمراً يلبى هزيمة الألمان حتماً ، في نظر رئيس الجمهورية
 واكبريكر ، والجنرال سيكورسكي رئيس الحكومة وقائد جيش ،
 والوزراء السادة الراسي ، واكرسكي ، والجنرال كوكيل . أما الطريقة
 لهذا مطالب موسكو ، حين تغلب برلين ، فكانت هناك نزعتان
 تتورطان البولنديين ، إذ يستولي عليهم طوراً ضرب من الاعتقاد بالأسوأ
 يستقي منه بأسمهم أوهاماً مسكرة ، كما تستل موسيقى شومان الحسلم من
 الألم ، وطوراً يداعسون الأمل بحل يحد بولوبيا نحو الغرب ، ويتنازل
 لروسيا عن جزء من أراضي غاليسيا وليتوانيا ، ويحملها على أن تمتنع
 عن حكم فرصوبيا وفرض حكومة شيوعية عليها . ولكمهم كانوا حين
 يرحبون اتفاقاً ما ، إلى يلاقوه بدمية يسيطر عليها طوى لدرجة
 تمنعهم على المرابدة فيما بينهم ، وتثير البلية لدى الحلفاء ، والسخط
 لدى السوفييات .

ومع ذلك ، كان الجنرال سيكورسكي مصمماً على القيام بتجربة
 المصالحة ، أياً كان حظها من النجاح . لقد كان هذا الرجل لهم يمثل
 بشخصه مصر بلاده ، وذلك لأنه ، وقد عارض من قبل سياسة المارشال
 بلسودسكي ، ثم "جبلالة بيك" ، و"ريدزسمييلي" ، وحد نفسه منذ المكة ،
 ويبدد جميع مقاييد السلطة التي تتمتع بها دولة في المنفى .

لم يتردد سيكورسكي لحظة ، مد دخلت جيوش الرابع روسيا ،
 في إعادة العلاقات الدبلوماسية مع السوفييات ، رغم الاسقاط المتركة في
 قلوب البولنديين . ووقع في تموز (يوليو) ١٩٤١ اتفاقاً مع موسكو
 يصريح أن تقسم بولوبيا الذي جرى عام ١٩٣٩ بين رومب والماديا ،
 لمؤ وليس له أي معمول شرعي . وفي كانون الاول ذهب نفسه إلى

موسكو ليعاوض في شأن الأسرى وإطلاق سراحهم ونقلهم إلى اللقمان ، ومن ثمة يمكن نقلهم إلى المتوسط ، تحت إمرة الجنرال أندرسون . وتحدث سيكورسكي مطولاً إلى متالين . ولدى عودته صور لي ، وهو يسرد علي قصة محادثاتها ، سيد الكرملين عارفاً في بجران من «القلق» ولكن من غير أن يمس شيء صفاء ذهنه ، وشراسته ، ومكره . وكان لي سيكورسكي . « لقد ترسخ متالين في قبوله مبدأ التعامل ، ولكن ما سيفعله في محتوى ذلك المبدأ ، وما يتطلبه ما ان نصحه به ، بن يتوقف إلا على القوى الراهنة ، ومصادرة أخرى ، على اندعائهم التي ستسببنا أو لا ، في الحرب . فإذا دقت الساعة من يعني بولونيا ؟ إما أن فرنسا هي التي ستكون المعين ، وإما لا أحد ! »

هكذا ، كانت الجوقة الفلقة للحكومات اللاحقة تراكب في الخفاء خطى التقدم التي تحرزها فرنسا لحرة . وكان الجميع قد اعترفوا ، كالاسكندر ، «للجنة الوطنية اعترافاً بشوب عباراته التعميط ، ولكن الجميع كانوا يقولون ان الحمرل ديمول المرسى الكفر لتكلم باسم فرنسا ، وكانوا يعرفون عن ذلك مثلاً في التوقيع معي على تصريح مشترك يتعلق بجرائم الحرب ، هد ما حدث في ١٢ كانون الثاني ١٩٤٢ خلال مؤتمر رؤساء الحكومات . امد كانت علاقاتنا ، مع الدول اللاحقة والسمة التي ساعدتنا على إحرازها ، نصبتنا ، يحطتها ، على الصعيد الدبلوماسي وتمدنا في أوساط الرأي العام ، بمؤاررة مجموعة من العوامل التي لا سبيل إلى تقييدها .

وإذا كان عظماء الرجال هم الذين قادوا الرأي العام الأسكلو - سكوبي ، في مأساة العالم ، فان ذلك الرأي العام هو الذي كان ، في الحبة الماكسة ، يوجه الحكومات . وقد كنا نحاول ايضاً ان نصحه في حسابنا ، وحدث اننا شخصياً في تحقيق ذلك بالإفادة من قطاعات المطب

والفصول التي كانت تبث عليها حركتها ، فكنت أوجه الخطافات بانتظام
للجمهور الانكليزي والأميركي . وكنت ، حسب الطريقة الكلاسيكية ،
أختار من بين الجمعيات التي تدعوني لالقاء كلمة ، جماعة تناسب الظروف
والموضوع . وكنت أشاهد في ختام الوليمة ، وأنا صيف الشرف في الغداء
أو العشاء المعدة في تلك المناسبة ، ان عدداً عديداً من محترفي الإعلام أو
الشخصيات المتميزة يندسون في صفوف المدعوين ويثسلون الى القاعة وقد
أقبلوا لسماع الخطاب . وحين يلقي « المعترف » ، على حسب العادة
الانكليزية ، كلمة الافتتاح ، أقف وأقول ما أريد بینه .

وكنت أتكلم ، أكثر ما أتكلم ، بالعربية لأنني لا أعرف الانكليزية ،
وياً للأسف ، معرفة جيدة كافية . ولكن كان سوشين يدخل الميدان
على أذني ، إذ يُترجم خطابي متبهاً ، ويورع في اللحظة التي خرج بها
من إلقائه . وكانت الصحافة والإداعة في بريطانيا العظمى والولايات
المتحدة ، تتوليان شر الخواري منه . أما الموضوعية ، فلدي جرأة
على القول إنها تدور لي نسبة في الصحف الأميركية التي تبرز هذه
المسألة أو تلك المنقوعة من سياقها ، دماً وتشهيراً ، وكانت هذه ، مع
ذلك ، دأب الحائز . أما الصحف الانكليزية ، فنادراً ما كانت
تشوه النص ، ولمكنها لا تقري في انتقاداتها ، اغلب الأحيان . ويجب
ان أضيف ان صحافة اميركا اللاتينية لم تكن تتواني عن وضع تصريحاتي
الحاصلة في أمكنة بارزة عن صداقة منها لعمسا ، وتقدير لـ « لديفولية »
ورعاً عن رغبة في التمييز عن موقف الولايات المتحدة . والخلاصة اني
كنت اجد الديمقراطيات الخليفة ، على الدوام ، تحترم حرية التعبير ،
إلا خلال بعض الأزمات التي كلوا يندفعون أثناءها بـ « الضرورات
المسكرة » لخلق صوتي .

وكنت قد توجعت بخطاباتي ، قبل ان أروا انشروا في ربيع ١٩٤١ ،

الى مستمعين بريطانيين ، ولا سيما في نادي « فويلز الأدبي » و«ثة البرلمان
 الفرنسية - الانكليزية . واستمع إلي بعد عودتي الى لندن في ايلول حتى
 حزيران ، على التوالي . « الصحافة السويدية » ، « العمال » ، ثم مديرو
 المحافظات ، وعلاكات محل الدبانات ، « تحليلات الكتريك » ، وفي
 استافورد « الجمعية الافريقية الملكية » و « اتحاد متكلمي الانكليزية »
 و « جمعية الصحافة الاحنية » و « النادي الفرنسي لجامعة اكسفورد »
 و « نادي مدينة ليوري » و « لجنة الدفاع عن المصلحة العامة » وبلدية
 ادنبره واعيانها ، واجتماع عقد في البرلمان لأعضاء مجلس العموم . وفي
 ايار (مايو) ١٩٤٢ ، عقدت لأول مرة مؤتمراً صحفياً . ومنذ كنت في
 ١٤ تموز ١٩٤١ في براراميل ، فقد أدعت شركة « هيئة الاداعة الوطنية »
 الاميركية ، من جميع محطاتها ، مداء وحتته في المدياع الى الولايات
 المتحدة . وفي ٨ تموز ١٩٤٢ أدعت « كولومبيا » في «ميركا » وفي
 حديقة نيويورك المركزية خاصة حيث جمع عمدة المدينة « لارديا » الأهالي
 قسمة ، كلمة بالانكليزية لـ « صديقا وحليفتنا الحول ديفول » ،
 ورسالة جديدة الى الاميركان في ١٤ منه ، بمناسبة العيد الوطني الفرنسي .
 وكانت تضاب الى هذه المناسبات الكبرى ، مناسبات اخرى أضطر
 فيها الى الكلام دون استعداد ، وكنت اجد مع ذلك ، اصداء مفيدة .
 وذلك هو ما كان يحدث في الاستقبالات التي اقيمت لي في مدن :
 برمنهام ، ولبيدز ، وليفرول ، وغلاسكو ، وهول ، وأكسفورد ،
 وحاممة أدنبره ، وأميرالية يورثموث ، وروسانتي برعام وكاون ،
 ومصانع غالوت ، ومعامل هارملن ، وصحيفة « التايمز » ، وعدد
 كبير ، أخيراً ، من الأندية ، وكانت جميعها ، دوماً ، يعمرها الود
 وطيب النيات .

غير أني كنت ألقى ، على الدوام ، بالأفكار والشاعر نفسها للأصداء

الأحسية ، وإن موّعت البرة . كنت أقدم هزيمة فرنسا أول الأمر ،
تصيراً في النظام العسكري المهلهل العتيق ، الذي كانت تمارسه جميع
الديمقراطيات في بداية الحرب ، وذهبت بلادتي ضحيته لأسسه لم يكن
لديها أوقيانوسات تمطيها ، ولأهبا تركت وحدها في الطليعة . وكنت
أؤكد أن الأمة الفرنسية ظلت نجياً ، تحت الحور ، حياة عميقة وقوية ،
وانها متطهر عما قريب ، وهي مصممة على الجهد والتجدد . وأعطيت
الدليل على ذلك في المقاومة التي كانت تقاوم في الداخل والخارج . إلا
أنني ظهرت الشعب الفرنسي وهو يتحسس اسلوب حياته في صرفاتهم
نجاهه ، بمقدار ما كان يكابد الويل والحدود ، وأن دعاية هتلر تعرض
امام عينيه مجالات الامس في الهوس ، شرط أن ينتقل الى المعسكر
الاستبدادي ، معسكر الحكم المطلق ، وأن فيشي ليست على خطأ - أما
كان عليّ أن اعيد من كل شيء ؟ - إلا في حدود ما تحترم الديمقراطيات
حقوق فرنسا .

هكذا ، وعلى هذا النحو ، ألقيت في أول نيسان ١٩٤٢ ، خطاباً
وضعت فيه النقاط على الحروف ، من هذه الحقبة ، وأثار عاصفة من
المجادلات ، وقد صرّحت فيه . « ألا لا يفهمون الظن بأحد لي أن
هذا النوع من المعركة الذي تكتوّه فرنسا المحاربة ، إنما هو نهائي لا
يتكرر ابداً . الأمر كله يرتكز على ما يلي : إن فرنسا المحاربة تفهم
أنها تسير مع حلفائها وهي متحفظة تحفظاً صريحاً ، أي ما دام حلفاؤها
يسيرون معها . . . وصوتت أرمي مباشرة هاتيك العلاقات التي
استمرت الولايات المتحدة في الحفاظ عليها مع فيشي ، ولطائرات
الحقبة التي كانت تجريها مع قباصلها ، فأصفت : « إن انعطاف
الديمقراطيات على أرس هدموا الحريات الفرنسية ثم يحاولون قولاً نظامهم
على القالب العاشق أو صورته المصوغة ، إنما يعني إدخال مبادئ

المسكين «غريوي» الذي ألقى نفسه في البحر خشية ان يقبل ، على السياسة ، ثم اضفت ، « وانا اسعى في تمجير الصاعقة . » « إن في ذلك تذكراً خطيراً لحادث يمس على المسألة الفرنسية برمتها ، ألا وهو ما يدعى الثورة . ذلك لأن هذه إنما هي ثورة ، وهي اكبر ما عرفه تاريخ فرنسا التي صيبت بخيانة نخبتها الحاكمة وذوي الامتيازات من ابناءها ، وقد بدأت فرنسا في انجازها ، « وقلت بأعلى صوتي : « لن يكون من المسموح به ، ان ما يقال عنه واقعية ، وهو الذي ساق الحرية الى شفير الهاوية ، بين موبخ وموبخ اخرى ، ان يستمر في خداع الحاسرات وخيانة التضحيات .. » .

وسقطت المواقع لقد رفقت فرنسا الحرة الى التعريف بنفسها والاعتراف بها من الجمهور وشعوره ، والورارات ورضاها ، لا كسيافة لمرسا وحسب ، بل قهرمانة ايضاً لا تترعرع في إدارة مصالحها . وقد أدركت هذه النتيجة في الوقت اللارم الذي كان يجب ان 'بلّغ' به . وذلك لأن الظروف التي تأخذ فيها الحرب وحية حاسمة كانت قد تجتمعت في اوائل الصيف من عام ١٩٤٢ ، إذ ان روسيا ظلت واقفة على قدميها ، وانتقلت ، لأن الى الهجوم ، وانكفرتا استمرت تتصرف فوق أرضها بقوت كبيرة ، ولما كانت ترسل نخدات وافرة الى الشرق ، والولايات المتحدة على استعداد لقل وحداتها الحديدية بأكملها ، مع هتادها الصمم ، الى العرب ، وفرنسا انخيراً لا تزال قادرة على خوض المعركة الاحيرة بقوات عسكرية مهمة ، وامبراطوريتها ، ومقاومتها على شدة ما تعاني من تفتت واستعباد في الوطن الأم ، وعلى ما ران عن جمود على جره كبير من اراضيها فيما وراء البحار . ومنذ كانت الربة رجع ، على جوايب الميدان ، فقد دعوت في ربيع ١٩٤٢ « فرنسا الهاربة » ما كان يدعى حتى ذلك الزم « فرنسا الحرة » ولفت

انتباه الحلفاء الى هذه التسمية الجديدة .

ذلك بأن مصير فرنسا سينقرر في حومة القنال القادم ، وستكون اراضيها - افريقيا الشمالية او الوطن الام - مسرح العمليات الحربية . وسيقرر حصتها من النصر ، ما تملكه او لا تملكه ، عند مهاجمة العدو . ولكن مكانتها في العالم ووحدةها الوطنية وكيانها الامبراطوري ، إنما تتوقف على سلوك حلفائها . وما كان في مستطاعي ان اشك في ذ بعضهم ، وليسوا من الفئة ، كانوا يفكرون ان يتصرفوا على نحو يحملون به ، في هذه الفرصة الكبرى ، جهاز الحكم الفرنسي اقل ما يمكن ان يكون استغلاً ومناكراً ، وتصبح معه فرنسا المحاربة لقمة سائغة يزدردونها ، ان لم تعد هائبة . ولكن المكان التي احمرتها في العالم ، غدت الآن جنة راسخة ، بحيث لا يمكن لمخيطيها من الخارج .

ولكن ذلك مشروط بأن تصمد هي جيداً ، وان تحظى بتأييد الأمة كلها أحدث هذه نظير على حقيقتها . وما كنت لأفكر في شيء سوى ذلك ، وأنا أقود في الوقت نفسه كماحدا . أيمكن لدى فرنسا المحاربة في المهنة القادمة من الجسارة ، والقيمة ، والهمة ، ما يكفي لوقايتها من التصديع في الداخل ؟ أترى يريد الشعب الفرنسي الحاضر ، المضلل ، الممزق ان يصني إلي ويصمي ؟ أتراني أمكن من لم شتات فرنسا ؟

فرنسا المحاربة

بينما كانت فرنسا المحاربة قوتع بين صيف ١٩٤١ وصيف ١٩٤٢ ميدانها الدبلوماسي لم تكف هي نفسها عن النمو . وإذا كنا نسردها بالتوالي قصة تنامي هذين الجبهتين ، فإن هذين لم يكونا أقل توافقاً في الزمن وتلاحماً في الأصول . ولكن بما أن سجل العمل كان يتسع يوماً عن يوم ، فقد أصبح لزاماً علي أن أضع على رأس الحركة هيئة ملائمة ، فديفول لم يعد بعد كافياً لإدارة كل شيء . لقد أصبح عدد المشكلات وسعتها يتطلبان قلل التقرير ، مجابهة وجهات النظر والكفاءات ، ويجب أن تفرع المركزية عن تدابير التنفيذ . ومنذ كان الشكل الجماعي أخيراً لجميع الدول ، هو شكل السلطة ، فستعاون فيما بيننا على الاعتراف ببعضنا البعض الآخر ، ونحن نتبناه لأنفسنا . وكان أن أسست اللجنة الوطنية بأمر أصدرته في ٢٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٤١ .

وإنا لم أنقطع ، والحق يقال ، عن التفكير في تلك اللجنة ، من بداية الأمر ، ولكن اضطراري إلى قضاء ثمانية أشهر في أفريقيا والشرق ، خلال سنة واحدة ، واقتفاء الرجال الذين يُسترون أنهم « يمثلون الشعب » على الأحص ، أمران أكرهاني على التأجيل . وكان في استطاعتي لدى وصولي إلى لندن ، بعد قضاء سوريا ، أن أدير طوراً طويلاً من التنظيم ، عكس الطور السابق . وإذا كان معظم الشخصيات الذين انضموا إلي من

قبل ، مضمورين ، من جهة أخرى ، فإن بعضهم أصبحوا من البارزين ، وأصبح في إمكانني اذن ان أشكل لجنة ذات قيمة . وسندور اللجنة الوطنية بالنسبة لفرنسا المحاربة ، جهاز التوجيه الذي تجتمع حوله . وقد راح « المفوضون » فيها يتداولون عما في جميع الشؤون . وكان على كل واحد منهم ان يشرف على إحدى « الإدارات » التي يمارس فيها نشاط . وسيكون الجميع متصاعنين في القرارات التي تتخذ ، أي ان اللجنة ستكون ، بقول موجز ، هي الحكومة . وستكون لها صلاحياتها وبنيتها . ومع ذلك ، هل يكون لها أن تتخذ ممتها التي احتفظت بها اليوم الذي تستطيع فيه ان تملك سلطة تتسع أبعادها للشمل الوحدة الفرنسية ، مها كان ذلك اليوم بعيداً . وفي حدود هذا النطاق نفسه ، كان الامر الذي وحته يصحح في الحجاب تكون جمعية استشارية من بعد ، تكلف تزويد اللجنة بأوسع تعبير ممكن عن رأي المصالح الوطني . ولست بمضي وقت طويل مع ذلك ، قل ان ترى هذه الجمعية النور .

ومذ كان علينا ان نستظر قيامها ، هان قرارني آثار كثيراً من اللغط في اوساط الفئات العربية القليلة ، التي راحت تضطرب على نحو بقل أو يكثر ، بحجة انها سياسية ، في كل من بريطانيا العظمى وولايات المتحدة . وكانت هذه الفئات تتساهل في ان يتصرف ديفول كعاجندي ويمد خلفاء بشرادم عسكرية ، ولكنها لا تقبل بحال ، ان يأخذ رئيس المرنسيين الاحرار على عاتقه نعتات درلة فهم وقد أبروا الانصواء الي ، نبدوا سلطتي وراحوا يفصلون إيلاء مستقل فرنسا للأجنبي ، سوء كان ، في الواقع ، رورفلت ، أو تشرشل ، أو ستالين .

وإنني لارافق انه كان هنالك تناقض حقيقي بين معاهم هذه الاوساط ومفاهيمي . كان من رأيي في المسألة الوطنية ، ان السياسة يجب ان

تكون العمل في خدمة فكرة قوية ومبسطة . أما هم ، فقد طاولوا يتابعون الخرافات التي كانت تداعبهم منذ زمن بعيد ، وما ارتصوا ان تكون شيئاً آخر غير فن زخرفي لرسم الخطوات في رقصة طاله مصطنعة يقوم بها جماعة من ممثلها المترفين ، ولا يمكن ان يصدر عنها سوى مقالات وحطوب ومعرض مواهب ساذجة ونورج مقاعد . وعلى الرغم من ان هذا النظام كسسته الحوادث كساً ، وعلى الرغم من انه أنزل بفرنسا كارثة كان 'يشتك' في قدرتها على النهوض منها ، وعلى الرغم من ان هؤلاء المستعنين اصبحوا الآن مجردين من وسائل صخبهم المعتادة : برمان ، ومؤتمرات ، وورارات ، وقاعات لتحرير صحفي ، فانهم أقاموا على نصهم في نيويورك أو في لندن ، يحاولون ان يقيموا فيها حكام الانكلو سكسون ، وروانهم ، وصحافيين لانتقادهم لاعين آخرين ولقد كان وراء المتاعب التي أصيبت بها فرنسا أغلب الاحيان ، على أيدي حلفائها أنفسهم والحملات التي شنت صدها من صحافتهم وإداعاتهم ، نفوذ عدد من الفرنسيين المختربيين . فهؤلاء ما كفوا يتناوون عن شجب ذلك النوع من الولاية السياسية التي قلدت بها فرنسا الحاربة نفسها في مؤسسة اللجنة الوطنية ، ومضوا يبدلون جهودهم في معاكسة تلك العملية .

وكان الاميرال موريليه هو الاداة التي استخدموها . ولهذا الاميرال شخصية مردوخة . فقد أظهر كبحار قيمة تستحق تقديرًا عظيمًا ، وكان الفصل اقيمت هذه ، الى حد بعيد ، في تنظيم قواتنا البحرية الصغيرة . ولكن صرماً من مزاج قلق كان يستحوذ عليه دورياً ، ويدفعه على حثك الدسائس ، فهو لم يكفد يعرف يرمي على تشكيل اللجنة ، حتى كتب إليّ راصعاً نفسه بطل التعام مع الحلفاء والديمقراطية ، هذا التعام الذي أوشكت ، حسب رأيه ، ان اصح في خطر وإنقاذ لهذا وتلك ، اي الديمقراطية ، اقترح عليّ ان اصح عسي في مركز شرف ،

واترك له شخصياً السلطة الفعلية اما الوسيلة التي استخدمها ، محاولة منه في إكراهي على القبول ، فلم تكن أقل من التهديد بإبتيقاق البحرية التي كما قال هاتقياً : « تصح مستقلة وتتابع الحرب » .

كان رد الفعل لدي واضحاً وموحزاً ، أذعن له الأميرال وهو يرهم ان هناك سوء تفاهم ، وأظهرت لاسباب عاطفية وظرفية ، التي اقنعت ، وأخذت علماً بتمهدياته وعينته مفوضاً للبحرية ، وبحرية التجارة في اللجنة الوطنية .

وكان المكثفون في اللجنة : بليغن للاقتصاد ، والمالية ، والمستعمرات ، كاثن للمعارف والعدل ، دييجان للشؤون الخارجية ، ليجنيوم للحرب ، فالان للبحر ، ديتلم اندي وصل حديثاً من فرنسا للأشغال والامباء والعمل في الوطن الأم . كاترو ودارجيليو الذي كان في بعثة ، أصبح معوضين بلا مفوضية . وركلت الى بليغن مهمة التنسيق الإداري بين الإدارات المدنية « احوال شخصية ، رواتب ، توزيع الموظفين ، تعيين الامكنة ، الخ .. » . وقد تميت ماديء ذي بدء ، ثم حاولت من بعد ، مراراً عدة ، ان أوسع اللجنة وأدخل فيها بعض الشخصيات الفرنسية التي كانت تقيم في اميركا . هكذا حطت الى السيدس ماريتان وألكسي ليجه مؤازريتها ، وجاء الجواب موقراً ، ولكن سلباً

وانتظم سير العمل في اللجنة الوطنية على نحو مرض ، ولكن موزيليه افتتح أزمة جديدة . فقد عاد الى لندن بعد حجة سان - بيير التي تلقى من أهلها تهانينا الاجماعية ، وصرح في ٣ آذار ، في جلسة عقدتها اللجنة ، ان الأمور لا تير هل مسا جوي ويرغب في فرنسا الحرة ، وقدم استقالته كفوضي وطني ، وكتب الي يؤكد تلك الاستقالة ، فقبلتها ، ووضعت الاميرال تحت تصرف القيادة ، وصينت مكانه أوبواتر الذي استمعي من الباسيفيك ، ولكن موزيليه صرح عند ذاك أنه ،

وإن كنت عن أن يكون عضواً في اللجنة الوطنية ، يحتفظ لنفسه
بالتباعد العليا للقوات البحرية ، كما لو كان سيداً إقطاعياً يحتفظ بممتلكاته .
وذلك مما لا يمكن التسليم به ، ثم انتهت القضية حين تدخلت الحكومة
البريطانية فساء

كان هذا الشخص قد أعدّ مند رمن طويل ، والمحرصون كانوا بصعة
مشاعين مقربين وبعض عناصر من مجلس العموم و « البايبي » (البحرية
البريطانية) . وقد لقي التآمرون مؤازرة من المستر ألكسندر ،
الورد الأول للأميرالية ، فقد صوروا له باعتباره وريثاً ، ن البحرية
العربية الحرة لتحلّ إذ تحلّ عنها موريليه ، وهي التي تحرم ، البحرية
الملكية ، من أبدٍ لا يُنهان به ، وحلوه على الاعتقاد باعتباره محالاً ،
أن ديفول ولجته يملآن نحو العاشية ، وأن الواجب بقصي أن نزع
القوات البحرية الفرنسية من سياستها . وقد عتقت للوزارة البريطانية
رأي ألكسندر لأسباب تتعلق بتورأها الداخلي ، وفي أكبر احتمال أيضاً
أرادت ، رعة منها في حمل ديفول أكثر تاملًا معها ، إصافه ،
عقررت أن تطلب مني الإبقاء على موريليه في منصبه كقائد أعلى للقوات
البحرية العربية الحرة .

وجاءتني مذكرة في ٥ و ٦ آذار من السيد إيدن ، وإلى جانبه
السيد ألكسندر ، بهذا الموضوع . وكان أن أصبحت القضية واضحة
وضوحاً هائياً في ذهني ، منذ تلك اللحظة ، وأصبح الواجب يقضي ،
مها كلف الأمر ، أن بنفد قرار اللجنة الوطنية بمحاذير ، وأن تطلق
بريطانيا من التدخل في هذا الشأن الفرنسي ، فكنت في ٨ آذار
(مارس) للسيد إيدن أما قررة ، أنا واللجنة الوطنية ، أن موريليه
لم يعد قائداً أعلى للبحرية ، وأنا لا نقبل في هذا الموضوع ، تدخل
الحكومة الاسكتلزية . وأصفت : « إن الفرنسيين الاحرار يعتبرون أن

ما يعملونه الى جانب البريطانيين ، وفي سبيل القضية نفسها ، يقضي ان يحافظ عليهم وان يحافظوا كحلفاء ، وأن تأييد البريطانيين لا يحور ان يمنح لهم بشروط تتناهى مع سبب وجودهم نفسه .. وإذا كان الأمر على غير ما نصف ، فإن الحزبان ديمول والليجة الوطنية يكفأت عن القيام بمهمة يصح عليها القيام بها مستحيلاً . وانها ينتقدان ، في الواقع ، ان من الجوهرى ، فيما يخص مستقبل فرنسا كما يخص حاضرها ، ان يظلا أمينين للهدف الذي رسماه . وهذا الهدف يعنى إرضاء فرنسا وإعادة وحدتها الوطنية في الحرب الى جانب الحلفاء ، ولكن دون نصحية شيء من الاستقلال والسيادة والانظمة الفرنسية .

ثم يردني جواب في الحال . ولا شك في ان الاسكليز كانوا ينتظرون ما سيحدث داخل بحريتنا ، قبل ان يمسوا الى احد من ذلك . والواقع انه لم يحدث أي شقاق ، على ظهر أمة سبعة ، ولا في أي مستودع ، ولا في أية من مشائننا البحرية ، بل العكس هو الذي كان ، فان جميع عناصر القوات البحرية الفرنسية الحرة شدت أواصرها الى ديمول بحماية القنابل مع المصاعب التي كانت تثار في وجهه . وكل ما وقع ان بعض الصايط المتجمعين حول الاميرال ، نظموا في مقر أركانه العامة حيث دعيت شعبياً لأكلهم ، مظاهرة غير لائقة . وبعد ذلك عيقت للأميرال موريليه مكاناً يقيم فيه أسعدته به مدة شهر واحد عن كل اتصال بالبحرية ودعوت الحكومة الاسكليزية ، طبقاً لاتفاق التشريع المفقود بتاريخ ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤١ ، الى تعيين هذا للتدبير ، لأنه المجد على ارض بريطانية . ومن تأخرت التأكيدات الضرورية عن الوصول إلى ، خضت المعركة وأنا مستعد لكل شيء ، منتظر كل شيء ، تارك في أيدي بلغن ، وديتلم ، وكوليه نوعاً من وصية مربية ، تمهد اليهم القيام بمهمة إعلام الشعب الفرنسي في حالة اضطراري الى التخلي عن

المضي فيها شرعت به ، ساعة أصبح في وضع لا استطع معه ان اشرح الموقف بنفسي . وانيت الى حلماثا ، خلال هذا الوقت ، اسبي لا استطيع ، مع اسبي العميق ، ان اعيد علاقتي بهم قبل ان يطبخوا هم انفسهم الاتفاق الذي تعهدوا بتطبيقه .

وهذا ما كان في ٢٣ آذار . حاملي السبد بيك في ريادة ، وسلفي مذكورة تخبرني ان حكومتها لا تلتصق ان يظل موزيليه قائداً أعني ، وتحرص على ان يظل الأميرال مقطوعاً ، طيلة شهر ، عن كل اتصال بأي من عناصر القوات البحرية الفرنسية . وأوصت الحكومة البريطانية ، مع ذلك ، بناء على رغبتي ، ان يعامل كما يعامل احد افراد مصالحها . ووصل أويانو أثناء هذه الاحداث ، من الناصيفيك وتولى بنفسه إدارة البحرية وقيادتها . وازدت ان اقدم للأميرال موزيليه فرصة استمراره في الخدمة ، فدعوته في ايار (مايو) الى مقابلتي لترتيب مهمة تفتيش كنت أنوي ان أكلها له ، فلم يحضر . وبعد بضعة ايام ، وجهه إليّ هذا الصابط الذي حمل الكثير في سبيل بحريتنا ، مذكورة يخبرني فيها ان لمارنه مع فرنسا الحرة انتهى . فألفت له على ذلك .

ثم لم يحدث بعد تلك الحادثة الاليمة ما يمنع انتظام السير في طريقه . لجنة لندن ، هذه التي صورتها الدعاوات المعادية - وهي لم تكن دعاوات العدو وفيشي فعصب - على انها فتنة من السياسيين الطامعين قارة ، وفارة على انها زمره من المعاصرين الفاشيين ، وطوراً انها لامة من المتوسمين الملتشبعين ، وهي التي لم تكن تحب حساب شيء ، وأنا أشهد على ذلك ، إزاء خلاص البلاد والدولة . ولقد كانت اللجنة الوطنية تجتمع مرة كل اسبوع على الأقل ، شيء من الملاية ، في غرفة كبيرة من حدائق الكارنتون . ندعى « قاعة الساعة » ، نلتصق طلقاً لجدول اعمالها ، الى تقرير كل مفوض عن اختصاصه او عن كل مسألة

يحد هذا أو ذاك من واجبه ان يطرحها . وكانت تأخذ علماً بالوثائق
والمعلومات ، وتناقش بأنها ، وتنتهي الى مقررات تحرر في الجلسة
بشكل محضر ، وترسل من بعد في مذكرات الى القسوات ولداقتر .
وما اتخذت اللجنة قط قراراً مهماً ما لم تناقشه ويتداكر اعضاؤها فيه .

لقد صحت اجد ، على الدوام ، في اللجنة الوطنية باستشارها أداة
جماعية ، كما وجدت في كل فرد من اعضائها ، عواً ثمياً ومؤسسة امينة .
ولا ريب اني كنت مقنناً على معرفة كل ما يستحق للعناء ، بصورة
شخصية . غير ان العبد غداً أحف ، نتيجة ما ألبت من ثقة على
رجال ذوي قيمة ومقدرة احاطوا بي واعاوسني . ثم لا ريب ان هؤلاء
الوزراء الذين لم يستق لأحد منهم ان يخاض الحياة العنمة ، كان يُعورهم
الى حد ما ، بعض السلطة والشهرة ، واستطعوا ، مع ذلك ، ان
يخلصوا على هاتين . بضاف الى ذلك اهم جميعهم كانت لهم خبرتهم
وشخصيتهم . وكان المجموع اندي ثألف منهم يفتح لقرسا المحاربة آفاق
تسود كانت تظل لولام ، موصدة دونها . وكنت ألاقي لدى هؤلاء
الماونين ، اغلب الاحيان ، العديد من الاعتراضات ، لا المعارضات بكل
تأكيد ، بله المناقصات للمناصدي وأفعالي . وكان عدة اعضاء في اللجنة
ينزعون الى تسوية الأمور ، في اللحظات الصمة التي كنت اميل فيها
لحو الحول الضيقة . وكان ذلك ، في محم ، حساً ان يجري هكذا
وفي نهاية المطاف ، ما كان أحد من المفوضين يمارع في أحكامي ، بعد
ان ألقى النور على وجهات نظري .

وإذا كانت ثمة آراء تنقسم ، في توقع ، فإن تبني فيها تظل كاملة .
وكان ، الأنا ، المسكين دوماً هو الذي يجيب عن كل شيء في الكفاح من
أجل التحرير . وكان دعاة التحرير هؤلاء في فرنسا ، على الأخص ،
يشخصون بأبصارهم الى ديقول ، وقد راح عديم يتسامى وطفقوا يتجهون

بحو المقاومة الفعالة وكانت هناك تلبية شديدة في تتولي أوضح فأوضح ،
 كما كان هناك أيضاً تلافياً مشعر دماً في ضرورياً بمقدار ما كان محرراً
 ومثيراً ذلك لآسي ، وقد لاحظت رعة الفرنسيين إلى الانقسام والتشتت
 الذي فرضه عليهم الاستبداد و'هم يحضون إلى إظهار قردم في أشكال
 مشابهة التسرع ، رحلت أصرف هي كذا إلى تحقيق وحدة المقاومة .
 وكانت هذه الوحدة ، في الواقع ، شرطاً عماليتها الحربية ، وقبمتها
 الوطنية ، وثقلها في ميزان العالم .

أخذ ما يحدث في الوطن الأم ، يصح معنوياً لديها كلما حدث ،
 منذ صيف ١٩٤١ . رغدت المعلومات تقناهي إليها ، عسلي الدوا ،
 متكاملة كل التكامل ، مستقلة عما يمكن أن يفراً بين السطور في الصحف
 أو تُسمع خلف ما يديمه ، لنداء في المظفتين ، وكانت هاتيك المعلومات
 فرد إليها في محاضر شكانا وتقارير عدد من الرجال كانوا يصحون من
 قبل صوى^(١) في الطريق ، وأحاديت المنطوعين الذين كانوا يمدون كل
 يوم ، من فرنسا ، والإشارات التي لزمنا بها المراكز الدبلوماسية ،
 والتصرجات التي بدلي بها مهاجرون أثناء مرورهم بمديرد ، ولشونة ،
 وطليعة ، وبوبورك ، والرسائل الموجهة إلى حربيين أحرار من أمرم
 وأصدقائهم ونصل اليهم بألف حيلة وحيلة ويهدا كذا ، كانت في ذهني
 لوحة واضحة لما يدور جريباً . وكمن مرة أدركت آسي كشخص ،
 على اطلاع متصل بالشؤون الفرنسية ، من خلال التحدث إلى مواطنين
 قدموا حديثاً من البلاد ، ولكسهم كانوا محصورين فيها بحكم مهنتهم أو
 منطقتهم ، وأتضح لي أن ألس ذلك ، توفر لي من معلومات لا تحصى ،
 وبث ، ومقارنة بين الحوادث وجمع لها ، كان يمدني بها حشد من
 المخلصين الأبرار .

(١) صوى : جمع صوة وهي العلامة التي تدل للمفر على طريقته . وما رجمة لكلمة *salon*

وكان حل ما يستخلص من تلك المعلومات ان فيشي آخذة في التداعي والانهيار ، فقد قدمت اوهايم عهدا هائبا . وأول ما قصد نصره ألمانيا لذي أعلن انه أمر مفروغ منه لتبرير الاستسلام ، إذ أصبح امراً غير محتمل الوقوع منذ خاضت روسيا المعركة ، ودخلت الولايات المتحدة الميدان بدورها ، وصمدت إنكلترا وفرنسا لحرة . ولادعاء الداهب الى « صيانة الأثاث » لقاء العمودية ثمن انه مصحح ما دام أسرا للبالغ عددهم ١ ٥٠٠ ٠٠٠ لم يعودوا الى الوطن ، والالمان أحقوا الأكراس واللورين عمليا ببلادهم ، واحتفظوا بشمال بلادنا منقطعا اداريا عن سائر الاراضي ، والاموال التي استولى عليها المحتل من نقد ، ومواد أولية ، ومحاصيل زراعية وصناعية ، استنزفت اقتصادنا ، والرابح راح يستخدم لحسابه عدداً يرداد مع الأيام من الفرنسيين ، وتأكيد حماية الامبراطورية وصد أي كان ، اصبح لا يخدع احداً ، ما دام لجيش والبحرية قد أكرها على محاربة الخلفاء و « الديفوليين » في دكر ، والمايون ، وسوريا ، ومدعشقر بينما كان الالمان لجذب الهدنة وطلبها يتصرفون على هوم في عاصمة الجزائر ، وتونس ، والدار البيضاء ، وبيروت ، وطائرات الرابح كانت تهبط في حلب ودمشق ، واليابانيون احتلوا اللطوسكان والكوشاشين . واصبح الآن ، في نظر الجميع ، ان ليس بعدد مسي فرصة لاسترداد أراضي ما وراء البحار يوماً ما ، الا عن يد فرنسا المحاربة ، وذلك بتأمين وجودها شيئاً فشيئاً في افريقيا الاستوائية ، وحزر اوقيانيا ، و « بونديشيري » ، والشرق ، وسن بير ، ومدعشقر ، والصومال الفرنسي ، ومدت ظلها مسقاً ، بلا تساهل ، على افريقيا الشمالية ، وافريقيا العربية ، وحرر الانتبل ولهد الصيدية

أما « الثورة الوطنية » التي كان يحاول بها عهد فيشي ان يعوض عن استسلامه ذاته ، فقد كان انها تبرز اصلاحات لها قيمتها في حد

ذمها ، ولكنها متورطة ومرفوضة لاقتربها بالسكينة والموهبة . وادعاء
 فيشي بالتجديد لأخلاقي وتقويم السلطة ، وحتى جهدها الذي لا ينحصر
 في التنظيم الاقتصادي والاجتماعي ، كل ذلك لم يكن يفضي شكلا ، الى
 شيء ، سوى استمرارات المجهود ، وتمحيد المارشال ، وثلاثون النجاة ،
 وفي الجوهر ، كان يعمي الى الاصطهادات الحبيبة ، وتحكم الشرطة
 والرقابة ، ولا مميزات ، والسوق السوداء . وكان يلحظ كذلك ،
 داخل العهد نفسه ، دلالات القشور والظلمة ، فخذ نهاية ١٩٤٠ حتى
 صيف ١٩٤٢ توالى لاحداث الآتية . عزل لافال ، تأسيس حزب
 « التجمع الشعبي الوطني » في باريس من قتل ديبا ، وديلوكل ،
 ولوشير ، وماركيه ، وسواريز ، وعمرم . بتأييد مباشر من الألمان .
 وكان يطمح في الحكم ويقوم بمرايدة صاحبة في مشدان التعاون ، والتنوع
 المتواصل لصلاحيات درلان ، استقالة أعضاء الوزارة : إيسرنيفاراي ،
 بودوان ، آليير ، دلامان ، ديروثوت ، شوفليه ، آشار ، إلح ..
 وكانوا يملكون الواحد تلو الآخر ، ان المهمة كانت مستحيلة ، توفس
 قضية « روم ، المفاحي » ، العقيب ، إحالة فيمان للتقاعد ، محاربة كوليت
 اغتيال لافال ، تعيين هـد رئيسا للحكومة . وقد أداع المارشال بنفسه
 تعاسته ، فقد قال في حديث أذيع من الراديو خلال آب (أغسطس)
 ١٩٤١ . « أشعر برح سوء نهب من عدة أنحاء في فرنسا . الفلق بعد
 الى الأفئدة ، والشك يستولي على الدموس ، وسلطة الحكومة موضح
 جدل . والأوامر لا تمسك ففبدأ حسنا . هناك ضيق حقيقي يعزو
 الشعب الفرنسي » . وصرح من المذيع في حزيران (يونيو) من السنة
 التالية ، بمناسبة انتصاه عامين على طلبه للهدنة . « لا أسمى أبدا ضعف
 الأعداء التي لقيتها بدمائي » .

وراحت تتكون هنا وهناك في الوطن الأم ، اكثر من نواة واحدة

للمقاومة ، كلها اخذت اعمال فيشي وبارحها في التخلص . وأمرها إنما كان ، بطبيعة الحال ، عبارة عن نشاطات حد متفرقة ، وغالباً سيطرة التعبد ، ولكنها كانت فلبت عن اليات نفسها . فهد كان يقسم أفراد بتحرير بعض النشرات الدعائية ، ويطبعونها ، ويوزعونها . وهناك يقوم آخرون بالتجسس على العدو ونقل معلوماتهم الى احدى الشكاك . وثمة أفراد مهتمون بتشكيل مجموعات عمل في سبيل اغراض متفاوتة كل التفاوت : مؤازرات اغتيال ، تخريبات ، تلقي وتوزيع عتاد أركته المظلات او "نقل خفية" ، استقبال او تحبير لعملاء ، انتقال من منطقة الى اخرى ، اجتياز حدود ، إلخ . وبعضهم كان يؤلف نواة يرتبط اعضاؤها فيما بينهم بأوامر او ماعتناق فكرة واحدة . وموحد القول ، شرعت المقاومة في مراس حياتها الناشطة والخفية تحت ستار سلمي ، هادى ، بطفسر على سطح الوجود في الوطن الأم . وأخذ نفر من المحاربين في الداخل ، يفكرون الآن ، في توجيه ضرباتهم الى العدو من خلال الأشرار السقي بعدما أفراد الشرطة والرشاة .

وفي آب (أغسطس) ١٩٤١ ، انفتحت سلسلة المحميات المنفردة على العسكريين لألمان ، وقتل أول من قتل ، نقيباً وهو خارج من المأوى ، وضابط في برودر ، وجنديان في باريس ، شارع شامبيوسه . وتبعهم عدة اغتالات . وردت العدو ، ثاراً لقتلاه ، بإعدام مئات من الرهائي ، وزج في السجن آلاف من المواطنين لينفبهم من بعد ، وفرض ضرامات وهبوديات على المدن التي كان يسقط فيها رجاله . وكنا نطلمع على هذه الاعمال الحربية التي يقوم بها أفراد تحت أشد الأخطار ، ضد جيشي المحتلين ، فنشعر بكبرياء يطفو عليها ظلام الأسى . وكان هلاك الفرنسيين الذين يقضون صحايا الانتقام الجرمانى ، من جهة اخرى ، يضر ارواحنا بالحداد ، دون ان يسري اليها قنوط ابدى ، لأن هلاكهم ذاك يوارى

تضحية الجنود في مبادئ القتال ، ولكننا كنا نقدر ، استناداً لأسباب
بدئية من التفكير الحربي ان الكفاح يجب ان يُوجّه ، وان الوقت لم
يُمن بعد ، من جهة اخرى ، التبرع في قتال عرقي على ارض الوطن
الأم . فانه سيكون لانهاك العدو ، ثم للاشتباك معه في مواقع منتقاة
من قتل قواتنا في الداخل ، والوثبة الوطنية الشاملة اخيراً التي جعلنا
نريد الحصول عليها يوماً ما ، فعالية جتارة على ان تؤلف جميعها كلاً
لا يتجزأ ، ورنط بعمل جيوش التحرير . بيد ان المقاومة عام ١٩٤١ ،
كانت في بواكير نشأتها ، وكنا نعرف ، من جهة اخرى ، انه من
أعوام طوال قبل ان يكون حلفاءنا على استعداد للرد .

وقد صرحت ايضاً في ٢٣ تشرين الاول ، من المذباح : « إنه لطبيعي
إطلاقاً ، وما يمكن تعريده إطلاقاً ان يقتل الفرنسيون الألمان . فإذا
كان الألمان لا يريدون ان يتلقوا الموت من ايدينا ، فليس لهم إلا ان
يبلغوا في ديارهم .. وما داموا لم يوفقوا الى اخضاع الكون ، فهم على يقين ان
كل واحد منهم سيفدو جثة او اسيراً .. ولكن هذا هو التفكير للحرب .
يجب ان تقاد الحرب على يد أولئك الذين وُكل اليهم امرها .. والأمر
الذي أوجهه الآن الى الأرض المحتلة ، هو ان لا يقتلوا فوقها ألماناً على
نحو مكشوف . وذلك لسبب واحد ، ألا وهو ان من السهل جداً
على العدو ، في هذه الفترة ، ان يرد بذبح محاربينا المرل آتياً .
وعلى العكس عندما نمسي في سعة من الانتقال الى الطبعوم ، فتصدر
« وأمر بذلك » .

كان الواجب يقضي ان بعيد من الشعور العام الذي أحدثه القمع
الألماني في تدريز الطبقة والتضامن الوطنيين ، مع المحاولة ، في الوقت
نفسه ان نحمل خسارة معدودة وهي التي كانت فادحة لقاء نتائج ضئيلة
غاية الصّالة . ومنذ كان العزاء قد سفكوا عشية ٢٥ تشرين الاول

(أكتوبر) دماء خمسين رهينة في ثانت وشاتوبريان ، وخمسين آخوين في
يوردو ، أذعت ما يلي : « لقد حسب العدو إذ أعدم شهداء ، أنه
سيدخل الرعب على فرنسا . وقرسا سقريه انه لا يرعبها . إنني لأدعو
جميع الفرنسيين والفرنسيات الى وقف كل مشاط ، وان يلزم كل واحد
منهم حيث هو صامتا ، يوم الجمعة في ٣١ تشرين الاول من الساعة الرابعة
الى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة . إن هذا القاتل الجبار ، وهذا
الإضراب الوطني الشامل ، يجعلان العدو امام الخطر المحدق به ، ويدل
على الإحياء الفرنسي . وكررت ندائي عشية اليوم الموعود . والواقع
ان التظاهرة اتسمت في كثير من الامكنة ، ولا سيما في المصانع ، بسمة
مؤثرة . وقد وجدت نفسي من جرائها ، أقوى وأشد في عزمي على
منع المقاومة من الانحدار الى القوضى ، وان احمل معها ، على العكس ،
بموجعا منظما ، دون ان احطم فيها ، مع ذلك ، روح امادة السقي
بعث عليها وكان المايص فيها ، ولا الحواجر العاصلة التي توشك لولاها
ان تتوارى برضاها ، دفعة واحدة .

لقد كانت عناصر تكوينها على كل حال ، ولحركات المبعدة عنها ،
قائمة الآن ، شديدة المضاء في كثير من النواحي ، وانكها تشكو شكوى
بالغة من نقص الملاكات العسكرية . وكانت فيشي تقطع الطريق على
تلك الملاكات ، اي ما تقضى من الجيش ، حيث رجعت او يمكن ان
توجد . ومع ذلك ، فإن اعمال المقاومة الاولى انطلقت من العسكريين ،
إذ كان ثمة ضباط تابعون لأركان الجيش الدمة والمصاطق قد خباوا اعتدا
عن لجان الهدية ، وامتدت مصلحة الاستخبارات في تطبيق تدابير
التجسس المضاد ، خفية ، وتطلى للامكليل ، في عترات منقطعة ،
معلوماتها . وأعدت تدابير قسمة عامة بإشراف الجفرلات : فرير ،
ديلتران ، فرمو ، بلوخ - داستو ، دورميتيه ، واستخدم جميعيات

الصداقة لهيئات القوات المهنددة . وقد دش الجنرال كوشيه الدعية الفعالة ضد روح الاستسلام . وكثير هم الذين راحوا يتدربون ويدرب بعضهم بعضاً على حمل السلاح ، من مرشدي وابطال الشباب التي كانت تصمم عدداً من العسكريين القدماء . وكان كل من بقي في الوحدات المشككة من جميع الضباط تقريباً ، ودوي الرتب ، والجنود ، لا يحمون أهلهم في استئناف القتال .

وكان الجمهور يحد في ذلك ، من جهة اخرى ، ارتباطاً طيباً . وقد جيء بفيلم محليات من فرنسا ، شاهدته وحدي في لندن ، فأعطاني مثلاً رائعاً على موقف الجمهور ذلك ، وفيه يشاهد بيتان لدى ريادة قام بها الى مرسيليا ، يبدو من شرفة فندق المدينة امام القوات والجمهور معاً ، والجميع تحركهم الحماسة الوطنية ، ويسمع المارشال وهو يتعجب لا يجهل الجماهير ، يصرخ فجأة . « لا تصوا انكم جميعاً في ثعنة دائمة ! » وبشبه المرء اندفاعاً الحماسة التي تارتها هذه الكلمات في الحقل الحاشد بالمدينين والعسكريين ، وهم يصيحون ويبكون من التأثر .

وهكذا ، كان الجيش يظهر عفوياً أنه على استعداد لاحتضان المقاومة الوطنية رغم الأسر ، أو رغم هلاك ذريته ، بل أفضل أبنائه معظم الاحيان . ولكن ذلك هو ما لم تكن تريده « الحكومة » التي أولاها طاعته فقد منعت فيشي من أداء رسالته الخاصة ، وحصرته معنوياً في مارق لا يملك أحد الخروج منه إلا بتعظيم الانضباط الرسمي ، وهي التي سجلت اول الامر بأسطورة الحياة ، ثم بالتعاون . وعلى الرغم من ان عدداً من العناصر العسكرية اجتاز الحدود ، والذين كلوا منخرطين في الشبكات منهم خاصة ، فإن الواقع هو ان حركات المقاومة اضطرت ، عند مطلقتها ، الى ارتجال ملاكها العسكرية بنفسها ، على يد أولئك الذين دخلوا الجيش السري ، والذين ألغوا من بعد « منظمة مقاومة الجيش » .

ولقد قامت منظمات عديدة بنشاط ملحوظ في حقل الدعاية وحشدت تشكيلات شبه عسكرية في المنطقة التي وصفت بأنها حرة منها ، و كورمبا ، التي تولى رئاستها القيبي فريناي ، و و لبراسيون ، التي قام فيها إيمانويل داسليه دي لايجري بدور رئيسي ، و و فراي - تيرور ، التي كانت يرأس تحرير صحيفتها الموجهة جان - بيير ليفي وراح ما بقي من النقابات في الأعوام الحالية ، و الاتحاد للعام للعمل ، و والاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين ، يث روحاً متميز المقاومة ، وكذلك كان شأن بضعة تجمعات منبثقة من أحزاب قديمة ، أبرزها الاشتراكيون ، والديمقراطيون - الشيوعيون ، والاتحاد الجمهوري . ومنذ كان الألمان لم يحتلوا المنطقة ، وإن الممارسة التي ألفتها بقايا هذه الأحزاب ، كانت بطبيعة الحال ، ضد فيشي ، وأصبح ما لهذه من شرطة ومحاكم منطلق نزاع . وكان الزعماء يفكرون ، من جهة أخرى ، وهم يقومون بإعداد القوى التي يمكن استخدامها ، إذا اقتضى الأمر ، ضد العدو ، في الاستيلاء على السلطة ، ولا يرون في المقاومة أداة حرب فحسب ، بل وسيلة للحلول محل العهد .

كان الطابع السياسي لحركات المنطقة الجبلية يساعد ، بكل تأكيد ، على جعلها حيّة ، فاشطة ، وعلى اجتذاب عناصر ذات نفوذ إلى صفوفها ، وعلى إكساب دعايتها قوة متحركة تشوق الجمهور وتوقظ أفكار العامة . ولكن النظام النقيض ، من جهة أخرى ، وبالتالي عمل اللجان الإدارية المشتركة ، لم يكن يشكو أي نقص . يجب القول إن جمهرة المنتسبين والمناصرين لم تكن تولى اهتمامها إلا في التزير النادر ، للنهج الذي ينبغي للمقاومة أن تطبقه فيما بعد ، ولا لشروط التي ستتولى السلطة يوماً ما بموجبها ، ولا باختيار أولئك الذين سيكون لهم ، يومذاك ، أن يحكموا . لم يكن الشعور العام سوى الرغبة في القتال ، أو الاستعداد له ، على

الأقل . كان المراد ، الحصول على أسلحة ، وإيجاد مخايب ، ودراسة توجيه الضربات ، والقيام بها أحياناً ! ولذلك ، كان يشفي الانتظام في المنطقة نفسها بين جماعة من قوي المعرفة ، والمشور على بعض الرسائل والامتناع عن اقحام المآرب الشخصية . وموحز القول ، إذا كان الإيعاز داخل الحركات ، متمركزاً نسبياً ، فإن العمل ، عكس ذلك ، كان يتورع بين وثائق منعقة ، ولكل فئة رئيسها الخاص ، وعملها لحسابها الخاص ، وكانت الفئات تتنازع فيما بينها موارد في منتهى الضالة ، من الأسلحة والأموال .

وكان هذا التنافس في المنطقة المحيطة يتوارى أمام الخطر المباشر ، ولكن كان تشتت الأشخاص والجهود ، يفرض نفسه على نحو أشد ، فالناس هناك على احتكاك مباشر وساتق ، بالعدو . وعلاقتهم إنما كانت مع المستقبل ، فلا وسيلة للانتقل ، ولا للمراسلة ، ولا للاختيار ممكن ، دون اختيار مرافقات دقيقة ، صارمة . وكل من يُستَبه به يزح في السبيل بانتظار نفيه إلى المعتقلات . أما المقاومة المقاتلة فكانت لمرؤس المحاربين من غير تأجيل ، للتعذيب والإعدام . والنشاط صعبان يتعنت ، في مثل هذه الأحوال ، إلى أقصى حد . غير أن وجود الألمان كان ، على العكس ، يبغي على جوار يدفع إلى الصال ويبعث على المشاركة في الأمر . وكذلك راحت الحركات في هذه المنطقة تكتسب طابع لوم من الحرب والتأمر ، فإن « المنظمة المدببة والمسكرية » التي أسسها المفيد قوي ، و « رجال التحرير » الذين كان يرؤسهم ريموش ، و « رجال المقاومة » الذين يجدهم ليكونت - بوابيه ، ومنظمة « تحرير الشمال » التي أسسها كاديتيس ، وأخيراً « صوت الشمال » في الميو ، من علامدر في بلاد المعادن ، التي أدارها هوك ، كانت جميعها تطرح ارساً كل نزعة إلى السياسة ، ولا تهتم بحيز الكعاج ، وينفزع

عنها زمر سرية صغيرة ، منزل بعضها عن بعض .

ودخل الشيوعيون بدورهم ميدان العمل في نهاية ١٩٤١ . وكان قادتهم حتى ذلك الوقت ، قد اتخذوا اتجاه الغزاة موقفاً سالماً ، وهم يصنعون ، مقابل ذلك ، في الرأسمالية الأنكلو - سكوتية و « الديفولية » ، خادمتها . ولكن موقفهم تحول فجأة حين غزا هتلر روسيا ، وانقطعوا هم أنفسهم أن يجدوا الوقت للعودة إلى الدخاير ، وتركوا ارتباطاتهم الضرورية للنضال السري . وهم الذين كانوا مُعتدِّين لهذا للنضال ، من جهة أخرى ، على يد تنظيمهم في خلايا ، ورتبهم المعهدة ، وروح النصيحة لدى ملاكاتهم . سيشاركون إذن في الحرب الوطنية بشجاعة ومهارة ، وهم بلا ريب ، ذرور حسن وطني يلي مداء الوطن ، ولا سيما السطاء منهم ، ولكن لا يفرحون أبداً عن ما هم ، بمقدار ما هم يحبون ثورة ، هدفهم الأسد ألا وهو إقامة دكتاتوريتهم على مائة فرنسا . وسيحاولون إذن بلا هوادة أن يحتفظوا بحريتهم في العمل ، ولكنهم أيضاً كانوا لا يريدون ، وهم يستعدون قبول المحاربين عما فيهم ميولهم ، سوى معركة واحدة ، وسيجهدون بصدق في أن ينفروا المدومة كلها ليتخذوا منها ، إذا أمكن ، أداة طمطمهم .

هكذا ألقوا ، الحصة الوطنية ، في منطقة الغنلة ، وكانت مجمعا ذا مظهر وطني خالص ، وشجاعة ، الرصانة الأحرار ، ، ولأنصار وهي قوة كان يبدو أنها وقف على مكافحة الأناك . وهكذا احتذبوا اليها كثيراً من العناصر اللاشوعية ، ولكن تلك القوة يمكن أن تستخدم شتاراً لأغراضهم وهكذا دفعوا بعض أفرادهم ، بموتهم ، إلى الهيئات الإدارية لساتر الحركات . وهكذا سرعان ما عرضوا على مؤازرتهم ، دون أن يفكروا أبداً عن صبة حام غصهم خميمة ، على « اسطورة ديعول »

وكنيت في أريد ان يخدموا ، وليس ثمة قوات لا يجوز استخدامها في سبيل دحر العدو ، وكنيت أفقدت ان قواتهم ذات وزن كبير في يوم الحرب التي كان يفرضها الاحتلال ولكن ينبغي ان يخوضوا تلك الحرب كجزء من كل ، أي ان يخوضوها تحت لوائهم ، وذلك هو القول الفصل . وكنيت ، وأنا اعتمد دائماً على قوة الشعور الوطني والثقة التي أولاهما الجمهور ، مصمماً بكل قواي ، على إبلائهم مكانتهم في المقدمة الفرنسية ، فضلاً عن مكانتهم يوماً ما ، في إدارتها . بيد أنني كنت مصمماً كذلك على ألا اتركهم أبداً يربحون الشوط كله ، ويتجاوزوني ، ويصنعون على رأس المقاومة . فالمأساة التي كان يدور حولها مصير الوطن قد تمت لهؤلاء الفرنسيين ، استعبدت عن الأمة بالحيف الذي كان يشيرون والاضلال لدي حاد بهم عن الجهاد الصحيحة ، فرصة تاريخية للعودة الى حضن الوحدة الوطنية ، وإن كانت عودتهم مدة الضال فقط . وكنيت أريد ان انصرف على نحو لا تصيح معه هذه الفرصة بحال ، أبداً . سيتاح اذن لأولئك الذين يقدمون حياتهم لفرنسا كيفما كان ، واستى كان ، ان يتبعوا هذه المرة أيضاً ، لتحيي فرنسا ، في لحظة الموت ، إديس لجميع المبادئ ، وجميع المدارس ، وجميع التمردات في حركة العالم التي لا تنقطع ، سوى وقت واحد ، هالشيوعية ستقول ، ولكن فرنسا لن تزل . وأنا على يقين ان هذه ستعتمد كثيراً ، في مصيرها آخر لأمر ، على هذا الواقع ، ألا وهو انها لن تكون على الرغم من كل شيء ، سوى شعب واحد متكاتف ، عند تحررها ، هذا التحرر الذي سيكون لحظة عابرة ولكن حاسمة في تاريخها .

وعلت في تشرين الاول ١٩٤١ بقدم جان مولان من فرنسا إلى لشبونة ، وأنه يسمى في النهاب الى لندن . وكنيت أعرف من هو ، وأعرف على الأخص ، أنه كان محافظاً الأور - واللوار ، حين دخل الالمان

بارتر ، وضرب مثلاً للمعاكفين في الحرم والكرامة ، وان العبد وزجه
، السجن بعد ان جرجره وعذبه وجرحه ، وأطلق سراحه أخيراً مع
عتذاراته ولحياته ، وان فيشي أعادته إلى منصبه ، غير انها أقصت من
مد . وكنت أعرف انه يريد ان يتقدم ، فكان ان طلبت الى المصالح
بريطانية ان تقود هذا الرجل الكفء الى إنكلترا . وكان علي ان
نتظر شهرين لتلبية طلبي ، والواقع ان « الاتلجيجانس » كان يجهد في
ضم مولان اليه ، وكان هو يطالب ، على العكس ، ان يولد إليّ ،
وقصصت عن طريق رسالة عاجلة بعثت بها الى السيد إيدن ، من
إبلاغ المسافر الامين ، مرلحماء . وسينالني من بعد هناك مكبير ، في
ثامن عودته الى فرنسا .

وكانت لي معه أحاديث طويلة خلال كلون الاول ، ذلك بأنه قام
بعديد الاتصالات ، قبل ان يذهب الى لندن ، مع كل واحدة من حركات
المقاومة ، وجس نبض أوساط سياسية واقتصادية ، وإدارة مختلفة ، من
جهة ثانية . وكان يعرف الصميد الذي أوى تسييره عليه ، بأدى ذي
يده ، وقد أبدى مقترحات واضحة ، وقدم طلبات دقيقة .

كان هذا الرجل لا يزال شاباً ، ولكن خبرته تكونت من خلال
تمرسه بالحياة العملية ، وهو يحول من الطينة نفسها التي تُجبل منها
أفضل رفاقي ، إذ كان يفهم روحه هوى فرنسا ، وعلى اقتناع أن
« الديقولية » ليست بما يجب ان يكون أداة الكفاح وحسب ، بسبل
حرك كل تجده أيضاً ، وكان مشبعاً بالشعور ان الدولة تتجسد في فرنسا
الحرة ، متطلماً الى المتروحات الكبرى . ولكن كان أيضاً ملم بالحكم ،
يرى الاشياء والناس كما هي ، فكان يعد خطواته وهو يمشي على طريق
ملقومة بأشراك الاعداء ، وعرق بالعراقيل التي يقيمها الاصدقاء . كان
على مولان ان يؤدي مهمة رئيسية خلال ثمانية عشر شهراً ، وهو رجل

الايمان والتدقيق في الحساب ، لا يشك في شيء ويحذر من كل شيء ،
أي كان رسولا ووريراً في آن واحد . وسيكون من أمره ان يقود
المقاومة في الوطن الام الى الوحدة العملية ، وهي التي لم يرقم منها بعد
سوى وحدة رمزية . ثم حدث ان خانته من خانته ، ووقع أسيراً ،
وعذبه عذاباً مكرراً هددو لا شرف له . ومات أخيراً في سبيل فرنسا ،
شأنه شأن كثير من الختود الأبرار الذين مكابدوا يجلد وتضحية مشقة
السرى ، حتى إذا انجلي الليل ، كانوا موضع حد وثاء في الصباح .

كنا قد اتفقتنا ، انا وجان مولان ، ان يعمل أولاً في حركات المنطقة
الجنوبية ، ليحصلهم على تشكيل منظمة مشتركة برئاسته ، رتبط مباشرة
بالجنة الوطنية ، وان يرصد اتحادها ، ويصدر الأوامر ، ويسوي
الخلافات الداخلية ، فإذ تم ذلك ينتقل الى المنطقة الشمالية ويجهد في
ان يشوه ، لجموعها ، مجلداً من المقاومة كلها التابعة لفرنسا الحاربة .
ولكن منذ كان المراد تنويع كل حركة أو فئة أو فرد في الوطن الام
يشارك في الكفاح ، بكيان عضوي واحد ، فقد انطرحت مسألتان :
قضية الأحزاب السياسية ، والقوات العسكرية في الداخل .

وحيث اني كنت مضيقاً بالصفة التمثيلية لا الادارية التي أودت ان
يتخذها ذلك المجلس الملل ، ولقيت سيتخذها فضلاً ، فاني لم اشأ ان
اسقط الأحزاب منه ، ولا كان في الامكان تجنب تمثيلها فيه . وكان من
رأبي ، في جانب آخر ، ان الولايات التي حلت بنا لم تكن من الأحزاب
بل من استشار هذه السلطات العامة وإساءة استعمالها مما عزز اوضاع
الانحطاط وانظمت . ثم امي ، وإن احتفظت لها بمكانتها ، لم اكن اعني
في الحاضر ان تستولي على المقاومة ، فهذه لم تستلم الروح الحزبية ولا
احماله بحال من الاحوال ، طالما ان الأحزاب جميعها ، خارت بلا استثناء
في اللحظة الحاسمة . إلا انها وقد صغقت امس حبال الكارثة ، اخذت

الآن نملك ، فإن بعضاً من عناصرها طُفقت ثميد مجتمعا ، وإن انضوت
الى حركات المقاومة ، في الاطر القديمة ، من جهة اخرى .

صحيح أنه لم يبق لديها جمهور تطلقه ، ولا الأعياب تمرس بها ،
ولا حقائق تساوم حولها ، فاعتقدت أو اظهرت الاعتقاد أنها رجعت إلى
المصادر البنية التي صدرت أصلاً عنها : إرادة العدالة الاجتماعية ، عبادة
التقاليد الوطنية ، الروح الوطني ، الشعلة المسيحية . وبداء أن تخطيها
التواليبة لم تكن تريد شيئاً ، وقد ظهرت تطهيراً عبقاً ، إلا أن تقدم
للصراع إسهاماً مباشراً ، بنعثة هذه المرة أو تلك من نزعات الرأي
العام . وقد استعاد هذا ، من جهة أخرى ، حساسيته بعض الشيء ،
بمباراة هذه الجماعات المألوفة لديه ، بمقدار ما فكر لأحطتها واحلفه
لم يتوانوا أخيراً ، عن إيلاء انتباههم للمواقف التي كان يقفها رجال
الأحزاب . كانت هناك إذن وقائع لا أستطيع تجاهلها ، وأنا أنفي
الوحدة المرسية . ولذا ، أوصيت مولان أن يدخل على المجلس اراد
إدشاؤه ، في اليوم الموعد ، مندوبي الأحزاب إلى جانب مندوبي
الحركات .

وإذا كنت أحسب أي أستطيع هكذا إيجاد بعض الوحدة في
العمل السياسي في فرنسا ، فقد أردت ذلك عنه في العمل العسكري .
وهنا ، كانت الصعوبة تدور من الحركات نفسها التي رعمت ، وقد وجدت
زمرراً للقتال ، أن لها أن تحتفظ بها لذاتها . يضاف إلى ذلك ، أن
تلك الزمر مما لم يكن له أن يكون إلا في عصابات صغيرة ، ناشئة
المناطق الجبلية ، أو المحمية على نحو أكيد . وكانت تلك العصابات
تظهر أبرز ما تظهر ، في محاريبي الأدعاء الدين فالتوا ، أكثر ما
تالتوا ، من عصاة منمردين كان عليهم أن يصمدوا في الميدان . والشكر
الحري الوحيد الذي يلتظر منهم ، إنما كان حرب العصابات . ولكن

هذه يمكن أن تكون ذات فعالية كبرى في لو كانت أعمالها التفصيلية حرة من كل مترابط ، عظيم . فإذا تركنا شتات لمرور المختلفة تعمل بصورة مستقلة ، يصبح المتكامل عند ذلك ، أن ترتبط فيها ببعضها برابط مرن ولكن فعال ، يتصل في مباشرة . وهكذا ، يصبح في الإمكان أن يركز لها مجموعات من الأهداف تعمل على بلوغها ، في شكل خطط ترمم بالاتساق مع القيادة الحليفة ، ويتم تنفيذها حسب الظروف ، وعندما تآلف على الأخص ، ساعة نزول الجيوش ، أخيراً ! وقد كانت مولان أن يسيطر الحركات نحو هذا التماسك الابتدائي بين عناصرها العسكرية . وكان يلزمه ، أن انتظر عدة أشهر لاستطيع أن أوجد قيادة للجيش السري ، في شخص الجنرال دبستران .

وقد أرسل جان مولان ملاحظة في الجيوب (الميدي) أثناء الليل من أول كانون الثاني (يناير) . وكان يحمل الأمر في إليه بمهمة ، وقد عينته مندوبي المنطقة غير المختصة من فرنسا الأمم ، وكلفته تأمين وحدة العمل بين عناصر المقاومة . وما كان لأحد أن يتأرجع في سلطته ، مبدئياً ، استناداً إلى ذلك الانتداب والتكليف . ولكن سيكون له أن يمارس سلطته وعلى أن أدمه . وتمّ التعمم كذلك أن يكون هو ، في فرنسا ، مركز محاوراتنا أولاً مع منطقة الجيوب ، ثم مع الشمال في اللحظة التي يصبح ذلك بها ممكناً ، وأن نوصع تحت تصرفه وسائل البث وأن يلتحق به معروضات بالميات ، وأن يكون على طلاع بحركات الهيئات ، والعتاد ، والبريد التي تجري طماننا من انكسار إلى فرنسا وبالعكس ، وأن يتلقى أخيراً ويوزع الأموال التي نعت بها إلى مختلف الهيئات العامة في الوطن الأم . وهكذا أخذ مولان يمارس عمله ، وقد تحولت الصلاحيات .

وسرعان ما عهد قادة الحركات في المنطقة الجنوبية ، يوحى منه ،

يعززه ضغط القاعدة ، الى تشكيل فرع من مجلس قوى يرأسه مندوب اللجنة الوطنية . وأصدروا في آذار تصريحاً مشتركاً بعنوان . « كفاح واحد ، رئيس واحد » تمهدوا فيه بوحدة العمل ، وأعلنوا انهم يسبغون بالحركة تحت سلطة الجنرال ديفول . وطبق النظام بسود مختلف اللشاعات ، وبدأ الإعداد لصهر الحركات شبه عسكرية ، وراح مولان في الوقت نفسه ، ونحن ساعده ، يهر مفوضيته بمصالح مركزية .

وهكذا بدأت مصلحة « المصليات الجوية والبحرية » تتلقى من العقيد ديهران مباشرة ، المعلومات المتعلقة بذهاب الطائرات والسفن ، وإيها . وراحت الطائرات من طراز « ليرانديرر » او قاذفات القنابل ، يقودها طيارون مختصون يمثل هذه المناقب الجريئة - أمثال نوران وليمري ليفل - تحط في الليالي المظلمة كل شهر ، فوق الأراضي المختارة . وراح رجال يمتازون كل مرة بمحياتهم ، ليؤتموا إشارات استقبال المسافرين أو تبحيرهم مع الغمام ، وحماية الأشياء والناس . وأغلب الأحيان ، كان المراد التقاط الهابطين بالظلمات في نقاط معينة ، وإيواءهم ، ونسفيرهم . وكانت « مصلحة الراديو » التي بدأت « جوليت » بتنظيمها ، تقوم بأعمالها كذلك في ظل المندوب ، حارة بلندن وهي تغطي كل شهر مئات الأميال ومن بعد الآلاف ، تنقل بلا انقطاع محطاتها التي تتحركها أجهزة الاتصال لدى العدو ، وتُسَدُّ ثغرات الحائط القاذحة التي نصيبها كلما هب عليها . وأوجد مولان أيضاً « مكتب الإعلام والمصحافة » ، إدارة جورج سيدو الذي كان نطلعنا دوماً على الذهبية السائدة ، ولا سيما في اوساط الفكر ، والعمل الاجتماعي ، واللبامة . وكانت « اللجنة العامة للدروس » ، الملحقه بالمندوب ، تعد المشاريع للمستقبل ، وفيها كان يعمل كل من « باسليد » ، لاكوست ، دي مانتون ، بارودي ، تيتجن ، كورغان ، وموريه . وكان « بلوك - لينه » يدير لحساب المندوبية ، عمليات

المال ويختزن الاموال التي يتلقاها من لندن . وهكذا ، كان مولان يقبض بيديه على مقاليد الامور الجهورية ، ويُشمر الآخرون عملياً بسلطان حكومتنا . والشهود الذين قدموا من فرنسا في الشهور الاولى من عام ١٩٤٢ ، مدّونا بالأدلة على ذلك .

وكان ريمي احد أولئك الشهود . فقد جاء من باريس في إحدى ليالي شباط ، حاملاً معه لدوائرها أكدياً من الوثائق ، ولقرينتي شجرة أزاليا في إفاء فخاري اشترأها من شارع الرويال ، وكانت شبكته « أخوية السيدة » في ذروة نشاطها . لها من باخرة ألمانية هائلة كانت تقرب مثلاً من بريست ، لوربان ، فان ، روتشور ، لاروشيل ، بورديو ، أو تطلع منها دون ان تتلقى لندن برقية تعلمها بأمرها . وما من بليان يقيمه العدو على ساحل المانش أو الاطلنطي ، ولا سيا في قواعد الفواصات ، دون ان يكون مكانه وخطة العمل فيه قد عرفت لدينا ، في الحال . وكان ريمي ، هذا ذلك ، قد نظم اتصالات بمنهجة ، إما بشبكات اخرى ، وإما مع حركات المنطقة المحنة ، وإما مع الشيوعيين . وهؤلاء كانوا قد احتكوا به قبل سفره بقليل ، وكلفوه ان يقول لي انهم على استعداد لوضع انفسهم تحت إمرتي وإرسال مندوب عنهم ليضموه تحت تصرفي .

وفي آذار ، جاء « بينو » أحد قادة « ليبراسيون - نور » (محرر الشمال) ورجل الثقة لدى النفايين ، وأقام ثلاثة أشهر عمل خلالها معنا ، مما كان جزيلاً النفع . وفي نيسان وصل إليّ « بويل دامتيه » وحبته مملأ بالمشاريع والحسابات ايضاً ، وقد رأيت من الصالح ان يذهب ، قبل عودته الى فرنسا ، في زيارة للولايات المتحدة ، وينقل اليها مباشرة بعض المعلومات الدقيقة عن المقاومة ، والنحق بنا من بعد « بروسوليت » ، وكان مخفياً بالأفكار ، يرتفع الى اعلى مستويات الفكر السياسي ، وهو

يدرك الهوة التي حدثت بها فرنسا في أعماقها ، وما كان ينتظر النهوض إلا من « الديغولية » التي راح يبنينا في عقيدة « وطقم يلهم علينا من الداخل » ويوسع آفاقه المكرية . ثم وقع ذات يوم « وهو يؤدي مهمة « بين أيدي العدو » ففضى بنفسه على نفسه خشبة أن يصفى . وجاء « روك » أيضاً يحمل رسالات عدد من البرلمانيين « وكان أن قبض عليه من بعد وقتل وأبحر بول سيمون بدوره « أوفدته « المنظمة المدنية والمسكرية « من المنطقة المحتلة لينشئ قواعد الارتباط معها « وقد وضع فكره المتقد وعمره الرصين في خدمة القضية « وأدى خدمات جيدة « وقتل بيد العدو عشية التحرير . وأخيراً طلب فليب « شارل فالان « و«ينو « ودانيال ماير « وآخرون غيرهم الذهاب إلى لندن .

كانت محادثاتي مع هؤلاء الرجال ، ومعظمهم من الشباب الذين يتفقدون حياة في كفاحهم وطموحهم « تعني على التبيين إلى أي مدى بلغ تزعزع النظام الذي كان يعيش فيه الشعب الفرنسي عند حلول الكارثة . والمقاومة لم تكن وثبة دفاعنا الهزبل المفرط في عراله وحسب « وإنما انتفض معها أيضاً الأمل في التجديد « وأصبح من المرجح أن تفيد كرفعة في تمييز حقيق النظام « وبذل جهد وطني واسع « شرط أن لا تقيد بمسد الانتصار . وكنت أفكر « وأنا أشاهد قادتها يهرون أمامي وهم يقدمون قلبية لتدائي « أن الذين يكون منهم على قيد الحياة « يمكن أن يؤلفوا حولي الطمار الحاكم للقيام بمهمة انسانية وفرنسية « ضخمة . ولكن ذلك مشروط بأن يرتصوا بعد روال الخطر « وهذا الانتظام في العقول والمطامح الذي لا يفيد مدونه شيء « وكان من شأنه أن جمعهم مرة وواحد .

وقد آن الأوان « على كل حال « لأعلن من حقي « الهدف الذي كنا نريد بلوغه « بالاتفاق مع المقاومة كلها وباسمها . وذلك الهدف إنما

كان التحرير بكل معنى الكلمة ، أعني تحرير الإنسان ، بنسبة ما يعني
تحرير الوطن . وذلك ماقت به في شكل بيان أقر في اللجنة الوطنية
بعد أخذ رأي الحركات في فرنسا ، ورأي المندوبية . وقد صرحت
به ان الحرية ، والكرامة ، وحياة الأمن التي عزمنا على تحقيقها لفرنسا
في العالم ، عن طريق سحق العدو ، إنما نعي ان نعمل على نحو يستطيع
مع كل رجل وكل امرأة في ديارنا ان يحققا تلك المعاني في حياتها ،
بتفسير النظام السوي الذي رفضه الكثيرون أدت إذن ، ذلك العهد
الأخلاقي ، الاجتماعي ، السياسي ، الاقتصادي ، الذي تهاوى في الهزيمة ،
كما أدت في الوقت نفسه ، هذا العهد الذي بدأ عن استسلام آثم ،
وأكدت ان الشعب الفرنسي إذا يتحد في سبيل النصر ، إنما يتجمع
في سبيل ثورة . ونشر البيان في ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٤٢ ، في
جميع الصحف السرية في المظفرين ، كما أديع من راديو براوايسيل ،
وبيروت ، ولندن .

كانت أوصاع العمل هذه في الوطن الأم خاصة ، هي التي فرضت
علي ، خلال تلك الحقبة ، ان أبقي على مقر اللجنة الوطنية في لندن .
وكثيراً ما سطر لي ، مع ذلك ، ان اجعل في ارض فرنسية ، في
برادافيل مثلاً . وكانت تعاودي هذه الخاطرة ، على الأخص ، في كل
مرة تشب لنا امة في علاقاتنا مع انكلترا . بيد أي صغنت أحبيب
نفسي آنذاك . « كيف لي وأنا في أعماق افريقيا ، ان أتصل بالوطن ،
وان أسمع صوتي فيه ، وان أوتر في عمل المقاومة ؟ والامر في بريطانيا
المعظم على العكس من ذلك ، حيث نجد وسائل الاتصال والإعلام
المشودة ثم إن الجهد الدبلوماسي لدى الحكومات الخليفة يقتضي من
جهة أخرى ، علاقات واجواء تقدمها لنا العاصمة الانكليزية ، ويستفدها
بقينا ، على ضفاف نهر الكونغو . ومن وحي اخيراً ان احتفظ بالصلات

مع قواتنا التي لا تستطيع ان تجعل قواعدنا إلا في الجزر البريطانية ،
وكان ان ركزت مقرى في لندن بعد عودتي من الشرق ، وسأمكن
فيها حشرة اشهر .

وإني لأعبد النظر في حياتي ، خلال ذلك الزمن ، فيمكن القول إنها
كانت ملهى . ولكي أوجز ، أذكر أني كنت اسكن فندقى كولوت .
وقد استأجرت ، عدا ذلك ، أول الأمر في إيلزمبر من اشروبشاير ،
ثم في بركهامستد قرب العاصمة ، منزلاً ريفياً كنت أقضي به العطل
الاسبوعية بجانب قرينتي وابنتنا آن . وأقما من بعد ، في لندن ، حي
هامستيد . وراح فيليب ، على اثر انتهائه من المدرسة البحرية ، يطوف
البحار ويقاتل في الاطلسي على ظهر السفينة الحربية « رورليس » ، ثم
في الماش كمساعد ربان لزورق نساب من طراز ٩٦ . وأقامت إليزابيت
تلميذة داخلية لدى « سيدات صهيون » ، وكانت تستعد لتأدية دراساتها
في أكسفورد . وكان الأهالي حولنا يحرصون على مظهر هو التصاطف
الودود . وبمقدار ما كانت التظاهرات حماسة حين أظهر أمام الجمهور
في موقف رسمي ، كان موقف الانكليز هو التحفظ واللفظ معاً حين
يشاهدوني مع ذوي في الشارع أسير ، او أغشى في حديقة ، او ألج
قاعة سينا . وهكذا أتبع لي ان اتحقق بنفسى ولا فيه جدوى لي ، ان
كل امرئ في ذلك الشعب العظيم ، يحترم حرية الآخرين .

وكننت أقضي النهار معظم الاحيان في « كارلتون غاردنز » . وهناك
كان كل من فرسوا كولى الذي أصبح رئيساً للديوان منذ ذهب كورسيل
يقود كوكبة من المصفحات في ليبيا ، وبيتوت رئيس اركابي العامة الذي
خلف « بيتي Pettit » في هذا المنصب ، حين ذهب في مهمة الى موسكو ،
كما خلف « اورتولي » الذي يقود « نريوجمان » ، كانوا يقدمون لي التقارير
والرسائل والبرقيات . وهناك كان سوسليل يعرض لي انباء اليوم ،

وباسي - ديوافران يأتيني بتقارير قرناً ، وشومات يتلقى توجيهاتي في شأن ما يذيع . وهناك كنت اضع مستويات القضايا مع المفوضين الوطنيين ورؤساء المصالح ، وأستقبل الزائرين او الاشخاص الذين أستدعيهم ، وأصدر الاوامر والتعليمات وأوقع المراسم . وغالباً ما كنت التقى شخصيات حليلة على مائدة العشاء ، ومائدة العشاء احياناً ، او فرنسيين كنت أودّ للتحديث اليهم . اما العمل المهم الذي كان بالنسبة لي كتابة الكلمات في مختلف المناسبات ، فكنت اقوم به في منزلي ، مساءً او يوم الاحد . كنت اجهد في جميع الاحوال ، ان لا اعرقل سير الاعمال في المصالح يحدول لاستعمال الوقت ، غير منتظم . وما كان لعمل ان يكون اثناء الليل في « كارلتون غاردنز » باستثناء مكتب الرموز (الشفرة) .

وكان علي ، من جهة اخرى ، ان اقوم بكثير من الزيارات خارج المكتب ، إذ كنت أذهب حين تسنح الفرصة ، الى احد مراكز الحياة الفرنسية في لندن ، عدا المحادثات مع الوزراء البريطانيين ، ومؤتمرات الاركان العامة ، والاحتفالات التي كانت تدعوني اليها الحكومة الانكليزية ، او هذه وتلك من حكومات حلفائنا . وكان « المعهد الفرنسي » الذي انضوي اليها بكل معنى الكلمة ، منذ النقيضة الاولى في شخص مديره البروفسور سورا ، كان يمد مواطنينا برسائل قطع قيمة ، ووسط ثنائي ناشط . واستمر « الأليانسي فرانسيز » في أداء عمله بحافز من « تيموان » والآسة تلمون . و« بيت معهد فرنسا » استمر كذلك الى ان دكته القنابل ذات مساء واهلكت مديره روبر كرو ، وفيه مكتبة تحسوي الوثائق التي تحتاج اليها مصالحنا . وكلت هناك « اصدقاء المتطوعين الفرنسيين » ، وهو تجمع يديره اللورد تريبل ، واللورد دي لاوا ، واللورد ليفور تشرشل ، ويتألف اكثر ما يتألف من بريطانيين ، وكانت

في اسكتلندا ، لجنة نفسيق فرنسا المحاربة ، ، يرثسها للورد إنفر كلايد ، وكان اعصاؤها يدلون لمحاربينا عونا دكيا بقدر ما كان سغيا ولعلت ، عرفة التجارة الفرنسية ، دورها في المبادلات بين بريطانيا العظمى والأرمني لمنصة اثينا . وكان « مركز للترحيب بفرنسا الحرة ، يستقل أولئك الذين يدأقون من فرنسا ، و « المستعمى الفرنسي ، يعالج عددا كبيرا من حرجنا . وكنت أهداف من مشاركتي في هذه المؤسسات المتنوعة ، ان احمل التضامن الوطني وثيقا في اسكتلندا ، كما كنت احاول العمل نفسه في بلدان اخرى .

وكانت « جمعية فرنسي برطانيا العظمى ، تعيني في ذلك عونا فعالا . فهي التي نظمت على الاحصر ، بضعة اجتماعات كبيرة احتشد فيها مديون وعسكريون ، وأثاحت لي شخصيا ، أن أنتقي جمهرة الفرنسيين ، وأثاحت للحضور ان يظهروا قناعاتهم وينضموا ها ، وللوطن الأم ان يسمع صرنا بهضل المدياع الذي كان ينقل خطب ووقائح الاستقالات . وكنت قد اوصحت من قبل ، في اول آذار (مارس) ١٩٤١ ، وفي كيمزواي هول ، رسالتنا ، وركت آملنا ، امام الوف المستمعين . وبيتت علما صيغة الماراد الثلاث لباستنا في ١٥ تشرين الثاني على مسمع من الجمهور التي كانت تملا ردهة ألبرت هول الرحبية .

قلت يومذاك : « المادة الاولى ان تقوم بالحرب ، اي ان نعطي الجهد الفرنسي في النزاع اوسع مدى واعظم قوة ممكنة ... ولكننا لا نقوم بهذا الجهد إلا تلبية لنداء فرنسا ، وفي خدمتها . ثم صرحت ، وأنا أدبر عهد ما قبل الحرب وعهد فيشي معا : « إنا نعتقد ان من الضروري ان ترتفع من احماق الأمة موجة هادرة تتدفق بالعافية وتكس عوامل التنكية وكل ما بُني على الاستسلام وقام فوقه . ولهذا ، فإن

المادة ٢ من سياستنا إنما هي ان نجعل الرأي الشعب في اللحظة التي تسمح له بها الطوائف ان يعتبر بحرية عما يريد وما لا يريد . . ورسمت أخيراً في المادة ٣ الأسس التي نرغب في ان نعطيها للأنظمة المتجددة في فرنسا ، وقلت : « هذه الأسس هي التي حددتها شعارات الفرنسيين الأحرار الثلاثة . نحن نقول : « شرف ووطن » ونعني بذلك ان الأمة لا تملك ان تعود الى الحياة إلا بالنصر ، وان تبقى على قيد الحياة إلا بالتمسك لمعظمتها الخاصة . نحن نقول : « حرية ، مساواة ، إخاء » لأن ارادتنا إنما هي ان نقى أعضاء للباديء الديمقراطية . نحن نقول : « تحرير » ، وذلك لأنه اذا كان لهذه ان لا ينتهي قبل هزيمة العدو ، فإن عليه ان يتخذ هدفاً له ، والنسبة لكل من الفرنسيين هذا الشرط ، ألا وهو ان يكون في إمكانه ان يحيا ويعمل بكرامة وأمان .

وكان من الحضور ، يومذاك ، ان اظهر من التأثير ، وأثار من التصفيق عاصفة تراسى دوريتها الى ما وراء النادي ، وأبعد من إطار ألبرت هول

كانت مثل هذه الاجتماعات مدرة . وعلى العكس منها ، كثيراً ما كنت اذهب لرؤية منظوعياً تحت ستار من القبطان بحولة ثقيشية عسكرية واصبحت قواتنا البرية ، والبحرية ، والجوية بالما ما بلغت من الصالة والنشيت ، وعلى الرغم من اننا لم يكن في استطاعتنا ان نؤلمها ، إلا من قطع واحراء - أصبحت تشكل الآن حكايا متأسكا لا يقطع عن الاشتداد والتلاطم . وراحت خطة التنظيم التي حددتها لعام ١٩٤٢ لموضي الحربية والبحرية والجوية تنتقد كما رسمت . وقد تأكدت من ذلك خلال زيارتي للوحدات للقائمة في بريطانيا العظمى . وكان الناس آنذاك يعبرون عن تقديرهم وتعلقهم الذي لن يفتر ابداً ، لهذا الذي يدعونه شارل العظيم ، اد برومه عن كتب ، بنظراتهم ،

وموقفهم ، وحوادثهم في العمل .

ولم يكن لجيشنا الصغير الذي يحارب في إفريقيا والشرق سوى مراكز تعريب على الأرض الانكليزية . ولكن تلك المراكز كانت تعدّ قسماً كبيراً من الملاكات . وفي مسكر تشامبرلي قدم له العقيد رينوار فوج القناسة ، ومجموعة المدفعية ، وكوكبة المصفحات ، ومفرزة الهندسة ، ووحدة الاشارات ، وسها كان يتخرج كل ستة اشهر ، عدد من ذوي الرتب والاختصاص . وانتقلت الى رحبة المدفعية التي كانت تحت إمرة المتقدم بوليه ، تهيء القائد الفرنسي المنقول الى بريطانيا العظمى على يد مصالح الجيش الاساسية لحملة الخروج ، او بالسفن الحربية القادمة من فرنسا ليام الفوز . وكانت ترسل الأسلحة والدخشاير وعربات النقل لتجيز تشكيلات جديدة ، مع القائد الجاهز ، إما عن طريق الانكليز حسب نصوص اتفاق ٧ آب ١٩٤٠ ، وإما عن طريق الاميركن حسب قانون الإعارة والتأجير . وكانت مفاوضات التنفيذ وتدبيره التي لتنفيذ تلك المهمة العسكرية ، تقع على عاتق مصلحة التسليح . وهذه كانت تديرها إدارة العقيد موران حتى اليوم الذي قضى به ذلك الضابط الممتاز لمحبه ، في الطائرة خلال قيامه بمهمة ثانية ، وخلفه المتقدم هيرش . وفي لندن نفسها ، مكنت أحيي أحياناً سرية المتطوعين الفرنسيين التي تولت مهمة التقيب فيها الأنسة فيرث بعد السيدة ماتيو ، وكانت تشتمل على فتيات ماهرات كسائفات ، وممرضات ، وأمينات سر . مكنت أزور ، من وقت لآخر ، فتيان فرنسا الحرة ، في ما القرن ، ثم في ريبزفورد . وكنت قد انشأت مدرستهم عام ١٩٤٠ المخصصة للطلاب والمتخرجين الذين تعلموا في انكلترا . وما هتمنا حتى جعلنا منها معسكراً لمرشحي ضباط . وكان المتقدم بودوان يدير مدرسة الفتيان . وقد تخرج منها خمس دورات بلغ مجموعها ٢١١ قائد فصيلة او عصابة ، قتل منهم العدو ٥٢ . وما من شيء كان ينشئ رئيس الفرنسيين الاسرار ، مثل الاحتكاك

بأولئك الشبان ، زهرة الأمل تصاف الى مجد فرنسا الذي غشيه الظلام.

وعما كانت وحدات القوات البحرية المتمركزة في بريطانيا العظمى تقوم بتعلم عناصر محصنة للقتال في مكان آخر ، كان معظم قواتنا البحرية يشارك في معركة المواصلات ، انطلاقاً من موانئ إنكليرية الى الأطلسي ، والمانش ، وبحر الشمال ، والأوقيانوس المتجمد الشمالي . وكان كل شيء يفرض علينا لأداء ذلك ، أن نقيد من القواعد الطبيعة . إذ لم يكن لدينا في الواقع ، أية وسيلة خاصة بنا ، في أي مكان ، لإصلاح سفنا ، وصيانتها ، وتجهيزها ، ولا كان في استطاعتنا ، من طريق أولى ، أن نزودها بوسائل جديدة : دفاع ضد الطائرات ، كاشعات البحار ، أسديك ، رادار ، إلح ... مما يقتضيه تطور الصراع . وأخيراً ، لا بد من الوحدة التقنية والتكثيفية للجهود المبذولة على مسرح العمليات البحرية الموسع الذي كانت تحتل منه اسكندرا مركز الصدارة .

وإذا كانت السفن التي نسلحها لنحضرنا برمتها أبداً كان مصدرها ، وإذا لم تكن ترفع علماً آخر سوى المثلث الألوان ، وإذا لم يكن للأركان العامة والبحارة من تدريب سوى التدريب الفرنسي ، وإذا لم يكن هؤلاء يقوموا بمهام إلا بأمر من رؤسائهم ، وإذا كانت بحريتنا قد ظلت بقول مختصر ، وطنية خالصة ، فإننا لذلك كله قبلنا ، ما لم نحملنا بعض الأحداث على استخدامها مباشرة ، أن تكون جزءاً ، في استخدامها ، من مجموع العمل البحري الذي يقوم به البريطانيون . وكانت ، مع ذلك ، ضمن جهاز يشير الإعجاب بما أظهرت من كفاءة ، وانتظام ، وفعالية ، ينعكس على قيمتها الخاصة . وقدر الانكليز من جانبهم هذه المأزرة ، فقدموا للقوات البحرية الفرنسية الحرة عوناً مادياً كبيراً ، فكانت رسالتهم ومصلح بحريتهم تقفن في إصلاح سفننا

وإعدادها رغم الفروق في الناذج والأسلحة . وكانت البحرية البريطانية تروى بحريتنا بالأعتدة الحديدية التي تستخدمها ، دون تأخير . وكانت تقدم لنا امرك الحديثة من سفن وزوارق حربية ، ثم من مدمرات وبورج وغواصات ، فور صنعها . وإذا كان أسطولنا الصغير قد وفق إلى القيام بدوره والحفاظ على شرف السلاح الفرنسي فوق البحار ، فإن الفضل في ذلك يعود إلى معونة الخبراء وكفاءة بحارتنا .

وكنت ألس ذلك في كل مرة أذهب بها لمشاهدة إحدى قطعته في غرينوك ، وپورتسموث ، وكاور ، ودارنثوث . ونحن لم نسلح سوى ممرات صغيرة نظراً لطبيعة الصراع ، والملاك الضئيل الموضوع تحت تصرفنا . ولكن الجهد الذي يبذل على ظهر السفن القادمة لغربا الحرة ، كان يُدفع إلى أقصى حد ممكن .

كانت بطبيعة الحال تلك السفن القادمة من فرنسا التي سلحتها أولاً . ولم يبق في ربيع ١٩٤٢ ، من غواصاتنا الخمس الأولى سوى ثلاث هي : روبى ، و « ميتزها » و « جونون » وكانت تهاجم سفناً ، وتضع الألغام ، وتنزل فدائين في المياه النرويجية والدانمركية ، والفرنسية ، وكانت « ثارفال » قد نُفِدت قرب مالطة في كانون الأول ١٩٤٠ . وغرقت « سوركوف » بقضبا وقضيبها في شباط ١٩٤٢ ، والنافتان المضادتان « ترومفان » و « ليوبار » والنافتان « ملبومين » و « بوكلييه » ظلت طيلة أشهر ، تراكب القوافل في الأوقيانوس والماس . ثم ذهبت « ترومفان » إلى لاسيفيك ، و « ليوبار » إلى أفريقيا الجنوبية ، وكان أن قامت هذه من بعد بحماية جزيرة « الزيونيون » ساعة انضمامها ، وأخيراً غرقت أمام طبرق . وانتقلت « ملبومين » إلى بحر الشمال ، وتحولت « بوكلييه » إلى واحدة من سفن التدريب لدينا . ورابطت ثلاث من سميرياتنا (سفن استكشاف) الخمس : « سالفورنيان -

دي - برارٲا ، و ، كومنڊان ميبوك ، و ، كومنڊان مومينه ، في سواحل افريقيا . وكالت ، موكور ، تمين على حافة سفن الشحن في بحر ايرلندا . و ، شيفروي ، في اوقيانيا كالت تقوم بدوريات في توميا وضمت الى فرنسا الحرة في ٢٧ ايار ١٩٤٢ جزر ، واليس ، و ، فولونا ، . وهناك اثنان من كاسحات الامام : ، كوممر ، و ، لوسين - جان ، كالتا تلو مان يحملها الشاق عند مداخل الموانئ البريطانية ، وعشر قانصات خواصات اشتركن في قنطية سفن الشحن الحليفة بين الكورنواي والبادي كاليه . ولم يبق منهن سوى ثمان ، إذ غرق اثنتان . ووصع ستة زوارق ناسفة في الخدمة ، ، بوليك ، أغرق أمام بلايموث في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٠ ، ، فيكنغ ، أغرق في ساحل طرابلس الغرب خلال نيسان ١٩٤٢ ، واستمر ، هايا ، و ، بريزيسدان هوندوس ، و ، دين دي فلو ، في حراسة البحار . أما ، ليوني ، فقد استخدم كستودع البحرية التجارية . والطراوة المساعدة ، كلب - دي - بلم ، تذرع البحر جيئة وذهابا بين سدي توميا . وثمة أربع عمارات قواعد : ، اوراغان ، ، آميان ، ، آرأس ، و ، ديليجانت ، تمّ ، الوحدة - البحرية ، في عرينوك ومستودع الأعنسة البحرية ، بير حكيم ، في بورنسموث حيث يتدرب بحارتنا . والمدرعة المنقلة ، كوربه ، مركز عبور للجندين الجدد ، ومجموعة محققات ، ومستودع ذخائر ومول ، وهي راسية في مرعا بورنسموث تساعد بمدفعيتها حماية الميناء الكبير

وهناك عدد من عمارات أخرى زودنا بها الانكليز وكالت جزءا من اسطولنا الصغير . وهذه قبل كل شيء ، سفن حربية بدبت منذ بداية الحرب لحانة القواغل ، وكالت تحرس البحار بلا انقطاع بين إنكلترا ، وإيسلندا ، وقير - نوف (الأرض الجديدة) وكندا ، وقد استلنا

منها ثلث : « أليس » أغرقت وهي تحارب في آذار ١٩٤٢ ،
 و « ميسوزا » أغرقت بعدما بثلاثة أشهر مع ريان البارجة بيدو آمر
 للفرقة الصغيرة . والسبع الباقية هي « آكوي » ، « لوبيليا » ،
 « روزليس » ، « ريتونكول » ، « كومنندان - ديتيبي - دورف »
 « كومنندان هروغو » و « كومنندان - ديتروايا » . وثمة أيضاً ثمانية
 زوارق غاسقة تابعة للأسطول الصغير الثامن والمشرين الذي كان يلحق
 المانش بسرعة كبرى لمهاجمة سفن العدو الشاحنة التي لحاذي ساحل فرنسا
 أثناء الليل ، وما يواكبها من سفن حربية . وهناك أيضاً ثمانية زوارق
 قاذفة ترف الأسطول الصغير المشرين ، وكانت تزارر زوارق المطاردة
 المصنوعة في فرنسا . وكنا نعدّ ، من جهة أخرى ، تسليم العبارات
 الجديدة إذ كان في عداد البوارج التي أخذت تخرج من الترسانات
 البريطانية ، عدة منها كان يقدمها لنا حلفاؤنا فور الانتهاء من صنعها .
 وقد احتفظنا منها بأربع ، هي : « لاديكولرت » ، « لافاستور » ،
 « لاسوربري » ، « لأكروا دي - لورين » . واحتفظنا أيضاً بالنسافة
 « لأكرمبانت » والفواصين : « كوري » و « دوريس » اللتين انتهى
 بناؤها . ونحن نريد الكثير منها ليزيد مجموع الفرصات ، وسفن
 الشحن ، ومراكبات المدر ، التي نوفق سفنا إلى إغراقها ، ثم ليزيد
 هذه الطائرات التي نوفق إلى إسقاطها . ولكن ليس هو النقص في
 السفن الذي يحدّ من دورنا وحجم تأثيرنا ، وإنما هي الحاجة إلى
 الأشخاص الذين يقومون بهذه المهام الحربية .

لقد هلك خلال حزيران ١٩٤٢ في سبيل فرنسا ٧٠٠ بحار من أنصار
 فرنسا الحرة . وكان عدد قواتنا البحرية ٣٦٠٠ بحار عمالين ، يضاف
 إليهم طوج الرماة الذي يفوقه آميو هانقيل منذ مات ديتروايا في ساحة
 الشرف ، كما يضاف إليها أفراد منزليون يطمون ل سلاح الطيران البحري ،

ولم الذين لم يكن في وسعهم أن يؤلفوا وحدة ، فعمدوا إلى الخدمة في القوات الجوية . وأخيراً ، ينضاف إليها « الكوماندوس » الذين تلقوا دروسهم في بريطانيا العظمى تحت إمرة الملازم البحري كيغر . وقد سويت في شهر أيار شروط استخدام هذه القوة من الجود لأشدها ، مع الأميرال القورد مونتباتن المكلف لدى الاسكندر ، « العمليات المختلطة » . وهكذا ، سيكون من تلك القوة أن تشترك قريباً في المهجمات المباغتة التي تجري على الساحل الفرنسي .

لقد بُنيت هذه الملاكات ، في نصمها ، من عناصر البحرية التي وجدت في اسكندرا عام ١٩٤٠ ، وانضم إليها بعضها في الغابون والشرق بعد أن قائلتنا . وكذلك كان الشأن مع بونية المراساة « أجاكس » التي أحرقت في مياه دكار ، والمراساة « بومبليه » التي أُحرقت وخرقت في مياه بور - جاتي ، وحفينة « بوعفيل » التي عطلناها عن العمل في مرغا ليبرفيل . وهناك بعض عناصر ناشطة كانت تنضم إلينا من وقت لآخر ، انطلاقاً من الوطن الأم ، من أفريقيا الشمالية ، من الاسكندرية ، من جزر الأنبليل ، والشرق الأقصى . وكانت البحرية نجند كل من تستطيع تجديده من الشاب المرشدين في اسكندرا ، وأمريكا ، والشرق ، ومصر ، وسان - بير . وكانت السفن التجارية أخيراً ، تزود القوات البحرية بقسم كبير من ميثاتها العامة .

وكان تشكيل أركان عامة من السفن أعسر مشكلة ثنائياً مفوضية البحرية ، إذ ينبغي تشكيلها من عناصر جد متنوعة إن لم تكن مشتتة ، مع عدم التقيد بقواعد التخصص . ولم يكن لدينا سوى القليل من ضباط الاختصاص العاملين ، فأخذنا في تدريب شباب منهم وتدريبهم وراحت مدرسة فرنسا الحرة البحرية ، تقوم بعملها ، بشكل ناشط ، على ظهر السفينة « بريريدان - تيودور - فيسب » والممارتين « إيتوال » و « بيل

بول ، تحت إمرة نقيبى البارجة فيترل و « غيرال » المتقدمين الذين ثماقبا على قيادة « فرقة المدارس » . وقد تخرج منها في أربع دورات ٨٠ مرشح ضابط ، قدموا للبحرية الفرنسية مواهبهم المصقولة ، منذ انخرطوا فيها ، بما كابدوا من عناء ، وكفاح ، ورجاء . ثم ان ضباط الاحتياط الذين عثرنا عليهم ، من جهة أخرى ، في القسم التجارية ، أو في هيئة قناة السويس ، شكلوا جزءاً كبيراً من ملاكات قواتنا البحرية . واستطاع مائتا مرشح ضابط ، « جندوا بهذه الطريقة ان يشكلوا على متن لوارج ، والسفن الحربية ، وسفن المطاردة ، وروارق الصيد ، وقوارب الإنزال ، خدمة صابرة ، في مجموعهم ، طيلة اكثر من مليون ساعة .

وعلى الرغم من هذه الاقتطاعات ، ظل الجزء الضئيل من الأسطول التجاري الفرنسي الذي كان يخدم في معسكر الحلفاء ، يقدم لقوفل هؤلاء عوفاً كبيراً ، وظلت ١٧٠ سفينة تقدر حولتها بـ ٧٠٠ ٠٠٠ طن تنافع الجبهة الحربي بعد « الهدن » ، من أصل ما يبلغ حوكت ٢٧٠٠ ٠٠٠ طن - أي ما يعادل ٦٦٠ باخرة وسفينة شاحنة - كانت تملكها فرنسا في بداية الصراع . وكانت مصلحة بحريتنا التجارية التي أدارها مالفليف وبنجن ، ومن بعد سميرس وأندوس - فارير ، تؤمن التصالح على أبدي نوبة فرنسيين لأكثر عدد ممكن من السفن . وكلوا يقيدون ، عدا ذلك ، في استخدام السفن الأخرى التي يتولى البريطانيون أمرها . وكان عمّ الأونيون جاك برفرف ، آنذاك ، إلى جانب العلم المثلث الألوان في مقدمة هاتيك البواخر النمية أو في أعالي ساريتها . وقد زودت بالأسلحة ، مع ذلك ، ٦٧ سفينة يبلغ مجموع حولتها ٢٠٠ ٠٠٠ ، هلك منها في البحر أكثر من الربع خلال ربيع ١٩٤٢ .

كانت البواخر تنقل جنوداً ، وهكذا جيء بالنجدة البريطانية من

أستراليا والهند إلى الشرق على ظهر النواحر : « إيل - دي - فرانس » و « فليكنس - روسيل » ، و « بريزبان - بول - دومر » . وكانت سفن الشحن المحملة بالمواد الأولية ، والأسلحة ، والدخائر ، ثمخر عادة مع القوافل . وكان بعضها يضطر أحياناً إلى عبور الأدقياس وحده . وما كان لمدينة « في البحرية التجارية » أن تصل إلى ميناء إلا لتقطع منه وتعرض خلال رسوئها ، مع ذلك ، لنصف مفاجيء ، وفي عرض البحر كانت الخدمة للبحرية مرهقة بمقدار ما هي خطيرة ، إذ يجب على القائدين بها أن يسهروا ليلاً نهاراً ، ويتقيدوا تقليداً دقيقاً بالآشارات والعلامات ، ويسرعوا بلا انقطاع ، إلى مواقع التأهب . وعليهم ، أغلب الأحيان ، أن يقائروا ، ويطلقوا المدفع ، ويقوموا بمناورات لدى كارتة ما تحنباً للطوربيد أو القنبلية . ويحدث أن تفرق السفينة ، ويجد راكمها نفسه ، وهو يتخبط في الماء الصقيع والموت بالريوت حيث يشاهد الرفق من حوله بفرقون . ويحدث أبصاً أن يشمر المرء بالفرج الرهيب وهو يشهد سقوط قاده فذبل أو ساط الماروت يضطرب ، وتحتة تفرق غواصة العدو ، بل يحدث أن يكون البعاز نفسه سبياً في إغراق غواصة ، حتى وإن كانت في سفينة شحن ، كما جرى لـ « فور - بنجر » الذي قذف إلى قساع البحر ، بحر تير برف ، في أيار (مايو) ١٩١٢ ، غواصة ألمانية .

وفي ذات يوم ، قادني الأميرال السير برسي فوبل الذي كان يسدير الملاحه والمركة من ليفربول ، في ميدان الأطلنطي برصنه ، إلى غرفة العمليات تحت الأرض . قرأيت على حدرانها خرائط بحرية كبيرة ، تدل على الموقف الذي قف فيه ، ساعة ساعة ، جميع القوافل الحليفة ، وجميع السفن الحرسية ، وجميع الضائرات الموقدة في مهابات ، كما تدل على اندقع المين أو المفترض للعواصات والطائرات ، والمغيرات الألمانية . وهناك محطة تلفون مركزية (سنترال) تربطها خطوط سخرجية ، بمحطات

الراديو ، ومكاتب الشيفرة ، تقوم على خدمتها ورش سائية بكل هدوء ، من مرتبات ، ومخبرات ، وحاجيات وهذه الورش لتقل من غير ضجة الأوامر ، والرسائل ، والتعليمات التي توجهها القيادة الى أقاصي البحر ، أو تلك التي تنطلق منها . وكل ذلك يرتسم ، كلما ورد ، أو صدر ، على ألواح مصيئة . وهكذا تحطط معركة المخابرات الجارية ، وتصاغ في كل لحظة ، بجميع التقلبات والأدوار التي تمر بها .

ورحت أحدى في الحرائط لأنين أب هي معنا ، بعد ان قلبت من المجموع . وقد رأيتها في الأمكنة الصالحة ، أي في تلك التي تحتاج الى الكفاءة والبراعة . وما هي تحية رئيس فرنسا الحرة لتسليم حيث هم ، على جناح الأثير . غير أبي ، وقد حسبت على الأثر ، مدى مساهمة عليه عدهم والجهد الذي يمثلون ، من الصالة ، وكيف ان هذا الجزء يذوب في جهاز أجسي ، وتصورت الحسن الصائفة هناك في حلولون ، في الدار البيضاء ، في الاسكندرية ، في فور - دي - فوانس ، في دكار ، وقد أصابها الجود ، وتمثلت الفرصة التاريخية التي أتاحتها هذه الحرب لرسالة فرنسا البحرية ، فأحسست بالكآبة تغربي . وصعدت درج الملجأ القديم تحت الارض بخطى ثقيلة .

وكان يحامر كبريائي شعور كهذا ، حين كنت أنسل بطيارينا على هذه أو تلك من القواعد البريطانية ، فكنت وأنا أشاهد مقدار مساهمة يشارون به ، وأفكر في كل ما كان يوسع سلاح الجو الفرنسي ان يقوم به انطلاقاً من أفريقيا الشمالية ، من المشرق أو من اسكتلندا ، فيالو لولا له ان يفتن قلباً ، فأحس ان فرصة قومية كبرى ضاعت ويحدث تديداً . غير اني لم ألو جهداً في ان أعمل افضل ما يُعمل ، بحيث يكون جهد أولئك الذين اتبعوني مبدولاً في سبل فرنسا . واذا كنت طامحاً قد رصيت ان يكون كل ما بطير ، في قواقتنا ، انطلاقاً من قواعد

بريطانيا العظمى ، على طائرات يزودها بها الانكليز ، بشكل جزءاً من
جهاز الجو البريطاني ، فإنما أردت ان بشكل محاربوا في الجو ، هم
ايضا ، عنصرأ وطنيا .

وذلك لم يكن من غير عناء ، وإن حلفاءنا لم يكثرثوا ، أول الامر ،
بطيران فرسي حر . فهم ، وقد ملكوا أقرب الطرق واكثرها عملياً ،
راحوا يتقلدون في وحداتهم بمصا من طيارينا . ولكنهم لم يقدموا لنا
شيئاً سوى دمج منطوعينا من الصيار في سلاح الجو الملكي . وما كان
في مستطاعنا ان أقبل ذلك . ثم إن مصر دوتنا ظل طيلة نحو من
عام ، غير عدد . فهناك النقص منهم ، تجمع اتفاقاً في اسراب فرنسية
ونمكن من المساعدة في معارك أرمقيا وليبيا الحوية . وهناك آخرون
قتلهم « أسراب » اسكليزية موقناً ، وأسهموا في معركة إنكلترا ، ولكن
معظمهم أضاع وقته مدى ، وهو ينتظر بلا عمل في قواعد بريطانيا العظمى
او مصر ، لنقص في العتاد ، والتنظيم والتدريب .

ومع ذلك ، وضع لهذه الشكلة بدورها ، حل . ففي ربيع ١٩٤١
استطعت ان أسوي الأمور مبدئياً مع السير أرشيولد سكلر ، وزير الجو
البريطاني . فقد رأى هذا ، وكن قطعاً وسخياً ، ان وجود قوة حوية
فرنسية لا يمكن ان يكون بلا فائدة . وقبل ، كما طلبت ، ان تشكل
وحدات ، من نوع المجموعات البريطانية ، على مثال « الاسراب »
(اسكوادرون) ، والبريطانيون بميوسا ما يفتت من فصيل على
الارض ، ويقومون في مدارسهم بتعليم مبدئياً للطيران ، وطيارونا
العائضون يؤدون خدمتهم في الوحدات الاسكليزية ، على ان يكون شأنهم
فيها شأن للصايط العربيين المتدربين ، حاضرين للنظام الفرنسي ، بلون
اللباس الفرنسي . وفي ٨ حزيران (يونيو) ١٩٤١ ، كتبت للسير
أرشيولد من القاهرة ، أكرس الاتفاق الذي وضعه العقيد فالان على

هذه الاسس أثناء المفاوضات . ومنذ ذلك الحين ، كان فالان يلقي عند التنفيذ ، تأييداً مستمراً من قبل عارشات الجو : بورغال في لندن ، ولونسمور ، ثم تيدر في الشرق .

وهكذا استطعنا ان نقدر في إنكلترا ، عند نهاية ١٩١١ جناح المطاردة « إيل - دي - فرانس » ، وكان يفوده سيبيلو الذي هبط في فرنسا ، وقد عاد من بعد ، وخطفه دوبيزيه وتشكل في مصر غداة معركة سوريا ، جناح المطاردة « الزاس » الذي قاتل أولاً في ليبيا تحت إمرة دي بوليفن ، وانتقل من ثمة الى بريطانيا العظمى حيث قام على رأسه موشوت ، وكان ان قتل هذا على يد العدو في السنة التالية . وولد جناح القصف « لورير » في الشرق تحت إمرة بيجو ، وهذا أصابته نار العدو بعد بضعة اسابيع ، وكانت قد توغل داخل خطوطه ، ولكن تمكن من بلوغ خطوطنا ، وفشى نومه فيها . وحل كورنيغليون مولينيه محله . وتألف الجناح المختلط « بريتايبا » في تشاد لمساندة عملياتنا الصحراوية ، وكان سان - بيروورثيسه . وفي ربيع ١٩١٢ تجمعت في لندن من جهة ، ودياق من جهة اخرى ، تلك العناصر التي ستشكل في روسيا الجناح - ثم الفوج - « فورماندي » وتولى رئاسته على التوالي تولسان ، وليتولف ، وبعد موتها تولاهما برباد . واخيراً وضع بعض طيارينا ، بأمر مني ، تحت تصرف السلاح الجوي الملكي . وكان مورليه وفابول ، وغدج ، يقومون في ذلك السلاح « اسرابا » . والاخيران قتلا أثناء الخدمة . والمجد في معارك الجو ، يكلف غالباً . وقد خسر الطيران الفرنسي الحر ، جملة ، عدداً من لاموات اكبر ضامين من الملاك العسكري الذي كان يساهم في البر .

واذا كانت النعمة العالمية للحرب هي التي حتمت على ، مع ذلك ، ان اتصرف على نحو تظهر معه قوات فرنسية مجندة فوق مساح

العمليات الحربية جميعها ، فقد بذلت كل ما في وسعي لحصر الجهد الأكبر فوق الميدان الذي هم فرنسا مباشرة ، أكثر من غيره ، اعني أفريقيا الشمالية . هذا نلأشى الحش الإيطالي في الحشة ، وُضع الألمان من النفاذ إلى سوريا ، وقصي على تطلبات فيشي وهي في المهد ، بالعمل ضد أفريقيا لفرنسية الحرة ، يصبح من اللازم أن نعمل في ليبيا .

كان البريطانيون قد أعادوا الكرة ، وبأدروا فيها بالهجوم خلال تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١ . فإذا هم وُفقوا إلى بلوغ الحدود التونسية ، يصبح من الضروري أن يكون معهم هناك ، وأعنا صبقاً على دحر العدو . وإذا حدث العكس ، وتمكن هذا من صدّهم وأكرمهم على التراجع ، كان علينا أن نعمل كل ما في وسعنا لوقفه قبل أن تندفع حشوده وتعمر أرض مصر . وعلى أي حال ، حان الوقت لبذل أقصى ما نستطيع من جهد ، ولكن على أن نقوم بدورنا لأنفسنا ، كي نحقق ظفراً فرنسياً خالصاً .

وكان لدينا وسيلتان للعمل : إما أن ندفع نحو فزان انطلاقاً من تشاد ، ذلك الرتل الصحراوي الذي بذل لوكبير زمناً طويلاً في إعداده ، وإما أن نخوض ميدان ليبيا ، إلى جانب الانكليز ، بتلك القوات المتحركة التي وضعها لآرمينا في المشرق على أهبة الاستعداد . ففكرت أن استخدم الوسيلتين ، ولكن ضمن ظروف يكون معها عمل جنودنا لفائدة فرنسا ، المباشرة .

كان فتح فزان ، والزحف من ثمة على طرابلس ، يشكلان عملية مجازفة نهائية ، فإذا هي لم تكمل فالتجّاح ، لم يعد في الامكان تكوارها إلا بعد زمن طويل ، نظراً للصعاب الجسيمة التي يتطوي عليها تشكيل رتل تشاد ، ولجهيزه ، وقوته . كان لهذا الرتل إذن أن يتوقل في

تلك المنطقة ، في حالة واحدة ، وهي حين يدخل البريطانيون طرابلس
المغرب ، بعد ان يستولوا على برقة ، وإلا فليحصر عملهم في إهلاك الطليان
بغارات عميفة وخاطفة .

ركنت مصنفاً ، من جهة اخرى ، على ان تطل د حصة نشاد ،
- هذا إذا كان في الامكان إطلاق هذه الصفة على مجموعة اعمال كانت
قسراً متقطعة . جهة فرنسية . ولا شك في ان انطلاق عمل الصحراوي
يجب ان يرتبط برحف الجيش الثامن البريطاني . وتلك قصبة ترتبط مع
القاهرة . ولكن ، ما عدا ذلك ، يستمر لوكير في اتساعه ولا ينحصر
إلا لي ، ان ان يأتي اليوم الذي يلتقي فيه مع حلفائه على سواحل
المتوسط ، وعند ذلك ، يصبح من المطلق وضعه تحت إمرتهم . وكان
تشبهي بهذا الاستقلال الذاتي يزداد مقدار ما كان فتح فران يصح في
أيدبها رهأ لتقرير مصير ليبيا ، تقريراً نهائياً ، من بعد .

وكان ان نفذ البريطانيون الى برقة ، خلال تشرين الثاني وكالوب
الاول ، بعد ان قاتلوا ببسالة قتالاً شاقاً . وتخذ لوكير استعداداته ،
محسباً لتدخلهم في طرابلس ، للدفاع نحو فزان ، يسانده الجنرال سير
الذي كان يرمز ذلك القائد الاعلى للقوات الفرنسية الحرة في افريقيا .
وكنت إزاء هذه التحركات ، أنحفظ بتناؤلي ، قائلاً أعلم ان رومل
استطاع ان يتفقت من النطاق الذي ضربه الانكليز حوله ، وان فيمان
استدعي من افريقيا الشمالية ، وان تطبق اتفاق هتلر - دارلان يتبع
الآن للمدو ان يتمون انطلاقاً من تونس ، ثم لم أسقط من حسابي تقدم
الحلفاء السريع نحو طرابلس . وكان يبدو لي ، حلال ما هو ظاهر ،
ان هجوماً حاكماً يقوم به العدو ، هو المحتمل اكثر من غيره . ولذلك ،
تحفظت في إصدار أمر بالبدء في الهجوم ، وإن وكنت الاعداد له يجري
في مجراه . ومنذ كانت بعثة الارتباط التي ارسلها لوكير الى القاهرة ،

من جهة اخرى ، تركت معها قصصاً للقيادة البريطانية ، فقد اوضحت
للمجنرال إرماني ان شيئاً من ذلك لن يكون ، وقوّمت الاعوجاج الذي
طرا على ذهنية و الفكريين ، ، يجب ان يكون في هذا الصدد .

والواقع ان حلفاءنا لم يدخلوا طرابلس الغرب وكانت الاشهر الاولى
من عام ١٩٤٢ فترة استقرار للمصريين المتعاضدين ، فلم يكن يتناسب
قواتنا في تشاد ، إلا ان تقوم معارك كثر وحر . وكان لوكليل يتحرك
لشمال ، فادت له بها في ، شبط (عبر) . وقام بها ، قاطعاً مزان
خلال آدار ، مع دورياته المقاتلة تسلسل هترائه مدمراً عدة مراكم
للعدو ، وآمرأ عدداً كبيراً من جنوده ، مشوباً على كنية من عناده ثم
عاد الى قواعد ، ولم يتكبد سوى سائر طمعه . ورعة مسي في
توزيع منطقة العمل ووسائله امام هذا الرئيس الكهول ، فقد سلكه في
بيسان قيادة جميع القوات في عريف العربية الطرة . وكان علي هذه
المرّة ايضاً ، ان الطلب على عموه في لاسيط والنواصع . وراح يشعر
هو وجنوده بالثقة بعد ذلك اليوم وما قلاء ، انهم قادرون على متراع
الواحات ، ما دامت الاحداث في لندا تجري حتماً في مصلحتهم . وكان
عليهم ان يلتظروا ، مع ذلك ، عشرة اشهر طويلة ، في سو حار
شديد الحرارة ، فوق الحصاء والرمال ، قبل انأكد من الظفر ، والانتقال
الى شطآن المتوسط حيث ينفضون عنهم الغبار الذي علق بهم

ولكن ، بينا كان عليا في تشاد ، مؤجل الصربة الحاسمة ، وجدنا
في برقة الموقف على العكس ، حيث كانت القرحة التي انتظرونها منذ
ومن طوول لعمل حربي مجيد ، متاحة امامنا . ومع ذلك ، فوجب
علينا ان نتعلم على كثير من العوائق قبل ان نحصل على موافقة الحلفاء
بان نحوض ذلك الميدان ، وحدات فرسية كبيرة .

والواقع ، ان القيادة البريطانية لم "تخط" علماً بأن الفرقتين الخفيفتين

والسرية المصنعة التي شكلت في سوريا تحت إمرة لارمينا على استعداد للمشاركة في الهجوم الذي شنّ في آخر تشرين الاول . ومع ذلك ، فإن الوحدات للكبريين كانتا متينتين ومسلحتين تسليحاً حسناً . كانت كل واحدة منها مجهزة ، تشمل على خة اقواج مشاة ، وفيلق مدفعية ، وسرية دفاع مضاد للطائرات ، وسرية دفاع ضد الطائرات ، ومفرزة استطلاع ، وسرية هندسة ، ورجلة هندسية ، وسرية اشارات ، وسرية نقل ، وسرية قيادة عامة ، ومصالح . هذه الوحدات تشمل على جميع الاسلحة ، وبهذا نفسه ، قادرة على القيام بدور تكتيكي خاص ، فكانت فرقاً عسكرية بالمعنى الصحيح . وقد حرصت ، وان كانت « خفيفة » بكن تأكيد ، على إعطائها القلب الذي نستحق . وقد زوّد لارمينا بجميع القطع العسكرية سلاح رهيب انتزعه من الاسلحة التي تركها « بلز » او من الحارون التي أودعتها إياها لجان الهدنة الايطالية ، فكان منطوعون يحملونها متحمسين ، متعنين ، وهم يشعرون اهم اقدر من في العالم على استخدامها . وهكذا ، اصبح لكل فوج ، هذا مدفعية الفرقة ، ستة مدافع من عيار ٧٥ تحت تصرفه الخاص ، كما زوّد ايضاً بمدد وافر من مدافع الحارون والاسلحة الاوتوماتيكية . ويلبني في حالة الهجوم ، تخفيف أحمال القوات ، عند الاقتضاء ، ولكن كان المراد الاحتفاظ بالبدان ، فوضع تحت تصرف أولئك الجيود اسلحة ذات قوة استثنائية الى أبعد مدى .

ومذ كنت رافقت في ٢٠ أيلول ، على تشكيل الفرقتين الخفيفتين ، فقد وجهت للسيد تشرشل في ٧ تشرين الاول مذكرة اطلعه فيها على رغباتنا ووسائلنا ، وكنت في الوقت نفسه للجبرل اوكلذك القائد الأعلى في الشرق ، أدكره بمدى نشوقنا الى اشتراك قواتنا في خوض ميدان ليبيا للقتال . وبقيت للسيد تشرشل والجبرل اوكلذك بدقة ،

أني مستعد في سبيل هذه العمليات ، لأن اصع تحت إمرة القيادة البريطانية حشود لارمينيا برمتها ، وأن لوكليو ، من جهة ثانية ، يستطيع أن يشدع عن قران في الموعد الذي يطلب اليها لرحله ، وإن طر عمل هذا الأخير مستقلا . وفي ٩ تشرين الأول ، ذهبت المفاسة السيد مارغسون وزير الحربية البريطانية ورجوته أن يتدخل ، وبينت أخيراً للجنرال كاترو في ٣٠ تشرين الأول ، الأحوال التي تناسب قواتنا أن تخوض بها المعركة ، أي بوحداث كبيرة .

ولم أتلو الجواب البريطاني إلا في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) . وقد وجهته إلي الجنرال إرماني رئيس الأركان العامة لوزارة الحرب ، والسيد تشرشل . وكانت رسالته قواري ، منها عدم اخذ العلم ، ولكن بأدب وصراحة . وقد رعم حلها ، تفسيراً منهم لرفض د قشقت الوحدات العربية في نقاط شتى من سوريا ، وأنها د لم تكن مدربة على العمل بوصفها فرقا أو ألوية ، وأخيراً د عدم كفاية تجهيزها . وأعربوا ، مع ذلك ، عن تمنياتهم أن يسمح المستقبل بإعادة النظر في الأمر .

الأكيد أن القيادة الاسكليزية كانت تحسب ان تنهي غزو ليبيا والفضاء على رومل دون مؤاررة العربيين . صحيح انه كان لديها ، في ذلك الموقع ، قوات برية وجوية عظيمة ، وأنها كانت تعتقد ان يوسع الاميرال اندرو كسغهام - وهو رئيس وبحار ممتاز - ان يخرج اكثر من صعبة ، ويمنع مواصلات العدو بين ايطاليا وطرابلس الغرب .

لك أن تصور أي خيبة أمل أحدثها في نفسي الجواب الاسكليزي . ولم يك في مستطاعي التسليم بأن تظل قواتنا شاكية السلاح لأمد غير محدود ، بينما كان مصير العالم يتقلب في ساحات القتال ، ففضلت ان اجارف بتفسير للالتجاء ، على ان يأتي القدر ويسيرنا في اتجاهه ، واستدعيت السيد بوغومولوف ورجوته ان يعلم حكومته ان اللجنة الوطنية ترغب

في ١٨ شباط بعض القوات العربية مباشرة في عمليات الخلاء على الجهة الشرقية ، إذ طُل من مسرح العمليات في أفريقيا الشمالية موصداً بوابه درها . ثم لم أحمر الطبع شيئاً من خطوتي هذه ، عن لندن . ولكن نيات بريطانيا محركات . حتى قبل ان يردني جواب موسكو ، إذ كتب إلي السيد تشرشل في ٧ كانون الاول رسالة حارة يقول لي . و إنك علم مؤخرأ مدى تلف الخنزير أوكلتك لتحييد لواء فرنسي حراً في عمليات برقة . و يضيف الوزير الاول : أنا أعرف ان هذه الية لتسجيم ورفضك . وأعرف أيضاً ان أي درجة يتعجل رجالك بلوغ الميدان الذي يقتلون فيه الالمان .

أحبت السيد تشرشل أبي موافق على المشروع وأبي وجهت الأوامر اللازمة للجنرال كارو . والواقع ان الانكليز راحوا يقدررون الفسائدة العسكرية التي تعود من مؤاررتنا في معركة برقة ، بصرف النظر عن امكاره التي يستنها فهم احتمال نقل القوات الفرنسية الحرة الى روسيا . وقد لمسوا عملاً ان اللمدو لا يتحلى عن الارض في برقة إلا شبراً شبراً ، وان قواتهم الخاصة تتكبد خسائر فادحة ، وان عليهم ان يعيدوا في الموقع نفسه ، تنظيم قيادة ساء تكيئها مع العمليات الآلية . فهم الآن ينتظرون ، وقد تحمروا عن الاندفاع في هجومهم على طرابلس الغرب ، ان يسرع رومل في أخذ المبادرة . وهذا ما حلمهم على التهي بأن غدا لهم يد المساعدة .

وكان أن رتب كارو في القاهرة مع أوكلتك تسيير الفرقة الأولى الخفيفة نحو ليبيا ، وحصل كوينغ الذي ركل إليه التعاوض في التفصيلات ، من حلفائنا على قوائد إضافية تتعلق بالمدايح المضادة للدبابات ، والمضادة للطائرات ، ووسائل النقل . وكان لهذه الفرقة ، خيلاً كاللون الثاني بضمه اشتباكات مظفرة مع عناصر تابعة لرومل طوقت في سلوم وبرديا ،

وامتثلت بعد قليل من تطويقها . وحيز أصبحت قواتنا موكب الأسرى
الألمان التي أعادت في أسرهم ، عرتها رعشة كما لو صبا سلك كهربائي ،
مقد أخذت تسير بفرح في اتجاه العرب . ومنذ كان الأسكندر قد ذكروا
قواتهم الرئيسية ، خلال شاطئ (فبراير) ، في قلب إقليم برقة ، على
الموقع الذي يدل له « غزالة » والمؤلف من عدة معاطق للخدمة ، فقد
أنحصر لقواتنا موقع بير حكيم القائم إلى الجنوب ، وفيه سرعت وهي
تنظم نفسها في الوقت ذاته ، بصراع ناشط من مساوشت ودوريت في
المنطقة الواسعة المجردة التي تفصلها عن قوات العدو الكثيفة .

لكن إذا كانت الفرقة الأولى الحليفة قد أتت لها ان لغتتم العربة
التي صنعت ، فإن شيئاً لم يعمل من أجل الفرقة الثانية التي كانت تضع
وقتها ، وهي تنتظر في الشرق . إلا أنني كنت عارماً على ان تشارك هي
أبداً في العمليات . وجاءني برغومولوف غاماً في ذلك الطرف ، يقول
لي في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ان مشروعي بإرسال قوات عربية
الى روسيا استقبل بموافقة حارة من حكومت ، وان هذه مستعدة
لتزويد قواتنا بالعتاد اللازم في الأماكن التي يتركزون بها . وبعد ذلك
توجهت بعسكري ، لا نحو إيفاد جناح الطيران « نورماندي » وحسب ،
الى الشرق ، بل لإيفاد الفرقة الثانية الحليفة أيضاً . فهذه تتطلق من
سوريا ، مارة ببغداد ، فتجتاز إيران بالشاحنات ، ثم تنقل من تبريز
عن طريق سكة الحديد الى القفقاس . كانت تلك هي الطريق التي
تسلكها ، انطلاقاً من الموانئ الإيرانية ، قوافل القنصل الذي يرسل
الخلفاء الى روسيا . وكتب في ٢٩ كانون الأول الجنرال إيزماي أعله
بنياتي ، وأعطيت الجنرال كاترو التعليمات المطلوبة . وستسافر الفرقة
الثانية في ١٥ آذار الى القفقاس إذا هي لم تنقل في ليبيا ، قبل هذا
الموعد .

وأثارت القيادة البريطانية في وجه المشروع الرامي الى نقل هذه الوحدة إلى روسيا كل ما أمكنها من اعتراضات ، ولكن الوفیات في موسكو حثوها ، عكس الانكليز ، معى كبيراً ، ولقيت منهم كل تأييد ، إذ تحدث مولوتوف الى غارثو ، والجنرال بانتيلوف الى « بيتي » ، لينتحنانا على إكمال الشوط . واطلع السيد ليندن على الأمر ، فجمال جوك وكتب الى يوزيد وجهة نظر العسكريين الانكليز . ولم يكن في منطاعي الا ان أحمد في وجهة نظري ، وهي التي انحازت اليها القيادة الحليفة في أواخر شباط (فبراير) ، وأعطني بذلك إزمای . وطلب أوكتيلك الى كازرو ان يضع الفرقة الثانية الخفيفة تحت تصرفه . وكان من هذه ان غادرت سوريا ووصلت الى ليبيا في الأيام الاخيرة من آذار (مارس) .

أصبحت حشود لارمينيا بعد اليوم في ساحة العمل : كونيخ مع الفرقة الاولى في بير حكيم ، على خط القتال . كازرو في الاحتياط مع الثانية . والفيلق المصفح يتلقى من وراء ، بقيادة العقيد ريمي ، عناءاً جديداً . وهناك سرية مطلبين استقدمتها من اسكفرا ، راحت تتدرب الآن في الاسماعيلية ، وغدت مستعدة للقيام بالهجمات التي تطلب اليها . وكان مجموع المقاتلين ١٢٠٠٠ أي ما يماثل رماء خمس الملاك الذي يعمل مع الحلاء ، جهة واحدة . وكان جناح المطاردة ، أراس ، وجناح القصف ، ثورين ، يحاربان منذ تشرين الأول في عماء بركة . وكان هناك عدد من طائراتنا وزوارقنا الحربية يقوم على طول الساحل ، بمواكبة القوافل ، يمين على حمايتها . وهكذا ، تجمعت قوات فرنسية كبيرة ، في الوقت المعين ، على مسرح العمليات الرئيسي . وسيقدم إله المعارك ، في هيلته ، ميداناً واسماً ومجداً كبيراً لجنود فرنسا الحرة . وشن رومل هجومه في ٢٧ أيار ، فهوجت بير حكيم .

هناك لحظة تمر عادة ، يشعر خلالها الرائد الذي يوجه مقادير
 المجازفة الشامة بمصير عظيم ، ان المصير تقرر . ويدور له
 من خلال اتفاق عجيب ، ان الألف حبة التي يتخبط في لحبها ، تسجل
 فجأة في حادث حاسم ، فإذا كان هذا موفقاً ، استلم الحظ ، ولكن
 اذا انقلب ذلك الحادث لما فيه بلبلة الرئيس ، حصر هذا قضيته برمتها .
 وبينما كانت مأساة بير حكيم تدور حول مصراع دي سنة عشر كيلومتراً
 مربعاً من المساحة يقوم عليها كونيج ورحاله ، كنت أنا بدائي في لندن
 أتلو البرقيات ، وأستمع الى التعليقات ، وأناامل الظل طوراً ، والنور
 طوراً في النظرات ، أتقرئ أي النتائج تتوقف على ما يدور هناك .
 إذا أصيب هؤلاء المحاربون الحمة آلاف وخمسة ، وكل واحد منهم يحمل
 عناءه وأمله ، وقد قدموا طوعاً من فرنسا ، وأفريقيا ، والشرق ،
 والباسليك ، وتجمعوا هناك حيث يختارون الآن كثيراً من الصعاب -
 إذا أصيبوا برره مظلم ، فان قصيتنا تتعرض لأشد الأخطار . وإذا هم
 هلك المكس ، وفلقوا إلى مآزة حربية لامعة في هذه اللحظة ، على تلك
 الأرض ، فيكون المستقبل عند داك ، لنا !

لم تدع الاشتباكات الأولى مجالاً لتعني شيء . فلقد علت أنه بيتا
 فان جعل المدد الأكبر يمر في ٢٧ أيار ، جنوب بير حكيم ليقلب
 موقع الحلفاء ، أطلقت العربة الآلية الإيطالية ، آرييت ، زهاء مائة
 من دباباتها على الفرنسيين وحسرت منها أربعين بقي حطامها على المصدر
 المقابل . وفي ٢٨ و ٢٩ انتشرت مفاررة في جميع الاتجاهات ، فدمرت
 زهاء خمسة عشر سلاحاً آلياً وأمرت ٢٠٠ محارب . وفي ٣٠ عمد
 الجنرال رومل الذي لم يستطع أن يسوي حساب للطلبان دفعة واحدة ، مع
 التشكيلات الآلية الاسكليزية ، إلى الاسحاب ليُعد مناورة جديدة . وبعد
 يومين ، هلك رتل فرنسي يقوده المقدم بروش ، على روتوندا سينبالي ،

الواقعة على بعد ٥٠ كيلومتراً إلى الغرب ، واستولى عليها . وقام
لأرمينا في أول يوم من حزيران (يونيو) بحملة قنصية لقواتنا هناك .
وجاء تقريره مفصلاً بالتعاؤل وشأ في العالم حو مماثل وشرب بعضهم ،
في الواقع ، أن هذه المعركة يمكن أن تتجاوز إطار التكتيك العسكري ،
وأخذت أساديت الناس توجه الشاء بتحفظ والإذاعات بصارات مبهمة ،
والصحف بمطبة وحذر ، إلى القوات الفرنسية ورؤساها

وفي اليوم التالي أمك رومل بزماس المبادرة . وكان منه أن دفع
هذه المرة حيثه رأساً إلى قلب موقع الجنرال ريلشي الذي وكل إليه
أوركملك قيادة جبهة القتال ، فانتزع الألمان في غوط السقارب ، لواء
بريطانيا ، وعبروا في تلك النقطة حقل الألغام الذي كان يغطي الحلقاء
من غزالة إلى بير حكيم ، ووجهوا صدقوا ، نوسيعاً منهم للثمة ،
فرقة من جيش ، الأمريكا - كوربس . وهذه هي المرة الأولى منذ
حزيران ١٩٤٠ التي يعود بها الاحتكاك على مستوى شديد وواسع ، بين
فرنسيين وألمان . ثم يكى أول الأمر سوى مساوشت أسراً بها ١٥٠
جندياً ، ولكن سرعات ما تركزت الجبهة في اتجاه معركة . وكان
رد كوربس على المفاوضات العدوين الذين طلبا إليه الاستسلام أنه لم يأت
إلى ذلك المكان ليسلم .

ومع ذلك ، شهدت الأيام التالية العدو يشد الحناق ، وراحت
بطارياته من العيار الثقيل بما فيها ذات ١٥٥ و ٢٢٠ ، قنح باراً على
خطوطنا تتعاقم وتزداد غمماً ، وراحت طائرات الشوكا واليونكرز
تقصفها ثلاث مرات ، أو أربع ، أو خمس كل يوم في أسراب يبلغ كل
سرب منها رهء المائة طئره . وتأخر وصول المؤن ، فلا يأتي منها
بعد سوى كميات ضئيلة ، وانخفض في بير حكيم مخزون الدخائر ،
ونقصت أفوات الجند ، وحفقت مقادير المياه الموزعة ، وأصبح المدافعون

تحت الشمس المحرقة ، وفي مشارك الروابع الرملية ، يكادون حالة تأهب لا ينقطع ، يحيطون مع جرحاهم ويدفون موتاهم على مقربة من الجرحى . وفي ٣ حزيران ، توجه إليهم الجنرال رومل إنذاراً بخط يده ، يحثهم فيه على إلقاء السلاح ، وإلا أصابهم الاضمحلال ، كما أصاب ألوية الانكليز في غوط السقارب . . وقدم إليهم في ٥ حزيران أحد ضباطه يكرر عليهم الإنذار نفسه . وكانت مدفعتنا هي التي تولت الرد . غير أن وعي الجمهور استبسط في الوقت نفسه ، في كثير من البلدان . وأصبحت الحرائق الناطقة أو المطبوعة قولاً فرنسي بمرحكم اهتماماً يرداد يوماً عن يوم ، وتحفز الرأي العام لإصدار حكم . والمراد أن يمر ما إذا كان للبعد بعد أن يعاقب جنوداً .

وفي ٧ حزيران ، عدا تطويق بير حاكم فاما ، والفرقة الألمانية اللسعون والفرقة الإيطالية ، تربتا ، تسادها بزهاء عشرين بطارية ومئات الدبابات أمنا على أهبة الهجوم . وكانت القيادة الحليفة قد رحت أمراً ، مساء أول حزيران ، إلى كونيغ : « اسعدوا ستة أيام بعداء ، ما قد مرت الأيام الستة . وطلب الجنرال ريلشي « اسعدوا ثدياً وأربعين ساعة بعداء . يجب القول إن الحاسر والبلة التي أحدثتها ضربات المدر المخاجة في صفوف الجيش الثامن كانت من الفداحة بحيث يستحيل بعد اليوم أن تجدي معها أية عملية إنهاض أو إنقاذ . أما رومل فقد انهمك في المدور نحو مصر ، مستفيداً من البلة التي تبينها لدى البريطانيين ، وصاق درعاً بهذه المقاومة التي تقعد على طول مؤخراته ، وتزعج مواصلاته . لقد أصبحت بير حاكم الهم الذي استحوذ عليه والهدف الرئيسي الذي ينبغي للفراغ منه . وكان قد جاء بنفسه إلى الموقع عدة مرات ، وسيأتي إليه بعد يتعجل المهاجمين .

وفي ٨ ، شنت هجمات شديدة . وحاول مشاة الاعداء مراراً عدة ،

تتجدهم مدفعية قوية ودبابات ضخمة ، أن يشترعوا ببسالة هذا القطاع
أر ذاك من خطوطنا ، ولكن عثا . كان هاراً جد قاس على جنودنا ،
وكذلك كان الليل الذي مر في إعادة ترتيب المواقع التي دمرت . وفي
« استؤنفت المحميات » وقد اشنت مدفعية العدو بمباريات ثقيلة لا
تقوى على حدها مدافع العقيد ولوران - شامبروراي « من عيار ٧٥ .
وشح الاء على جنودنا ، فلا يصيب واحداً بعد أكثر من ليقين خلال
أربع وعشرين ساعة . ومثل هذه الكمية ، في مثل ذلك المناخ ،
لا تنفع غليل أحد . ومع ذلك ، لا بد من الصمود بعد ، لأن مقاومة
كوبيج ترتدي الآن طابعاً من الأهمية القصوى ، في لجنة الاضطراب
الذي صمغ مختلف عناصر الجيش البريطاني . وراحت أواق الاعلام
تشيد صاخة ر د دفاع الفرنسيين البطولي ، و « هزيمة الألمان أمام بير
حكيم » في لندن ، في نيويورك ، في مونتريال ، في القاهرة ، في
الري ، في بورس أيرس . . هالحن تقارب من الهدف الذي رمينا
إليه في تأميم دور كبير للقوات الفرنسية الحرة - أيا كان ملاكها
محدوداً - في مناسبة كبرى ، فإن مدفع بير حكيم أعلن للعالم برمه ،
بداية نهوض فرنسا .

بيد أن الذي راح يستحوذ على أفكارى بعد ذلك اليوم وما تلاه ،
إنما هو سلامة المدافعين . فأنا أعلم أنهم لا يستطيعون بعد طويلاً أن
يحطموا هجمات تاندها وسائل ماحقة ، وأنا على يقين ، ولا ريب ،
أن الفرقة لن تملك بحال من الأحوال ، وأن العدو سيكون محروماً من
الاغتياب برؤية رقل طويل من الأسرى الفرنسيين يشترعه رومل ، وأن
هذا سيخطر ، إذا صمدت قواتنا في مواقعها ، إلى مفاتحة حشودها الواحد
تلو الآخر ، ليتمكن من القضاء عليها . ولكن المراد أن نعيدنا سائلة ،
وما هو أبداً أن نذعن للقدر في إبادة المجيدة ، فأنا في حاجة من بعد ،

الى هاتيك المئات من الضباط ومرشعي الضباط المتعيزين ، الى تلك
لاوف من الجنود الأبرار . ها إهم سجلوا واحدة من مآثرهم ، وعليهم
الآن ان يقوموا بمأثرة اخرى ، ان يشفوا الطريق عبر المقيدين وسقوف
الألقام ، ليلتصقوا بكنته القوات الخليفة .

لم أكن أترك لحظة تمر دون ان أعلم ، على البحر الأصغر إلخاسا ،
هيئة الأركان العامة الامبراطورية البريطانية ، خلال ٨ و ٩ حزيران ،
مقدار الأهمية الكبرى لهذه القضية وهي ان يتلقى كونيغ ، قبل قوات
الأوان ، الأمر بمحاولة الخروج من الميدان ، وإن كنت أحرص على ان
لا تدخل مباشرة في سير المركة . وأعدت ذلك على السيد تشرشل
الذي بحثت معه مسألة مدغشقر . وعلى أي حال ، كانت الحافنة تدنو ،
وقد أبرقت لقائد الفرقة الخليفة الأولى ، ايها الجنرال كونيغ . أعلم
وقل لجنودك ان فرنسا برمتها رمتكم بظرفها ، وأبكم فخرها .
وكان في نهاية اليوم نفسه ، ان أخبرني الجنرال السير آلان بروك رئيس
الأركان العامة الامبراطورية ، ان العدو لم يكف منذ الفجر عن عناده
في مهاجمة بير حكيم ، بيد ان ريتشي امر كونيغ ان ينتقل الى
موقع جديد ، إذا وجد الامكانية لذلك . والعمليّة مقدرة ان تجري
النهار الليل .

في صباح اليوم التالي ، ١١ حزيران ، وردت تعليقات الاذاعة
والصحافة تشيد ببطولات المحاربين وثلاثين مزاياهم ، قالوا كلهم وقد
فاتهم ان الفرنسيين يحاولون الخروج من المأرق ، كانوا ينتظرون تحطم
مقارمتهم بين لحظة واحرى ولكن ها هو بروك يرسل إلي في اسماء
يقول . « توصل الجنرال كونيغ مع فريق كبير من قوته الى « النفوي » ،
خارج صال العدو ، « فشكرت الرسول ، وصرفته ، واعلقت الباب .
انا وحيد . إيه ! القلب ينفق شحوا ، وتهتدات الكهباة ترتفع ،

ودموع الفرح تنهل !

لقد أعاد كونيغ قرابة ٤٠٠٠ رجل بالسلامة ، بعد أربعة عشر يوماً في القتال ، من اصل زهاء ٥٥٠٠ كانوا يؤلفون الفرقة الاولى الخفيفة قبل بير حكيم ؛ وهناك عدد من المرحى أمكن نقلهم الى المؤخرة مع الوحدات ، في الوقت ذاته . وتركنا قواتنا في الميدان ١١٠٩ من الصايط والجنود بين قتيل وحريح ومفقود . وكان في عداد القتلى ثلاثة ضباط من ذوي الرتب العالية العقيد بروش ، والمقدمان صافيه وبريكونيو . وفي عداد المرحى من هم على جدول الترقية : المقدمان بوشوا ونايوتو . اما للمناد فقد حُتمر سلباً ، وترك في مكانه . ولكننا كمدنا العدو خسائر تفوق خسائرنا بثلاثة اضعاف .

وفي ١٢ حزيران أعلن الألمان أنهم المارحة و استولوا عوة ، على بير حكيم . ثم أذاع راديو برلين بلاغاً صريحاً ، « إن الفرنسيين البيض والملوئين الدين وقعوا أسرى في بير حكيم ، ولا يتمنون إلى جيش نظامي ، ستجري عليهم قوانين الحرب ويُعدمون » . وبعد ساعة ، أطلقت المدكرة الآتية بعد ترجمتها إلى جميع لغات العالم ، وأداعتها أمواج السي . بي . سي . « إذا كان الجيش الألماني قد لوث شرفه إلى درجة يقتل معها جنوداً فرنسيين وقعوا في الأسر وهم يحاربون من أجل وطنهم ، فإن الجنرال ديمول يعلن بألف حقيق ، أنه يجد نفسه مكرهاً على إزال المصير نفسه بالأمرى لألمان الدين وقعوا في أيدي قواته » ولم يكذ ذلك النهار مع ههشه حتى أعلن راديو برلين : « لا مجال لأي سوء تفاهم حول العسكريين الفرنسيين الذين أسروا خلال معارك بير حكيم ، فإن حدود الخيال ديمول سيعاملون كمحود » وهذا ما جرى فعلاً

وبينما كانت الفرقة الخفيفة الاولى تتجمع في سيدي براني ، وكاترو

يعمل في الحال على إكتمالها ، ظل جناحنا الجوي « الزاس » يشارك في عمل المطاردة مع سلاح الجو الاسكتلندي ، وجناحنا « لورين » يضاعف هجماته على مواصلات العدو ، مع قذافات القنابل البريطانية . ولكن مظاهرات في الوقت نفسه ، يقومون بعدة غارات موفقة ، فكان منهم ان دمروا ليلة ١٢ - ١٣ حزيران ١٢ طائرة جسيمة في مطارات العدو بليبيا ، وكان من التقيب « برج » الذي ألقي على جزيرة كريت مع بضعة رجال ، ن أحرق قبل ان يخلص عليه ، ٢١ قاذفة قنابل و ١٥ شاحنة ومستودعاً قنبرين فوق أرض قنديا .

غير ان الجيش الخامس تحلى تحت وطأة النجدال معنوي مطاحجه ، عن برقة ، ناركاً وراءه عناداً كبيراً . وكان الجنرال أوكلتك يأمل ان يحتفظ ، على الأقل ، بطريق ذلك الموقع الذي أنقذ تنظيمه وقوته من البحر . ولكن حاميته البالغ عددها ٣٣.٠٠٠ رجل استسلمت في ٢٤ حزيران للأذن . ثم لم يتمكن البريطانيون من التمرركز صوب العين إلا بعد عشاء كبير . وكان ثمة فطاع من الموقع عهد بالحفاظ عليه للجنرال كارو وهرفته الحفصة الثانية التي وضعت بدورها أخيراً في الميدان . وكان في عداد القوات الاحتياطية حامل العقيد ريمي ، المصنع الذي روّد «العتاد على عجل . كان الموقف خطيراً ، إذ راح الشرق كله ، وقد اهتزت قلقاً ، يترقب ان يدخل الألمان واليطاليان القاهرة والاسكندرية .

لم يكن النجدال حلفائنا ذلك سوى غيمة عابرة ، فبأني يوم يتغلون فيه هائياً ، بمصل سيطرتهم على البحر ، ووصول إمدادات جديدة ، وتعمق حوتهم كبير ، وكفاءات الجنرال مونتعمري حبراً . ثم إن رومل علق ، من جهة أخرى ، زحفه الى الامام ، وقد استنفذ أوكلاد ، ما لديه من مؤن . وكانت مجموع الحوادث ، مع ذلك ، تبرز للعلن أهمية هذا ما اعترف به أوكلتك اعترافاً بديلاً ، إذ أصدر في ١٢

حزيران بلاغاً رائماً على شرف الفرقة الحفيدة الأولى صرح فيه بما يلي :
« ينبغي للأمم المتحدة ان تمتلئ بالاحباب وعرفان الجبل تجاه تلك
القوات العربية وحفرها الهام » .

واجتمع في لندن بعد ستة ايام ١٠٠٠٠ فرنسي بين مديين وعسكريين
للاحتفال بالذكرى السنوية الثانية لنداء ١٨ حزيران . وكانت طوابق
ألبرت حول الأرضة مكتظة بالحضور الى مدى ما تسمح به سلامة البناء .
وكانت تمتد ، على الحدار ، وراء المدر ، لافتة علم مثلث الالوان ،
موشاة بصليب القورين ، وقد تجتمعت عندها الانظار . وتعالق في
العشاء ألحان الشيدرين : « المرسلين » و « المارش لورين » ، وكانت
أصداؤها تن في كل القلوب . وأخذت مكاني ، وتحدثت حولي أعضاء
الجنة الوطنية والمتطوعون الذين قدموا مؤخراً من فرنسا ، فسمعت
جميع الألسنة تصيح بالايامات الذي يعمر أفئدة هذه الجبهة المتحمسة .
غير أنني شعرت ذلك اليوم بالفرح يرفرف ، كما شعرت في الوقت نفسه
بالأمل . وتكلمت . كان لزاماً علي ان اكلم . العمل بضع الحاسات
موضع التنفيذ . ولكن الكلام هو الذي يبعث الحاسات

واستشهدت بكلمة قالها شانفور : « العلاء داموا » والمؤمنون عاشوا » .
وأعدت ذكرى للعامين الذين اجتازتهما فرنسا الحرة : « لقد عشنا
كثيراً ، ذلك لأننا مولعون بالكرامة . ولكننا دمنا ايضاً . آه ا كم
نحن حقلاء ! » ان ما قلناه منذ اليوم الأول : « فرنسا لم تخرج من
الحرب ، والسلطة التي قامت تميزاً للتخلي عن الواجب ، ليست سلطة
شرعية ، وأحلافنا مستمرة » وقد اثبتنا ذلك بأعمال هي معارك ...
كان ينبغي لنا ، بالتأكيد ، ان نعتقد ان بريطانيا ستصمد جيداً ، وان
روسيا واميركا ستزجان في الصراع ، وان الشعب الفرنسي لن يقبل
الهزيمة . أجل ! لم تكن على خطأ ... » . ثم وجهت التحية الى

عاريين في كل مكان من العالم وحركات مقاومتنا في فرنسا . وحيث
الامبراطورية أيضاً ، الامبراطورية الآمنة قاعدة الانطلاق لإنهاء البلاد .
والأكيد انه ينبغي ان يتحول بفيانها بعد الحرب . ولكن فرنسا مجمة
على النية في الاحتفاظ بوحدها وكيانها . وحق الشجاعة الأليمة التي
انطلقت في الدفاع عن هذا الجزء او ذاك ، ضد فرنسا المحاربة وضد
حلفائها ، من قبل قوات تضلها أكاذيب فيشي ، إنما هي دليل مغلوطة
ولكن لا يدحض على إرادة الفرنسيين هذه ولحظت ان فرنسا
المحاربة للثقل ، رغم كل شيء ، من الاوقيانوس . و إن العالم عاود
عرف فرنسا حين أطلت في سيرة حكم ، شعاع من مجدها المنبث ،
وأقبل بمئات جباه جنودها المدعاة .

وكان جواب الحضور عاصفة من المتفاجات ، ثم النشيد الوطني يلبث
بحرارة لا سبيل الى التمييز عنها . وقد سمع أيضاً أولئك الذين يقيمون
في ديارنا خلف الأبواب ، والمصاريع ، والستارات ، وكأورا يصيحون
لأمواج الاثير وهي تنقل اليهم .

وراء الصمت على الحضور ، وانتهى الاحتفال ، وعاد كل امرئ
الى عمله . ها أنا وحيد حبال نفسي . وليس ثمة من موقف يتخذ في
سبيل تلك المجاهدة ، ولا من اوهام قداري . ووضعت حساب الماضي ،
فإذا هو ايجابي ، ولكنه أليم . لقد اصحت فرنسا المحاربة ، بكل
تأعبد ، صلبة متمسكة ، رجلاً رجلاً ، وقطعة قطعة . ولكن كم
كان علينا ان نكابد من خسائر ، وأحزان ، وتمرقات ، لنندفع ثمن
هذه النتيجة ! ونحن نقرب الآن من الطور الحدي . بوسائل ذات قيمة :
٧٠.٠٠٠ رجل تحت السلاح ، رؤساء من ذوي المراتب الرفيعة ، أقاليم
تقوم بمجهود كبير ، ومقاومة داخلية تزداد يوماً بعد يوم ، وحكومة
مطاعة ، وسلطة معروفة ان لم تكن معترفاً بها ، في العالم . وليس ثمة

أدنى شك في أن ما يلي من أحداث يقع قوى أخرى . بيد أي لا
أضلّ من المراقيل في الطريق : قوة العدو ، حذر الدول الخليفة ؛
عداء الرحمين وقوى الامتيازات من الفرنسيين ، دسائس المعص وحمود
عدد كبير ، وخطر تخريب عمام ، آخر الامر . وأنا ، أنا الرجل
المكين اأ يكون لديّ من البصيرة المافدة ، والحرم ، والبرعة ،
لأسيطر حتى النهاية على الحق ؟ وإذا أنا وفقت الى قيادة شعب تجمع
في النهاية ، حتى تحقق له النصر ، فما يكون مستقبله من بعد ؟ وخلال
ذلك ، كم هي الخرائب التي تصاف الى خرائبه ، والانقسامات التي
تصاف الى انقساماته ؟ وحين ينقضي الخطر وير ، وتنحصر الاسرجة ،
أي أمواج من الرجل تنهال على فرنسا ؟

هدنة تتوارى معها الشكوك شكوك اها إني ، وأنا حان على الهوة
التي رددت فيها الوطن ، أحد أبنائه يسديه ، ويحمل له السور ، ويريه
طريق الخلاص . وكثيرون هم الذين التفتوا بي ، وسبائي آخرون .
أنا متأكد من ذلك ا الآن أسمع همسا تجيبي ، إنها لتنهض من
احماق الهاربة ، وتزحف ، وتلتصق لتعبر . إيه ! أينها ، أم ، ها
نحن ، كآ نحن ، في سبيل خدمتك

وثائق

الوثائق التي تلي ، حرة من مجموعة البرقيات ، والمذكرات ، والتصريحات
التي كتبها سكرتيرس لفرسا الحرة ، ورئيس اللجنة الوطنية للفرنسية
(١٩٤٠ - ١٩٤٢) .

و كنت قد أودعت بنمسي ، دار ه المخطوطات الوطنية ، المجموعة
الكاملة .

نداء إلى الفرنسيين

في ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٤٠

الرؤساء الذين كانوا ، منذ سنوات عديدة ، على رأس الجيوش
الفرنسية ، شكلوا حكومة .

وعده الحكومة انصلت بالمدور ، وهي ترغم أن جيوشنا هزمت ،
لوقف القتال .

صحيح أن قوة المدور الآلية في البر والجو أغرقتنا ، ولا تزال .
إنما هي دبابات الألمان ، وطائراتهم ، وسعة حيلتهم للقتالية التي
تفوق أعدادهم بكثرة ساحقة ، التي جعلتنا نتراجع . ودبابات الألمان
هذه ، وطائراتهم ، وحيلهم القتالية هي التي فاجأت رؤسائنا وسافتهم
إلى الالتخايل الذي يظنون اليوم عنده .

ولكن هل قيلت الكلمة الأخيرة ؟ هل للأمل أن يتواري ؟ والهزيمة ،
أهي نهائية ؟ لا !

تلقوا بي ، بي أنا الذي أحدثكم حديث عارف بالسبب ، وأقول لكم
إن شيئاً لم يضع على فرنسا ، فإن الوسائل تقيا التي طلبتنا يمكن أن
تأتينا بيوم النصر .

ذلك بأن فرنسا ليست وحدها . ليست وحدها ! ليست وحدها !
إن لها وراءها امبراطورية رعية ، وفي وسطها أن تتكلم مع الامبراطورية

لبريطانية مالكة البحار ، وتستمر في الكفاح . وتستطيع أن تستخدم
إلى غير حد ، كإسكتلندا ، صناعة الولايات المتحدة الواسعة ، الضخمة .

ومعه الحرب لا تنحصر في أراضي بلادنا المجموعة . هذه الحرب
لم تنحصر في معركة فرنسا . هذه الحرب عالمية ، فإن جميع الأخطاء ،
والثغرات ، والآلام لا تمنع أن يكون في العالم جميع الوسائل لسحق
أعدائهم يوماً ما . وإذا كانت القوة الآلية قد أصعقتنا اليوم ، فإن في
مستطاعتنا أن نتغلب في المستقبل بقوة آلية أكبر . ومصير العالم هناك .

أنا ، الجنرال ديمول ، المقيم حالياً في لندن ، أدعو الصباط والجنود
الفرنسيين الذين هم على أرض بريطانية أو يقدمون إليها بجميع أسلحتهم
أو بدونها ، أدعو المهندسين والعمال الاختصاصيين في صناعات التسليح
الذين هم على أرض بريطانية أو يقدمون إليها ، أن يتصلوا بي .

لا يجوز ، مهما جرى ، أن تنطفئ شعلة المقاومة الفرنسية وهي
لن تنطفئ .

سأنكمم هدأ ، كاللوم ، من إذاعة لندن .

برقية إلى الجنرال تونغيس

القائد الأعلى لعمليات الحربية في أفريقيا الشمالية
في طاحنة الجرائر

لندن ، ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٤٠

أنا في لندن على صلة شبه رسمية ومباشرة مع الحكومة البريطانية .
أضع نفسي تحت تصرفكم ، إما للقتال بإمرتكم ، وإما للقيام بأية
خطوة تبدو لكم مفيدة .

رسالة إلى الجنرال فيغان (١)

لندن في ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٠

سيدي الجنرال

تلقيت أمرك بالعودة إلى فرنسا . فأحدثت أبحاث في الحال عن وسيلة للعودة ، إذ ليس لديّ ، طبيعاً ، أية عريضة أخرى سوى الخدمة في القتال .

وإنني لأفكر في أن أمثل بين يديك خلال أربع وعشرين ساعة ، إذا مضت هذه ، ولم يُوقف الأمر بالاستسلام .

ولكنني في حالة توفيقه ، سألتحق بكل مقاومة فرنسية تنظم في أي مكان . وإن في لندن خاصة عناصر عسكرية - وسياسي غيرها ، دون ريب - مصممة على القتال ، مهما حدث في الوطن الأم .

وأعتقد أنّ من واثق ان أقول لكم بكل بساطة ، إنني أغنى لفرنسا ولكم ، سيدي الجنرال أن تدركوا الكبة وتقدروا على التفلّت منها وتنتقلوا الى فرنسا ما وراء البحار ، وتتابعوا الحرب . فليس في الإمكان الآن عقد هدنة ضمن الشرف .

وأخيراً ان علاقتي الشخصية مع الحكومة البريطانية - ومع السيد شرشل خاصة - يمكن أن تصبح لي ان اكون نافعا لكم ، أو لأية شخصية فرنسية أخرى رفيعة الشأن تريد ان تقوم على رأس المقاومة الفرنسية المستمرة .

(١) نقل هذه الرسالة الجنرال ليانغ للتحقق العسكري في لندن الى الجنرال فيغان وأعيدت من فيشي الى الجنرال ديبرول خلال أبريل ١٩٤٠ . ومعها ورقة كتب عليها بالآلة الكاتبة هكذا : « اما أراد الكولونيل المتقاعد ديبرول ، يتصل بالجنرال فيغان ، عليه ان يتبع الطريق النظامي » .

وأرجو أن تتمضوا سيدي الجنرال بقبول أخلص مشاعري من الاحترام
والإخلاص .

برقية إلى الجنرال نوغيس

هاتف الأمل لمسلات الحربية في أفريقيا الشمالية

لندن ، ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٠

نحيطكم علماً أنه يجري الآن تشكيل لجنة وطنية فرنسية لربط جميع
عناصر المقاومة فيما بينها ومع الحلفاء . وطلب إليكم شخصياً المشاركة في
تشكيل هذه اللجنة . والجميع هنا يعتبرونكم الرئيس الأعلى للمقاومة
الفرنسية تفضلوا بقبول عبارات احترامنا ورجائنا .

من اللجنة الوطنية الفرنسية التحضيرية

الجنرال ديغول

برقية

- إلى الجنرال موطها ووزر هاتف الأمل لمسلات في المتوسط الشرقي

- إلى السيد غ . بيرو مفوض فرنسا السامي في سوريا ولبنان

- إلى الجنرال كاترو حاكم الهند الصينية العام

لندن ، ٢٤ حزيران ١٩٤٠

إننا معكم كلياً في إرادة متابعة الحرب .
وقد شكلنا لجنة وطنية فرنسية لربط عناصر المقاومة الفرنسية .
نطلب إليكم متشاركين شخصياً في تشكيل هذه اللجنة .
تقبلوا عبارة احترامنا ورجائنا .

من اللجنة الوطنية الفرنسية

الجنرال ديغول

مذكرة الى السيدين تشرشل وهاليفاكس

لندن ، ٢٦ حزيران ١٩٤٠

١ - لن أنتظر تشكيل لجنة وطنية خالصة ، ولذا واني الآن في صدد تشكيل لجنة فرنسية عامة تهدف الى ما يلي .

أ (جمع عناصر المقاومة العربية على الارض البريطانية الموحدة فيها ، أو التي تقدم إليها .

ب (وضع أنفسنا تحت تصرف جميع المقاومات العربية التي تظهر في الامبراطورية ، وعلى وجه الاحتمال ، في الوطن الأم ، لربطها فيما بينها ، ومع الحلفاء ، ومدها بالعناد إلخ .

٢ - تستطيع اللجنة الفرنسية أن تنظم :

أ (قوة عسكرية فرنسية برية وجوية وبحرية ، مؤلفة من متطوعين ، صغيرة في الحال ، ولكن من المؤكد أنها تكبر مع الأيام . وستكون هذه القوة منفصلة عن العناصر العسكرية الفرنسية اللامتطوعة ، وتتجمع على نحو عاجل قرب لندن .

ب (حصراً يكون منظمة للصنوعات الحربية (مهندسين وعمالاً) . وتستطيع هذه المنظمة أن تشتغل في المصانع الانكليزية وفق شروط تحدّد فيما بعد .

ج (منظمة دراسات وشراء عتاد حربي ، تستطيع أن تتعامل مباشرة مع دوائر التسليح الانكليزي والصناعة الأميركية .

د (منظمة نقل وتكوين .

هـ (منظمة إعلام وقعاوة .

٣ - لا بد لي ، تحقيقاً لذلك من أن أعال موافقة الحكومة البريطانية على النقاط الآتية :

أ (يجب أن تكون جميع نشاطات الفرنسيين على الأرض البريطانية مركزة ، لا يسبق المنظمات الانكليزية مباشرة ، ولأفراد العاملين في مختلف الحقول ، ولكن بواسطة اللجنة الفرنسية وموافقتها ، لا سيما حين يتعلق الأمر بمساعدة المنظمات الانكليزية بخدمات عسكرية ، أو صناعية ، أو علمية ، أو اقتصادية .

ب (تفتح الحكومة البريطانية للجنة الفرنسية الاعتمادات الضرورية لنشاطها الخاص ، كما لتنظيم جميع المرتبات ، والأجور ، والنفقات للمسكريين والمدنيين الذين ملتحقون بها .

ج (كل المسائل التي سويت حتى الآن مع السلطات البريطانية ، إما عن طريق البعثة العسكرية الفرنسية ، أو البعثات الدراسية أو بعثات التنسيق ، تكرر من بعد مباشرة ، عن طريق اللجنة الفرنسية مع السلطات البريطانية .

د (تكون اللجنة الفرنسية على صلة مباشرة بجميع الإدارات الوزارية البريطانية .

هـ (توضع هذه الترتيبات موضع التنفيذ ابتداءً من ٢٨ حزيران . وعلى الحكومة البريطانية أن تعلن موافقتها المبدئية ، في بيان تعهده على الجمهور .

٤ - تتلو البيان "مفاوضات" بين اللجنة والإدارات الوزارية البريطانية ، لعقد اتفاق واضح ودقيق ، تركز فيه التفاصيل .

برقية

- الى الجنرال ميتلهاوزر القائد الاعلى ميدان المعاليب في الترمط الشرقي
- الى السيد ج . بيو مرمز فرنسا السامي في سوريا ولسان
- الى السيد بيروتون المقيم العام في تونس

لندن ، ١٧ حزيران ١٩١٧

أقترح عليكم ان تشاركوا في مجلس الدفاع عن فرنسا عسا وراء
البحار الذي يهدف الى تنظيم جميع عناصر المقاومة الفرنسية في الامبراطورية
وانكلترا ، واحكام الروابط فيما بينها

وفي رسمي ن ارسل الى اراضيكم عناداً أميركياً سبق ان 'شحن
وأصبح في طريقه اليها ، او اي عناد آخر يمكن أن تطلبوه .

أسمى من واجبا نحن ، وقد خسرت حكومة بورديو استقلالها ، ان
ندافع عن شرف فرنسا والامبراطورية ، ونحرم كيانها .

خلاصتي الموقر

جواب للقائم بالاعمال في لندن

الذي وجه مذكرة للجنرال ديفول ، بالامر الصادر من حكومة بورديو
ان يسلّم نفسه أسيراً في تولوز

لندن ، ٣ تموز ١٩١٠

سيدي

أعبد اليكم طبع نص الوثيقة التي وجهتموها اليّ . واني لأكون
ممتناً لكم ان تملكون أولئك الذين كلموكم تحويلها اليّ ، ان تبليغهم لا
قيمة له ابدأ في نظري .
وتفضلوا ، يا سيدي ، بقبول مناعري السامية .

كلمة القيت من طليح لندن

٨ غوز ١٩٤٠

هناك حادثة فظلة على نحو خاص ، جرت خلال الثالث من شهر غوز ، أثناء التنصية الموقنة للقوات الفرنسية ، تلك التنصية التي تلت الاستسلام . وأعني ، كما هو معروف ، قصف وهران المروع بالمدايق .

أريد ان اتكلم بوضوح ، من غير مواربة ، لأن من واجب الرجال الأبرار ، في مأساة يفود بها كل شعب مصير حياته ، ان يملكوا الجرأة على مواجهة الأمور ، ويقولوا الحقائق بصراحة .

سأقول أولاً ما يلي : ما من فرنسي عرف ان سفناً تابعة للأسطول الفرنسي أغرقت على أيدي طلائعنا ، الا وكان مثالاً خاضباً . وهذا الغضب ، وذلك الألم يلبثان من أعمق اعماقنا . وليس ثمة أدنى مبرر لتألف معنا والانصياع لها ، والى من جانبي لأعرب عنها ، على نحو سافر . وأترجيه للانكليز كذلك ، وأدعهم ان يوفروا علينا وعلى أنفسهم كل تصوير لهذه المأساة البشعة ، على انها ظفر بحري مباشر ، فإن ذلك جائز ، وفي غير محله .

لقد كانت سفن وهران في الواقع ، عاجزة عن نحوى معركة . وكانت في حالة رسوخ ، لا تملك معها أدنى طاقة على المناورة أو الانتشار ، وكان رؤساؤها ونوتيتها في أمر حالات الارهاق المعنوي منذ خمسة عشر يوماً . وقد قركوا للسفن الانكليزية الصلبيات الأولى . وهذه كما يعرف الجميع ، ذات أثر حاسم في البحر ، على مثل تلك المسافات . ولم يكن تدميرها نتيجة معركة مشرقة . هذا هو ما يصرح به جندي فرنسي للحلفاء الانكليز ، بصراحة توازي في وضوحها مقدار ما يشربه تجاربهم من تقدير ، في الناحية البحرية .

ثم أوجه بخطابي الى الفرنسيين ، وأطلب اليهم أن ينظروا الى جوهر الأمور من الوجهة التي ينبغي لها وحدها أن يحسب لها الحساب النهائي ، أي من جهة النصر والخلص . فإن الحكومة التي كانت في يوردمو قبلت ، بناء على عهد مشين ، أن تسلم مفتنا الى العدو . وليس ثمة أدنى شك في أن العدو لا بد أن يستخدمها يوماً ما ، عن مبدأ أو ضرورة ، إما ضدّ انكلترا ، وإما ضدّ امبراطوريتنا . نفسها . رها أذا أقولها من غير إيهام ولا مداورة ، ان من الأفضل أن تدمر .

واني لأفصل أن أعرف أن الدارعة و دنكرك ، دارعتنا الجبهة ، للميزة القوية و دنكرك ، أغرقت في مرسى الكبير ، على أن أراها يوماً ما ، وفوق ظهرها رجال من الألمان ، وهي تقصف الموانئ الانكليزية أو عاصمة الجزائر ، أو الدار البيضاء ، أو دكار .

ان الحكومة التي كانت في يوردمو تقوم بدورها ، دور العبودية ، اذ تلعب في هذا النصف بين الإخوة ، ثم تسمى في تحويل غضب الفرنسيين ضد حلفاء خانتهم .

والعدو أيضاً يقوم بدوره ، دور الفاتح اذ يستغل الحادث ليحرش كلا من الشعبين الامكليزي والفرنسي ، الواحد منها ضد الآخر .

وإن جميع ذوي النظر الثاقب من رجال الشعب يقومون بدورهم ، دور الوطنيين اذ يأخذون المأساة كما هي ، أي مفجعة وكرهة ، ولكنهم ينعون في الوقت ذاته أن تكون تبجتها للشقاق المعنوي بين الانكليز والفرنسيين .

الانكليز الذين يحسنون التفكير لا يملكون أن يجهلوا أن أي انتصار لهم لا يمكن أن يكون ، اذا تحولت فرنسا بروحها عنهم الى العدو .

والفرنسيون الجديرون بهذه الصفة لا يملكون أن يشكروا لهذه

الحقيقة ، وهي أن الهزيمة الاتكالية تطيعهم الى الأبد ، بطابع الصودية .
ومما حدث ، حتى وإن هوى أحد الشعبين لفترة ما من الوقت ،
تحت بر المدور المشترك فإن شعبينا ، شعبنا الكبيرين يظنان مشدوداً
واحدهما الى الآخر ، فلما أن يرزعا كلاهما معاً ، أو أن يظفرا معاً .
أما أولئك المرنسيون الذين لا يراون أحراراً في أن يعملوا بمقتضى
الشرف ومصلحة فرنسا ، فلاي أعلن باسمهم أنهم مضوا هائباً في ما
عزموا عليه ، ولن تنهيهام مشقة .

لقد عزموا هائباً على المضي في القتال

برقية

الى الجنرال ليفيل

القائد الاعلى في الشرق الاوسط

لندن ، ١٤ توز ١٩٤٠

تلقيت برفيتكم المؤرخة في ١٢ توز ، وأشكركم عليها مخلصاً . وأما
ممكم على وفاق تام حول النقاط الآتية :
١) لجميع كل العناصر الفرنسية الموحدة بمنطقة عملكم ، في وحدات
مركزة .

٢) تقوية الدفاع في إقليم جيوتي تحت إمرة الجنرال ليجنتوم ،
بذلك العناصر .

٣) الإفادة ، بصورة خاصة ، تحقيقاً لهذا الغرض ، من فوج قبرص
الفرنسي الذي وضع نفسه تحت إمرتي . وقد أمرت ذلك الفوج ان
يكون بقيادةكم في برقية وجهتها اليوم باسم حاكم قبرص .

واني لاكون لكم شاكرًا اذ تنقلون الى الجنرال ليختيوم بركة
أوجهها اليوم اليه باسمكم .

برقية

الى فليكس ابيوه

حاكم تشاد

لندن ١٦ - تموز ١٩١٠

أنا على علم بموقفكم الذي أؤيده أتم التأييد . الواجب يقضي ان
نصمد في كل نقطة من أديم الامبراطورية ، في سيل فرنسا ، وضد
الامان والاطليان . اطلب اليكم اطلاعي على وضعكم ، كلها وجدتم ذلك
مناسباً ، واني لستعد لتقديم كل مؤازرة أستطيع تقديمها لكم . اطلب
اليكم ان تظنوا على ارتباط بي .
موهلي القلية .

تعليمات

وجهت الى مسدوي الجنرال ديفول في
المستعمرات الفرنسية بأفريقيا

لندن ٥ - آب ١٩١٠

١ - تتكون مهمة القوضية من :

١ - قنيل الجنرال ديفول في كل مفارضة يمكن ان تجرى او يقبل
بها ، في كل تصريح يمكن ان يُدلي به ، في كل مبادرة يمكن
ان يتخذها ، بغية اجتذاب كل المستعمرات العربية في أفريقيا
او جزء منها ، غربية واستوائية وممها الكاميرون ، للانضمام
الى الجنرال ديفول لمنع تمييز الهدن ، ومنابعة الحرب ضد
الامان والاطليان .

٢ - الاتصال على أكمل ما يمكن مع الشخصيات الفرنسية في هذه المستعمرات سواء كانت لهم مهمة رسمية أم لا .

٣ - تركيز الارتباط والمحافظة عليه مع السلطات البريطانية في غامبيا ، سيراليون ، وشاطئ الذهب ، ونيجيريا ، ثم مع سائر السلطات الأجنبية المحتمل قيامها .

٤ - إطلاق الجنرال ديفول على الحالة العامة حيث 'وجد له مندوبيون' من جميع المواسي في المستعمرات الفرنسية ، في أفريقيا الغربية والاستوائية ، وعلى أفضل إمكانيات العمل في تلك المستعمرات .

٥ - 'كلف المقدم لوكليز ، تكلبغا خاصاً ، تمثيل الجنرال ديفول لدى الجنرال آمر القوات البريطانية في جنوب الاطلنطي ، ولدى الاميرال قائد القوات البحرية البريطانية في جنوب الاطلنطي ، لأداء هذه المهمة المشتركة .

وستكون إقامة المقدم لوكليز إذن ، على نحو رئيسي ، في أكرا ، ويشكل كل من السيد بليمن والسيد بوالامير الحانب المتحرك ، من المفوضية ، ويتنقلان في النقاط التي يحداتها أصليح من غيرها للقيام بالاتصالات التي يريان إجرامها .

٣ - تقل المعلومات البرقية التي تزود بها المفوضية الجنرال ديفول ، عن طريق السلطات البريطانية .

تجري محادثات الجنرال ديفول البرقية ، مبدئياً ، مع المفوضية ، عن طريق الحاكم البريطاني في شاطئ الذهب ، أو عن طريق الجنرال قائد القوات البريطانية جنوب الاطلنطي ، أو عن طريق هاتين السلطتين معاً .

رسالة إلى السيد ونستون تشرشل

لننت ٧ آب ١٩٤٠

سيدي الوزير الأول

لقد تفضلتم بإرسال مذكرة إليّ تتعلق بتنظيم دائرة التطوعين
للفرنسيين واستخدامها وشروط عملها ، وهي التي يجري الآن تكوينها
تحت قيادتي .

وبصفتي معترفاً بي من حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة ،
رئيساً لجميع الفرنسيين الأحرار أنسى وجدوا ، من ينضمون إليّ للدفاع
عن قضية الحلفاء ، جئت أحيطكم علماً أنني أقبل هذه المذكرة .
وسنعتبر اتفاقاً معقولاً بيننا حول تلك المسائل .

وإني لسعيدٌ أن تكون الحكومة البريطانية قد تعهدت في هذه
المسألة ، بتأكيد عزمها أن تؤمن إعادة كيان فرنسا واستقلالها
وعظمتها ، حين تنتصر الجيوش الحليفة .

وأؤكد لكم من جاني أن القوة العرسية الحاربي تشكّلها إنما هي
مخصصة للمشاركة في العمليات ضدّ الأعداء المشتركين (ألمانيا ، إيطاليا ،
أو أية دولة أجنبية أخرى معادية) ، بما في ذلك الدفاع عن الأراضي
الفرنسية ، والأراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي ، والأراضي البريطانية
ومواصلاتها ، الخاضعة للانتداب البريطاني .

ونأملو ، سيدي الوزير الأول ، بقبول تأكيدات اعتباري السامي .

تنويه بـ « تشاد » في وشاح الامبراطورية

٢٧ آب ١٩٤٠

ها أنا هذا اليوم ، الواقع في ٢٧ آب ١٩٤٠ ، وهو اليوم الستون بعد

الثلثاية من مشوب الحرب المالية ، أموره يذكر إقلم م تشاد في وشاح
الامبراطورية للسبب الآتي بياض :

« لقد أظهرت تشاد ، بحافز من رئيسها . الحسام السويدي ، بصفته
حاكماً ، والعقيد مارشان ، بصفته قائداً عسكرياً للإقلم ، أنها تطل
أرضاً للفرنسيين الشهباء .

« وعلى الرغم من وضع عسكري واقتصادي حطير على نحو خاص ،
فلان إقلم تشاد رفض أن يوقع استسلاماً محزياً ، وقرر منعة الحرب
حتى النصر . وقد دل ، معبرته السبق تثير الإعجاب ، على طريق
الواجب ، وأعطى الإشارة بنهوض الامبراطورية العربية بأكملها .

« الجنرال دييول »

رسالة إلى الجنرال كاترو

٢٩ آب ١٩٤٠

سيدي الجنرال

من يشح لكم ان تعرفوا بأي فرح قلبيت بنا وصولكم القرب
هالك الكثير مما ينبغي عمله لاجراج فرنسا من الهوة ، وإن رجلاً ورئيساً
مثلكم ، يستطيع ان يقوم بمثل هذا الدور في إحصائها وانكم لتعلمون أنني
احمر لىك ، مد رم طوبى ، تقديرأ حد خاص ، ومودة صادقة واحتراماً
كبيراً . وما كان من شأن الموقف الذي اتخذتموه في الهند الصينية لا ان
يرستعي في هذه المشاعر . والآن ، علينا أن نسي .

وستكون على علم بما جرى هنا وفي غير اماكن على وجه السرعة .
أما به تعلق بي فأمي ، وقد كنت في الحكومة خلال الايام لاحدة
من الحركة ، فكنت من معرفة مدى الراحه العميقة في عمل العدو .

حاشيه الحكم وذهبية هؤلاء الحكم أنفسهم . وما كان في استطاعتي ان أشك لحظة في ان سقوط صديقك المشترك بول ريسو ، ووصول المارشال المحرور المسكين الى السلطة ، اى كانا يعينان الاستسلام . ورفضت ، من حقى ، ان ادعى له ، فأنيت لندن لأشوء فيها هناك ، فرصة محاربة . واستطعت ، في استنفار للفرنسيين ، ان أكون بداية قوة عسكرية ، وبحرية ، وحقوية ، وقواعد دوائر رسمية . مثلون خارجية ومستعمرت ، مالة ، إعلام ، إلخ . . وأحرقت اتصالات متعددة لكثير من أرحاء العالم . هناك استمدادات كاملة فائقة في فرنسا والامبرطورية وقد اصعبت إلينا حرر هيريد الجديدة ، وتشاد ، والكاميرون ، وشاطيء الساح الاعلى وساكون ، حين تطلق هذه لرسالة ، في طريقي إلى دكار مع قوات ، وسفن ، وطائرات ، و . . . تأييد الاسكندر .

وإذا نجح هذا المشروع ، فان مسألة أفريقيا الشمالية الكبرى ستطرح في الحال ، وستطرح ملحة مقدار ما هو لخطر الألماني ، والإيطالي ، والاساسي ، في نظري ، داهم ولا يبدو لي أن في استطاعة الرجال الذين يعملون بها الوظائف والذين جعلهم إدعائهم للهند عير أكفاء ، أن يكونوا بعد ، بحال ، رجال حرب . وأنا إنما أصوب كلامي هذا ، وأنا أقوله لك ، على الجنرال بوغيس ، الذي ما فتىء منذ أول يوم ، بعدد مراوغة الكثيرة ليحتفظ بتعبه . وفي اللحظة التي نستطيع بها أن نضم إلى أفريقيا الشمالية ضمًا كاملاً ، لا بد لنا من شخصية ذي مكانة ، تتولى أمرها وهذه الشخصية ، اى هي أنت يا سيدي الجنرال ، إذا تفصلت بقول ذلك

وليك لنعلم أن الحكومة البريطانية قبلت مسبقاً ، بعد أن اعترفت بي كـ « رئيس » للفرنسيين الأحرار ، أن أعالج جميع المسائل المتعلقة

بالدفاع عن امبراطوريتنا وحياتها الاقتصادية ، مع « مجلس دفاع عن فرنسا ما وراء البحار » في حالة تشكيل هذا المجلس . وذلك هي « في الواقع » نيتي . واني لأطلب عليك ، سيدي الجنرال ، أن ترعى بمصوب « أفريقيا الشمالية » في هذا المجلس . وانتظار تأسيس هذا المجلس ، ستكون معنا موقوف المكاية ، لإعداد عملك . ولربما يندرج في إمكانك ، منذ اللحظة التي تسمح بها الظروف ، أي منذ لحظة أقدمنا في المغرب أو الجزائر ، وفي الوقت الذي تجده صالحاً ، ان تذهب الى هناك وتعارض ادارة مجموعة أفريقيا وقيادتها : المغرب ، والجزائر ، وتونس .

الأميرال موزيليه ، وأسطوان (الذي اتخذ اسم هوتيس) وقد كلمته أن يمارس الوكالة في غيابي ، للوظائف الآتية ، على التوالي : قيادة القوات العسكرية والبحرية والحوية في انكلترا ، وإدارة المصالح المدنية ، سيخبرانيك عما نحن عليه الآن من ناحية قواتنا ودوائر الخدمات لدينا . وثمة قضية مهمة نحن الآن في صدد معالجتها ألا وهي تسليح عدد من سفن الحربية .

وستكون رأياً لك عن الأميرال موزيليه ، فقد كان موضع انتقاد ، وله عيوب ، ولكن له ايضاً مزايا . وهو في قرارة حقيقت رجل مقدم . وكنت أفضل طبعاً أن يقدم إلينا دارلان بأسطوله ، ولكن دارلان لم يقدم ...

أما من الناحية العامة ، فان لدي ثقة تامة بإسراز النصر النهائي . ولقد أدرك الانكليز بعمق هذا الأمر لحسن حفظهم وحفظنا معاً ، والسيد تشرشل هو « رجل الحرب » كبايياً . واللعبة تدور بين هتلر وبينه .

وفيما أنا انتظر شرف مقابلتك ، أرجوك سيدي الجنرال ، ان تتقبل أخلص مواطني وأوفى احتراماتي .

رسالة ^(١) إلى السيد بولتون الحاكم العام لأفريقيا الغربية الفرنسية

في البحر ، أمام دكار
١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٠

سيدي الحاكم العام

ان لكم ، في حركة النهوض الفرنسية الواسعة التي تشمل امبراطوريتنا ،
دوراً عظيماً لتقوموا به . لقد دقت ساعتكم .

أطلب اليكم ان تلتحقوا بي لتابعة الحرب ، بُنية تحرير الوطن .
واني الآن على مقربة منكم مع قوة عسكرية مهمة ، بحرية وحرية .
هذه القوة قدمت الى دكار لتقوية الحامية ، ووضع الموقع في مأمن من كل
سطوة يمكن ان يسطوها العدو ، وغوبن المستمرة ...

واني لأحسب ان أنزل تلك القوة وهذه المؤن بين لحظة وأخرى ،
ولا أستطيع تصور قيام معارضة . واذا صح المستحيل وحدثت مقاومة
ما ، فاني على ثقة أنكم ستصرفون على نحو تتداركون به الاحداث
الأليمة .

وستكون هذه الاحداث أكثر إبلاماً ، من جهة أخرى ، اذا هي
أفضت الى تدخل القوات الحليفة التي قواكني ، ومهمتها ان تمنع بجميع
الوسائل ، تعرض قاعدة دكار للقوط في أيدي العدو .

واني لأنتظر جوابكم بنقطة يا سيدي الحاكم العام ، وأرجو ان تتقبلوا
أسمى هواطفي .

(١) لم يكن في الامكان تسليم هذه الرسالة لصاحبها عن طريق المراسلين ،
ولسب معروف .

برقية الى السيد ونستون تشرشل

في لندن

فريتنون ، ٢٦ ايلول ١٩٤٠

يجب ان أحتج لديكم على أسلوب الحكومة البريطانية في تصرفها بإرسال الجنرال كاترو الى مصر ، قبل ان تنال موافقتي مسبقاً ، فأب اعتبر هذه الطريقة في العمل تنسأني والتعهدات المعقودة بي وبالحكومة البريطانية ، وهي تمهدت أفقيد بها كل التقيد ، وأبوي أن استمر في التقيد بها .

وقد نشأ من جهة أخرى ، عصر خلاف . ذلك بأن الجنرال كاترو بكل تأكيد ، هو ، الشخصية ذو الكفاءة العليا لتمثيل فرنسا الحرة في المشرق ، وما كنت لأتردد في ان اطلب اليه الذهاب الى هناك ، لو انني كنت على علم ، في الوقت المناسب ، بما يجري في سوريا . ولكن ، على الرغم من اني وصلت الى هنا في ١٦ ايلول ، ولا أزل ، منذ ذلك الحين ، تمكنت من تلقي أسائكم ومقترحاتكم ، ولم أتلق شيئاً يخص هذا الموضوع ، وحدثت نفسي اليوم بشأنه ، أمام أمر واقع .

ليس للجنرال كاترو ان يقوم بعمل على اراضي المشرق الخاصة بالانتداب فرنسي ، الا بصفته ممثلاً للفرنسيين الاحرار الذين أريتهم ، وقد اعترفتم بتم بذلك . ولا يمكنه ان يعمل في المشرق الا بأمر مهم صادر مني اليه . وادا كان الموقف على غير ما أبسط ، فساكون مضطراً الى شجب كل عمل يمكن ان يشرع فيه وامي لأصر على ان أتطلع في أقصر مهلة ، على الترتيبات التي تعتمد الحكومة البريطانية اتخذها نتيجة لهذه الملاحظات .

وان من المصلحة الحيوية ان تساعد الحكومة البريطانية على تمحيص
اليهود ، وتنتج من ، عكس ما تفعل ، ان تعمى على تشقيتها ، من أجل
موض حرب رويداً رويداً ، بأعباء هذه الحرب الى جانب حملتها .

برقية الى الجنرال كاترو

في القاهرة

في الشهر ٢٢ ايار ١٩٤٠

أوافق على معركتي في المشرق ، حيث يمكنكم ان تذلوها عموماً كبراً
لإجراح مهماتكم هناك وقد اضطرت الى الاحتجاج لدى الحكومة
البريطانية على أسلوب تصرفها في هذا الشأن . ولكن ردة فعلي هذه
لا تتعلق بكم شخصياً . فان لي بكم ، فعلاً ، ثقة تداري ما أكت لكم
من ودة واحترام . وانتم ، من جهة أخرى ، أكفأ من يمكن لتولي
أمورنا في المشرق .

برقية الى السيد و . تشرشل

وقد أطلع الجنرال ديغول على المقاربات التي أجريت

في مدريد بين سفير فيشي وسفيرنا

لاغرس ، ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٠

- ١ - لقد سجل الجنرال ديغول باهتمام كبير ، أن حكومة فيشي واجهت
لأول مرة ، في اتصال رسمي ، مثل هذه الظروف التي كان يوسع
فرنسا الرسمية ، أن تتألف بها الحرب إلى جانب بريطانيا العظمى .
- ٢ - وبناء على الأمر الواقع والسياسة التي اتبعتها حكومة فيشي ، فان
مثل هذه الخطوة تعتبر علامة اضطراب سياسي يقارب اليأس أكثر
بما هو إقرار صريح " نعطاً وطني ودولي لا حد له .

٣ - ومن الضروري ، كيف دار الأمر ، أن نمر نقطة لائقة :

حتى وإن انتقلت حكومة فيشي يوماً ما ، كلياً أو جزئياً
إلى أفريقيا الشمالية وأعلنت أنها تريد استئناف القتال ، فإنها لا
تلك من السلطة والمعالية ما يكفي لإدارة الحرب ، إذ لم يبق لها من
المعروف بعد أن أذعنت ادعائاً عاماً لشريعة العدو وحملت الامبراطورية
عزلاء ، ما يلزم لقيادة أولئك الذين تدعوم لحمل السلاح ،
واجتذابهم .

٤ - - وأية كانت التلميحات التي يمكن أن تضطر الحكومة البريطانية إلى
القبول بها مع حكومة فيشي فيما يخص العلاقات الاقتصادية بين
فرنسا غير المحتلة والامبراطورية الفرنسية ، فلا يجوز أن تخرج هذه
التلميحات إلى عدد ، وإن مؤقتاً على الأقل ، في معونة فيشي
على المستعمرات ، هذا المعود السائر الآن في طريق التصفية .
وببدو من الأفضل الاقتراح على فيشي القيام بتمويل مباشر من
طريق أعمال الاسعاف التي تمارسها مؤسسات الولايات المتحدة ،
لأن إشراف 'مركز قواعده' . وفي هذه الحالة ، يصبح من المفيد ،
سبباً مع اقتراح سابق للجنرال ديفول ، أن 'تعرّف' تليسات التمويل
على أنها التحذير استجابة لطلب الجنرال ديفول .

٥ - بنوه الجنرال ديفول بارتيساج أن الحكومة البريطانية بيلت
لحكومة فيشي :

أ (عزمها في الاستمرار على تأييد حركة الجنرال ديفول في
المستعمرات التي انضوت إلى سلطته ، والتي ستضوي إليها .
ب (بيتها الرسمية في السامرة بإعادة استقلال فرنسا وعظمتها بعد
الحرب ، ولا سيما إعادة المستعمرات .

جواب نفتحش المستعمرات العام ، كازو

مدير المالية في الهند الصينية

الذي لم يبق الى الجنرال ديغول ، حول الموقف

في الهند الصينية ، ومشاعر السكان

حوالا ٥٠ تشرين الاول ١٩٤٠

١ - أشكركم على عواطف الولاء التي أعربت عنها رسائلكم إليّ ،
لا سيما في الفقرتين ١ و ٣ . وإننا لنشكرك جيداً المصنوعات التي تلاقونها ،
ومن المستحيل على القوات الفرنسية الحرة ، ان تقدم لكم الآن هوناً
فعالاً . ومانتظار اقتدارها على ذلك يوماً ما ، فإننا على ثقة انكم ستصرفون
دوماً على افضل نحو لمصلحة فرنسا في الشرق الأقصى ، وأنكم
ستعاونون معنا ، ناشطين ، حين تدق ساعة النصر . ولا يريب انكم
ستظلموننا ، منذ الآن ، على احتياجاتكم الأكثر إلحاحاً لنليبها ساعة
تصبح ظروف العمل مؤاتية . ومما حدث ، فإنه بعدنا ان نتلقى
منكم أباء قيمة ، ولنا بكم ملء الثقة للمحافظة على روح المقاومة
لدى اسدقائنا ، وتمييزها .

٢ - لقد أطلعني الجنرال كازو الذي انضم إليّ ، على الموقف كما
كان خلال الأسابيع الأخيرة التي تلت الهدنة . واني لأرجو إليكم التعبير
عن قلبي الوديع .

بيان أطلق من برازافيل

٢٧ تشرين الاول ١٩٤٠

إن فرنسا تجتاز أرمب أرمبة في تاريخها ، فسان حدودها ،
وأمبراطوريتها ، واستقلالها ، وحتى روحها مهددة بالدمار .
وقد أسلمها لنذر لا مبرر له ، حكام قتلوا الأمور ، جمعتهم المآرب ،

وقبلوا شريعة العدو وخضعوا لها . ومع ذلك ، فإن هناك أدلة لا تحصى على أن الشعب والامبراطورية يرفضان العبودية الشنعاء . هناك ملايين من الفرنسيين أو من رعايا الفرنسيين قرروا متابعة الحرب حتى التحرر ، وملايين وملايين آخرون لم يتركوا ساكنة في انتظار رؤساء أكلاء جديرين بهذا الاسم .

والواقع ، لم يبق ثمة من حكومة فرنسية حالية . الواقع أن السلطة الحقيقية في فيشي التي تزعم أنها تحمل هذه الصفة ، غير دستورية ، وهي خاضعة للغزاة . ولا تستطيع هذه الهيئة في حالها من العبودية ، كما هي في الحقيقة ، إلا أن تكون أداة يستخدمها أعداء فرنسا ضد شرف البلاد ومصالحها . لا بد إذن من سلطة جديدة تأخذ على عاتقها إدارة المهد الفرنسي في الحرب . الأحداث تفرض على هذا الواجب المقدس . ولن أخجل به .

سأمارس سلطاتي باسم فرنسا لأدافع عنها ، لا لشيء آخر ، وأتهد على رؤوس الأشهاد أن أقدم الحساب عن أعمالي لممثلي الشعب الفرنسي ، ساعة يصبح في إمكانه أن يمين ممثلين له بحرية .

واني أدعو إلى الحرب ، أي إلى القتال أو التضحية ، جميع الرجال وجميع النساء في الأراضي الفرنسية التي انضمت إلى . وللمرأة أن تدافع عن التراث الوطني ضد العدو أو ضد مساعديه ، بالاتحاد الوثيق مع حلفائنا الذين يملنون عن إرادتهم بإرجاع استقلال فرنسا وعظمتها ، وأن نهجم العدو في كل مكان يتاح لنا أن نهجمه ، وأن نجمل جميع مواردنا من عسكرية ، واقتصادية ، واخلاقية ، تمسك ولتنتج ، وأن نحافظ على النظام العام ، وأن نجمل العدالة لسود .

سنؤدي هذه المهمة الجليلة في سبيل فرنسا ، ونحن واعون من أننا نخدمها أحسن خدمة ، وواثقون من النصر .

أمر رقم ١

يقضي بإنشاء مجلس دفاع الامبراطورية

باسم الشعب والامبراطورية الفرنسيين

نحن الجنرال ديمول ، رئيس الفرنسيين الاحرار ، نأمر :

المادة الأولى : تمارس السلطات العامة في جميع اجراء الامبراطورية
للتحررة من رتبة العدو على قاعدة من التشريع الفرنسي السابق ليوم ٢٣
حزيران (يونيو) ١٩٤٠ حسب الشروط الآتية ، ما دام في غير الامكان
تشكيل حكومة فرنسية وتمثيل للشعب الفرنسي ، نظاميين ومستقلين
عن العدو :

المادة الثانية : أنشئ مجلس دفاع عن الامبراطورية مهمته المحافظة على
الولاء لفرنسا ، والحرص على الضمان الخارجي والامن الداخلي ، وادارة
النشاط الاقتصادي ، ودعم التماسك القومي بين شعوب اراضي الامبراطورية .
هذا المجلس يارس القيادة العامة للحرب ابتداء من تحرير الوطن ، في
جميع الشؤون ، ويبحث مع الدول الأجنبية المسائل المتعلقة بالدفاع عن
الملكيات الفرنسية والمصالح الفرنسية .

المادة الثالثة : يتخذ القرارات رئيس الفرنسيين الاحرار ، بعد مشورة
مجلس الدفاع ، اذ تقتضى الامر .

صدر في برازيل

٢٧ تشرين الاول ١٩٤٠

ش . ديمول

برقية الى العقيد لوكلي

في موالا

برازيل ، ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٠

إن قراري ، في الحالة الراهنة ، أن أخلص ، قبل كل شيء ، من

قضية لامبارييه ..

إذا سويت قضية لامبارييه على نحو مؤات ، فأنا مستعدة لمواجهة القيام بعملية جوية وبحرية ، وبرية ضد ليبرفيل ، دون أن يتدخل البريطانيون مباشرة ، إلا إذا ألجأتها فئشي .

ونتيجة لذلك ، أفوضك بإعداد هذه العملية التي أعتقد ان أضغ تحت تصرفك في سبيلها جميع الطائرات والسفن التي يمكن الحصول عليها ، كما أضغ جميع الوسائل البحرية التي عيّنت من قبل .

برقية إلى الرئيس ميناكس

وزير اليونان الأول

براذيل ، ٢ تشرين الثاني ١٩٤٠

أوجت إلى دولتكم ، كما للحكومة والنخب اليونانيين ، مشاعر إعجابنا وإيماننا ، باسم جميع الفرنسيين سواء من الذين يتألمون الحرب ، أو من أولئك الذين أخضعهم العدو مؤقتاً للعبودية .

إن المهنيين إذ ينهضون لإنقاذ استقلالهم مرة أخرى ، يقدمون من جديد مثلاً للعالم جديراً بتقاليدهم الماهرة .

إننا سنطلب أهداماً المشتركين ، ونحن يد واحدة ، مع حلفائنا .

برقية إلى الجنرال كاترو

في القاهرة

براذيل ، ٩ تشرين الثاني ١٩٤٠

تلقيت برقيتكم المؤرخة في ٣ تشرين الثاني . وإنها مناسبة لي أكرر بها أنني موافق على خطتك وعملك في جميع لتفاسط ، فإذا توالى الأحداث متدافعة وجرت البريطانيون والأتراك لاحتلال سوريا ، يصح

من الجوهرى بكل معنى الكلمة ، ولذصلحة الوطنية للمليسا ، أن
تشارك معرزة من القوات الفرنسية الحرة في العملية ، حتى وإن غدت
هذه المقررة ، رمزية نحو خاص . وفي هذه الحالة ، ستجدون أكيدا
من الضروري أن تشاركوا شخصيا في العملية نية أن يكون ثمة اسم
فرنسي عسكري كبير ، أسهم في تلك القضية . وهذا في رأيي ، كما
هو في رأيكم ، من الأهمية بكان . ولن يفوتكم من جهة أخرى ،
وأنتم أدرى من غيركم ، أن دخول الأتراك سوريا يضع المستقبل في خطر
جسيم . ومن الأفضل بكثير ، أن لا يقوم بالمطالبة ، إذا أمكن ،
سوى البريطانيين والفرنسيين الأحرار .

برقية إلى العقيد باران في لامباريه

برازافيل ١٠ ٩ تشرين الثاني ١٩٤٠

أعانقك وأهنيك ، أيها العقيد باران ، حاكم العاؤون . وتهاني إلى
جميع الذين هم تحت إمرتك ، وإلى المقدم ديور ، خاصة . قل للقواتك
إنهم أحسنوا الخدمة . لقد حاربوا من أجل فرنسا وانتصروا في سنادارا ،
وميتزيك ، وندجول ، ولامباريه . يجب الآن إكمال الظفر .

برقية إلى العقيد لوكليير في ليوفيل

برازافيل ١٠ ٩ تشرين الثاني ١٩٤٠

أهنيك أيها العقيد لوكليير ، وأهني القوات التي تأتمر بك على الظفر
الرائع الذي حققته بتحرير ليوفيل .

وإني لأدعو بور - جنتي ، عن طريق الراديو ، أن توفد ممثلين عنها

فوراً الى الرتل الفرنسي الحر الذي يتحدر اليه من الأوعوبه . وأرجوك
أن تجعل الطائرات تحلق فوق بور - جنتي ونمل ، في نشرات تلقىها
على الأملين ، استلام الجنرال تافو في ليبرفيل ، وتطلب إليهم الطاعة ،
كما أرجوك أن يرسل قوة بحرية تكون على صلة لاسلكية بي .

امر بانشاء وسام التحرير

باسم الشعب والامبراطورية الفرنسية

نحن الجنرال ديفول ، رئيس الفرنسيين الأحرار

بنشاء على أمراً رقم ١ الصادر في ٢٧ تشرين الأول ١٩٤٠ الذي
ينظم السلطات العامة طيلة الحرب ، والذي أُنشئ بموجبه مجلس دفاع
الامبراطورية .

وبنشاء على أمراً رقم ٥ الصادر في ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٠ الذي
حدد الشروط التي تتخذ بموجبها قرارات رئيس الفرنسيين الأحرار .
بأمر :

المادة الأولى : أُنشئ وسام 'يدعى' وسام التحرير ، يحمل أصحابه
لقب 'رفاق التحرير' .

وضع هذا الوسام كمكافأة الاشخاص أو المجموعات العسكرية أو المدنية
التي تميز في عمليات تحرير فرنسا وامبراطوريتها .

صدر في برازيل

١٩ تشرين الثاني ١٩٤٠

ش . ديفول

برقية الى الجنرال دي لا ريفينا

الفرس السلي في برازيل

تعدن ، ١٩ كانون الاول ١٩٤٠

إن نفوذ حركتنا المتزايد في فرنسا نفسها ، كترابيد الضرورات العامة

الحربية ، يقرضان علينا أن نوسع عملنا الحربي ضد العدو ، الى أقصى حد ممكن وفي أقصر حبة .

لقد قررت أن يوسع نطاق مجهودنا اتساعاً ملحوظاً في الشرق الاوسط ، بأن أرسل اليه ، فوراً ،

المليف الاجنبي ،

مفرزة من الرماة البحريين ،

فوجاً سنمالياً ،

سرية دبابات ،

مفرزة مدفعية من عيار ٧٥ ،

مفرزة إذاعة ،

سرية نقل ،

عناصر مصالح جيش ،

وستوضع جميع هذه العناصر تحت إمرة العقيد ماغران - فيرنيريه .

وان مختلف المفاوضات التي أحرستها حول هذا الشأن ، مع الحكومة

البريطانية ، فيها يتمنى بنقل القوات والعشاء ، قد أفضت الى اتفاق .

الا أنني أرحوك ، منذ الآن ، ان تتخذ جميع الترتيبات لتكون هذه

العناصر جميعها بلا استثناء مستعدة للإبحار خلال مدة أقصاها عشرون

يوماً ابتداء من هذا اليوم .

برقية الى الجنرال كاترو

في القاهرة

لندن ، ١٨ كانون الأول ١٩٤٠

يلغى ان يتجه الآن مجهودنا الاكبر من الناحية العسكرية في الشرق

الاطلس ، ضد الطليان .

ان لواءنا الشرقي الاول الذي يشتمل على فيلستق ذي ست سرايا ،

ومفرزة من الرماة البحريين ، وفوج متفاليين ذوي سرايا ، وسرية
مبابات هولشكيس طراز ١٩٣٩ ، ومفرزة مدفعية عيار ٧٥ ، ومفرزة
إرسال لاسلكي ، وعناصر مصالح عسكرية أبرزها نقلة جرحى ،
وجسيما تحت إمرة سانغران - فيرييريه المدعو موكلار - ؛ هذا اللواء
سيتمركز نحو الشرق الأوسط ، وسيكون انطلاقه خلال هذا الشهر
نفسه ، والتسم الأكبر منه ، عن طريق البحر ، وفيلق المتفاليين
الآتي من تشاد ، يسير برا نحو الخرطوم . وسيمثل هذا اللواء ، كما تعلم ،
في السودان ، بناء على اتفاق سابق مع الجنرال وبفيل .

ثم إن سولو ينظم الآن ، من جهة أخرى ، فيلقاً قاباسفيك مختلطاً
من الأوروبيين والسكان الأصليين . وأخص مصر هذا الفيلق ، كما طلست .
وثمة حالياً فوج من ٧٠٠ رجل على أهبة في نوميا ، وأما أقوم هنا
بتدريبات نفعه في وقتٍ جد قريب .

وأما الآن ما هو أيضاً في جمع كل ما بقي من أسلحة فرنسية في إنكلترا ،
على أن أرسلها إليك باستمرار . وأحسب أنه سيكون في استطاعي
أن أمدك بما يلزم للتسلح فيلق البابسفيك نيلبغا وإفبا ، وكذلك الأمر
مع فوج مصر الثاني أيضاً الذي شرعت في تكوينه . وسأرسل إليك في
الوقت نفسه مع الأسلحة والدخائر ، ضباطاً لتنظيم الملاك . وامي لأرغب
شديد للرجبة أخيراً ، في أن يستعيد طيساروفا في الشرق الأوسط ،
طبائعهم الفرنسية ، حتى وإن كان عليهم أن يخدموا ، خلال هذه الفترة ،
في الأسراب الانكليزية .

ومن المفهوم أن جميع هذه العناصر توضع تحت إمرتك في الحاضر
والمستقبل ، أين وجدت أو يمكن أن توجد في أي مكان من الشرق
الأوسط ، واستخدامها إنما يتم ترتيبه بينك وبين الجنرال وبفيل ، هذا
إذا لم يتقرر في لندن بيني وبين الحكومة البريطانية .

رسالة إلى أعضاء مجلس دفاع الامبراطورية

لندن ١٨ • كانون الثاني ١٩٤١

إني لأحب أنكم مظهرون على الموقف الذي اتخذته في كلمتي الأخيرة المذاعة بالراديو والخطاب الذي ألقيته بحضور الكاردينال هيلي عن موقف فرنسا الحرة تجاه الحلفاء وحكومة فيشي وأقنئ أن أعرف رأيكم في مواجهة الاحتمالات الثلاثة الآتية :

(١) هل تقدرون أن من واحدنا ، فيما يتعلق بنا ، أن ننمي كل نوع من الصلات بفيتشي ، في الحياة الراحنة ، أي ما دامت فيتشي راضية بالعيش في ظل نظام الهدنة والتعاون ، وإن طفيفاً ، مع العدو ؟

(٢) إذا وقفت فيتشي على قبول نظام الهدنة والتعاون وقررت الانتقال إلى خارج سلطة العدو ، لا لتستأنف الحرب ، ولكن للتقيد بالحياد ، هل تقدرون أنه يجب علينا في هذه الحال ، أن سنمر في عدم الاعتراف بسلطتها ، لنفاء إقامة بعض العلاقات معها في مواجهة المستقبل ؟

(٣) وعلى افتراض أن حكومة فيتشي قررت الانتقال إلى أفريقيا الشمالية ، واستأنفت القتال ، فما هي الشروط التي ينبغي لنا أن نضعها للاتحاق بها ، إن في الحقل الخارجي ، وإن في الحقل الداخلي ؟

مذكرة سلت للحكومة البريطانية

حول الموقف في الهند الصينية

١٠ كانون الثاني ١٩٤١

(١) على مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية أن يبين ، إزاء غزو الهند الصينية الفرنسية من قبل قوات اليابان وفيلاند ، السلطة ، أنه لا يملك حالياً الوسائل المادية اللازمة ، ليأخذ على عاتقه الدفاع من

الخارج ، هن الهند الصينية . ولكن هذا الوضع يمكن ان يتغير في المستقبل . وكيفما كانت الحال ، فإن مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية يعتبر ان من شانه ان يُعطي حقوق فرنسا في كل مكان تكون به مهددة .

(٢) ان إطلاق حركة داخل الهند الصينية ، رامية الى إحلال سلطات تعينها فيشي محل السلطات التي عينها مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية يوشك ان يؤدي ، من جانب اليابان ، الى توسع لموري في العز ، وهو توسع لا تبدو معه الهند الصينية ، في هذه الفترة ، قابلة لمقاومته بقواتها الخاصة . وبالتالي ، فإن مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية ، لا يسوي إطلاق مثل هذه المقاومة ، وقد أخذ علماً بأن سلطات فيشي في الهند الصينية تبدو أنها وعدت بأن لا تقوم بأي عمل من شانه أن يمسك الأمن في الأراضي الفرنسية ، في الباسيفيك ، ثم إن تلك السلطات المزعومة لا تملك ، من جهة أخرى ، كما يظهر ، امكانية القيام بأي عمل ، حتى وإن أرادت ذلك .

(٣) ونحن نعتبر ، عدا هذه المسألة المنوطة بالظروف ، أن حقوق فرنسا في الشرق الأقصى تظل ، على كل حال ، متضامنة وحقوق دول أخرى . وإن توسع اليابان وتايلند في الهند الصينية خاصة - ولا سيما إذا استمر هذا التوسع ، كما يفترض ، أو هو سائر في طريق الاستمرار - لا يمكن إلا أن تكون له بعض الاصداء على وضع الامبراطورية البريطانية ، والولايات المتحدة ، وهولندا ، في ذلك الطرف الثاني من آسيا .

(٤) وإذا كانت أية محاولة وساطة تقوم بها إحدى هذه الدول بمفردها ، تتعرض لخطر الإخفاق ، إما بسبب السلطات الحالية في الهند للصينية ، وإما بفعل اليابان وتايلند . فإن لوساطة جماعية تقوم

بها الدول الثلاث ، وترمي على الأقل ، إلى وقف المصارف ، فرض نجاح ، لا ريب في ذلك . فإن وضع اليابانيين للمسكرية ، ولا سيما في كوانغ-سي ، واتساع مواصلاتهم مع الهند الصينية ، أمران يبدو من شأنهما أن يجهدا من متطلبات اليابان ، وما يكاس الأثر ، من متطلبات لايلند ، تجاه مثل هذه الوساطة الجماعية المقترحة ، إذا تحققت في هذه البرهة من الزمن . وعلى العكس ، فإن كل تخوّر في قدرة الهند الصينية على المقاومة ، يدفع اليابان وتايلند على التشدد والتصلب .

(•) وعلى كل حال ، وما دامت السلطات الحالية في الهند الصينية ، تظهر نيتها بممارسة اعتداءات اليابان وتايلند في حدود ما تستطيع ، فإن مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية لا يسدي أي اعتراض على تقديم بعض التسهيلات لتلك السلطة من أجل مساعدتها على حفظ النظام في البلاد ، والدفع عن حقوق فرنسا . وبندرج تحت ذلك أيضاً استئناف بعض العلاقات الاقتصادية مع الدول الخليفة ، بنسبة ما يندرج المستوى الذي 'تُرفع' له الهند الصينية في مدتها بالأسلحة وتكوينها .

وإن نقل طائرات من طراز « بيارن » إلى الهند الصينية ، من هذه الوجهة ، يمكن أن يكون في رأينا مقبولا ، وإن بدا أنه يشتمل على كثير من الصعوبات العملية . ولكن قبوله مشروط ، مع ذلك ، بتعهد تقديمه سلطات الهند للصينية ، أن لا تستخدم تلك الطائرات ضد القوات الفرنسية ، ولا ضد الخلفاء .

برقية إلى هنري مونتو

حاكم كاليدونيا الجديدة ، في غومبا

لندن ٢٨ كانون الثاني ١٩٤١

(١) من الضروري مظهراً للحالة العامة ولا سيما عن جهة اليابان ، أن تؤمن الدفاع وتكملة ، عن كاليدونيا الجديدة وثاهيتي .

(٢) وبالتالي ، فإن جميع القوات الموجودة حالياً في كاليدونيا الجديدة وقاهيتي وجميع تلك التي تجندونها ، يجب أن تخصص ، حتى إشعار آخر مني ، للدفاع عن كاليدونيا الجديدة وقاهيتي ، باستثناء ثلاثمائة رجل من كاليدونيا الجديدة ومفرزة ٣٠٠ آخرين من قاهيتي ينبغي أن يسعروا إلى الشرق الأوسط حين يصبحون على استعداد للقتال ، أي بعد أن تتم قيادتهم ، وملاكاتهم ، وتسلحهم ، وتجهيزهم ، وتعليمهم .

(٣) ونظراً إلى أن إعداد منظومتهم كاليدونيا الجديدة ونقلهم إلى الشرق الأوسط ، يجرى بمؤازرة حكومة أستراليا ، ونظراً أيضاً إلى أن لدفاع المحتمل عن كاليدونيا الجديدة ، يمكن أن يحظى بتأييد حكومة أستراليا ، فقد طلبت إلى هذه الحكومة أن توفر إليكم خباط ارتباط ، لترتيب كل ما يتعلق بمألة المؤازرة العملية التي تقوم بها تلك الحكومة .

برقية إلى الجنرال كاترو في القاهرة

تست : ٣٠ كانون الثاني ١٩٦١

تلقيت برقيتكم المتعلقة بالاتصالات مع الجنرال فيغان .

إن معلوماتكم تكمّل الدلالات المتلقاة من مصادر أخرى وتؤيدها من جديد . ومن الواضح أن فيغان يرى الوضع العام الآن غير ما كان يراه في حزيران (يونيو) . ومن الثابت كذلك أن حاشيته تدفعه على السير في الطريق الصالح . ومن المعروف أخيراً ، أن الخصومة الشخصية الدرد بين دارلان وفيغان تعين على جنوح فيغان إلى جانب الصلاح . ومع ذلك ، فأنا لا أميل ، وإن كنت أعترف بالمائدة التي تقدمها بديّة التطور هذه لدى فيغان ، إلى إرساله في الوقت الراهن ، كثيراً من الأهمية للأسباب الآتية :

(١) إن موقف فيضان غير وطيد . ولا يمكن أن يعتبر رجلاً حازماً ، ولا سياً في هذه الأيام ، وإن كان يلعب في أفريقيا بأمر من المارشال بيتان ، ويتصرف على وفاق معه . ويزداد موقفه ترحباً ، كما تعلم ، بمقدار ما ينطوي بيتان تجاهه ، في قرارته ، على قلة ود ، وبمقدار ما يخسر فيضان نفسه كثيراً من هيئته في فرنسا وفي صفوف الجيش . وإنه ليكفي قليل من الضغط الجاد يمارسه الألمان على فيشي ، ليُسْتَدعى فيضان أو يُرغم على الحرب .

(٢) فيضان في الرابعة والسبعين من سنه . وما سبق له قط أن كان ذا رلع بالمبارزة . وإنه ليسمر ، مُضاعاً إلى ذلك ، أن مقامه هو ، فلن يعود ليصبح رجل الحرب ، بعد أن كان رجل الهدنة .

(٣) وحتى عندما يريد فيضان أن يستأنف الحرب في أفريقيا الشمالية ، لا يملك أن يستأنفها دون دارلان . وذلك لأن هذا ، هو الذي يقبض على الموانئ من الدار البيضاء ، إلى وهران ، إلى دكار ، واليهما ثاني الأسلحة والمؤن من أميركا وانكلترا . وحقيقة الحال ، أن دارلان لا يريد الحرب ، فهو يحسب أن يحمل يوماً ما ، محل بيتان ، وهذا ما لا يستطيعه دون تأييد الألمان . ويجب أن نضيف أن سلطة فيضان في أفريقيا نظرية أكثر مما هي واقعية ، فالمغرب لتوغيس الذي لا يطبق فيضان ، والجزائر لأبريال Abrial ، وتونس لاستيفاء Eneva ، وهذان كلاماً بوليان دارلان . وأفريقيا الغربية لبواستون ، وهو سيد دكار .

وأمره بشبه الوعد الذي أعطاه فيضان أن لا يهاجمنا في أفريقيا الاستوائية . فأنا اعتقد من جهة أخرى ، أنه لو أراد ذلك لما اتبعه أحد من القوات ، أو اتبعته قلة جدد ضئيلة منها . وعلى الرغم من أن خطتنا ، أن نذل الجهد حالياً ضد الطليان فأما لا ارضى بحمل ، أن أعطي وعداً بأن لا اعمل شيئاً لضم اراض أخرى تابعة لفيشي . ينبغي

لنا ان لا نرضى ابداً ان نوضع على قدم المساواة مع الذين لا يحاربون
من اجل فرنسا . ان لنا حقوقاً وواجبات ، وسنعمل دوماً مما يبدو
لنا ضرورياً ، دون تقييد بشيء سوى ما تفرضه علينا وسائلنا .

وختاماً ، واثق على ان تتابعوا الاتصالات مع الجيرال فيغان ، فهي
بما يحتمل ان تعيد في جميع الافتراضات . ومن المفهوم طبعاً ان هذه
الاتصالات ينبغي ان تجري بصفة شخصية ولا نلزم مجلسنا للدفاع ، ولا
نقدمني ، وان كنت احرص على ان اظل على اطلاع مستمر بما يدور ،
كما سبق وفعلت حيناً وتاماً .

برقية الى الجنرال كاترو

المفوض العام في القاهرة

تدن . ٢٣ شباط ١٩٤١

لقد حان الوقت لأبين لكم بالدقة ، نيتي فيما يتعلق بالعمل
المسكري الذي ينبغي لنا أن نقوم به في الحبشة خلال الحقبة القادمة .
بالارتباط مع حلفائنا البريطانيين .

كان أن قررت ، كما تعلم ، بالاتفاق مع الحكومة البريطانية والأركان
العامة البريطانية ، أن من الأفضل أن يجري ذلك العمل انطلاقاً من
أرض الصومال الفرنسي . وهذه الخطة تقتضي بالطبع أن يستولي أولاً
على جيبوتي عن طريق عملية أولية ، ندعوها عملية « ماري » ، لها
إذا كان ذلك ممكناً من غير معركة ضد الحامية الراهنة في مستعمرتنا .
وعملية « ماري » نفسها لا يمكن القيام بها ولا يجوز ان تنفذ
الا بعد وصول الفرقة الأحسية ، وهي على اية حال - والتي أوشكت
ان تبلغ بورسودان - ؛ وهذه الفرقة وحدها لا تكفي ، وانما يرافقها
ايضاً دماء بحريون ، وروح سنغالي ، وسرية دماء ومدفعية ، وهذه

إن قلغ بور سودان إلا في منتصف شهر نيسان (أبريل) بسبب من تأخير في وسائل النقل .

إذا كانت المعلومات المتوفرة عن جيوتي والوضع العسكري العام ، تسمح إذن بالاستنتاج أن عملية « ماري » ممكنة بلا معركة بين فرسيين ، يجب أحراء تلك العملية ، والقوات الفرنسية اشترك بعد ذلك في الهجوم الحليف ، منطقة من أرض فرنسية .

وإن الجنرال ليجنيتوم مؤتمل على نحو خاص للقيام بالاتصالات الأولية مع مرؤوسيه القدامى في جيوتي والتقاط المعلومات . وهو مؤهل كذلك لقيادة عملياتنا في الحبشة ، ولهذا ، وكلت اليه قيادة جميع القوات التي أرسلها ، انطلاقاً من أفريقيا الاستوائية إلى ذلك الميدان ، وتلك التي نستطيع استردادها للعمل معنا في جيوتي نفسها . وأضيف أن الجنرال ليجنيتوم كان حريصاً كل الحرص على ألا يبقى الأمور في جيوتي على ما كانت عليه ساعة غادرها . وإني لأوافق على قراره ، وأمسحه فرصة للعمل .

ولكن سواء نفذت عملية « ماري » أخيراً أم لم تنفذ ، علينا أن نشارك بدون إبطاء ، وبجميع وسائلنا في العمليات التي تشرع بها في أريتريا حلفائنا واشترك بها جنودنا الصباحيون .

ومتخوضها قواتنا تحت إمرة الجنرال ليجنيتوم . وقد طلبت إلى الجنرال ويليل أن يحارب جميعها في ميدان واحد ، ولدي ما يحتملني أحسب أن الجنرال وبفيل موافق .

وكما سبق وأشرت إليك من قبل ، سيكون الجنرال ليجنيتوم ، بطبيعة الحال ، تحت إمرة الجنرال وبفيل في العمليات المعكبة ، وم تحت سلطتك في سائر الشؤون الأخرى . وإني لمقتنع أن شخصيتك الرقيقة ، لا بد أن تحسن استخلاص أفضل ما يمكن من جهود

قوات الساحة ، في خدمة فرنسا ، بوصفك مفوضاً سامياً لفرنسا الحرة ،
ومندوباً عاماً .

برقية الى الجنرال دي لا ريفينا

المقرض السلمي في برازاليل

لندن ، ١٧ شباط ١٩٤١

إن تقدم البريطانيين نحو طرابلس الغرب يحملنا على التنبؤ باسمرار
كل مقاومة إيطالية في ليبيا . ومن الممكن إذن أن نفتح لنا الفرصة
للتحرك في "فزان" ، وننتقل انطلاقاً منها إلى "غات" ، وحتى "غداميس" .
وفي لأطلب اليك بالتالي ، أن "تعيد" مريباً الوسائل الضرورية لهذه
العملية . ان فتح فزان وواحات ليبيا الغربية واحتلالها بقوات فرنسية
يرتدي من جميع النواحي أهمية لا تخفى عليك .

وإني لأرجوكم من جهة ثانية أن تطبق متى يصبح في وسع فوج
أرشامو وفوج الكامبيرون ، أن يتحركوا نحو الشرق الأوسط

وأؤكد لك إرسال ٨٠ مرشح ضابط مما قريب الى أفريقيا
الاستوائية ، تم تدريبهم هنا منذ سبعة أشهر وثمانين رقيباً . وكلهم
من ذوي الكفاءات الممتازة .

بلاغ من الجنرال ديغول

ومجلس دفاع الامبراطورية

لندن ٢٢ شباط ١٩٤١

- (١) لا يمكن أن تقرر فكرة فرنسا الموقنة ، بحال من الأحوال ،
أدنى مساس من قبل الدول الأجنبية إن بكيان أراضي الامبراطورية ،
وإن بحقوق فرنسا في أي نقطة من أديم العالم .
- (٢) كل تخلف يرضى به حكومة فيشي او يمثلوها يعتبر كفواً ، ولا

يُلزم في تيمم مجلس دفاع الامبراطورية الفرنسية .

(٣) ينطبق هذا التصريح وهذا القرار على حالة الهند الصينية الخاصة .

ومجلس دفاع الامبراطورية الفرنسية لا يكره مجال ، فائدة الاتفاقات التي توجد الاسهام بين مصالح الهند الصينية الفرنسية ومصالح الدول الأجنبية ، ولكن همسا اخره لا تعترف أن الامتيازات التي ابرمت والماس الذي نل عن طريق القوة او التهديد ، يحدوه أراضي الهند الصينية ووضعها السياسي كما كان قبل ٢٣ حزيران ، وهو تاريخ تطبيق « الهدن » - لا تعترف أن ذلك كله سرور قانونياً ، او أنه هائي .

ومجلس دفاع الامبراطورية الفرنسية يصرح انه يوافق مسبقاً ، على موقف الهند الصينية بمقدار ما تقاوم مثل هذه الاعتداءات .

رسالة الى الجنرال فيخان

في المراتر

لندن ، ٢١ شاط ١٩٤١

سيدي الجنرال ،

إسألم يكن على وفاق . وكلما في مكبة فرنسا ، علينا ان نطلق من النقطة التي انتهت فيها الأمور .

لم بعد بعد مجال لشك في المنصف الذي يسير به التعاون مع الألمان ، ولا في الذين يزعمون القيام به . وواقع الحال ، ان اقتصار هنر يعني هبة لاستقلال ولا تزال امامك بضعة ايام ، وانت في رسك ان تقوم بدور وطني كبير . فاداً تقصت ، تصبح اللبن في الصيف .

اقترح عليك ان نرحبنا ولصرح مما اسأنا نابع الحرب لتحرير الوطن ، ولنتنفر الامبراطورية لذلك ، وانك لتعرف عواطف الجيش

والاماني . وانيك لتعلم ان قدامنا بشر لدى الفرنسيين جميعهم حماة طائفة
ويؤدّي الى مؤامرة لنا قورية من قبلكر الحلفاء .
إذا كان جوابك : « نعم » ، فإني أؤكد لك احتراماتي .

ملكرة مجلس دفاع الامبراطورية

لندن ، ٣ آذار ١٩٤١

يتمنى الجسفال ديفول أن يعرف رأي أعضاء مجلس الدفاع حول
الموقف الذي ينبغي لفرنسا الحرة أن تتخذه في حالة اضطرار انكلترا
ومركيا إلى احتلال الاراضي الواقعة تحت الاستداب الفرنسي في المشرق ،
أو جره منها بالقوة ، بنية تأمين مواصلاتها واستمرارها في عملياتها
ضدّ ألمانيا .

هل يجب علينا ، في هذه الحالة ، نشر احتجاج يدين هذا العمل ؟
أم يجب علينا أن نترك الأمر يجري في مجراه ، مقتصرين على التحفظ
خطياً ، للاحتفاظ بحقوق فرنسا في تلك الاراضي .

ألا يجب علينا في الأرجح ، أن نشارك باسم فرنسا في عمل
يستجيب ، فيما يتعلق بنا ، لهدف ثلاثي .

أولاً : إعادة الارضاح الضرورية لاستئناف القتال ضدّ الاعداء
المشاركين ، في جزء من الامبراطورية الفرنسية .

أبياً : حفظ حقوقنا بحضورنا .

ثالثاً : حزن حلفائنا .

رسالة الى الملكم لويزيه

في طنجة

لندن ، ٦ آذار ١٩٤١

صديقي العزيز ،

إن قضية أفريقيا الشمالية تحتاج على وجه السرعة ، إلى إعداد على

مستوى رفيع ، واسع .

ثمة شرط جوهري ، هو تشكيل مسق اللجان سرية ، ولكن
جدية ، قادرة على أن تتولى السلطة محلياً ، داخل البلاد ، باسم فرنسا
الحرة فور الشروع بالعمل من الخارج .

يسالوح لي أنه لا بد لنا من لجنة مغربية ، ولجنة تونسية ، ولجنة
جزائرية ولجان محلية مرتبطة بتلك اللجان . ويجب تشكيلها باقتراح
عدد من الأشخاص ، فالحاجة في بدل النشاط ، أكثر قيمة من الوصف
الراهن .

هل في وسعي أن أعتمد عليك لتسير هذا الأمر ، وإقامة روابط
بيننا وبين اللجان ؟

برقية إلى هنري سوتو

حاكم كاليدونيا الجديدة ، في موميا

لندن ، ٧ آذار ١٩٤٩

قابلت اليوم وزير أستراليا الأول الذي ناقشت معه النقاط الآتية :
أولاً - تبخير منطوقين . وسيدل الوزير الأول جهده في تأمين
نقلهم إلى بور سودان حيث يحددون أسلحتهم ويلتصقون بالقوات الفرنسية .
ثانياً - الوزير الأول موافق على البدء بمحادثات سرية عسكرية
حول الدفاع عن المستعمرات وهو موافق ، ما دمت مكلفاً بشؤون
مصالحتها جميعها في النسييفيك ، على أن تستخدم الإدارة الأسترالية
لنقاشه المسائل التي تهم ريلندا الجديدة ، بحيث لا يكون لديك سوى
طريق واحد للخطابات

ثالثاً - الوزير الأول يدرك الأهمية السياسية لتجنب كل ما من
شأن أن يبعث الشعور بسيطرة بريطانية أو أسترالية على مستعمرات

للباشيفيك الفرنسية .

لقد كنت متأثراً بروح الودّة التي أعرب عنها السيد مزيّس لجساره فرنسا الحرة والمصالح الفرنسية ، إذ قال لي : إن كاليدونيا الجديدة وجزر الهيريد تستطيع أن تعتمد على المساعدة الاقتصادية الحالية من كل قيد ، التي تقدمها لها أستراليا .

برقية إلى الجنرال دي لا رومينا المفوض السامي في برازيل

١٠ آذار ١٩٤٩

أنا لا أناقش انتهاء كوفرا في المستقبل ولمن تكون ، ولكن من غير المناسب أن نأخذ من الآن تعهدات في شأن كوفرا بينما نحن نجعل مثلاً الموقف البريطاني إذا كان لنا أن نطرح مسألة قزان يوماً ما . فإن اتفاقات من هذا النوع إنما هي شؤون عامة يجب الرجوع إلى في موضوعها .

برقية إلى مفتوحة فرنسا الحرة في لندن

الخرطوم ، ١٦ نيسان ١٩٤٩

أرسل اليكم وأنا أحاضر مصر والسودان إلى برازيل خلاصة الملاحظات التي قمت بها والتدابير التي اتخذتها .

لقد قمنا بقتال في أريتريا مع الفرقة الأجنبية ، وفوجين سنغاليين ومصرية مشاة من البحرية وكوكبة من الصباحين . هذه القوات باستثناء الصباحين الذين كانوا يعملون على حدة ، كانت دوماً في الجانب الأيسر من الجهاز الخلف على محور كيبك ، كيرين ، مصوّم . وقد أحسنت القتال إذا أسرت ٤٥٠ في كيبك ، و ٩٠٠ في كيرين ، و ٧٠٠ في

مصنوع وعدة آلاف في المدينة . خسائرنا طفيفة ومسا كانت ، منذ البداية ، لتتجاوز المائة والحسين وكثير منهم جرحى . ولم تسنح فرصة للقتال للأفواج دبلاج ، ويوتون ، ورو ، ولرملة البحريين والدبابات ، والمدفعية التي كانت في الطريق أو في البحر .

وفرقه ليجنتيوم التي تشكلت بتاريخ ١٥ نيسان مستجتم جنوب القاهرة .

وأسطول فيلات الجوي الصغير المجهز بقنابل بلنهايز قام بمسدة غارات قصير واستطلاع أثناء معارك كبرين ومصوح ، وجوار غومدار ، وقائل قتلاً موقفاً .

أما في مصر حيث يسير الوضع ، كما أرى ، نحو الاستقرار لأمد غير طويل ، فإن فوج مشاة البحرية سلك سلوكاً هو الجودة والكمال ، وهو الآن في طريقه ال الانحياز بالفرقة .

وقائل طيارونا المطاردون على طائرات هاربكين ، خلال الأيام الأخيرة ، في برقة وأحرزوا نجاحات كبيرة ، وقد أطلعتمكم على التريبات التي أجريتها بالاتفاق مع عارثال الجو لونغفور لتنظيم الطيران الفرنسي في الشرق ، ومن المهم الآن ان تظهر سفننا الحربية في المتوسط . لقد كانت المساهمة العسكرية الفرنسية بمجموعها ، جيدة وذات قيمة . والمهمة التي أظهرها معظم الفرنسيين تجاه حركتنا في اجتماعاتنا بالقاهرة ، والإسكندرية ، والاسماعيلية ، كانت رائعة . وجميع الصحف التي تصدر بالفرنسية كانت معنا ودكالة الإعلام الفرنسية تقوم بعمل جيد . إلا أن مديعي القاهرة والقدمس كلاهما يضيقان بالأمور السياسية المحلية . ولكن مديعي الشرق - فرنسا الحرة ، يمتار ، يستمع الناس إليه في كل مكان ، وإن كانت بيروت نشوت عليه وثمة بعض الفرنسيين يخبون بنائى وكانهم خبيلون ، واعتراهم يعود لأسباب مادية ومعظم المؤسسات

الفرنسية مما يلتحق بنا ، اذا كان في استطاعتنا أن نقدم لها الإعانات المالية التي تطلقها من فيشي ، وهي زهاء ١٠٠.٠٠٠ ليرة استرلينية في السنة .

ويؤلف الأسطول الفرنسي في الإسكندرية الذي يعنى عليه بصفة ، ويظهر بظهور حسن ، من جهة أخرى ، عصاة على حدة ، ولكن من غير حواشي .

أعتقد ، من وجهة نظر عامة ، أن الأشهر القادمة ستكون قاسية بالنسبة للحلفاء ، في البلقان ، في مصر ، وفي آسيا الصغرى ، دفعة واحدة . ويرجع هجوم الأعداء ، أن يتشر على حاسي المتوسط بالارتباط مع التمرد العربي . لا يجوز أن نتردد عن رؤية الأشياء وجهاً لوجه .

واقدر ان النهوض سيحدث في ايلول .

اما فيما يخص فيشي ، إني أقدر ان لإشكال الوطني والدولي سائر في طريقه الى هيبته ، وان الألمان سيلقون الفiasco بسبب من انتصاراتهم ، وان فيشي سيتنقل الى التعاون المكشوف وتخرس ، في الوقت نفسه ، ما بقي لها من الرأي العام الوطني . والحملات التي تشنها الاداعة علينا ، علامات تشير الى ذلك يجب ادراك ان نرفع صوتنا أعلى فأعلى وأثبت فائت بما كان عليه قط من قبل ، لأن من المؤكد اننا نحن الملاذ الوحيد للاستقلال الفرنسي .

أنا ذاهب الى برازافيل التي ستكون مركزي للضربة أسابيع .
لنسر باستقامة ووفقاً تام .

رسالة الى الجنرال كاترو

مقره فرنسا الحرة السامي الشرق

برازافيل ٢٥٠ نيسان ١٩٤١

لي الشرف ان أوجه اليكم طياً ، خطة العملية المحتملة في سوريا .

وانه لم يختصاصكم ان تحصلوا على موافقة السلطات البريطانية صاحبة
العلاقة ، على هذه الخطوة ، بمقدار ما تتضمن مؤاررتهم .

وسي على اتم الاستعداد ، طبعاً ، لتسهيل كل تعديل ترويه مفيداً
وتمتحنونه علي إما من جاسكم . وإما من جانب حلفائنا . ومع ذلك ،
فإن الإعداد اذ ينضى مُمدداً طويلاً ، وإذ يمكن ان تتيح الفرصة خلال
امد قصير ، ارجوكم ان نلتحقوا على سلطات الشرق البريطانية ن نرسل
جوابها عن مبدأ العملية في اقرب وقت ، حين تصلكم الوسائل الضرورية ،
بأقصى سرعة ، لذا هي كانت موافقة .
(يلي تفصيل العملية المتوقعة)

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة في لندن

برلن ١٢ ، أيار ١٩٤١

قررت ، بسبب من السياسة السلبية المتبعة تجاهها من البريطانيين في
موضوع سوريا وحيثوتي ، ان يغادر الجنرال كارو القاهرة ما دم حضور
موضوع سام فيها ، لا يجد الآن له مبرراً .

عينت ، نوسكي ، ممثلاً سياسياً في الشرق والجنرال ليختنيوم قائداً أعلى
للقوات . ويظل فولسان رئيساً لأركان الحو العامة في الشرق . تفصلوا
بإعلام الحكومة البريطانية بذلك .

وقد أشعرت الجنرال كارو مائترة ، وسيفادر القاهرة عندما يتمكن
وبقدم لمقابلي في براراهيل حيث تقرر منصبه الجديد .

استدعيت السارحة القنصل البريطاني العام وأطلعت على بعض
الاعتبارات العامة في موضوع السياسة البريطانية الجديدة تجاهها والأخطار
التي تطوي عليها فيما يتعلق بالحدة المصوية في فرنسا والمثالي ، يتعاون
فيشي مع الألمان ، فكلما ازداد إعمال انفكلترا لنا ، ازدادت برودة

الرأي العام الفرنسي تجاهنا ، واردة تعاون فيشي . وقد أرسل دبار ،
برقية الى حكومتنا على أثر هذه المصادقة . اطلعوا الفورين أوفيس على
ما ورد فيها .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة

في لندن

براذيل ، ١٦ أيار ١٩٤٢

أجلك استدعاء الجنرال كارو ، لتحرير المرضى الذي طرأ على موقف
حلفائنا الانكليز فيما يتعلق بسوريا وجبوتي . سادس قريبا إلى القاهرة .

برقية الى رئيسه بلهين

في لندن

براذيل ، ١٦ أيار ١٩٤٢

نظراً للموقف الذي يكاد يكون عدائياً ، والذي اتخذت الولايات
المتحدة ، وللتعاون الذي يبدو أظهر فأظهر من قبل فيشي تجاه الحدا ،
والظروف الاقتصادية الخاصة أحيراً التي تمر بها مستعمراتنا الحرة في
أفريقيا وأوقيانيا ، فإن الوقت حان لتنظيم علاقاتنا مع أميركا . ولإني
لأعتمد على إيلانك شخصياً أداء هذه المهمة .

لإني أعتقد أن تسافر في أقرب وقت ، وتقيم في الولايات المتحدة
مدى ما يلزمك من أسابيع لتترك بـ قضيتنا ، أي أداء السطاط
الجزيرة الآتية :

١ - وضع قاعدة لإعادة علاقاتنا الدائمة والمباشرة مع نظارة الخارجية .
وسيقوم بتأمين هذه العلاقات من بعد ، مثل سياسي يتمتع بيرة الممثل
السياسي لفرنسا الحرة .

٢ - تنظيم العلاقات الاقتصادية والمالية لأفريقيا الفرنسية الحرة
وأوقيانيا الفرنسية ، مع أميركا .

٣ - تنظيم المشتريات المباشرة ، إذ أمكن ، من عتاء الحرب أو القيدة للحرب وفق النظام الذي يتبعه البلحيك .

٤ - إنشاء لجائسا أو إعادة إنشائها .

٥ - تركيز إعلامنا ودعائتنا في الولايات المتحدة .

٦ - تنظيم التضامن بين الإرادات الطيبة الخاصة في أميركا .

ولاني لأرجوكم أن نعيد منذ الآن ، هذه المهمة التي ينبغي أن نظلّ بالطبع مكتومة في منطلقاتها ، ولا سيما تجاه البريطانيين ، ولكنها مع ذلك عامة وعامة .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة في لندن

القاهرة ، ٣١ أيار ١٩٤٦

لقد أصبحت ساعة العمل قريبة في سوريا ، وعدد كثير من التآمر والتردد الذين لم يكونوا من صفتنا . أعتمد أن أطلّ في القاهرة حتى ذلك الوقت . ثم اتوجه ، على الأثر ، إلى سوريا لمساعدة قصيرة إدارت الأمور سيراً مرضياً . وإذا شاء سيرها ، فسأعود الى برارافيل ، وربما إلى لندن .

سيكون وضعنا السياسي في سوريا كما يسلي : سجل الاستقلال ولكننا لن نصرح بيسر وبساطة أن الانتداب ألغي ، فذلك سيكون أولاً مثقلاً من وجهة النظر القانونية ، ومن وجهة نظر أوتنك لدين لا يتخلّون عن عصبة الأمم ، جميعهم . ثم لا بد من فترة انتقال بحري أثناءها نقل السلطات . وسوريا تقع أحيراً في منطقة قتال ، ومن المستحيل قلب طبيعة السلطة فيها ، والممركة في أوجها . سنقول إننا جئنا لنضع حداً لنظام الانتداب وحسب ، ولنفقد معاهدة تضمن الاستقلال والسيادة .

وسيكون وضعنا العسكري كما يلي . ستقوم بإصلاح القوات البحرية والبحرية والجوية الفرنسية ، والسورية ، واللبانية في المشرق ، وسأضع هذه القوات تحت إمرة القيادة البريطانية العليا ، لأداء خدماتهم في بر الشرق الأوسط ، وبحره وجوه .

برقية إلى هنري سوتو حاكم كاليدونيا الجديدة

للأمرة ، ٢ حزيران ١٩٤١

أوافق على مشروع الاتفاق العسكري بين الحكومة الأسترالية وبيننا المتعلق بكاليدونيا الجديدة ، حسب الشروط الآتية ، وذلك أن يكون استخدام الطائرات والجوومات الأسترالية التي تتخذ قواعدها في كاليدونيا الجديدة ، تحت تصرف القائد الفرنسي الأعلى ، ما دام القصد هو الدفاع عن الجزيرة . وعلينا أن نحدد عدد الصباط والموظفين الأستراليين الآخرين في دوائر الارتباط ، فليس هؤلاء أن يتدخلوا بشيء أبداً ، في تنظيم قواتنا ، ولا في استخدام قواتنا ، ولا في توزيع السلاح على قواتنا . يجب أن يكونوا ملحقين مباشرة بالقائد الفرنسي الأعلى ، ما عدا مرؤوسيه مباشرة . والمعاملة بالمثل ، يجب أن يكون لنا ضابط ارتباط في أستراليا . وعلى الحاكم سوتو أن يعقد الاتفاق ، لا باسم كاليدونيا الجديدة ولكن باسم الجنرال مينول ومجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية .

برقية إلى رنيه بليهن في لندن

للأمرة ، ٣ حزيران ١٩٤١

أطلب إليكم ، في محادثكم المقبلة مع السلطات الأميركية ، أن تقدموا مقترحات ألحسب لكم فيما يلي ، ولكم أن تضرعوا التفاصيل

إذا اضطرت الولايات المتحدة ، آخر الأمر ، إلى اللجوء للسلاح ،
فستكون قضية انتشار قواتها بطبيعة الحال ، جوهرية . ومعلوم القوة ،
قبل كل شيء ، إنما هي القوة الجوية في الحرب الحديثة . إنها قضية
قواعد ومواصلات .

وأرض بريطانيا العظمى بهذا الاعتبار ، غير مؤاتية إلا قليلاً بسبب
من ضيقها ، والأخطار التي تتهدد مواصلاتها مع أميركا . وأمريقيا على
العكس ، صواة بحكم قربها لأن تكون قاعدة أساسية لعمل تدريجي تقوم
به الولايات المتحدة في اتجاه المراكز الحيوية المدونة في أوروبا . ولكن
إنشاء مثل هذه القاعدة يحتاج إلى إعداد . ثم إن إنشاءً مسبقاً كهذا
لا يكون عملاً حربيًا . وأمريقيا الشمالية الفرنسية تقدم قواعد مثلى ،
ولكن تعاون فيشي مع ألمانيا لا يسمح بالاعتماد عليها .

إنما نلتم للولايات المتحدة جميع التسهيلات التي تريدها لإنشاء قواعد
جوية أميركية في أفريقيا الفرنسية الحرة ولا سيما في الكاميرون وتشاد
والأوديسي . وإنزال العشاد والمؤن يمكن في دوالا وبوانت - نوار
ومن السهل إقامة معامل فيها للتركيب الطائرات .

وستكون أفريقيا الفرنسية الحرة مما قريب المركز الجغرافي لمنطقة
الحرب في أفريقيا .

برقية إلى السيد ونستون تشرشل في لندن

القاهرة ، ٧ حزيران ١٩٤١

تلقيت في هذه اللحظة رسالتكم المؤرخة في ٦ حزيران . أحس أنني
على وفاق تام معكم حول سياستنا المشتركة تجاه العرب ، كما هو شأنها
تجاه غيرهم ، إذ ينبغي أن تكون الثقة فيها متبادلة . وإني لأشكركم
شكراً عميقاً على فكريتكم في قواني . ومما حدث ، فإن الفرنسيين

الأحرار هارمون على القتال في سبيل الملة معكم كحلفاء أمناء حازمين .

رسالة إلى السيد أرشيبولد سنكلر
وزير الجو البريطاني

القاهرة . ٨ حزيران ١٩٤١

عزيزي السيد أرشيبولد ،

اطلعتي الحفيد فالان ، بالتفصيل ، على التدابير التي اتخذت مؤخراً لتعليم الطيارين الفرنسيين الجدد في انكلترا ، وجميعهم . وإني لمريض على أن أقول لكم إن هذه التدابير تبدو لي ممتازة ، وأنا أشكركم عليها شخصياً . أعتقد أنه يمكن الاستنتاج منها ، أننا الآن فعلاً ، على وفاق حول تكوين طيران فرنسي صغير ، على نحو تدريجي وسريع ، يجمع به الفرنسيون دور التكوين نفسه وحدات فرنسية ، قدر المستطاع .

ومن الأكيد أن الأهمية السياسية القصوى لمثل هذا الانجاز ، لا تخفى عليكم . وأضيف أن ترتيبات من هذا النوع تجري الآن في الشرق الأوسط ، وإني لأشعر بالارتياح إلى ما ألمه من أن القيمة العسكرية لمناصر الطيران الفرنسي ، أخذت ترتفع .

وإني لأعظم هذه المناسبة لأعرب لكم عن إعجابي وإعجاب الفرنسيين الأحرار بقيمة السلاح الجوي الملكي وفعالته في معركة الشرق ، ولأرجو اليكم تهنئي الشخصية المخلصة .
لكم بإخلاص .

رسالة إلى السيد جويل مردم بك
رئيس مجلس وزراء سوريا السابق

القاهرة . ٨ حزيران ١٩٤١

عزيزي الرئيس ،

سيوجه الجنرال كلارو بياناً إلى الأسمالي وهو يدخل سوريا بقوات

فرنسا الحرة . وسيذاع هذا البيان الذي وافقت عليه صفاً وروحاً ،
باسمي واسم فرنسا الحرة ، أي باسم فرنسا .
وسيجعل للوطنيين ، وأنت منهم ، ما يرضي أعز أمانيهم ، إذ
يعترف لشعبي الشرق بنظام السيادة والاستقلال ، مضموناً بمهادنة .
وهكذا يشكر من نجاح قضية كرتست لها نفسك بكثير عن الحساسة
والسواء .

وإني لسعيد في أن أشاطرك التنبؤ بذلك النجاح ، وأعرب لك عن
الأمل أن تجد في هذا الحادث الكبير ، نتيجة قوية للتعاون مع فرنسا
الحرة وممثلي الجنرال كارو .

تفضل ، أيها الرئيس العزيز ، بقبول أسمى اعتياري العائق .

تصريح أودع صحافة البلدان الحرة وإذاعاتها

الطبعة ١٠ حزيران ١٩١٨

إن فرنسا الحرة لمحارب . وواقع الحال أن الألمان بدأوا ، برصاص
لبيشي ، في تثبيت أقدامهم في الشرق . وهذا خطر جسيم من الناحية
المسكرة . وذلك يعني ، من الناحية السياسية ، تسليم شعوب المنطقة
نهباً ، على مدى الزمن ، أن نقودها إلى الاستقلال . ومن الناحية
المعنوية بالنسبة لفرنسا ، خسران كل ما بقي لها من نفوذ في الشرق .
هذا هو سبب دخولنا سوريا ولبنان مع حلفائنا البريطانيين .

إنه لصحيح أن زحفنا يمكن أن يلاقي ، لسوء الحظ ، مقاومة من
جانب رفاقنا قوات الشرق . وإن بعضاً منهم يحسبون أن من واجبهم ،
وقد ضلوا ، أن يقابلونا مكرهين ، بالقوة . ولن نطلق النار على هؤلاء ،
بأدنى . ولكن إذا نجم بسبب من عملهم ، بعض الاشتباكات ،
فستقوم بواجبنا

ولكن ما اكثر اولئك الذين يقدمون اليها ويتحققون بنا ! اني
لاستطيع ان اکتف أن من بين القوات الفرنسية الحرة التي تؤدي
خدمتها حتى هذه الساعة في الشرق ، قدم اليها ثلاثة وستون ضابطاً
جاؤوا من سوريا رغم العقوبات والتهديدات والانتقامات . وقد زجت
فيشي في السجن ، أو رحلت الى مرسيليا ، اكثر من مائتي ضابط .
ان فرنسا لا تريد نصراً للألمان فرنسا تريد أن تتحرر . وستتخذ
مشيئة فرنسا

مذكرة وجهت لسفير بريطانيا وقادتها الأعلى

لدى المؤتمر الذي انعقد في القاهرة

في ١٩ حزيران ١٩٤٦

إن من رأي الجنرال ديغول وضع تسوية مع الفرض السامي في
المشرق .

ينبغي أن تقوم تلك التسوية على الأسس الآتية :

(١) معاملة لائقة لجميع العسكريين وجميع الموظفين

(٢) الضمانة التي قدمتها بريطانيا أن تصان حقوق فرنسا ومصالحها
في المشرق بمجرد واقعتها . والسلطات الفرنسية الحرة أن تترأس تمثيل
فرنسا في المشرق ، ضمن نطاق الاستقلال الذي وعدت به تلك السلطات
مولتي المشرق ، وضمت بريطانيا العظمى .

(٣) جميع الذين يريدون أن يخدموا مع الحلفاء من العسكريين
والموظفين يستطيعون أن يبقوا بحرية ، وكذلك مع أسرم . وجميع
الذين لا يريدون يرحلون إلى وطنهم مع أسرم حين تسمح الظروف .
ومع ذلك ، يحتاط الحلفاء لاتخاذ التدابير التي تجعل الاختيار حليقة ،
حرراً لكل واحد منهم

(١) يجب أن يسلم هناك الحرب كله للحلفاء .

(٢) وتسليم السفن يكون بالاتفاق .

٦ واحترال ديمول الذي لم يقدم أحداً قط للمحاكمة من رفاقه في السلاح الذين حاربوه تنفيذاً لأوامر لثقتوها ، لا ينوي بحال ، في هذه المرة أن يحاكم أحداً .

(٧) يعتبر الحترال ديمول مشاركة مثله في المفاوضات ، ضرورياً ، وليكن إعطاء الجواب في بيروت باسمه كما يعطى باسم السلطات البريطانية .

برقية الى السيد أيلست

في لندن

القاهرة ٢٠ حزيران ١٩١٦

علقت اليوم الساعة ١٠ ، من البرقية التي وجهتموها معاليكم في ١٩ حزيران الى واشنطن ، في شأن الشروط التي تصرح الحكومة البريطانية بقبولها كأساس لمفاوضة مع سلطات قبشي .

لا أستطيع ان أخفي على معاليكم النعشة التي اثارها في نفسي ذلك الجواب من جانب واحد ، والصريح من جهة ، في شأن التزمت به فرنسا موقفاً معيناً مثل اسكلترا ، واصبحت حياة الجنود الفرنسيين الأحرار ، كحياة الجنود البريطانيين مرتبة به ، ثم في موضوع المسائل التي تتعلق بها تعلقاً جوهرياً ، مصير هيئة عسكرية ومدنية فرنسية ، ومصير اراضي قمارس فوقها سلطة فرنسا .

واني لألاحظ ان الناطق بلسان مفوض قبشي السامي في بيروت الذي يقدر ، بلا شك ، وجهة نظر فرنسا الحرة في الحاضر والمستقبل ، قد طلب ان يعرف ، لا شروط الحكومة البريطانية وحسب ، بل

شروط فرنسا الحرة أيضاً ، وإن معاليكم أبرقتم إلى واشنطن كما لو
كانت حكومتكم وحدها ذات الصلة لإعطاء الجواب ، وهذا اعتدوه
تصرفاً لا مبرر له .

إن معاليكم ستدركون بكل تأكيد في مثل هذه الحال ، أنني لا
أشعر أبداً في مثل هذا الحادث أنني مرتبط ، على نحو من الانحسار ،
بالاعتبارات والنتائج التي تشتمل عليها برقيتكم الموجهة إلى واشنطن ، وأسي
المرم بها ورد في الرقبة التي أرفقيتها بها في ١٩ حزيران ، بالاتفاق
مع سفير بريطانيا العظمى والقادة البريطانيين الآخرين .

رسالة إلى الجنرال كاترو

دمشق ، ٢٤ حزيران ١٩٤٦

سيدي الجنرال ،

عينكم برسومين صدرا بتاريخ اليوم ، مفوضاً عاماً مطلق الصلاحية
وقالداً أعلى للشرق .

وستارسون سلطاتكم وصلاحياتكم باسمي واسم مجلس الدفاع عن
الأمم وطورية الفرنسية . وستكون مهمتكم في جوهرها أن توجها
إعادة الوضع الداخلي والاقتصادي في الشرق حتى يصبح سوياً بمقدار ما
يمكن وما تسمح به ظروف الحرب ، وأن تفاوضوا بمثلي الأمانى الأكفاء
لعدد معاهدات تركت استقلال دولتي الشرق وسيادتها ، كما تصح أسس
تخالفها مع فرنسا ، وتحافظ على حقوق فرنسا ومصالحها ، وأن تقوموا
الدفاع عن أراضيها كلها ضد العدو ، وأن تتعاونوا مع الحلفاء في
العمليات الحربية في الشرق .

وستتولون جميع السلطات التي كان يضطلع بها حتى الآن ، مفوض
فرنسا السامي في الشرق وجميع التبعات التي تتضمنها ، في انتظار

العهد الجديد الذي ينشئ من المعاهدات المصنة ويصبح قادراً على تطبيقها ، وهذا ما يجب أن يتم في أقرب وقت ممكن . وشكون صلاحياتكم من بعد صلاحيات ممثل فرنسا في نطاق المعاهدات ، وقائد أعلى للقوات . وسيكون من اختصاصكم أن تعملوا على إيجاد مجالس تمثل حقيقة ، مجموع الأهالي ، فور تمكنتكم من ذلك ، وتشكيل حكومات ترضى بها تلك المجالس ، ومعها تشريع حالاً في مفاوضات تهدف إلى عقد معاهدات التحالف . ويجب أن تعد هذه المعاهدات مع تلك الحكومات ومعها بالذات .

وعلى الرغم من التمردات والتفجرات الناجمة عن السمات التي تولت بالجيوش الفرنسية ، ومن دسائس غزاة بلادنا ، فإن الانتداب الذي وُكل إلى فرنسا في المشرق من قِبل عصبة الأمم عام ١٩٢٣ ، ينبغي أن يصل إلى نهايته ، وأن يستمر عمل فرنسا في تلك الديار ، ولهذا تتخذون من معاهدات التحالف المفقودة مع دولتي المشرق عام ١٩٣٦ نقطة انطلاق لمفاوضة بينك الدولتين ، ولتأرجح على حكومتيهما أن تكون التداير الموقفة التي تتخذ بالاشتراك معهما ، موضوع اتفاقات خاصة ، تلتها لضرورات دفاعنا المشترك في الحرب الراهنة . وإني لأحتفظ بإحاطة عصبة الأمم علماً ، في الوقت الذي أشاء ، أنت عهد الانتداب في المشرق انتهى ، وحل محله عهد جديد يستجيب للأهداف التي أنشأ الانتداب من أجلها .

تقراً ، يا عزيزي الجنرال ، بمواظفي الخالصة المخلصة .

برقية إلى رئيسه كلستان
ملوניה فرنسا الحرة في لندن

لندن ، ٢٤ حزيران ١٩٤٦

(١) علينا فيما يتعلق بالنزاع الألماني - الروسي أن نتخذ موقفاً عادلاً .

يجب أن نعلن ، كما أعلن السيد تشرشل ، أننا مع الروس بكل صدق
ما داموا يحاربون الألمان ، دون أن نخوض حالياً بمناقشة نقائص العهد
السوفييتي ، وحتى حركته . انهم ليسوا هم الروس الذين يسحقون فرنسا ،
ويحتلون باريس ، ورايس ، وورنيس ، وبردو ، وستراسبورغ ، وينهبون بلادنا
ويحطمون ممتلكاتها ، ويستحدمون فيشي لحل فرنسيين على محاربة فرنسيين
في سوريا . والطائرات ، والدبابات ، والقوات الألمانية التي يدمرها
الروس والتي سيدمرونها ، لن تكون بعدُ هناك ، لنصنعنا من تحرير فرنسا .
أرجو أن نمطوا دعايتنا هذه القهجة ، على الفور .

(٢) إذ ذهب أنت بنمك الى السيد ميكي بعيداً عن الأصواء ،
وأعرب له باسمي إعراباً رصيناً ، ولكن صريحاً ، أن الشعب الفرنسي
مع الروس ضد ألمانيا ، وأنا نتمنى بالتالي ، أن تنظم علاقات عسكرية
مع موسكو . وأطلع الفورين أرفيس على ذلك .

برقية إلى ونستون تشرشل في لندن

القاهرة ، ٢٨ حزيران ١٩٤١

إني لأحرص ، في الوقت الذي سيكون به فرنسا الحرة أن تحصل
به ، دون شك ، محل فيشي في سوريا ولبنان ، بمصل جهداً المشترك -
أحرص على أن أعرب لكم عن وجهة نظري فيما يتعلق بملاسات هذه
القضية ، وتنظيم العلاقات الفرنسية - البريطانية محلياً ، في الشرق .

سيكون النج الذي تملكه السياسة البريطانية تجاه سوريا معياراً ذا
أهمية كبرى ، فهذه هي المرة الأولى التي تنفذ فيها القوات البريطانية
متحدة مع قوات فرنسا الحرة ، الى ارض خاضعة لسلطة فرنسا . ويصادف
هذا ذلك ، ان نزعات السياسة البريطانية قلما طابت ، فوق تلك

الأرض ، نزعات السيادة الفرنسية ؛ ولهذا السبب المزيج ، فإن الرأي العام الفرنسي والرأي العام الدولي سيكونان في غاية التمتع للطريقة التي تتصرف بها بريطانيا العظمى تجاه وضع فرنسا في تلك المنطقة

إذا كانت نتيجة عملنا المشترك في سوريا ولبنان تبدو وكأنها خفص من مقام فرنسا عندك ، وإدخال نزعات وأعمال بريطانية حادة ، إرضاء لفيشي وبرلين وروما ، فأنا متفجع أن أثر ذلك على الرأي العام في بلادتي سيكون أليماً . ويجب أن أضيف أن جهدي الخاص الذي يرمي أساساً إلى حفظ المقاومة الفرنسية من التاجيتين المادية والمعنوية ، إلى حساب إنكلترا ، ضد أعدائنا ، يصح بذلك في مآرق حرج

وأنا واثق أن تلك هي نظرتكم بالدات . بيد أنني أفتنى على السلطات البريطانية المحلية أن لا تعمل إلا في هذا الاتجاه . وأفتنى أيضاً أن تكون نشاطاتها في حقول الأمن ، والإعلام ، والاقتصاد ، الخ ... مركزة ومحدودة ، كي لا توحي بالامتناع أن احتلال سوريا على يد قوات بريطانية في جره منها ، وتحت قيادة بريطانيا ، يؤدي إما إلى تحويل في السلطة على حساب فرنسا ، وإما إلى ضرب من السيطرة على سلطة فرنسا .

برقية إلى مفوضية فرنسا الحرة

في لندن

القاهرة ، ٩ تموز ١٩٤٤

لقد حان الوقت لإعادة سلطة فرنسا الحرة في الباسيفيك نهائياً ، وجون قداير ناقصة ، وإعمال جميع الموارد هناك ، في سبيل الحرب ، وتأمين الدفاع عن الأراضي الفرنسية ضد الأخطار الممكنة ، وربما القريبة ، بالاتحاد مع حلفائنا .

واني ألتدب نقيب البحر دارجنليو هذه المهمة . وأنا اعين اليوم
بمرسوم ، مفوضاً سامياً لفرنسا في الباسيفيك ، وسيارس باصمي جميع
السلطات المدنية والعسكرية .

وستوجه المفوض السامي الى مركز عمله فوراً ، وهناك يتخذ كل
التدابير التي يراها ضرورية تجاه الأشخاص ...

واكرر ، من جهة اخرى ، الأمر بإرسال سفينة أو عدة سفن
حربية الى الباسيفيك .

تفضلوا وأحيطوني علماً بامر المفوض السامي ، وتحرك السفينة أو
السفن المشار اليها .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة في لندن

برازافيل ، ١١ تموز ١٩٤١

تلقيت برفيتكم المتعلقة بـ « حزب التحرير » ، وتلقيت كذلك ، من
جانب حكومة لندن حول هذه المسألة ، مذكرة جعطيني أفكار .

أنا لا اوافق على هذا الحزب للتحرير الذي يتم إنشاؤه بوحى
انكليزي ، ولا يصهر في المستقبل فرنسا الحرة ، ويضع في أيدي
الانكليز خيوطاً لا يجوز أن تكون إلا في ايدينا .

ان حزب التحرير الفرنسي وجد منذ ١٨ حزيران ١٩٤٠ ، وهو
فرنسا الحرة . ولا مبرر أبداً لإنشاء حزب آخر . وأنا ادعوكم من
جهة اخرى ، لحذر من مفاهيم السياسة الفرنسية وافكار الدعاية للفرنسية
التي تبشها الفورين اوفيس ووزارة الاعلام البريطانية . فإن هاتين المؤسستين
كانتا تسعيان دوماً في العمل من وراء ظهورنا والعب على الألفاظ ،

أعني لتظاهروا أنها تعملان لحسابنا وهذا تستخدمان ما لنا من رصيد
لدينا ليست دوماً غاياتنا ، بل هي بعيدة عنها .

وحاذروا كذلك هذا الامر . وهو ان بعض الأشخاص الفرنسيين
من يسمون في ان يكون لهم وجود سياسي خارج دائرتنا ، هم الذين
يؤمنون أغلب الاحيان ، الى الموردين أوغيس ووزارة الاعلام .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة في لندن

برازافيل ، ١٣ تموز ١٩٤٦

لا أرى قيمة للفترة الاولى من مذكرتكم المؤرخة في ٧ تموز ، بشأن
السلطة في سوريا . السلطة العليا في سوريا تخص فرنسا ولا تخص بحال
من الاحوال ، على أي مستوى ، قائداً أجنبياً أعلى . والقوات البريطانية
في سوريا لا تحتل بلداً فتحته بالقوة ، وانما هي تمارس في الحركة على
أرض حليفة . وحين كان المارشال هابنغ يحارب في فرنسا ، ظلت السلطة
في المقاطعات التي وجدت بها قواته ، على ما كانت عليه ، تخص بأكملها
حكومة الجمهورية .

ومن المفهوم أن للقيادة العسكرية الفرنسية أو الحليفة ، في منطقة
الجيش ، صفة لاتخاذ للتدابير الضرورية للأمن ، والشمول ، واستخدام
طرق المواصلات والموانئ ، ووسائل البث ، وتسيير الدوائر العامة .
ولكنها لا تستطيع أن تقوم بذلك الا بتفويض من السلطة العليا ، وفي
حدود ما يتعلق ذلك بالمعطيات فقط . ثم ان عليها ان تؤدي عملها
بوساطة السلطات المحلية .

وإن الجنرال كاترو ، في الحالة الخاصة بسوريا أن يتخذ ، بالنسبة
لهذه الاعتبارات المختلفة ، الترتيبات التي تطلبها منه القيادة العسكرية .

ثم انه ليس من محتوم بحال ، ان يتولى القيادة العسكرية في سوريا رجل بريطاني ، وقد قلبت في اتفاق ٧ آب ١٩٤٠ ، التوجيهات العامة للقيادة البريطانية مما يخص سير الحرب من ناحية عسكرية ، ولكي لم أقبل في شيء قط ، أن تكون قواتنا بالضرورة ، تحت إمرة البريطانيين . ثم ان اتفاق ٧ آب ، من جهة اخرى ، وهو الذي لم يطقه البريطانيون الا حربيا ، ولا شيء سواه ، انما عقد في فترة من الزمن لم يكن فيها بعد لدينا راس ، فارتأت عليها سيادة فرنسا وتوصل قبضتها . وقد صبح لدينا الآن هذه السمة وهي مما يمكن ان يتنافى وتوجيهات القيادة البريطانية . راي لأحتمس ، في هذه الحالة ، بحق الرفض لذلك التوجيهات في سوريا خاصة ، وحتى فيما يتعلق بالمعلبات .

وختلاصة . سأفهم بتسوية مع ليتلون من شأنها ان لا تدع بحالاً للفرنسيين سيادة فرنسا وسلطانها العليا في سوريا ، وان تقدم التسهيلات الضرورية للقيادة البريطانية ، تحتاج اليه في عملياتها ، وان تنظم القيادة الحليفة المراسلة في حدود ما يترك هذا التنظيم نعتنا الوطنية والدولية كاملة في سوريا . وكل نظام معابر هذا ، يصح غير مقبول ، ولن أقبله .

تلك هي التوجيهات التي أرجوكم ان تحملوا وحسب نظركم مطابقة لها في مباحثكم حول هذا الموضوع ، مع الرسميين البريطانيين .

**برقية وجهت الى الجنرال كلترو
في القاهرة**

**وبلاغ الى الجنرال سيمز ، والى السفير البريطاني
في القاهرة ، وللقائد البريطاني الأعلى**

برازافيل ، ١٥ تموز ١٩٤١

أمل ان لا تكونوا قد استقم الى توقيع اتفاق الهدنة ، المخالف لأغراض

وطلباني ، فان ترك قوات فيشي تحت إمرة ضابطهم مع الوعد بالرحيل
قريب الى الوطن على سفن فيشي ، يجعل من الاستحيل انضمام عدد كبير
من الرجال ذوي الشأن لينا . انه السبب نفسه الذي اتبعه الاسكندر مع
الجنود والبحارة في إسكندرا .

ربما كان ذلك هو شأن الاسكندر الذي ما زالوا دوماً تحت سيطرة
أرواحهم عن فيشي ، والذين يرغبون قبل كل شيء في التخلص من العناصر
الفرنسية التي لا يدركون النفع الذي يمكن ان يعود منها علينا . ولكن
النتيجة جد سيئة لفرنسا ، اذ ان ذلك مما يعيق نهوضنا العسكري

والواقع ان نتيجة هذه الاوضاع ، ان نود الى افريقيا الشمالية وافريقيا
الغربية للفرنسية قوات مشككة تمسكت بالحرب على حسابنا ،
واستشارتها المعركة ، ثم ملاعبها ضدنا في تشاد او حتى في افريقيا
الشمالية ساعة يصدر هتلر الامر لادارلان بذلك .

انا لا اوافق اذن على هذه الشروط ، وهي التي لم يستشرني احد
قط في موضوعها اثناء المفاوضات ، وقد دامت هذه ثلاثة ايام . ونتيجة
لذلك ، اجد نفسي مكرهما على اتخاذ التدابير لالقاء ثمنها على عاتق
الانكليز وحدهم ، حالما أنقضى تفاصيل الاتفاق . واني لأدرس كذلك
الى اي حد وجدت حل للمسائل الحيوية المالية الينا . سأصل الى
القاهرة يوم الجمعة .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة

في لندن

القاهرة ، ٢١ تموز ١٩٤١

تلقيت نص مذكرتكم المؤرخة في ١٧ تموز ، المتعلقة بالهدنة الاسكندر -
فيشي . اوافق على هذه المذكرة . وقد لفت انتباه لينتون شفويا
وخطيا الى :

١) أننا نرفض الاتفاق والبروتوكول برمتها ، وسما نحتفظ بحق العمل وفق ما يبدو لنا صالحاً . وستتخذ مباشرة ، على نحو خاص ، تدابير كل اتصال زبده ، مع قوات فيشي ، وشكل بأننا « قوات الشرق الخاصة » .

٢ - أما لن نقبل بعد قيادة بريطانية لقواتنا في الشرق ابتداء من ٢٤ تموز ، عند الساعة ١٢ .

كانت مقابلة استغرقت ساعتين ، حادثة الهمزة ، قاطعة من حيث الجوهر . وقلت ، أبرز ما قلت ، ليلتون إن ملك البريطانيين في هذه القضية لا يتفق مع تصرف ومصالح فرنسا وكرامتنا . وأصمت أننا نراحم حتى قطع تحالفنا بأمر ولكن دون تردد ، لأننا نحارب في سبيل فرنسا لا من أجل انكلترا .

وبدا لي ليلتون ، رابط الجانب ولكن بانفعال مكبوت ، في ضيق بال ، وقلقي شديد . أنا هنا مع الحزب الذي لارميناء . مستوجه إلى بيروت في ٢٥ تموز ، وهناك نلتقي سيبه .

أطلب إلى كل عضو في مجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية أن يؤيدني بمتى في مفاوضات الحاسمة التي أحسب ان النجاح مآلها .

برقية إلى مفوضية فرنسا الحرة

في لندن

الطبعة : ٢٤ تموز ١٩٤١

عندت هذا الصباح مع ليلتون ، بعد مناقشات حامية عنيفة ، لسوء تملق بتفسير اتفاق الهدنة . وقد أبرقت إليكم نصوص هذه التسوية ، من جهة أخرى . وهكذا أصبح لدينا مسا نور به تأثيراً فعالاً في قوات فيشي ، وأن يكون هادها في حوزتنا . أسافر اليوم

إلى بيروت لأقوم بتصديق ذلك ، وأوجه عهدنا السياسي والاداري في الشرق . وقد كتب الي لينتون رسالة يعترف فيها بسيادتنا التامة على دولتي الشرق . كل ذلك مدعاة حادة لارتباك .

يجب الآن مع ترجيل الموت . رقت اليوم إلى السيد ونستون تشرشل في هذا الموضوع . ملكك فيشي فيما يتعلق بالهند الصينية وموقف دانتر الحالي في سوريا قدما لنا جميع المبررات . أعتقد ، من جهة أخرى ، أن الحل الذي تنصي إليه مسألة حبيوتي قريب ، وهو الاستسلام . 'وقفت' إلى حل البريطاني ، على إرسال تعليمات مرضية إلى سلطانهم المحلية . أصبح التحول البريطاني الآن ، يحملته ، مؤثيماً . كانت الأزمة حادة ، ولما قنته بعد انتهاء تماماً .

رسالة إلى م. أ. ليتلتون

دور الدولة العثمانية في القاهرة

بيروت ، ٢٧ تموز ١٩١١

عزيزي الكابتن ليتلتون ،

تلقت رسالتكم المؤرخة في ٢٤ تموز ١٩١١ ونص الاتفاق الذي وضعه ممثلونا من الجانبين كتصديق لاتفاق الهدنة في سوريا . ويسرني أن أقول لك إني أوافق على هذا النص الذي يلزم منذ الآن السلطات العسكرية والمدنية الفرنسية التمتع بها

وأخذت علماً ، من جهة ثانية ، بموافقتكم على العقوبة التي ينبغي أن تتخذ بحق العناصر الفرنسية المنشقة المدعوة ، عناصر فيشي ، إذا ثبت أن هذه العناصر أحلّت فعلاً ، كما حسب ، بالاتفاق .

ومن المتفق عليه أن كتابكم المؤرخ في ٢٤ تموز ، وجوابي عنه لا ينشران إلا إذا رصينا نحن الاثنين معاً بذلك . لكم بإخلاص .

رسالة الى م. ا. ليتنن في القاهرة

بيروت ٢٧ تموز ١٩٤١

عزيزي الكابتن ليتنن ،

تلقيت رسالتك المؤرخة في ٢٥ تموز أنا سعيد بنسجبل التأكيدات التي لفضلت بتقديمها لي فيها يتعلق بتجريد بريطانيا العظمى في سوريا ولبنان ، وأن بريطانيا العظمى تعترف مسبقاً بمركز فرنسا المتساوي في المشرق ، حين تصح هاتان الدولتان مستقلتين .

إن نص الاتفاق وملحقه الذي وجدته طي رسالتكم ، والذي رسمناه معاً في القاهرة بتاريخ ٢٥ تموز ، سيوضع فوراً موضع التنفيذ من قبل السلطات العسكرية الفرنسية المختصة .
لكم بصدق .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة في لندن

بيروت ١ آب ١٩٤١

وجه الكابتن ليتنن رسالة مؤخراً إلى الجنرال كانر يطلب إليه فيها ، وكان ذلك طبعاً في منتهى البساطة ، أن يكون الجنرال سيور حاضراً في مفاوضات المعاهدة الفرنسية - السورية ، والمعاهدة الفرنسية - اللبنانية .

وكان جواب الجنرال كانر ، بطبيعة الحال ، رفضاً خالصاً ، وبسيطاً . إذا كان هذا الطلب من ليتنن مطابقاً لسياسة حكومته ، فمن البدهي أن هذه السياسة لا تتوافق مع حقوق السيادة لفرنسا . ومن البدهي كذلك ، أننا لا نستطيع القول بحساس هذه الحقوق ، أننا كنا نوجه .

وأنا مقتنع أن تدخل إنكلترا في الشؤون السياسية الفرنسية سوريا
ولسان يؤدي بنا إلى تعقيدات جد خطيرة ، فإن جميع الفرنسيين
الأحرار هنا متفقون على هذه اللقطة ، بل الفرنسيين الآخرون ممن هم ذوو
موقف معروف تجاه إنكلترا . وإنه ليدور لي أن الموائد المريبة التي
يمكن أن تستلها السياسة الانكليزية من هذه المعمة عن حقوق فرنسا ،
ستكون جد مزيلة لقاء أصرار كبرى تنشأ عن تشوش في العلاقات بين
فرنسا الحرة وإنكلترا .

تفضلوا واطلوا اجتماعاً مع السيد إيدن ، وأطلعوه من جانبي على
إبلاغ جد صريح وواضح ، بهذا المعنى .

برقية إلى رنيه كاميل مفضية فرنسا الحرة في لندن

بيروت ، ٢ آب ١٩٤١

أرغب إليكم أن تتصلوا بسفير روسيا في لندن لاجراء محادثات شبه
رسمية معه ، ذات طابع سرّي مطلق ، تناول النقاط الآتية :

أولاً - أن تكون روسيا على استعداد لإقامة علاقات مباشرة معنا ؟
وفي حالة الإيجاب ، ما هو الشكل الذي يمكن أن تقام به ؟
ثانياً - هل تواتح روسيا الآن أو فيما بعد ، أن تسع إلينا بنصر
تعرب فيه عن بئسها في المساعدة لإعادة استقلال فرنسا
وعظمتها ، إما بالنص نفسه الذي بعث تشرشل ، وإما بنص
آخر ؟ إما لنحب ، طبعاً ، أن تصيف روسيا ، كيان
إلى « استقلال » و « عظمة » .

ثالثاً - أي تعهد قد روسيا أن تتلقى من جانبنا لقاء مثل تلك
النصرجات ؟

برقية الى رنيه بلينز

في واشنطن

حلب ، ٩ آب ١٩٤١

تلقيت اليوم ، واليوم بالذات ، برفيتكم المؤرخة في ٢٦ تموز . وإني لأقدر عملكم ، وأنا مقتنع أنه سيؤتي ثماره . لقد أدركتم ، بصورة عامة ، أننا لا نطلب من الولايات المتحدة أية صدقة ، وإنما وسائل كفاح وحسب . وواقع الحال ، أسي أرى نظارة الخارجية تقترح ، في الوقت الراهن ، عقاقير لا أسلحة ، ونحن نرفض العقاقير إذا لم ترفق بالأسلحة . إن أوهام الأحذ بالمرف الجسامد للبليد لستشري في واشنطن وتتمزق فيشي ، أي هتلر الذي خلق فيشي .

أنا لا أرى أن محضر أنت ، يمثل فرنسا ، مؤثراً ثلاثياً كخبر فحسب . وإنما يمكنك أن لمحضره ولك حقوق اللند لأنداد بين المؤثرين ، وإلا فلن لمحضره . ولا أزال مع ذلك ، على المرحى الذي تقدمت به ، وهو أن أستقل في برازيل صائلاً أميركياً أو عدة ضباط أميركيين .

برقية الى مفوضية فرنسا الحرة

في لندن

بيروت ، ١٣ آب ١٩٤١

تلقيت برفيتكم المؤرخة في ٢٥ تموز و ١٠ آب . لقد أمنت النظر ، أكثر من أي شخص آخر ، في لفتائج الخطيرة الوطنية والدولية التي تتجهم عن قطع العلاقات بين فرنسا الحرة وإسكترا . وذلك بالصمد هو ما جعلني أصح إسكترا أمام هذه النتائج ، في حال تصرفها تجاهنا بطريقة لا يمكن قبولها . وأنا أعت أماً لا يُقبل ، سياسة وموقفاً يستخدمان مؤازرتنا لإيقاع الضرر بمصالح فرنسا ، أو بمركزها على الأرض

نفسها التي يجري فوقها التضامن ، وذلك هو بالضبط ما كان . في مجرى التنفيذ ، في سوريا . إننا لنخسر كرامتنا وسلطاننا في فرنسا معاً إذا لم نحن رضينا ذلك . وأنا لم أرضه ، وجميع رفاقنا هنا وفي أفريقيا ، تكتلوا كتلة واحدة معي ، في هذا الشأن .

هكذا استطعت أن أقوم الوضع وأنفذ الجانب الجوهرى منه . وإنى لأدرك أن البريطانيين تيمروا عيظاً منه ، ولكن هذا القبط يخف ورناً إذا قيس برأبقاتنا نجاء فرنسا ، وأقدر أن الأرملة انتهت سليمة حتى فيما يخص علاقاتنا بإسكلترا . والأكيد أن السيد تشرشل سيدرك أنه أحداً لا يتصوره إلا على ما هو صلب .

وأنا أعتقد ، عكس ما لحسبون ، أن استلام قبشي في شأن أفريقيا سيؤدى إلى إكبار فرنسا الحسرة من قبل الأمة والحدج ، وخاصة من وجهة النظر الأميركية .

أما بشأن الضمانة المقدمة من بريطانيا العظمى لاستقلال سوريا ولبنان ، فلا بد لم أعترف بها قط . وليس لها مجال ، أدنى أثر في بيان الجبرال كارو الذي عدلت مند وصوي إلى القاهرة ، مشروعه لأوبى . وكنت قد أخطرت ، من جهة أخرى ، سفير بريطانيا في القاهرة ، برسالة وجهتها إليه في ٣ حزيران أسمى ، وإن لم يكن في وسعنا أن نعارض بشر ضمان من قبل الإنكليز ، ما شجبها ، وإن أقم لها ورناً . وليس لدولة أجنبية أن تضمن وعداً أعطته فرنسا . وكذلك ، لا يمكن قبول اشتراك سيرر في مفاوضات دمشق وبيروت . فأنا أرعم أن حصور دولة ثالثة في مفاوضة فرنسا مع دولة تحت انتدابها ، يشكل تدخلاً لا يمكن قبوله ولن ألتزم به .

وختاماً أَدْعُوكم إلى النضال ، وأن لا تعطوا الانطباع أن ممثلي لا يتسمون بالدقة سياستي ، فإن عظميتنا وفرنسا إنما يتكوّنان من شيء

واحد ، هو التصلب فيما يتعلق بحقوق فرنسا . وسكون في حاجة إلى التشدد هذا حتى يبلغ للصفة الأخرى من نهر الرين .

برقية إلى مفوضية فرنسا الحرة

في لندن

براذيل ١ ٢٥ آب ١٩١١

عليها أن نكون ، فيما يتعلق بموقفا من تصريح تشرشل رورفلت
المعنون : « ميثاق الاطنتي » ، على اكر جاذب من البقطة حول المادة
الأولى ، في شكلها ومضمونها المختصة ، « التوسعات » ومن واجبنا
أن نشير إمكانية توسيع مركزنا في بلاد الرين ، دون انكلام حالياً
عن الرين ، في حال اتيار الرابع . وذلك نظراً للتدمير المادي والمعوي
لدي يصيب بلاد الرين في تلك الحالة ، يمكن أن تحدث أمور غير متوقعة

يجب القول إننا لا نرى أي توسع في الاراضي ، ولكننا
لا نتخلى صراحة ، عن كل توسع من نوع آخر

أما المادة ٤ ، فيجب أن تشمل ، من جانبنا ، على تخفيضات صريحة .
نحن لا يمكن أن نقلل بعد الحرب ، بعد ألمانيا وإيطاليا إلى المواد
الأولية على قدم المساواة مع فرنسا التي جردناها من ، على نحو طبيعي .

عليها ، بصورة عامة ، أن تدبغ الفكرة أن الحرب الحالية ليست
سوى حدث من أحداث الحرب العالمية السقي ابتدأت عام ١٩١٤ .
ومؤامرة فرنسا للقضية المشتركة ، وهي الحرية في الحرب العالمية ، إنما
تقامس ابتداء من ١٩١٤ وكذلك هو شأن تصحياتها ، وبالتالي ، شأن
لتعويضات من كل نوع ، التي تحقق لها .

برقية إلى الجنرال كاترو
المفوض العام المطلق للصلاحيات في بيروت
والطبيب الجنرال ميسه
المفوض العام في يرافيل

لندن ، ١٦ أيلول ١٩٤١

يبدو أن المصاعب الخطيرة التي أحدثتها قضية سوريا بين حلفائنا البريطانيين ، وبيننا ، آخذة في الزوال . وعلى الرغم من أن خطاب تشرشل الأخير ينم عن نزعة مغلقة فإن طريقة التعايش ، التي أقامتها اتفاقات ليتلتون - ديفول ، يجب أن تصان ، فإذا كان الأمر كذلك ، نستطيع أن نعتبر أن جوهر القضية مصان ، وأن مركز فرنسا في المشرق محفوظ ، على الجملة ، في ظروف مرضية .

وبعد حقبة من التوتر المركز في لندن نفسها ، من جانب الإنكليز ، وهي الحقبة التي أعقبت عودتي ، بدا أن العلاقات تتركز سوية ، في انتظار أن تصبح ودية . قابلت تشرشل مطوفاً . أكد لي الوزير الأول أن السياسة البريطانية بالنسبة لسوريا كانت وستظل كما حددتها اتفاقاتنا في القاهرة . وأكد لي ، من جهة أخرى ، أن حركة فرنسا الحرة ، الآخذة في الانتشار في فرنسا نفسها ، أصبحت كما لم تكن قط من قبل ، عصباً كبيراً في السياسة البريطانية ، وأن حكومة جلالتهم عازمة على دعمها إلى أقصى حد .

برقية إلى رنيه هيلين
في واشنطن

لندن ، ٢٣ أيلول ١٩٤١

أطلب إليك ، في محادثةك الممنعة مع سجنر ولز وكوردل هل ، أن تبرز للسلطات الآتية :

١) لقد أصبح وضع رجال فيشي الذي وصروا أنفسهم فيه «السلطة الموروثة» في واقع أمره «بمخاطبتهم» من غير معزلة على «المواضع التي يمكن أن تحركهم» حارج الدائرة التي شاح لهم فيها أن يدرسوا مبادئ فرنسا والدفاع عن مصالحها في خارج . وإن في أحداث سوريا ولبنان الصينية أدلة ساطعة على ذلك . ويشتج بالتالي أن فرنسا أصبحت غير محبة لتشيلا حقيقيا في العالم .

٢) الاحول التي ونيت بها فيشي السلطة في فرنسا ، والخدمة المصطنعة التي تخولتها والاسلوب الذي غارسها به ، كل ذلك يندس وسيادة الأمة الفرنسية . هناك اعتصاب بعض

٣) على الرغم من القمع الدامي الذي بثقل به المزاج وفيشي كاهل للشعب الفرنسي ، وحرمانه من التعبير بحرية عن آرائه بأية طريقة من الطرق ، فإنه لم يبق اليوم من شك في أن سياسة التعاون مع العدو والدكتاتورية الداخلية التي تتلصق به ، إنما هي تتعارض تعارضا مطلقا مع آمالي اكثرية المواطنين الفرنسيين .

٤) لقد أصبح أمرا واقعا ان أراضي مستعمرات مهمة في أفريقيا والباسيفيك وقوات مسلحة لا يحتمل ان تنضم إلى فرنسا الحرة لتظل بحاربة إلى جانب الحلفاء والامبراطورية «البريدية» خاصة ، ضد غزاة الوطن . وهذا الواقع يفرض على الجنرال ديغول وسلطات فرنسا الحرة ان تمارس على تلك الأراضي والقوات «صلاحيات» حكومة . ولكن الجنرال ديغول كان يمثل دوما على رؤوس الأشهاد ، أنه لن يمارس هذه الصلاحيات إلا بصورة مؤقتة اساسا ، كدبر للتراث الرسمي ، وأنه يخضع مسبقا لتمثيل الوطني ، ساعة يتاح لهذا التمثيل أن يتحقق بحرية .

٥) والجنرال ديغول أخذ الآن ، بانتظار تلك الساعة ، في تشكيل لجنة وطنية تنفيذية مهمتها أن تساعد في مراس سلطاته ، من جهة ،

وجمعية استشارية غايتها أن تعكس الرأي العام الفرنسي من التعبير عن نفسه بأوسع ما يمكن ، من جهة ثانية .

٦) نحن على استعداد لتقديم جميع التسهيلات التي نقدر عليها ، إلى الولايات المتحدة الأميركية لتتركز فيها ، غلبة أو سراً ، وجميع الوسائل العسكرية ، بحرية أو حوتية بما يندرج ضرورياً للإسهام مباشرة أو غير مباشرة في دحر عصابة فرنسا ، وذلك فيما يتعلق بالأراضي الخاصة حالياً لسلطاننا أو لسيطرتنا ، أو تلك التي يمكن أن تخضع لها في المستقبل .

برقية آل رنيه بلون في واشنطن

لندن ، ٢٣ أيلول ١٩٤١

تلقيت برفيتكم المؤرخة في ٢٠ أيلول . إنها حدّ رعية ، ومتوافقة كل التوافق مع ما أراه . وفيما يتعلق برئيس مفوضيتنا ، أختار نيكسيه ، فهو معروف أنه رجل أمين وصلب . ولتطابقات الفرنسية ، هذا ذلك ، موقف ممتاز في فرنسا ، سواء بتقابات الاتحاد العام للعمل C. G. T. والمسيحيين . والفضية الاجتماعية أحياناً ، هي قضية المد الكبرى .

أمر بإنشاء اللجنة الوطنية الفرنسية

باسم الشعب والامبراطورية الفرنسيين ،

نحن الجنرال ديمول

رئيس الفرنسيين الأحرار .

بناء على أمرينا الصادرين في ٢٧ تشرين الأول و ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٠ ، وعلى قرارنا التنظيمي بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٠ . ونظراً إلى أن الوضع الناشئ عن حالة الحرب لا يزال يحول دون

كل اجتماع ، وكل تمثيل حر وطني .

ونظراً إلى أن دستور الجمهورية الفرنسية وقوانينها 'حرقت' ، ولا تزال محروقة على أراضي الوطن الأم والامبراطورية جميعها ، ندس العدو كما باغتصاب السلطات التي تتعاون معه .

ونظراً إلى أن كثيراً من الأدلة تثبت أن اكثريّة الأمة الفرنسية ، وهي أبعد ما تكون عن قبول عهد 'فورجن' بالعنف والخبائث ، ترى في سلطة فرنسا الحرة التعبير عن آمانيها وإراداتها .

ونظراً إلى أن المهم أن تكون سلطات فرنسا الحرة قادرة ، بالفعل وبصورة مؤقتة ، على مراسر صلاحياتها للعادية للسلطات العامة ، بسبب من الأهمية المترابدة لأراضي الامبراطورية الفرنسية ولأراضي الواقعة تحت الانتداب الفرنسي ، وكذلك أهمية القوات المسلحة الفرنسية التي أصبحت إلينا متتابعة الحرب إلى جانب الحلفاء ، صدّ غزاة الوطن .

بأمر .

المادة الأولى : يتأمن 'المراس' المؤقت للسلطات العامة ، وفق الشروط المثبتة في هذا الأمر ، بسبب من ظروف الحرب ، وإلى أن يصح ممكناً إيجاد تمثيل للشعب الفرنسي ، قادر على التعبير عن الإرادة القومية ، على نحو مستقل عن العدو .

المادة الثانية : أُنشئت لجنة وطنية مشكّلة من مفوضين يمثلون عرسوم الحزب الديفول ، ورئيس الفرنسيين الأحرار ، هو رئيس اللجنة الوطنية .

المادة الثالثة : يخضع مراسر السلطات العامة ابتداء من الاجتماع الأول الذي تمّده اللجنة الوطنية ، للقواعد الآتية .

التدابير التشريعية تصدر بأوامر مدروسة في اللجنة الوطنية مرفوعة من رئيس الفرنسيين الأحرار رئيس اللجنة الوطنية وصادرة عنه وعليها .

لوثيق وشهادة طبق الأصل بواحد أو عدة من المفوضين الوطنيين .
تكون هذه الاوامر إجبارية ، وخاصة لمصادقة التمثيل الوطني ، حين
يصح ذلك ممكناً .

والندائير المائدة الى النظام الداخلي في كل دائرة تصدر بها مراسيم
عن رئيس الفرنسيين الاحرار ، رئيس اللجنة الوطنية ، بناء على
اقتراح أو تقرير يقدمه مفوض وطني واحد ، أو عدة مفوضين وعليه
توقيعه أو توقيعهم .

المادة الرابعة . المعاهدات الدولية والاتفاقات الدولية التي تخضع عادة ،
بموجب الدستور لمصادقة المجالس التمثيلية ، تدخل حيز التنفيذ حين
يصادق عليها بأمر اتخذ حسب الشروط المبينة في المادة السابقة .

المادة الخامسة . المفوضون الوطنيون أعضاء اللجنة الوطنية يمارسون
جميع الصلاحيات المرددة أو الجماعية التي تعطى للوزراء الفرنسيين ،
عادة .

تحدد صلاحية كل وحدة ادارية وحدودها ، بمرسوم .

وضع في لندن ، ٢٤ ايلول ١٩٤٩

ش . ديغول

رسالة الى السيد موسكي

سفير اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية

في لندن

لندن ، ٢٦ ايلول ١٩٤٩

سيدني السفير ،

لي الشرف أن أعلمكم اني تلبية لإبلاغكم الذي تودون مساعدكم
اعلامي به ، ان حكومة بلادكم تعترف بي كرئيس لجميع الفرنسيين
الاحرار ، انسى كلوا ، من الذين ينضمون الي للدفاع عن القضية الحليفة ،

وانها مستعدة للاتصال بمجلس الدفاع عن الامبراطورية الفرنسية المنشأة
بأمر ٢٧ تشرين الأول ١٩٤٠ ، من أجل جميع المسائل المتعلقة بالتعاون
مع الأراضي الفرنسية فيها وراء البحار التي تضع نفسها تحت سلطتي .

واسي لأقل بامتنان وعد حكومتكم بتقديم القون والمساعدة للفرنسيين
الاحرار في الكفاح المشترك ضد ألمانيا الختارية وحلفائها . وأنا جدد سعيد
كذلك بأن حكومة الاتحاد السوفياتي رأت من المناسب ان تبين عزمها
الوطي ، على إعادة استقلال فرنسا وعظمتها عزماً تاماً كاملاً ، حين نوفق
مما الى غلبة العدو المشترك .

وإني لأتمهد من جاسبي ، باسم للفرنسيين الأحرار ، على ان أحارب
إلى جانب اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وحلفائه حتى النصر
النهائي على العدو المشترك ، وان أقدم القون والمساعدة للاتحاد السوفياتي
في هذا الكفاح بجميع الوسائل التي هي في متناول يدي .

تفضلوا بإسدي السغير ، بقبول تأكيدات أسمى اعتناري .

ملكرة سلت للجفرال إسهي

لقدما السيد تشنل ، في شان اثاره القوت

الفرنسية في مجرم عمل على ليبيا

لندن ، ٧ تشرين الأول ١٩٤١

١ - ينبغي ان يحمل وضع الحرب العام الحلفاء ، على الشروع ،
بأقرب وقت ممكن ، في بذل جهد عسكري قوي في ليبيا .

والعائدة الكبرى التي تقدمها تصفية رأس الجسر هذا . للصور في
أفريقيا ، قبل أن يصبح العدو قادراً على مهاجمة الشرق الأوسط ،
والضرورة المادية والمعنوية لتخفيف العبء على وجه السرعة ، عن الروس ،
والآفاق السياسية التي تفتح ، فيها يتعلق بإيطاليا ، وخسراتها التمام

لامبراطوريتها ، ووجود الحلفاء على مقربة مباشرة من صقلية ، وإمكانات الضغط والعمل أخيراً ، في أفريقيا الشمالية الفرنسية التي يشتمل عليها الاتصال بتونس والمناطق الصحراوية . كل ذلك لا يسمح طبعاً بمسح بتأجيل هذه العملية الكبرى . وإن ظروف المناخ لتعين ، من جهة أخرى ، على القيام بها ابتداءً من نهاية تشرين الأول .

٢ - والجنرال ديفول يطلب على نحو ملحّ عاجل ، أن تشترك القوات الفرنسية الحرة في الهجوم على ليبيا ، على أوسع مدى ممكن (يلي تفصيل القوات الفرنسية التي تستطيع خوض ميدان ليبيا في البحر والبحر والجو) .

رسالة إلى الجنرال أوكلنك

القائد البريطاني الأعلى

في الشرق الأوسط

لندن ، ٧ تشرين الأول ١٩٤١

عزيزي الجنرال ،

قلت لك ، في الحديث الذي كان لي شرف القيام به قبل سفري من القاهرة ، إلى أي مدى يرغب الفرنسيون الأحرار في المشاركة بهجوم بريطاني على ليبيا ، في حالة هزمكم على شتة .

وانك لتعلم بالتأكيد أن الجنرال كازو نظم في سوريا مجتماً عسكرياً مهماً ، في الحقيقة . فهو مسلّح تسليحاً حسناً ولديه عدة حسنة أيضاً ، ووضعت تحت إمرة الجنرال دي لارمينيا . وانك لتعلم كذلك ، أن لدى الجنرال لوكليز في تشاد الوسائل للشروع في عمل مهمّ على قطاع قرآن . وأنا أؤمن شخصياً بمقدار ما يمكن لإنسان أن يتمكن شيئاً ما ، أن تهاجم القوات الفرنسية جنباً إلى جنب مع القوات البريطانية ، الألمان

والطلد في ليبيا ، لكثير من الأسباب العسكرية والسياسية .
 إذا تم ذلك ، يصبح لارمينا وحشده برمته ، تحت إمرة قيادكم في
 ليبيا ، ويستطيع لوكثير أن يشغركم غارقه على فراخ في الموعد الذي
 تحدون له (مع إشعار سابق بسحو من خمسة عشر يوماً) .
 وستكون ظروف الاشتباك الذي يقوم به حشد لارمينا ، وفقاً على
 تقديركم بطبيعة الحال . ويبدو لي أن من الأفضل أن يخوض الميدان متى
 سويت قضية برقة .
 أتس لكم ولجيوكم ، أنها الجنرال العزيز ، أعظم محدر ممكن .

مذكرة سلت إلى السيد هيوج دالتون

الوزير البريطاني لـ « الاقتصاد الحربي »
 (الدوائر السرية)

لندن ، ٥ تشرين ايل ١٩٤١

لقد تولدت روح المقاومة لدى الشعب الفرنسي خلال الأسابيع
 الأخيرة ، عن طريق أعمال مطومة .
 ويبدو أكيداً ، من جهة أخرى ، أن فرنسا أصبحت رمز المقاومة
 الوطنية في نظر الشعب الفرنسي .
 والجنرال ديفول واللجنة الوطنية الفرنسية يريان أن من اختصاصها
 أن يأخذوا على عاتقها ، بصورة فعالة ، إدارة هذه المقاومة في الأرض
 الفرنسية التي يحتلها العدو أو يسيطر عليها .
 والعمل العسكري المحص (المعلومات ذات الطابع العسكري ، الكائن
 الفردية ، إعداد تنظيم عسكري محلي) يجري الآن يجري حسناً بتوجيه
 من الدوائر المختصة التابعة لفرنسا الحرة بالارتباط مع الدوائر البريطانية
 المختصة . ولكن ثمة الآن مجالاً للشروع في العمل السياسي ، وهو الذي

يتميز ، ويجب ان يتميز عن العمل العسكري ويشتمل على وسائل
ووسائل مختلفة .

والجبال ددفول واللجنة الوطنية الفرنسية برعان في الانتقال الى
العمل السيامي في فرنسا . وتعاون دوائر الوزارة البريطانية لـ « الاقتصاد
الحربي » معها ، ضروري لها .

تشتمل الخطة على :

١ (تنظيم الارتباطات المعقدة ، السريعة والأكيدة ، مع الاراضي
غير المنظمة محطات إرسال واستقبال سرية ؛ وضع موظفين تقنيين
لتسيير هذه المحطات . مرور متواصل للمعلاء أحسن إعدادهم ، في
الانجاسين . نقل سرى لمياه الدعاية ، إلخ ...

٢ (تنظيم شبكة من الاستخبارات السياسية ، بوضع عدد صغير
من المراقبين الأكفاء في النقاط الجوهرية .

٣ (تنظيم شبكة سرية للدعاية .

وان للإرسالات الإذاعية السرية دوراً كبيراً . ينبغي أن يودج
بدائرة توزيع للشراة ، والجرائد ، والأدوات المختلفة ، على أن نعم
هذه الدائرة فرنسا والامبراطورية الفرنسية .

وينبغي تسيير دعايات خاصة ، توجت جنساً الى جنب مع الدعاية
العامة ، نحو بعض الطقات أو الأرساط الخاصة (نقابات ، تنظيمات
عمالية ، موظفون ، أحزاب سياسية ، اكليروس ، إلخ ...)

٤ (تجنيد بعض الشخصيات البارزة محلياً .

إن مثل هذه الخطة تشتمل ، إذ تتجاوز بساحتها جميع تلك التي
ووجهت حتى الآن ، على وسائل مهمة ، لا سيما في موضوع
الارتباطات ، ومحطات البث السرية ، وتجنيد المعلاء وتكوينهم ، ونقل

للعناد الخاص . ولكن يبدو الآن أن الثمرة صالحة ، وأن النتائج
الممكنة تستحق بذل مجهود عظيم .

برقية إلى الجنرال كاترو

في بيروت

لندن ، ٣١ تشرين الأول ١٩١٦

كان لي حديث ، هذا الأسبوع مع السيد إيدن حول سياستنا في
دولتي المشرق . وقد أبد السيد إيدن ما بسطه شعباً في مذكرات مختلفة
ملتصني إياها .

يستخلص منها ، في أول منزلة ، أن الحكومة البريطانية تعترف
أن انتداب فرنسا لا يُنقِص ، وأن فرنسا الحرة هي التي تقاربه ، وأنه
لا يمكن أن يتغير أمر بلقي بلا معارضة ومعبّر اتفاق فرنسا الحرة مع
مجلس عصبة الأمم وحكومة الولايات المتحدة . وقد أحست السيد إيدن
حول هذا الموضوع أن ذلك هو بالضبط موقفنا الخاص ، وأنها بسبب من
الظروف الراهنة لا ترواحه التبرع في مثل تلك المفاوضات مع عصبة
الأمم ، ولا مع الولايات المتحدة ، قبل نهاية الحرب . وأصفت أننا لا
نصوّر ، بحال من الأحوال ، نهاية الانتداب من غير معاهدات في شكل
مرحلي وصالح ، تعقد بين فرنسا الحرة وحكومتها سوريا ولبنان .

وأبلى السيد إيدن نص الرسالة التي أعدت لإرسالها ملك إنكلترا
إلى الشيخ تاج الدين ، وقلت إني لا أعترض عليها . وقلقي سيبرز
مهمة نقلها .

وسألني السيد إيدن عما إذا كانت لدينا التنية لحل الحكومات الخليفة
على القيام بخطوة مماثلة ، فأجبت أنه سبب المسألة .

وسألني السيد إيدن عما إذا كنا نرى توجيه مذكرتي لمجلس عصبة

الأمم وحكومة الولايات المتحدة أولاً ، نطلبها فيها على أن تترك الحرية
أخذت الانتداب على عاتقها ، وأما من ثمة قررنا أن نشغل في
المشرق بعض الترتيبات العملية المطلقة لاستقلال الدولتين وسيادتهما .
وأحتسب أننا سيقوم بذلك مؤكداً ، حين تنتهي المألة في لبنان ، بعد
أن تكون قد انتهت في سوريا ، وأما منصرف لعصبة الأمم كما للولايات
المتحدة ، أن المراد من ذلك تدابير ظرفية لا تمس حقوق الدولة المنتدبة
ولا واحسانها .

يبدو ، بوجه عام ، أن موقف الحكومة البريطانية المرضي أكثر
من ذي قبل ، يعود إما الى المحادثات التي أجرتها مع ، حكومة
واسطن ، وإما الى رغبتها الراحة في عداواتنا ، ومراعاة الحالة العامة
في المشرق التي تشهد تعلق الأهالي بفريسا .

خاتمة الخطاب الذي ألقاه في جامعة أكسفورد

في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٩

يحدث الفالون موقفاً في القارة الأوروبية ، أن ينوا ما يدعونه
نظاماً حديداً . ومن هنا ، كان محور الحرب الراحة حياة الحضارة
الغربية أو موتها . وواقع الحال ، أن هذه الحركة الراحة تزداد رهبة
بقدر ما هي ناشئة أبداً ، عن التطور العام .

يجب أن نوافق ، في الواقع ، على أن تحول أوضاع الحياة من
طريق الآلة في العصر الحديث ، وتكاثف الجماهير المترايد ، وثرمة
الجماعات الهائلة الى التهازل وهدن تبجيتان لذلك التحول ، كلها مجتمعة
فتحت ثغرة في حريات كل فرد ، وما دام البشر يجدون أنفسهم
خاضعين في سبيل عملهم ، ومدتهم ، وأفكارهم ، ومنافعهم ، لضرب
من تجمع دائم ، وما دامت مساكنهم ، وملابسهم ، وعداؤهم تسير

تدريجاً نحو غايج واحدة ؛ وما دام الجميع يقرأون في الوقت نفسه الشيء نفسه في الصحف نفسها ، ويشاهدون الأفلام نفسها تمر تحت أعينهم من طرف الدام الى طرف الآخر ، ويسمعون الأبناء نفسها معاً ، والأفكار نفسها ، والموسيقى نفسها من الاذاعات ؛ وما دامت وسائل النقل نفسها تنقل الناس الى المعامل نفسها أو المكاتب ، الى المطاعم نفسها أو أماكن الأكل ، الى الملاعب الرياضية نفسها أو مسارح اللهو ، الى النباتات نفسها أو الأندي أو الحدائق ، ليعملوا ، ويأكلوا ، ويلبوا أو يساريحوا ، وهم رجال ونساء تشابهوا في دراساتهم ، ومعلوماتهم وانهاكهم ، واشتغالهم ، ولباسهم ، وشخصية كل واحد منهم . مما دم ذلك كله قائماً فان موقف التعصب ، والاختيار الحر لا يجدان بعد مكاناً . لقد تحقق ضرب من التآليل^(١) العام ، لا يفلت الفرد فيه من الانسحاق ، إلا أن يذل جهداً كبيراً لاستنفاد نفسه منه .

ويزداد هذا الجهد وبمظم مقدار ما تناسى الجماهير الانسحاق في هذا التوحّد ، والإقبال عليه وهي أبعد ما تكون في الوقت نفسه ، عكس الفرد ، عن النور منه . وقد عاش أبناء جيلي زماً طويلاً لدرجة لم يشهدوا معها انتشار الإلزام وحسب ، بل الارتياح أيضاً الى الوجود المتراكم .

ان ارتداء البرية نفسها ، والتسير على الاقدام ، والعناء في جولة ، والسلام بطريقة واحدة ، والتأثر الجماعي للشهد الذي تملكه الجماعة لنفسها ويكون المرء حزماً منها ، كل ذلك ينزع نحو التحول الى حاجة لدى معاصرينا . وواقع الحال ان الدكتاتوريين سموا بمؤدّمين وشعائهم وراء النجاح في هذه الترعّات الجديدة ووحده . ومن المؤكّد انهم نجحوا ، أول ما نجحوا ، بين شعوب قست حماة التنظيم الذي

(١) التآليل . من الآلة . وهي ترجمة متعددة لكلمة *Accumulation* (تدرج)

تعبش به قرى الأرضة ، أملا منها في بسط سيطرتها على الآخرين .
ولكن لا يجوز أن نموه على أنفسنا أن التطور نفسه يقدم النظام الذي
يقال له « جديد » تسيلات خارقة ، كما يقدم لأبطاله إغراءات مرممة .

وانتصار جيوش الأمم الديمقراطية ، وأساطيلها وأسرانها ، بالفسا
ما بلغ يوماً ما من الكمال ، وبالعا ما بلغت سياستها بعد النصر ، من
البراعة وبعد النظر ، نجباء هؤلاء الذين توفيق هذه المرة أيضاً إلى
« تحريم » كل ذلك لن يمنع أن يبيمت الخطر أشدّ هولاً مما لم يكن
قط من قبل ، إذ لا شيء يضمن السلام ، ولا شيء ينقذ نظام العالم ،
إذا لم يتوصل حزب التحرير في خضمّ التطور الذي يفرضه التقدم
الآلي الحديث ، إلى بناء نظام تتمجّد به الحرية ، والسلامة ، والكرامة
وبضمنها لكل فرد ، إلى درجة تبدو له معها تلك المعالي الثلاثة محل
إعزازه وتشوقه أكثر من أي نفع يقدمه له تواربه . وما من امرئ
يرى وسيلة أخرى يتحقق بها في النهاية نصر الروح على المادة . وذلك
لأن هذا هو المراد ، في خاتمة المطاف .

ولكن كيف لنا أن ندرك مثل هذا الجهد من تجديد روحي ،
إجتماعي ، أخلاقي بمقدار ما هو سياسي ، في انقسام شعبنا ؟ إن
فرنسا وإنكفرتا كانتا منذ قرون ولا تزالان « مهدي » أخيرة للناس وبطلتيا .
الحرية في خطر الهلاك إذا لم يتماخذ هذان المهدان ، وهاتان البطلتان
لم تتعدا . إن جميع موارد الذكاء والإرادة التي انجست منفعة من
بلدي وبلدكم ، منذ زمن طويل ، تمزيراً للقضية الواحدة نفسها ، قضية
الحضارة ، ألا ينبغي أن نضمها معاً ما دام أعداء مثلنا الأعلى متحدين
في سبيل قلبه رأساً على عقب ؟ وواقع الحال أن هذا التحالف الحار
الصادق بين عقول جميع أولئك الذين يرحفون عندنا وعندكم نحو النور
ذاته ، وإراداتهم ، لا يمكن بعد اليوم تصوّره ، من غير اتفاق الأمتين .

عليّ أن اعتذر عن الوقوف بكم طويلاً عند مثل هذه الاعتبارات .
ولكن شبان النخبة الذين يودّون الاستماع إليّ يعرفون أن الأفكار تقود
العالم . ولذلك اعتقدت أن من المفيد أن أبين لكم هذه الأفكار ، لتأملوا
فيها . وإذا أنتم فحسبتموها ، ربما ترون حبي ما أراه ، ألا وهو أن
من الخير أن نأخذ بعين الاعتبار المعطيات المبدئية الكبرى للحوادث
الرهيبة واليومية الجارية في هذه الحرب - أكبر حروب التاريخ -
لنحيط بمجموعها ونستخلص الدروس منها ، وإلاّ خسرتها حتى بعد
عشرين معركة نكسها . وقد وصف الشاعر في مشهد قبلي ، الريفي
الذي يصعد المتحدر الوعر :

« - لم تلتق الرابية يا غنى السهل ؟ »

« - ذلك لأستطيع أن أرى السهل جيداً . فإنا لم ألهم السهل إلا
برؤيته من أعالي النرى » .

رسالة إلى الجنرال إسبان

رئيس أدولف هيمان الحرب ، وديوان قييد نيرشل

لندن ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩١١

عزيزي الجنرال ،

تلقيت أمس رسالتك المؤرخة في ٢٧ تشرين الثاني حوادة عن كتي
إليك في ٧ تشرين الأول . وقد تفضلت بالإشارة إليّ أن اقتراحني إشراك
قوات الشرق الفرنسية في عمليات ليبيا لم يلق قبولاً من حكومة جلالتك ،
باعتناء ما يتعلق بسرب طائرات النصف .

لا يمكنني بهذه الشروط إلا أن أسحب مجموع المقترحات التي
وصفتُ صيغتها حول إسهام قوات الشرق وأفريقيا الفرنسية في عمليات
القوات البريطانية ، سواء في ليبيا حالياً ، أو في أفريقيا العربية احتمالاً .

فإن أمر هذه العمليات التي كان لي شرف عرضها في المذكرة المرفقة
مكتابي في ٧ تشرين الأول ، إنما تشكل فعلاً ، فيما يتعلق بالفرنسيين ،
كلاً لا يتجزأ سواء من وجهة النظر السياسية والمعنوية .

وإنني لأحتفظ ، مع ذلك ، بشروعي في عملية تقوم بها عناصر من
لشاد ضد « مرزوق » ، كما احتفظ بالمبادرة لنفسي في البدء بذلك العملية
عند المنفى .

بقي لي أن أعتني باسم القوات الفرنسية ، أفضل التوفيق للقوات
الحليفة البريطانية في المحوم الذي شته على الأعداء المشتركين في أفريقيا
الشمالية .
لكم بصدق .

برقية إلى الجنرال كاترو

في بيروت

لندن ، ٩ كانون الأول ١٩٤١

كتب إلي السيد تشرشل يسألني إشراك وحدة فرنسية كبيرة في
ليبيا . وأجبت أنني سأصدر بمله اختيارياً ، الأوامر الضرورية .
أما أعلم أنك على صلة بأوكتاف حول هذا الموضوع .

علينا إما أن نشترك وحدة كبرى أحسن حشدها ، وإما أن لا
نشترك أبداً . وعليك من جهة أخرى ، أن يكون لديك مسبقاً
خطوط المهمة العامة لهذه الوحدة الكبرى . أرجو أن تعلمني ، متى
أمكنك ذلك ، عن تلك المهمة العامة ، وعن تأليف العناصر المهمة أيضاً .

وأخيراً ، يمكن أن نسال الموافقة على أن يُستخدم سرب طائرات
النصف في مهام لها علاقة بمهمة قواتنا ، وذلك هو الأفضل .

رسالة الى السيد ونستون تشرشل

لندن ، ١٠ كانون الأول ١٩٤١

عزيزي الوزير الأول ،

إن سكان الجزيرتين الفرنسيتين : سانت بيير وميكلون قرب الأرض - الجديدة (تير - نوف) ، كما تعلمون ، جسد متحاربين لفرنسا الحرة .

والأميرال موزيليه في طريقه الآن من الأرض الجديدة صوب هاليفاكس مع ثلاث سفن حربية فرنسية . « ميورا » و « آليس » و « آكوني » ، وهو يقصد فوراً إلى صم - سان - بيير وميكلون ، وتلك حملة يبدو أنها لا تقطوي على مصاعب ، وأنا أوافق موافقة تامة على هذا المشروع . وإني لأكون لكم متسا إذا تعلموني في أقرب وقت ممكن ، ما إذا كان لحكومة جلالتكم اعتراض على هذه الفكرة الطيبة . لكم بصدق .

برقية الى الأميرال موزيليه

في هاليفاكس

لندن ، ١٢ كانون الأول ١٩٤١

طلعت إلى البريطانيين موافقتهم على ضم الجزيرتين . ولكني لا أركن إلى جواب إيجابي ، وهم يمتنعون أن الولايات المتحدة وكندا علاقة رئيسية في هذا الشأن . ثم إن المهمة جد قصيرة لا تسمح بتلقي جواب عن طريق المفاوضات . وإني لأرسل إليك ، كما قلت لك قبل سفرك ، أمر النتيجة على أن تناولها بوسائلك الخاصة . وعلى كل حال ، أنا أحث كل مبادرة ترى اتخاذها ممكناً في هذا الشأن .

برقية الى الاميرال موزيليه

في ماليناكس

لندن . ١٧ كانون الاول ١٩٤٩

أظهرت مفاوضاتنا هنا أننا لا نستطيع أن نشرح بشيء في سان - بيير وميكلون إذا رغبنا منتظر الإذن من جميع أولئك الذين يحسبون أنهم أصحاب علاقة . وكان ذلك متوقفا . والخل الوحيد انما هو عمل بمبادرتنا الخاصة . اكرر عليك أسي احبك كثيرا في هذا الشأن .

برقية الى الاميرال موزيليه

في ماليناكس

لندن . ١٨ كانون الاول ١٩٤٩

استشرنا ، كما طلست ، حكومتى بريطانيا وأميركا . وإنا لنعلم ، من مصدر موثوق ، أن الكنديين يتوون هم بأنفسهم تدمير محطة إذاعة سان - بيير . وإني لأرغبك ، في هذه الاحوال ، أن تعتمد الى ضمّ سان - بيير وميكلون بوسائلك الخاصة دون أن تقول شيئا للاجانب . وبني لأخجل على عذقي هذه المعطية بدمتها ، وقد أصبحت مما لا يستغنى عنها لحفظ الممتلكات الفرنسية لفرنسا .

برقية الى الجنرال لوكليير

في فوود-لامبي

لندن . ٢٠ كانون الاول ١٩٤٩

تقوم بتركيز موقعك من أجل عملية «فران» بمبادرتك ، والإتفاق مع أوركسلك .

تطلعتني ساعة فأخذ القرار بالتركيز .

عند ذاك ، سأصدر إليك الأمر للعام بتسوية العملية التي تطلبها ساعة
تشاء ، واضعاً في حسابك اقتراحات القيادة البريطانية ، عليك أن تفهم
ما أريد أن أقول .

لي ثقة بك ومعاونتك ، وأنا احبك كثيراً .

رسالة الى السيد إيدن
في لندن

لندن ، ١٢ كانون الاول ١٩٤١

عزيزي السيد إيدن .

إن اللجنة الوطنية للفرنسية تسمى ، كما تعلم ، في تشكيل منظمة
ترمي إلى جمع أكبر عدد ممكن من الفرنسيين ، في فرنسا وأفريقيا
الشمالية ، لمقاومة العدو وأعوانه وتصدو الظروف مؤاتية للجنة الوطنية
بسبب من الانسواء للملحق أو السري الذي نالته الآن من أغلبية المواطنين
الفرنسيين ، وهي أغلبية جد كبيرة .

وكنيت قد طلبت أن تتفضل حكومة نجلاته بتقديم مؤازرتها لعمل
اللجنة الوطنية هذا ، بأن تصع تحت تصرفها ، على نحو واسع ،
الوسائل المادية اللازمة . وكنت بإصاحب السعادة ، قد تفصلت بتلبية
طلبي مبدئياً ، في رسالتك المؤرخة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤١ .
ويبدو لسوء الحظ ، أن التعاون الذي قلشده اللجنة الوطنية بين
الدوائر الفرنسية والدوائر البريطانية ذات العلاقة ، لم يكن ممكن
التحقيق . أرحو معاذتك أن تطلع على عرض لثلاث مقترحات حدثت
مؤخراً ، في ملحق هذه الرسالة .

ثم إن اللجنة الوطنية أحيطت علماً ، من جهة أخرى ، أن الدوائر
السرية البريطانية أرسلت ، وترسل عدداً من المواطنين الفرنسيين إلى فرنسا .

إما لجمع معلومات ذات طابع عسكري ، وإما للقيام باتصالات ذات طابع سياسي ، وحتى دون استشارة اللجنة الوطنية ، ودون أن يكون ثبوت العلاقة من الفرنسيين قد تلفوا إداً منها .

وإن سير العمل في الدوائر السرية الفرنسية يتطلب سواءً للاستخبارات والأعمال العسكرية للصرف كما لتنظيم المقاومة في فرنسا ، عدداً كبيراً ، نسبياً ، من الأشخاص ، وبطوي على أخطار كبرى ، كما يكبد أولئك الذين يشاركون فيه ، خسائر فادحة . واللجنة الوطنية الفرنسية لا تستطيع أن تكرر له ذلك العدد ولا أن تفرس عليه تلك الأخطار والخسائر ، إذا لم تكن النتيجة تطابق الأهداف التي يرمى إليها .

وإني لأجد نفسي ، بالتالي ، مرغماً على أن اطلب إلى سعادتك أن تتصل بإعلامي ما إذا كانت حكومة حلالته ترى إمكان تغيير النظام الراهن للتعاون من هذه الوجهة للظرفيات المتعلقة بالوسائل المادية الضرورية من جهة ، والأعمال التي تقوم بها الدوائر السرية البريطانية في فرنسا ، مستقلة بها عن الأعمال التي تقوم بها اللجنة الوطنية . لكم بصدق .

ملحق

١ - قسديم السيد مرسيه^(١) ، وهو شخصية بارزة ، من فرنسا عن طريق لشبونة ، منذ أكثر من ثلاثة أشهر ، ليطلب إلى الجنرال ديفول توجيهات من قبل المنظمات القائمة والناشطة على الأرض الفرنسية ، وكان عليه أن يعود بسرعة ملحة إلى فرنسا مع هذه التوجيهات ، ولم يتمكن بعد من مفادرة إنكلترا . وقد انتهى أمره بالكشف سره ، وأصبح تنفيذ مهمته بعد اليوم ، نتيجة ذلك ، بالغ الصعوبة .

(١) المقصود جان مولان

٢ - لا يستطيع المقدم صرفه ان يجد الوسيلة الى الالتحاق بمركز عمله لأداء مهمته ، وهو الذي كلفه الجنرال ديمول ان يذهب الى جبل طارق ومالطة ليقوم باتصالات مهمة وعاجلة مع منظمات قائمة في أفريقيا الشمالية .

٣ - كان الجنرال ديمول قد توجه برحله إلى الدوائر البريطانية ان تقول للسيد موني ان يقدم الى بيروت ليأخذ منها تعليماته . وموحيه هذا رئيس منظمة فرنسية حرة في تونس ، وكان قد قدم الى مالطة . وعلى الرغم من ذلك ، فإن الدوائر البريطانية دعت السيد موني الى العودة الى تونس ، وقتل أثناء السفر في حادث جوي .

أمر مهمة صادر الى جان مولان

لندن ، ٢٤ كانون الاول ١٩٤١

أعيت السيد جان مولان المهفظ ، كممثل لي ومندوب اللجنة الوطنية في المنطقة غير المحتلة مباشرة من الوطن الأم .

ومهمة السيد مولان ان يحقق وحدة العمل في تلك المنطقة بين جميع العناصر التي تقاوم العدو وأعوانه .

بطلمني السيد مولان مباشرة على تنفيذ مهمته

برقية الى الأميرال موزيليه

في سانت بيير

لندن ، ٢٥ كانون الاول ١٩٤١

تفضل وقل لأهلي جيريتي سان - بيير وميكلون ، العريتين جداً والأمينتين جداً لفرنسا ، عن الابتهاج كله الذي تشمر به الأمة إذ تراها متحررتين . فإن سان بيير وميكلون تشأتان مما ومع حله ثمالبواس ، شرف القتال في سبيل تحرير الوطن ، وحرية العالم .

وإني لأوجه اليك شخصياً باسمي واسم اللجنة الوطنية تهانتي الحارة
على الأسلوب الذي حققت به هذا الضم من الظلم والكرامة .
لتعبي فرنسا !

برقية إلى مفوضية فرنسا الحرة في واشنطن

لندن ، ٢٦ كانون الأول ١٩٤١

عليكم ان تتخذوا الموقف الآتي ، في شأن سان - بيير وميكلون :

١ - علمت اللجنة الوطنية الفرنسية ، على نحو أكيد ، ان أهالي
سان - بيير وميكلون يرغبون في الانضمام إلى فرنسا الحرة ، لاستئناف
القتال من أجل تحرير الوطن الأم وطهر القضية الخليعة

٢ - إن هذا الواقع ، وهو ان الأميرال موريليه سيطر على الحريتين ،
ليس يهدوء وحسب ، بل وسط هذاات الابتهاج ، يدل جيداً على انه
لم يقم بشيء سوى تحقيق ما يتفق وأمانس الأمازي الذين سعدوا بالخلاص
من المموديات المشيبة التي أحضمتها لهم الهدنة . وهناك دليل دمج هو
نتيجة الاستفتاء الذي أعطى في سان - بيير ٩٨٪ إلى جانب فرنسا
الحرة ، وفي سان - بيير تحممت غالبية الأهالي الأعظم تقريباً (٤٢٠٠
نسمة من أصل ٤٥٠٠) .

٣ - لقد ثبت ان محطة إذاعة سان - بيير في عهد فيشي ، كانت
تعطي معلومات عن حالة الطقس بعيد العدو . وعدا ذلك ، فإن الحريتين
يمكن ان تقيما كفاعدين للعواصم الألمانية . وقد زالت هذه الاخطار
بعد اليوم . وستوضع سان - بيير في خدمة الملاحة الخليعة .

٤ - سان - بيير وميكلون جريرتان فرنسيتان ، ولا يقطعهما منذ عدة
قرون سوى فرنسين . وامتلاكهما قضية بين فرنسين ، ومن العسير

تصور جانب ثالث يستطيع ان يرفض لفرنسيين الحق في فكّ السلاسل
التي تقيد بها الهدنة ، واستعادة موقعها في الكفاح .

برقية الى السيد ونستون تشرشل في كريك

لندن ، ٢٧ كانون الاول ١٩٤٦

ان لديّ جميع اسباب الحسنة أن يكون موقف نظارة الخارجية
الراهن في واشنطن ، تجاه الفرنسيين الأحرار وفيشي ، على التوالي ،
مضراً كثر الضرر بروح الكفاح في فرنسا وغيرها من البلدان .

ولامي لأخشى الانطباع السيء الذي سيحدثه هذا الضرب من التفضيل
الذي تقدمه حكومة الولايات المتحدة علناً للمسؤولين من الاسلام
ومجرمي التعاون ، في الرأي العام ، وفي القوات المسلحة ، وفي الأراضي
الفرنسية الحرة ، كما في فرنسا التي لم تتحرر بعد .

ولا يبدو لي من السداد أن نسلّم المكافأة لرسل الحري والعار ،
في أثناء الحرب .

أقول ذلك لك ، لأنني أعلم أنك تشر به ، وأنتك الوحيد الذي
يقدر على الجهر به كما ينبغي أن يُجهر به .

برقية الى الجنرال كاترو في بيروت

لندن ، ١٢ كانون الثاني ١٩٤٢

أنا أواجه ، في الحالة التي لا يستطيع بها الهجوم الحليف على ليبيا
أن يستمر في أفريقيا الشمالية الفرنسية ، وعلى اعتراض أن لا
ينتقل العدو قريباً إلى الهجوم في الشرق - أواجه إرسال قوة فرنسية
مهمة إلى روسيا الجنوبية ، ابتداء من ١٥ آذار . وستشارك هذه القوة

في العمليات الحليفة المتوقعة خلال الربيع ، في ذلك الميدان . وقد اتفقت اللجنة الوطنية مع حكومة السوفييات التي ترغب أشد الرغبة في كسب مشاركتنا ، على هذا الشأن . إن لأهمية السياسية والعسكرية لعملنا في أوروبا الشرقية بما لا يخفى عليكم ، بكل تأكيد . ثم إن الحكومة البريطانية وافقت مبدئياً في حدود ما يتعلق الأمر بها .

تتضمن هيئة الحملة في روسيا على :

١ (فرقة خفيفة مؤلفة من :

- شردمة استطلاع ،

- ثلاثة أو أربعة أفواج من المشاة يساهون في أفواج أوروبية وفوج أفريقي ،

- شردمة مدفعية ذات بطاريتين ،

- مفرزة هندسة ،

- مفرزة إشارة ،

- مصالح جيش ،

والكل أيضاً مجهز بالآلات ومحركات قدر المستطاع . وهذه الفرقة الخفيفة هي التي توجد حالياً في سوريا ولبنان .

ب (مفرزة من أربعين طياراً في المطاردات الفرنسية ، قدمتها القوات الجوية الملكية حالياً في اسكتلندا .

وعناصر القوات التابعة لإمرتك تتحرك من قبرص ، ابتداء من ١٥ آذار .

برقية إلى الاسمرال موزيليه

في سان - بيير

لندن ، ١٥ كانون الثاني ١٩٤٢

جاءني في أمس حديثان مع إيدن حول جزيرتيبا . كان إيدن يستعيني لقول نص بلاغ وضعته في واشنطن الحكومات الثلاث :

الانكليزية والكندية والأميركية . تصيح الحريرتان بموجب هذا السلاح الصادر عن حاسب واحد محبتيين ، منورعتي السلاح ، وبوكل أمر دارتها الى مجلس استشاري يكون مستقلاً عن فرنسا الحرة وفيشي ، الموظفون الكنديون والأميريكيون يتعاونون على الادارة والاشرف على محطة الاداعة . وأراد إيدن أن يبيّني ، فنحدث عن إمكانية عمل تقوم به الولايات المتحدة في سان - بيير ، ورفضت بطبيعة الحال ، فكرة التجهيد ، ونوع السلاح ، وانهصال الحريرتين ؛ ورفضت كذلك ، لاشرف لأحبي على محطة الاداعة ، ولم أرض إلا مارتباطي في شأن هذه الأخيرة . وقلت لإيدن ان عملاً تقوم به الولايات المتحدة في الحريرتين يؤدي الى نتائج في منتهى الخطورة . وفي هذا الصباح أعمني المورين أوفيس أن الحكومات الثلاث تخلت في وقت الرهن ، عن كل سلاح

أظن أن هذه آخر حلة فشها مظارة الخارجية ، وأنها افرعت حتى لأن اقوى ما في حصنها غير ان هناك ، مع ذلك ، ما يدعوا لأن نظهر حاسب البقاء ، على أن لا يكون في مظهرك طبعاً ، موقف الاستمرار . وأصعب أن الرأي العام الاميريكي والانكليزي المؤاتي لنا في وضعه الرهن ، يحمل لحد حماننا الى القوة أمراً غير محتمل ، إلا عماحاة ، في أبعد احتمال . وكيف كان الوضع ، ولأرمة تقارب من نهايتها ، واعتقد ان النهاية ستكون خيراً . لك مودتي .

كلمة ألقيت من اذاعة لندن

في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٢

ما من فرنسي نارت إلا ويهتف لنصر روسيا .

إن الجيش الألماني ، وقد تدفع بكامله في الهجوم منذ حزيران

الماضي ، على هذه الحسبة الهائلة المترامية الاطراف ، ولديه عتاد ضخيم ، وهو المنقطع الى انقنال والظور ، والذي يتجده أعوان شدتهم السلاسل الى مصير الرأبج طموحاً أو إرهاباً ، يتراجع الآن صهكاً بأسلحة الروس ، بقرضه البرد ، والجوع ، والمرض قرضاً ..

ولها قنداعى قوة الأمان وهبتهم ، يشهد الناس نجم القوة الروسية في ارتفاع . والعالم يلى أن هذا الشعب الذى بلغ تعدادده ١٧٥ مليون نسمة ، خلىق بأن يكون عظيماً لأنه يعرف كيف يقاتل ، أي كيف يتعذب ويصرب ...

وإن الشعب الفرنسى ليعبى بحسنة ظفر الشعب الروسى وتضاعده . وذلك لأن النحرور والنار يصمغان بهذه الصرمة من أعذب آمل فرنسا . فإن موت كل جندي ألماسى قنيل أو عجمد في روسيا ، ودمسار كل مدفع ، وكل طائرة ، وكل دابة ألمانية في أرجاء لينينغراد ، وموسكو ، أو سياسترول ، هاتيك الأرحاء العبيدة ، يقدم لفرنسا فرصة أخرى تضاف الى غيرها ، لتنهض وتعلمب ...

ولكن ، إذا لم يحدث بعد شيء ، من الناحية الاستراتيجية أوفى ثراً من الإحراق الذى أصاب هنز على يد سالبس في جبهة الشرق الأوروبية ، وظهر روسيا الأكيد ، من الناحية السياسية ، في الصف الاول من صفوف الغالبين غداً ، فإن ما من دولة تلك من دواعي التهنئة لنفسها ، ما لدى فرنسا . لقد كان التحالف الفرنسى - الروسى مبنى أغلب الاحيان ، ومنذ قرون ، لسوء حظ عام ، بما يمتصه أو يمرقه من دسيسة أو سوء فهم . بيد أنه يظن ضرورة يلوح ظهوره في كل معطف من منعطات التاريخ .

إلى فرنسا التى تتألم تشف الى جانب روسيا التى تتألم ، وفرنسا التى تقاتل تسامد روسيا التى تعادل . وفرنسا التى أغرقت في لجة اليأس

تعاود روسيا التي عرفت كيف تطلع من ظلمات الهاوية الى شمس العظمة.

برقية الى المفوض السامي دارجنيلو في قومية

لندن . ٢٧ كانون الثاني ١٩١٢

الأكيد ان تطور هجوم العدو يرهق بثقله الممتلكات الفرنسية القديمة تحت سلطتك ويهددها بخطر كبير ، وربما ، وشيك الوقوع . وانا اعرف ان رسائلك ضعيفة وأتيتن ان الحق حولك مرعب لا سبيل فيه الى الصمود . وانا اعمل كل ما يوسعي لأنجذك . وقد اصبحت «سركوف» كما تعلم ، في طريقها لتلتحق بك ، وكذلك هو شأن عدد من ضباط البر . وانا ارسل اليك من دوالا ، صابطا رفيعا جدا بار ومكين : العقيد لانوس القادم من المغرب .

علينا ان نتوقع ، بحسب ما لدي من معلومات ، تحسنا قريبا في وضع الباسيفيك العام ، على قساعدة أستراليا ، بسبب من التجمعات الجوية والبحرية التي أرسلها الحلفاء .

أما من حيث الوضع الداخلي ، فإن سلطاتك عمليا ذات طابع سري . وإعلان حالة الطوارئ إنما يتوقف عليك وحدك ، وبها تستطيع مراس سلطاتك على نحو أسرع . وإني لأعلم ، أية كانت اجل ، أنك لتحسن الدفاع عن نفسك . ويمكن القول : إن شرف العلم الفرنسي وعلم النصرانية هناك ، هما بين يديك . أعانقك .

بلي أمرني للقوات التابعة لإمرتك ، والأهالي الخاضعين لسلطتك :

جزر الهيبريد الجديدة ، وكاليدونيا الجديدة ، ومنشآت أوقيانيا الفرنسية ، هي الآن مخافر الحرب الأمامية . ومهمكم جميعا ان تدافعوا عنها ، وانكم تحصنون أداها ببسالة ، وبراعة ، وانتظام ، تحت إمرة

رئيس محنتك ، ألا وهو الأميرال دارجيليو وحلفاءه الدواخل الذين
بتقووت بسرعة يمينتوكم عليها أن لغربا والامبراطورية من
الثقة بكم .

والجبرال ديفول ،

رسالة الى السيد ونستون تشرشل

لندن ، ١١ شباط ١٩٤٢

عزيزي الوزير الاول ،

لقد أصبح للمستعمرة الفرنسية مدغشقر ، وللقاعدة دييغو - سواريز
خاصة ، أهمية استراتيجية عظيمة في الوضع المصام الباقى عن دخول
اليابان الحرب ، وذلك بما يتعلق بالاقليم الهندي .

وراقع الحال ، أن قسما حذا كبيرا من اهالي مدغشقر ، ظل أميناً
لفرنسا ، وهو في الوقت نفسه ، وبمجرد واقعه هذا ، يرغب في خدمة
قضية الحلفاء . بيد ان أعمال القمع هناك التي تقوم بها سلطات فيشي
الخاضعة لسيطرة العدو ، شأنها مع اجراء أخرى من الامبراطورية ، تحول
دون الاهالي وأمانهم .

واللجنة الوطنية الفرنسية ، مصممة على لمضي في صم مدغشقر
شكريس حرر من قواتها الخاصة ، لهذا الغرض ، كي تأخذ على عاتقها
الدفاع عن هذه المستعمرة الفرنسية ضد الأعداء المشتركين ، وتعمل مواردها
تسام في مجهود الحلفاء الحربي .

ويحتمل ان تشمل هذه العملية على حرية بحرية ومساعدة حوية من
قوات الامبراطورية البريطانية . وللعنة الوطنية الفرنسية الشرف بأن
تفترج على حكومة حالته ، وضع خطة مشتركة تنفذ في أقرب
وقت ممكن .

تفضل ، يا عزيزي الوزير الأول ، بقبول أخلص عواطفني وأسماعها .
(يلي تفصيل خطة العملية المقترحة)

برقية إلى المفوض السامي دارجنليو في روميا

لندن . ٢٥ شباط ١٩١٢

أنهت إلي واشنطن ان الجنرال باتش ، قائد القوات البرية الأميركية في الباسيفيك ، تلقى الأمر بالذهاب لمقابلتك . والتعليمات التي صدرت إليه ، ان يتفق معك مباشرة وبأقصى روح ودية ، لتنظيم القيادة .
وتلقى قنصل الولايات المتحدة في روميا ، من جهة أخرى ، أمراً بأن يصرح علانية ان حكومته لا تعترف بسلطة في جرر الباسيفيك الفرنسية ، سوى سلطة اللجنة الوطنية الفرنسية .

ليس لنا ، في هذه الأوضاع المرضية ، أي اعتراض على نزول قوات أميركية في أرضينا . فإذا تحقق هذا النزول ، يصبح ثمة مجال لظهوره بأمرز قوة ممكنة .

وعليك ، مع ذلك ، ان تبدل كل ما في وسعك ، خلال اتصالات التسوية الذي بمقدمه معك الجنرال باتش ، للحصول على هذه النقطة ، وهي أن تقرر قيادة الدفاع المباشر عن مستعمراتنا ، من اختصاصك . وإذا كان لباتش ، في المقابل ، ان يحظى بمنطقة عمل محدودة ، وكان لديه احتياطي ، ولاني لا أرى ما يضر في أن تفيل تبعيةك له بالقصة لمجموع عمل الحلفاء فيما بينهم ، في ذلك الميدان .

رسالة إلى السيد إيدن

لندن ٨ آذار ١٩١٢

عزيزي السيد إيدن ،

يبدو لي من الضروري ، بعد محادثتنا في ٥ و ٦ آذار ، ان أوضح

لك راحة عص القاط التي أود من معادتك ، ان تقدر أهميتها .

لقد وقع حادث داخل فرنسا الحرة ، وذلك أن الأميرال موريليه
العضو الرسمى للبحرية قدّم استقالته من عضوية اللجنة الوطنية وقالت
اللجنة هذه الاستقالة وعينت الأميرال أوبواو مفوضاً للبحرية . وبعد أصبح
الأميرال في حالة استبداع ، تلقى بالنائي ، تلميذاً عسكرياً خاصاً .

ورأت حكومة جلالة البريطانة انها تستطيع التدخل في هذا الشأن ،
وتصلت وأعلنتني أن هذه الحكومة ، وإن كانت لا تريد التدخل في
تأليف اللجنة الوطنية الفرنسية ، تؤيد ان يحتفظ الأميرال موريليه بمركزه
الغالب الاعلى للقوات البحرية الفرنسية الحرة . وأصغت اليك منبتي لي
قريباً التدابير التي عرمت احكومة البريطانية على اتخاذها في حالة رفض
اللجنة الوطنية الفرنسية هذا الشرط .

أشعر انه يجب ، قبل أن يصل الأمر الى هذا الحد ، أن أصرح
الأسباب التي تحمل مثل هذا القول من جانباً امراً مستحيلاً
لا حاجة ، فيها احسب ، إلى الإلحاح في بيان إرادتنا أن نكون
ونظل حلفاء حازمين وأمناء لبريطانيا العظمى . هلقد أعطينا ولا نزل
بعضي ، على صحة ذلك ، اسطح الأداة وحتى أشدها إبلاماً للرجال .

إلا أن ما شرعنا في عمله خدمة لفرنسا ، إلى ينسج حرج كس
عرف (رئيس دولة ، حكومة ، برلمان ، هيئة الدولة ، امكابات
تشريعية) ، واللجنة الوطنية الفرنسية نفسها وقسم من قواتها ودوائرها
مرغمة على الإقامة في أرض أجنبية . إنا نأسف بانفسنا لذلك ، ونأمل
أن تتبدل هذه الأوضاع الشاذة يوماً ما . ولكن يجب أن نأخذ الاشياء
كما هي . ويسمح عن ذلك أن الساء كله يقوم في حوهره ، على ثلاثة
عناصر استثنائية

الاول هو العمل الشخصي والرمزي للجنرال ديغول - وأعندر عن

كتابة ذلك - في الحرب وسلطة اللجنة الوطنية الفرنسية التي انشأها
الثاني هو انضواء الفرنسيين الحر للسخي ، والتعاطف المتقد معنا من
قبل عدد جد كبير من لم ينصروا إلينا .

الثالث الاحتفاظ بما بقي من استقلال وسيادة فرنسيتين بحاسب عليها
الجنرال ديمول واللجنة الوطنية الفرنسية من قبل بلادها .

تلك هي العناصر الثلاثة التي سمحت للمريسين الاحرار أن يعيدوا
لى متابعة الحرب أراضي فرنسية ذات أهمية ، وقوات فرنسية لا بأس
بها ، وأنت يبعثوا في بلادهم ذاتها أملاً ، وحتى شعوراً بالكرامة
تحيب معها الحياة ولتعاون مع العدو .

وجلية الأمر أن المطلب الذي تقدمت به الحكومة البريطانية فيما
يتعلق بالمصعب الذي يُسند الى ضابط فرنسي عمام عن طريق اللجنة
الوطنية الفرنسية اذا هو نفذ ، إنما يكون مأساً مباحثراً بهذه المادىء
الثلاثة دفعة واحدة . وان اللجنة الوطنية للرفض القبول به .

وامه لأکید ، من جهة أخرى ، ان تنظيم فرنسا الحرة وعملها لا
يستطيعان حالياً أن يعموا ، وحتى ان يظلا على قيد الحياة ، لأسباب
عادية وسياسية ، دون مساعدة الحكومة البريطانية . ثم ان الجنرال
ديفول غما اشأ بنيانه كله ، على اساس من الامانة والتعالف مع بريطانيا
العظمى ، مها كلف الامر ، ضمن السعي في بلوغ الهدف ، وهو النصر
المشترك والمريسيون الاحرار يعتبرون ان ما يقومون به الى جانب
البريطانيين وفي سبيل قضية واحدة ، ينصص ان يُعامروا ويُتصرف
مهم كحلفاء وان تأييد البريطانيين لا يجوز ان يكون موضوع إعادات
نظر وقيود متواصلة ، أو لقاء شروط تشافى ومهتر وجودهم نفسه .

وان الجنرال ديفول خاصة ، الذي يتحمل ، في الواقع والقانون ،
تبعة فرنسا الحرة ، تجساء بلاده والدول الأجنبية ، لا يستطيع أن

يستمر في عمله اذا بُورع في المساعدة المادية والمعنوية من قبل الحكومة البريطانية جهة او تفصيلا ، ومن طريق أخرى ، اذا اتخذت هذه الحكومة من الفرنسيين الأحرار ، موقفاً مناقضاً للتدابير التي يتخذها الجنرال ديفول واللجنة الوطنية الفرنسية .

وإذا كان لمثل هذه الفرضية ، مع ذلك ، ان تتحقق ، فإن الجنرال ديفول واللجنة الوطنية الفرنسية يكفان عن الإصرار على أداء مهمة تفدو مستعجلة . وهما يتمسكان ، في الواقع ، بهذه النظرة إلا وهي ان من الجوهرى على نحو مطلق ، ان يظلا أمينين للهدف الذي عيناه لنفسيهما ، فيما يتعلق باستقل فرنسا كما يتعلق بمحاضرها . وهذا الهدف انما هو إسباها فرنسا وإعادة بناء وحدتها الوطنية في الحرب الى جانب الحلفاء ، ولكن دون ان نضحي باستقلال المؤسسات الفرنسية وسيادتها .
لحكم بصدق .

برقية الى غلستون بالوفسكي منوهى فرنسا الحرة في أفريقيا للشرق

لندن ، ١٢ آذار ١٩٤٢

تلقيت جهودك ووافقت عليها لبوغ المهدفين اللذين نعى اليها في منطقة عملك وقشيلك :

(١) إعادة ساحل الصومال الفرنسي الى الحرب ، ضد العدو ، وذلك بوصح حدة نهائي للمعارضة اللاوطنية من جانب سلطات فيشي عن طريق الحصار .

(٢) إعادة حقوق فرنسا وقشيلها في امبراطورية الحبشة ، المتحررة بمأازرة حرايا .

لم نستطع حتى الآن ، بلوغ المهدف الاول الذي يتجاوز بكثير حتى قضية جيبوتي . وسياسة شبه الحماية التي توليها نظارة خارجية واشنطن

حكومة فيشي ، أحد أسباب عجزنا ذلك ، ثم اعتبار حلفائنا البريطانيين في الوقت الراهن أن من المستحيل أن يعزلوا سياستهم عن سياسة واشنطن في أي موضوع خطير .

إن هذا بطوي ، في رأينا ، على عصر شؤم من جميع النواحي ، وليس لدينا بعد إمكانية إزالته . ومع ذلك ، فإن قضية سان - بيير وميكلون كانت بداية عملية في فوق الدامل .

أما إعادة حصار فرنسا في الخبشة ، فانا أعتبر أن مهمتكم فيها قد نجحت إلى أبعد حد تسمع به الظروف . ولم يكن في استطاعتنا أن نضع البريطانيين من التعامل وحدهم مع البجائي ، ولكن كان عليهم أن يقوموا بذلك في أحوال من شأها أن تترك الباب مفتوحاً لفرنسا في المستقبل . وفيما يتعلق بالمعامل من الأمور ، فقد كسبنا أولاً بعض حمودنا ، نثبت وجودنا محلياً ، ثم إمكانية إعادة وطنيينا ومؤسستنا ، إلى نفوذنا . وأخيراً لم يكن وجود قواتنا خالياً من الأهمية .

خاتمة خطاب ألقى في لندن

في ١٧ نيسان ١٩٤٢

امام « لجنة مصلحة الدفاع الوطني العام »

كيف يمكن الاعتقاد أن في مدراسة نهمد القائه في فيشي أئمة هتلر ، ما يمه من أن يتدفع في قعره مع العدو ، حتى يتأخره لآخره " من ذا الذي يستطيع أن يتصور حادثاً أن رغبات هتلر وأمره ، في مثل هذا الموضوع يكرر أن يرزعها شيء سوى مقاومة الأمة الفرنسية التي تكهرها فرنسا المحاربة ؟ واد كفتت فرنسا عدداً عن القتل ، في مثل من مستحيل ، ، فأي سفير يستطيع ولو لدعوة واحدة ، أن يتبع هير من التصرف بها على هواه ؟ اما لا نحسب أبداً أن حزب الحرية يعني يوماً من الأيام أن يحارب ويحسر فرنسا مستملاً مثل هذه الأوهام .

كيف التالي يمكن أن تعزى أدنى قيمة لبعض الاتجاهات التي تشير إلى أن على الديمقراطيات أن تعترف بعربنا في شخص جماعة فيشي ، أكثر من أن تعترف برؤساء فرنسا المحاربة ، بحجة أن هؤلاء لم يتخذوا بوصح كاف موقفاً مؤيداً للحريّة ؟ هناك ، في مثل هذه المزاعم ، إهانة حقيقية للديمقراطيات نفسها . وهذا يعني إبلاء هذه الديمقراطيات ، على نحو مصطنع ، ذنب التدخل فيما يخص سيادة الشعب الفرنسي وحده ، ولكن ذلك يعني أيضاً للتشهير بها أنها ذات غياورة عمياء مضحكة . وذلك لأنّ يسل إلى قوم سبق أن هدموا جميع الحريات الفرنسية ، ويجادلون لأنّ أن يجعلوا عهدهم على مثال الفاشية أو صورتها لمسوخة ، أكثر من أن يحاولوا إبلاء تقصير فرنسيين أبراراً يتأبون على تطبيق قوانين الجمهورية ، وبكافحون حتى الموت وهذا ضمن كفاحهم ، ضد العدو المشترك ، ويعطون على رؤوس الأشرار أن مهمتهم إنما هي تخلص الشعب لملول لاعادة بنائه سيداً ، فإن ذلك يعني في الحقيقة ، إدخال مبدأ المسكين غريبوي على السياسة ، وهو الذي ألقى بنفسه في اليخ خشية من اللول .

وكيف يمكن القول أخيراً أن تستلم الديمقراطيات ، بموقفها من فرنسا المحاربة ، للتقاييد الشائع النافذ ، وتترك نفسها تحت تأثير أسفها أن لا تجد في فرنسا كثيراً من الأسماء التي سبق لها ان اخذت بذلك التفكير ؟ إن في ذلك قبل كل شيء ، حيفاً كبيراً يصيب كثيراً من الرجال المشاهير الذين لا يحبسون في فرنسا وخارج فرنسا ، إلا من أجل انتصارنا . وإن في ذلك ايضاً سبباً للأسر الكامل الذي وضع فيه العدو والحوة ، يلاذي المنكوبة . ثم ان في ذلك على الأخص ، تنكراً خطيراً لواقع يسيطر اليوم على القضية الفرنسية ويدعى « الثورة » . وذلك بأن هذه ثورة ، وهي اعظم الثورات في تاريخ فرنسا ، اذ نخونها نخبتها الحاكمة ، وطبقة ذوي الامتيازات من ابنائها ، ولا تزال

ثورتها هذه في بداية قيامها . وإن عليّ أن أقول في هذا الشأن أن الذين يتصورون في أنحاء العالم ، أن يحددوا في فرنسا ، بعد آخر طلقة مدفع ، فرنسة مائلة لتلك التي يعرفونها من النواحي السياسية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، إنما يقرءون خطأ فاحشاً ، فإن في قرارة آلامها لدقيقة قلبت ، في هذه الفترة نفسها ، فرنسة أخرى جديدة كل الحدة ، وسيكون قادتها رجالاً حذراً . والذين يدهشهم أن لا يحددوا في صفوفنا ساسة استهلكهم الزمن وأكاديميين خافطين ، ورجال أعمال تدربوا على المصارفات ، وسرالات أثقلتهم الرتب ، إنما يذكروننا بأولئك المتخلفين من رجال بلاطات أوروبا الذين كانوا يحتفرون أثناء الثورة الفرنسية الكبرى حين لا يحددون تورغو ، ونيكر ، ولوميني دي بريين في معادهم بين أعضاء لجنة السلامة العامة ماذا يريدون ! إن فرنسا وهي في ثورة ، تفصل دوماً أن تروج الحرب على يد الحزبال هوش أكثر من أن تحسرها مع المارشال دي سوير . وفرنسا الثائرة تفضل دوماً أن تنصت لدانتون ، لتعلن حقوق الإنسان وتقرضها ، على أن يفشاها النحاس وهي تصمي لدندبات الصيغ الحقيقية .

كان كلبيسو ، يارادة ، يقول عن الثورة : « إنها هذه كثة » . ويمكن القول معه عن هذه الحرب اللامظورة . ولا يُسمح لديمقراطيات أن تحال على واجبتها في أسوأ لحظة من لحظات النزاع ، هذا النزاع الذي هو بالضبط نزاع أخلاقي . ولن يسمح لما يسمى الواقعية التي قادت الحرب ، من موبيج إلى مونيه أخرى ، إلى حافة الهاوية نفسها ، إن تستمر في حذاع الحامات وخيانة التصحيات . إنها بقاتل الشر ، وقد سخطوا في ساحة القتال بأجل ما هو رهيب لدينا ، وأعني مصير أوطاسا . وما من أحد يملك الحق ، تجاه الآخرين كما تجاه نفسه ، أن يسيء العمل مع هذه التحليلات الجبابة التي تصع القضية المشتركة بين الجميع ، في

خطر . وإن فرنسا المحاربة لتزعم أنها من هذه الوجهة ، تقدم القدوة الصالحة إلى أبعد مدى قتاله وسائلها . وهي على ثقة تامة أنها ستلاقي الثواب الكافي لدى حلفائها .

برقية إلى الجنرال لوكير

في نور - لامي

لندن ، ٢ نيسان ١٩٤٢

تلقيت برقيتكم المؤرخة في ٢٨ آذار ، وأمنت النظر فيها ، وبها نصيحتكم عن تعيينكم قائداً أعلى لقوات إفريقيا الفرنسية الحرة .

وما دمت قد اطلعت على رأيكم هكذا ، فلاي أصر على الأوامر التي أصدرتها إليكم مع الالتفات إلى المصالح العليا التي أثارها مسؤول ... لا يهولك الارتقاء السريع . فانا لم أقصد بحال ، إلى ادخال السرور على قلبك ، رغم صداقتي لك . وإنما القصد قلبية ضرورات عليا فرضت عليّ أن أفيد من كل فرد أقصى الإفادة ، حسب استعداداته ونحن في ثورة . والكفاءة وحدها هي التي تبرز الوظيفة والنا قاضي الكفاءة .

رسالة إلى السيد أنطوني إيدن

لندن ، ٩ نيسان ١٩٤٢

عزيزي السيد إيدن ،

لقد انتدبنا الوزير الأول في ١٦ كانون الأول ١٩٤١ ، إلى قضية مدغشقر .

وأنيت ، بعد شهرين ، في ١١ شباط ١٩٤٢ ، إلى السيد وستون تشرشل مشروع عملية ، بنسبة استنقاذ هذه المستعمرة الفرنسية من الخطر الياباني ، ووضعها في خدمة الحرب من أجل قضية الحلفاء . وقد أرسلت نسخة من ذلك المشروع إلى مفوضية اتحاد جنوب أفريقيا العليا ، ونسخة إليكم .

وفي ١٩ شباط ١٩٤٢ ، وحيث من جديد رسالة الى الوزير الأول
أبين له فيها أهمية القضية وإلحاحها إزاء تطور الحالة في الشرق الأقصى .
صحيح أنه منذ ذلك الحين ، حصلت الولايات المتحدة من قبتي على
تأكيدات جديدة تتعلق بمغشقر ، ولكنني أشك في أن أحداً ، حتى
في واشنطن ، يقيم أدنى وزن لهذه التأكيدات .

وقد رامي إليّ أن مشاعر قلبي شديد أخذت تساور بعض الأوساط
الأميركية السياسية ، حول الخطط التي يمكن أن يمتدتها اليابانيون ضد
جزيرة لا تحتاج أهميتها الاستراتيجية الى بيان .

أعتقد أن من واجبي ، في هذه الحال ، أن أذكر أننا نملك
تسكاً جوهرياً بمشاركة القوات الفرنسية الحرة في كل عملية يمكن أن
يشرع بها الحلفاء . واللجنة الوطنية ترى ، عبداً ذلك ، أن
تتولى إدارة هذه المستعمرة الفرنسية في منطلق تلك العملية ، على نحو ما
هو الشأن مع الأراضي الفرنسية الأخرى التي تتابع الكفاح الى جانب الحلفاء .
رأني لأكون لكم ممنياً إذ تفضلون بإطلاعي على مشاعر حكومة
جلالته إزاء هذه المسائل المختلفة . لكم بصدق .

ملحظة حول تنظيم فرقة فدائيين فرنسيين

أودعت الاميرال لورد ليريس مونتباتن

رئيس العمليات المختلطة

لندن ، ٢٥ نيسان ١٩٤٢

إن الجنرال ديفول يمتدح أن من الجوهرية اشتراك عناصر فرنسية في
أعمال الفدائيين البريطانيين ، ولا سيما إذا جرت الأعمال فوق أرض فرنسية .
وهي الرغم من أنه لا يستطيع أن يزود هذا الميدان إلا بملاحظات
ضئيلة ، فهو يقدّر أن أعمال حرب فرنسية - بريطانية في أرض فرنسية
وتكون ذات تأثير فعال في نفوس الأهالي .

بيد أنه يصرّ على أن لا تكون مثل تلك المشاركة محض امتصاص بسيط لشرفمة من الجنود الفرنسيين في قبلى من الفدائيين البريطانيين .

إنّ الجنرال ديفول يريد تشكيل فرقة من ٤٠٠ فدائي فرنسي ، وهو يُنزل في الحال إلى الميدان ٦٠ فدائياً طلبهم اللورد لويس مونتباتن ، ويستقدم الإضافي الباقي من الشرق حيث توجد وحدات فرنسية فائقة ، ماضية المعزبة .

ولديه في الشرق ، من جهة أخرى ، سرية من المظليين وقطعة في إنكلترا . فإذا جمع هذه العناصر كلها في إنكلترا ، استطاع أن يحملها تشارك في كل عملية في فرنسا يستخدم بها المظليون .

وعناك أخيراً في بورتسموث وكلوز :

٤ زوارق بمحركات ، ٨ مطاردات غواصات ،

ونوعية هؤلاء مؤملون بصورة خاصة للمشاركة في العمليات المختلطة .

ومن الضروري أن نضيف أن الجنرال ديفول يعتبر شيئاً أولياً أن يكون على علم سابق بكل عملية في فرنسا . وإذا كان العناصر الفرنسية أن تشارك ، فهو الذي يصدر إليها الأمر بذلك .

وإذا كانت القيادة البريطانية مواظفة ، فالجنرال يعطي تعليماته تبعاً لذلك .

برقية إلى المفوض السامي دارجنليو

في نومييا

لندن ، ٩ أيار ١٩٤٢

تفضل ، وسلم الجنرال باتش ، الرسالة الشخصية الآتية ، من قبلي :

« يحني في الوقت الذي يقترب القتال به من كاليديونيا الجديدة ،
 أن أقول لكم إنني شخصياً وجميع الفرنسيين الأحرار ، نتوجه بنقطة
 محوكم ، ونحو للقوات الأميركية الباسطة العامة تحت إمرتكم . وإني لأعرف
 المصاعب الإضافية التي يمكن أن تطرأ عليكم ، كما يمكن أن تطرأ على
 دارجنليو ، وأعرف مشاعر أهالي ذري ولاء ولكن أصابعهم ببعض
 الاضطراب تحت وطأة الحوادث . وأنا مقتنع ان تلك المصاعب تزول
 حالاً . كما سرت مع دارجنليو يدأ بيد ، فإن هذا وضع ثقني ، وهو
 المسؤول عن سيادة فرنسا وسلطانها في كاليديونيا الجديدة . وإني لأدعو ،
 من جانبي ، دارجنليو ان يسلك على وفاق صريح معكم . ولكم
 سلامي القلبي » .

برقية الى الجنرال كاترو

في بيروت

لندن . ٢٦ أيار ١٩٤٢

سواباً عن برقيتكم المؤرخة في ٢٠ أيار ١٩٤٢ التي درسناها في اللجنة
 الوطنية :

أنتم تضعوننا من قضية الانتخابات هذه في سوريا ولبسان أمام مسألة
 لا يزال ينقصها الشيء الكثير ، ما دمتم قد أصبحتم ملزمين تجاه كايدي
 وما دامت الصحافة الأميركية قد روت الخبر على أنه مستحيل . ولا أزال
 على اعتقادي انه كان من الافضل ان نعيد نحن بأنفسنا المهد الدستور
 في سوريا على الأقل ، خلال شهر آب المنصرم ، باستدعاء هاشم بك
 الاسدي . وبذلك كنا نداركننا الاتهام بعدم الصدق والبلاء باستفتاء
 انتخابي ، ونحن في صميم الحرب .

ربما كان اهالي سوريا قد كبوا بعض الفوائد من براعة الشيخ تاج
 الدين . ولقد كان من المتوقع أن لا يصمد النظام القائم هناك على المدى

الطويل ، سواء تجاه الخارج والداخل . ما نحن نضطر اذن الى العمل في شأن يتعلق باتتدائنا ، قضية لعمرة من مزاحمتنا البريطانيين ...

ومهما كانت الامر ، فإن اللجنة الوطنية لا تستطيع أن ترد اقتراحكم المتعلق بالانتخابات في سوريا ولبنان ضمن الشروط التي تقدمونه بها .

غير أننا لا نملك ان نقبل ، إذ تدعون الأهالي الى الاقتراح ، قولكم انكم تصرفون باسم الحلفاء ، فليس البريطانيين مطلقاً أي حق سياسي ، أو شرعي للظهور في هذه القضية . نحن وحدنا المنتصرون في المشرق .

وإني لأعلق على هذه النقطة الدقيقة أهمية قصوى . أرحمكم أن تدبروها اهتمامكم وان تفهموها ، على نحو قاطع ، للسيد كازري .

برقية الى الجنرال كاترو في بيروت
الى الجنرال دي لا رومينا في بيروت
الى الحاكم العام أبيهويه في برزلبيل
الى الجنرال لوكليز في برزلبيل
الى المفوض السامي دارجنيلو في نربيا

لندن ، ٦ حزيران ١٩٤٢

يبدو ان لسياسة إنكلترا مأرب خاصة في مدفشر ، رغم الاحتياط الشكلي الذي اتخذته الحكومة البريطانية تجاهنا في قضية تلك المستعمرة الفرنسية .

وإن لدي من الأسباب ما يحتمني أفكر أن عملية من الطراز نفسه ، ربما تحال مشتركة بين الولايات المتحدة وإنكلترا ، وتمتد ضد دكار

وحلقة النيجر . وسنبعدُ عنها كما أبعدنا عن مدغشقر للأسباب نفسها . ولكن سنستخدم لتعطية الموقف تجاه الرأي العام الفرنسي الذي يولينا الآن ثقة تكاد تكون عامة .

وإن من واثق أن أقول لكم ، وأنتم رفاقي في خدمة فرنسا أنه إذا تحققت شكوكي ، فلن أقبل أن أظل شريكاً للدولة لأنكلو - سكسونية . واني لأقدر ، انطلاقاً من هذه النقطة ، أنه سيكون من الأثم أن نستمر في تقديم عوننا المباشر لهم

ولقد ، صحت اليوم تحذيراً الى الحكومة البريطانية ، في هذا الشأن ، وأصحت ، طبعاً ، أنني آخذ مثل هذه الفرضية على أنها شيء غير محتمل تقريباً .

وحظ فرنسا في هذا الاحتمال الرهيب إنما هو أن يبقى متحدين في كتلة لا تتصدع . وأطلب اليكم أن تبنوا بوضوح ، منذ الآن ، لمثلي الأنكلو - سكسون الذين يتصلون بكم ، أن ذلك هي هربتنا . ومع ذلك ، أقدم لكم للنمطيات الآتية لتصرفوا بموجبها في الحالة التي نجد بها أنفسنا مكرهين على التحلي عن شراكة أصبحت غير مقبولة :

تجتمع ، قدر المستطاع ، في الأراضي التي حررتها . نصعد في تلك الأراضي . نقطع مع الأنكلو - سكسون كل علاقة ، مهما كلفتنا ذلك . نحذر الشعب الفرنسي والرأي العالمي ، بكل ما لدينا من وسائل ، ولا سيما عن طريق الاذاعة ، ونبسط أسباب موقفنا . وسيكون ذلك الوسيلة الكبرى ، فيما اعتقد ، لمحاولة حل الامبريالية على التراجع ، عند الاقتضاء . وسيكون الموقف اللاتق الوحيد ، في جميع الاحوال .

وأبين لكم ان الحكومة البريطانية حادت بي عن الطريق ، وأنا الذي كنت أود ان اذهب الى بيروت وبراغفيل في مستهل ايار ،

لأعذار مزيفة ، مغتيلة . وبعد أيام جرت حادثة ديفور - سواريز .
وقد كنت أريد أن اذهب لمقابلتكم في الوقت الحاضر ، فقد جاءني
الحكومة البريطانية تطلب إلي تأجيل السفر ، زاعمة إمكانات عمليات
يقال إنها في الغرب ، وأنا اعرف ، من جهة أخرى ، ان مثل هذه
العمليات بما لا يمكن تصوره ، في الحالة الراهنة . وليس لدي هنا
وسائل خاصة ، لأنتقل بدون موافقة الانكليز .

واختم قائلا : أعتقد اننا سنخرج من هذا المأرق ، على نحو مرضي ،
بدون أن ذلك لا يقوم الا على أساس من حرماننا ، والمهادنة . لكم مودتي .

برقية إلى مفوضية فرنسا الحرة

في واشنطن

لندن ، ١٠ حزيران ١٩٤٢

برنار (أو : داستيه دي لافيغيري) رئيس حركة « التحرير »
هو منذ بضعة أيام في لندن . وقد اطلعت بمطبخ ، على مشروع في
السفر إلى الولايات المتحدة ، وعادة رحلته هذه أن يبسط أمام الحكومة
الأميركية حالة الرأي العام الفرنسي ، على حقيقتها . سيصل إليكم
بلا انقطاع . قدموا له كل سد مستطاع ، واثركوا له في الوقت ذاته
حرية المبادرة لأسباب تدركونها . وبسبب من طبيعة سفره السريّة
البالغة في سريتها ، لا نعرفه - في مفوضيتنا - إلى أحد سوى شمينيه .

رسالة إلى الجنرال كونيغ

في بوسكيم

لندن ، ١٠ حزيران ١٩٤٢

أيها الجنرال كونيغ ! اعلم وقبل لتوافئك إن فرنسا كلها تنظر
إليكم وأكم فخرها .

برقية الى الجنرال كاترو في بيروت
الى الجنرال دي لارمينيا في بيروت
الى الحاكم العام ابيويه في برادابيل
الى الجنرال لوكليو في بوازفيل
الى المفوض السامي دارجنيلو في روسيا

لندن ٠ ١١ حزيران ١٩١٢

قابلت أمس السيد إيدن مطولاً ، بمسح حديثي في ١٠ حزيران مع
السيد تشرشل ، المحادثات التي ختمت بها محلياً ، مساء على تعدياتي ، مع
مثلي بريطانيا ، أحدثت أثرها ، إذ قدم لي السيد إيدن بمسح السيد
تشرشل ، التأكيد الصريح ، أنه ليس لحكومته أي مارب في أي
ارض من أراضي الامبراطورية العثمانية ، وأنها لا تخطط أي مشروع
للقيام بعمل ما ضد دكار ، على وجه الخصوص ، ولا ضد حلقة النيجر ،
وهي واثقة من أن للأميركان وجهة النظر ذاتها . وقد أحدثت علماً
بهذه التأكيدات . غير أنني بينت للسيد إيدن مع ذلك ، أن المصاعب
التي تسببها لها السياسة البريطانية في المشرق ، وتأخير إرسال شكوف
الى ديفو - سواربر ، وسياسة تثبيت الامبراطورية العثمانية وتحبيدها
التي تلتصقها الولايات المتحدة ، وموقف هذه من سان - بيير وميكلون
والأليل الفرنسية وعيانتا ، وكاليدونيا الجديدة ، وأعمال بعثة فرانك في
النجد اراضينا في النيجر ، تظل في نظرها عساسة قلق . وكرر لي
سكرتير لدولة البريطانية ، جيداك ، تصريحاته المطمئنة .

أرجوكم ، في هذه الحال ، ان تحيطوا المشين البريطانيين علماً ، من
يتصلون بكم (وللجنرال كاترو ان يعلم كايدي) أنني اطلعتكم على محادثاتي
الاخيرة مع السيد تشرشل والسيد إيدن . تقولون لهم ان علامات الخطر

التي أحدثت لدينا مظاهر قلق شتى ، يمكن اعتبارها بعد تلك الحوادث مستبعدة عما يتعلق بالجانب البريطاني . وتضيفون انكم على استعداد ، بالنائي ، في منطقة سلطتكم ، لبعث جو من الانفراج .

واعتقد ، مؤناً ، ان تلك الرحلة الاخيرة التي قام بها مولوتوف الى لندن ورشطنين ، كانت لنا سداً فعالاً ، وان متطلبات الروس حول فتح جبهة غربية هذه السنة ، جعلت مشاريع اخرى كانت قد اذهب قبل بعض التغيرات ، مطلقة .

خاتمة خطاب ألقي في ١٨ حزيران ١٩٤٢

في ألبرت مول بلندن ، « د » رسمي بريطانيا العظمى »

لم تنقطع الموجة منذ ستين عن ضرب فرنسا المحاربة وإحداث شقاق في صفوفها . فقد تأمر الماور ، والدعاية ، والبؤس في الداخل على إضعاف حركتها والتنقليل من شأنها ، ولكن عليها في الخارج ان تغلب ممنوياً ومادياً على مصاعب لا حصر لها . ولكن فرنسا المحاربة تطفو ، وهي تقدم ابدأ ، فوق اللجج العارمة . وحين أقبل في بير حكيم ، شعاع من بعدها المنبعث ، يماثل جبين جنودها الدامي ، عرف العالم فرنسا من جديد .

آه ! نحن لا نعتقد ان الهنة بلغت منتهاها . ذلك أكيد . ونحن نعرف كل ما بقي من قوة وكيد لدى العدو . ولا لجهل الامد الذي يقتضيه حزب الحرية ليظهر كل قوته . ولكن ما دامت فرنسا قد أسهمت ادباً لإرادتها في الظفر ، فلن يكون ابدأ بالنسبة لنا شك ، ولا عذاه ، ولا ملل . اننا ونحن المتحدون في سبيل القتال ، مصممون على التضال حتى يشحرر الوطن . وعند ذلك ، بعد ان تنتهي مهمتنا ، ونفرغ من دورنا ، على أولئك الذين خدموا فرنسا منذ فجر التاريخ ، وقبل

أولئك الذين سوف يخدمونها في مستقبلها الأبدى تقول لها بكل بساطة ،
كما قال بيني
« ما م يا أماء ابناؤك الذين قاتلوا ذلك القتال العظمى »

تصرع ظهو في نشرات سرية في فرنسا

٢٣ حزيران • ١٩١٦

أصبحت الحجب الأخيرة التي استتر خلفها العدو والحيانة ، ليعملا
ضد فرنسا - أصبحت ممزقة بعد اليوم . أنت مدار هذه الحرب واضح
لدى الفرنسيين جميعهم : الاستقلال أو العبودية . وعلى كل واحد مننا
الواجب المقدس لأن يعمل كل ما يرمعه للمشاركة في تحرير الوطن عن
طريق سحق الغزاة . ولا مخرج ولا مستقبل إلا بالنصر .

ولكن هذه الحجة المروعة كشفت للأمة أن الخطر الذي يهدد وجودها
لم يأت من الخارج فحسب ، وأن نصراً لا يحمل معه تجديدًا داخليًا
جربنا وعينا ، لا يكون نصراً .

لقد هوى في الحرية عهد اخلاقي ، اجتماعي ، سياسي ، اقتصادي ،
بعد ان كان قد "نزل" هو نفسه في الاباحية . وثمة عهد آخر ، انبثق
من استسلام إجرامي ، ينشئ في سلطة شخص . إن الشعب الفرنسي
ليدين المهددين معاً ، وفيما هو يتحد في سبيل النصر ، يتجمع من
أجل ثورة .

وعلى الرغم من اللامبال والكمالات التي رمت الأمة بأعلال المبودية ،
فإن ألف شهادة ارتفعت من أعماق أعماقها ، تظهر للآل شوقها وأملها .
وإننا لنعلن هذين باسمها ، ونؤكد أهداف الحرب التي يخوضها الشعب
الفرنسي .

إننا نريد أن يعود إلى الأمة الفرنسية كل ما كان في حوزتها .
وكلفة الحرب إنما تعني في نظرنا ، إعادة الكيان لأراضي فرنسا ،
وامدراطورتها ، وراثتها دفعة واحدة ، وإعادة السيادة التامة للأمة على
نفسها . وكل اغتصاب ، سواء أتى من الداخل أو من الخارج ينبغي
أن يدمر ويكنس . وإننا إذ نزعّم أننا سفرد فرنسا وحدها وبفرددها
سيده في ديارها ، فإننا سنعمل على نحو يكون معه الشعب الفرنسي
وحده وبفردده سيداً في داره . وفي الوقت ذاته الذي يفدو به الفرنسيون
متحررين من جور الأعداء ، ينبغي أن ترد إليهم حرياتهم الداخلية .
فإذا قم طرد العدو من أرض البلاد ، ينتخب جميع رجالنا وجميع
نساءنا الجمعية الوطنية ، وفيها يقررون مصير البلاد بملء سيادتهم .

إننا نريد أن نزل المصائب بكل من مسّ أو لمس حقوق الأمة
الفرنسية ، ومصالحها ، وشرفها وإن يُلمى من الوعود . وهذا يعني أولاً أن
الرؤساء الأعداء الذين يسيئون استعمال حقوق الحرب على حساب الفرنسيين
وتملكانهم ، ينبغي أن يثأروا عقابهم . ثم هو يعني أن نظام الاستبداد
الذي أقام أعداءنا ضدنا ، وسلطتهم ، وحرّضهم علينا ، ونظام تحالف
المنافع الخاصة الذي لعب دوره في بلادنا ضدّ المصلحة الوطنية ، ينبغي
أن يسحق مأساً إلى الأبد .

نريد أن يعيش الفرنسيون في أمان . ويجب أن نحصل ، في الخارج ،
على الضمانات المادّية من النازي الزمن ، هذه الضمانات التي نجعلها عاجزاً
عن المدوان والبنفي . ويجب أن تتحقق في الداخل الضمانات العملية التي
تؤمن لكل فرد الحرية والكرامة في عمله وبقائه ضد طغيان المساويء
المتكررة . الأمن الوطني والضيان الاجتماعي هما بالنسبة لينا هدفان
لازمان متلازمان .

نريد أن يُلمى نهائياً هذا التنظيم الآلي للجهايمير البشرية الذي حققه

العدو موزة فيه بكل دين ، وكل خلق ، وكل حبة ، بدعوى انه من القوة بمنزلة تمكن معها من إرهاب الآخرين . ونريد في الوقت نفسه ان يوضع بعد اليوم موضع التنفيذ في ديارنا ، ذلك المثل للفرنسي الأعلى القديم في الحرية والمساواة والإخاء خلال تجديد قوي لموارد الأمة والامبراطورية عن طريق تقنية موجهة ، بحيث يكون كل امرئ حراً بفكره وعقائده ، وأعماله ، ويكون لدى كل امرئ في بدء من نشاطه الاجتماعي ، فرص متكافئة مع فرص الآخرين جميعهم ، ويكون كل امرئ محترماً من الجميع ، وممناً اذا احتاج العون .

نريد ان يكون لهذه الحرب التي تؤثر على مستوى واحد ، في مصير جميع الشعوب ونزوح الديموقراطيات في الجهود الواحد ذاته ، كنتيجة ، ان يتم تنظيم العالم بقم على نحو عالم ، تعاوناً بين الأمم ومساعدة متبادلة في جميع المجالات . ونحن نرى ان تحتل فرنسا في هذا الجهاز الدولي المكانة العليا التي نبوءها اياها قيمتها وعبريتها .

ان فرنسا والعالم يكافحان ويتعذبان في سبيل الحرية والعدالة ، وحق الناس في التصرف كما يريدون . يجب ان يربح حق التصرف والعدالة والحرية هذه الحرب ، وان يحمل من هذه الامور حقاً لكل انسان كما لكل دولة .

وان مثل هذا النصر الفرنسي والاساسي هو التعويض الوحيد ص الممن التي لا مثل لها والتي يقاسيها وطناً ، وهو التعويض الوحيد الذي يشق له من جديد ، طريق المظنة . ان مثل هذا النصر يوارى جميع الجهود والتضحيات . وستتكرر .

فهرست

ص	هذه المذكرات وهذه الترجمة
٦	المنحدر
٩	السلوط
٧١	فرنسا الحرة
١٠٧	أفريقيا
١٣٥	لندن
١٧٩	الشرق
٢١١	الحلفاء
٢٦١	فرنسا المحاربة
٣١١	وثائق
٣٧١	

طبع علی مطابع «امبریتو» بیروت - لبنان

Tous droits de reproduction, d'adaptation et de traduction en langue arabe sont réservés pour tous pays aux Editions OUEIDAT conformément à l'approbation de l'Auteur et à l'accord avec la Librairie Plon en date du 18 juillet 1966 à Paris.

CHARLES DE GAULLE

**MEMOIRES
DE
GEURRE**

L'APPEL

(1940 - 1942)

Texte traduit par Abdullatif SHERARA
et révisé par Ahmad OUEIDAT

EDITIONS OUEIDAT
BEYROUTH - PARIS



EDITIONS MEDITERRANEE
BEYROUTH - PARIS